بو کتاب

٤١٠ ورقدر

الجلد ثاني من تفسير لباب الخازن

عدد ٢٢

ص

وزير اعظم وسردار اكرم محمد پاشا تحفه تقديماتى اهداسى

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى
أكرمه الله تعالى باللطف الخفي وأنا الفقير أحمد شيخ زاده المفتش
بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

تفسير سورة هود عليه السلام مكية

في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن
عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال
مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به وقوله
ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون اية والف وتسعمائة كلمة
وتسعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول
الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله
عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل
اتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السورة
المذكورة في الحديث لما فيهما من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته قال ابن عباس لم ينسخها
كتاب كما نسخت به الكتب والشرائع ثم فصلت يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب
والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها
الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض
ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي

ليس فيه

ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة
والمعاد واحوال القيمة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار
عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست للتراخي في الوقت ولكن في
الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام
وخص بعضها في قوله منه ايات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام
العام هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب جميعه نسخ الكتب المتقدمة
عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات منه
ايضا لم ينسخها غيره وقيل احكمت اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض
فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجرا الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما
اكلت بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في افعاله خبير يعني باحوال
عباده وما يصلحهم الا تعبدوا الا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت ان لا
تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى
والى عبادته والدخول في دين الاسلام انني لكم منه اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه ان اقمتم
على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير يعني وابشركم بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله
وحده وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا
من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه
من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف
ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد
يمتعكم متاعا حسنا يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل
بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة وخير وقال بعضهم العيش الحسن هو الرضى
بالميسور والصبر على المقدور الى اجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء اجالكم فان
قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقد تضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد
ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت اما
قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من الثواب الجزيل
والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما
اعد الله له في الاخرة من العذاب الاليم الدايم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما اعد الله
له في الاخرة واما انه يضيق على الرجل المومن في بعض الاوقات انما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيات
وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المومن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله
في جميع احواله وقوله تعالى ويوت كل ذي فضل فضله اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه
في الاخرة قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر
الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار
ومن استوت حسناته وسياته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت
عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر

حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود
هلك من غلب آحاده اعشاره وقيل يعني الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته **وان تولوا** يعني
وان اعرضوا عما جئتم به من الهدى **فاني اخاف عليكم** اي فقل لهم اني اخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني عذاب
النار في الآخرة **الى الله مرجعكم** يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته **وهو
على كل شيء قدير** يعني من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة قوله تعالى **الا انهم يثنون
صدورهم** قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في
صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت
في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه
كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا
ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله
ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني **ليستخفوا منه** يعني
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون ثيابهم**
يعني يغطون رؤوسهم بثيابهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور** ومعنى الآية على ما
قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد
نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي
انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا
الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الدابة
اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد
منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوان **الا على الله رزقها** يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه
لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان لم يشأ لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله
رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت
جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليل او نهار ومستودعها
المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر **كل في كتاب مبين** اي كل ذلك مثبت في
اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على
الماء** يعني قبل خلق السموات قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم
خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات
والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله
ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء
على اي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم
قبض قبضة من صفاة الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم اخذ طينة من الماء
فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين
ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء يدل على كمال

القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات
والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وعقلت ناقتي بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير
وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول
الله ثم قالوا جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شيء قبله
وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد
ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابي رزين العقيلي
قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه
على الماء اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يزيد العماء اي ليس معه شيء قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء
والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك
غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عماء وجدته
في كتابي عماء مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء اي فوق سحاب مدبرا
له وعاليا عليه كما قال أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال لاصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها
وقوله ما فوقه هواء اي ما فوق السحاب هواء وكذلك وما تحته هواء اي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك
من العماء مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لانه مما عمي على الخلق لكونه غير شيء فكانه قال
في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اي ليس فوق العمى الذي
هو لا شيء موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه والله اعلم
وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله
واسئل القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العماء
في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين
كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في عمى مقصور
وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول
عنهم والا فلا يدرى كيف كان ذلك العماء قال الازهري فنحن نؤمن به ولا نكيف بصفته (م) عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق
السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا
ففرغ منه لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى
ليبلوكم يعني ليختبركم وهو اعلم بكم **ايكم احسن عملا** يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله **ولئن قلت**
يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك **انكم مبعوثون من بعد الموت** يعني للحساب والجزاء **ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعنون القرآن **ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة** يعني الى اجل محدود
واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال الى انقراض امة ومجيء امة اخرى **ليقولن ما يحبسه** يعني
اي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل
الا يوم ياتيهم يعني العذاب **ليس مصروفا عنهم** اي لا يصرفه عنهم شيء **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**

يعني ونزل بهم وبال استهزائهم قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش
وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به
انه ليؤس كفور يعني يظل قنطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور اي جحود لنعمتنا عليه او لا قليل الشكر لربه
قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغي
لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير ونحوه قوله تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته يعني ولئن خولنا النعماء على الانسان فبسطنا عليه من العيش ليقولن يعني الذي اصابه الخير والسعة
ذهب السيئات عني يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك عزة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه
لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال انه لفرح فخور يعني انه
اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك
منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه
لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا النعمة شكروا
عليها اولئك يعني من هذه صفته لهم مغفرة يعني لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة قوله عز وجل فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك
يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك انك تبلغه الى من امرك ان تبلغ ذلك اليه وضائق به صدرك يعني ويضيق
صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من ذكر
آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه
البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله
عليه وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما اوحي اليه لقول احد لان تجويز ذلك يؤدي الى الشك في
اداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت
فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك اجوبة احدها قال
ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما اوحي اليه اشفاقا من موجدة
احد وغضبه ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك الآية الثاني ان هذا ادب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه والله تعالى
من وراء ذلك في عصمته ممن يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون
به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤون به فامره الله
تعالى بتبليغ ما اوحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان يحمل هذا الضرر اهون من كتم شيء من الوحي والمقصود
من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على
ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول
قوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بان تتلوه

عليهم ان

ان يقولوا يعني مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز يعني يستغني به وينفعه او جاء معه ملك يعني يشهد بصدقه
وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي امية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا
في قولك بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك
ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول بالشبهة في امرك فاخبر الله
عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم انه نذير بقوله عز وجل انما انت نذير تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر
بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك والله على كل شيء وكيل يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم
فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما اوحي اليه
من القرآن قل اي قل لهم يا محمد فاتوا بعشر سور مثله مفتريات لما قالوا لو انه افتريت القرآن واختلقته من عند
نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم
هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي وانا من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة
واصحاب اللسان فاتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل
ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم
بان ياتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة
فهو عن العشرة اعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بعشر سور فلما
عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة
يونس فاتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فاتوا
بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم
بهذا الكلام امره بان يقول لهم وادعوا من استطعتم من دون الله يعني يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين
يعني في قولكم انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على امرين وخطابين احدهما
امر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل فاتوا بعشر سور مثله والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله
وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا
في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من تدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا
السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة
قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل
بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله
وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى
الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في
الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم ايها
الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم وان لا اله الا هو يعني ان الذي انزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه
فهل انتم مسلمون فيه معنى الامر اي اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين
كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اي دوموا على ما انتم عليه من الاسلام قوله عز وجل من كان يريد الحياة

الدنيا وزينتها يعني يعمله الذي يعمله من أعمال البر نزلت في كل من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف إليهم
أعمالهم يعني أجور أعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك أن الله تعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره
في الدنيا وما أشبه ذلك وهم فيها لا يبخسون يعني أنهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا
بل يعطون أجور أعمالهم في الدنيا كاملة موفرة أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا
فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر وباطل ما كانوا يعملون لأنه لغير الله واختلف المفسرون في
المعني بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل
عملا صالحا في غير تقوى يعني أهل الشرك أعطي على ذلك أجرا في الدنيا وهو أن يصل رحما أو يعطي سائلا أو يرحم مضطرا
ونحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع
عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله أولئك الذين
ليس لهم في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون
بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل إن حمل الآية على العموم
أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة
قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء ثم أهل الرياء وهذا القول مشكل لأن قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار لا يليق بحال المؤمن إلا إذا قلنا إن تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى
استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن أبي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي
غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله
فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما
يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها أخرجه أبو داود
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب
الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤون بأعمالهم أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف
عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر
الإنسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل الذي
هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى
بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه
البغوي بغير سند قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون
بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال تعالى أفمن
كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما حذف هذا الجواب لظهوره
ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في
ضلالة وكون المراد بالبينة الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني أنه

على يقين

على يقين من ربه على الحق ويتلوه شاهد منه يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو
فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين إنه جبريل عليه السلام يريد
أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى
وروي عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنت التالي قال وما تعني بالتالي قلت
قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن اللسان
لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى
القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هو القرآن لأن إعجازه وبلاغته وحسن نظمه تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم
معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه
هذا القول أن من نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر
ولا كاهن ولا مجنون وقال ابن عبد الله بن نجي قال علي بن أبي طالب ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية
والآيتان فقال له رجل وأنت أي شيء نزل فيك فقال علي ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا
القول يكون الشاهد علي بن أبي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا
الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ويتلوه شاهد منه يعني الإنجيل وهو اختيار الفراء
والمعنى أن الإنجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والأمر بالإيمان به وإن كان قد نزل
قبل القرآن وقوله تعالى ومن قبله يعني ومن قبل نزول القرآن وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى يعني
التوراة إماما ورحمة يعني أنه إمام لهم يرجعون إليه في أمور الدين والأحكام والشرائع وكونه رحمة لأنه
الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى أولئك يؤمنون به يعني أن الذين وصفهم الله
بأنهم على بينة من ربهم هم المشار إليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين
أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن يكفر به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم من الأحزاب
يعني جميع الكفار وأصحاب الأديان المختلفة فيدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وغيرهم
والأحزاب الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الأنبياء فالنار موعده يعني في الآخرة روى البغوي بسنده
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا
يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا
الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الأمة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه
الآية ومن قبله كتاب موسى إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها ثم قال
تعالى فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك فيه قولان أحدهما أن معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين
ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه
والقول الثاني أنه راجع إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من أن النار موعده
فلا تك في شك من أن النار موعد من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بما أوحينا إليك أو من أن النار موعد الكفار قوله عز وجل ومن

اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني اي الناس اشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان
له شريكا او ولدا وفي الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا يورد في معرض المبالغة اولئك يعني المفترين على الله الكذب يعرضون على ربهم يعني يوم القيمة فيسالهم
عن اعمالهم في الدنيا ويقول الاشهاد يعني الملئكة الذين يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن
عباس هم الانبيا والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين
يعني يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم من رحمته ق عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر
يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المومن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره
بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول
الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على روس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله
تعالى الذين يصدون عن سبيل الله هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين
ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو الاسلام
ويبغونها عوجا يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة على صحة دين الاسلام
وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له اولئك
يعني من هذه صفته لم يكونوا معجزين في الارض قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فايتين
من الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا ارادهم بالعقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون
على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اوليا يعني وما لهؤلا المشركين من انصار يمنعونهم
من دون الله اذا اراد بهم سوا وعذابا يضاعف لهم العذاب يعني في الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم
عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة
صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فياخذوا به وقال ابن عباس اخبر الله انه حال
بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي
طاعته وما كانوا يبصرون واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم اولئك الذين خسروا
انفسهم يعني ان هؤلا الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا
يفترون يعني وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملئكة والاصنام تشفع لهم لا جرم يعني حقا
وقال الفرا لا محالة انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار
وهذا هو الخسران المبين قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز
وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المومنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات
في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت
فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اشارة الى جميع احوال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع
لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع

فاذا

فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمينين الى صدق وعده
بالثواب والجزا على تلك الاعمال او يكونوا مطمينين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع
كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خايفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهي الخشوع والخضوع اوليك يعني
الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع
لنعيمها ولا زوال قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله سبحانه وتعالى احوال
الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المومنين وما كانوا عليه من
البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة وضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني فريق المومنين وفريق
الكافرين كالاعمى وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم هو الذي لا يسمع شيا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشيا
على ما هيتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المومنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل
في نفسه ومثل الكفار كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه هل يستويان مثلا قال الفرا لم يقل
يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كانهما واحد
وهما من وصف المومن افلا تذكرون يعني فتتعظون قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير
مبين يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني من النذارة
اخوف من العقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم يعني مولم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسع مائة سنة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة
سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين وخمسين سنة فمكث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره الف سنة واربعمائة وخمسين سنة فقال الملا
الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والروسا من قوم نوح ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا يعني ادميا مثلنا لا فضل
لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على
جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة
بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من
احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والرذل الدون من كل شي قيل هم الحاكة والاساكفة واصحاب
الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف
والمال والمناصب العالية بل الفقرا الخاملون هم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا احسنت سيرتهم في
الدين بادي الراي يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل
معناه ظاهر الراي يعني انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني بالمال
والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله الايمان والطاعة لا بالشرف
والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون
الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان
ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني رحمة من عنده يعني هداية ومعرفة ونبوة فعميت عليكم اي خفيت والتبست
عليكم انلزمكموها الها عايدة على الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم

ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام معناه الانكار اي لا اقدر على ذلك والذي اقدر
عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه
لم يملك ذلك ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا يعني لا اسالكم ولا اطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ان اجري
الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم الارذلون
في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني عظمة
الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولا المومنين خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله
ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني
فتتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم عليه
مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها شي فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال ابن
الانباري الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح
عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فادعوا ان هولا المومنين انما
اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندي خزاين الله
التي يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على الناس واستتارها
عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندي خزاين الله وبين قوله ولا اعلم الغيب
يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله
ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا يعني لا ادعي اني من الملايكة بل انا بشر مثلكم
ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم **فصل** استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملايكة
على الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول لكم اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا
وكذا لا يحسن الا اذا كان الشي اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام هذه
المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة
قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسول لا يكون من البشر انما يكون من الملايكة فاعلمهم
ان هذا الظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال ولا اقول اني ملك ولم يرد ان
درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم وقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر
اعينكم يعني المومنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة لن يوتيهم الله خيرا يعني توفيقا
وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر اني اذا لمن الظالمين يعني ان طردتهم تكذيبا
لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا من الظالمين قالوا يا نوح
قد جادلتنا يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت
من الصادقين يعني في دعواك انك رسول من الله الينا قال انما ياتيكم به الله ان شا يعني قال نوح لقومه
حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الي انما هو الى الله ينزله متى شا وعلى من شا وما انتم بمعجزين
يعني وما انتم بفايتين ان اراد انزال العذاب بكم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم انذاري
وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى ليس
بتفسير لان الاغوا يودي الى الهلاك هو ربكم يعني ان الله تعالى هو يهلككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه واليه
ترجعون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجا به من عند نفسه والضمير يعود الى

الوحي الذي جاءهم به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثم اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها
يقال اجرم وجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بري مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين
على ان هذا من محاورة نوح قومه فهي من قصة نوح وقال مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة
في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال
ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد
مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله وراى ان شيخا منهم جا متوكيا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني
لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكني من العصى فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام
حتى شجه شجة منكرة فاوحي الله اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس يعني فلا تحزن عليهم
فاني مهلكهم بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينيذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون
بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي انهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد
عليه منهم البلا وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتي قرن الا كانوا اخبث من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن
الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابايناوا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكا نوح الى الله
عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى
الله اليه واصنع الفلك يعني السفينة والفلك جمع يطلق على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس
بمراى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا وقيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون يعني
بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كنعان
وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع
الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل
ينجر ولا يخطي فصنعها مثل جوجو الطير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما امر الله تعالى قال اهل
السير لما امر الله نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد
ويهيي القار وكلما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو يعمل في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح
قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة
ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصنعه ازور وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان
يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان
يجعله ثلاثة اطباق سفلى ووسطى وعليا وان يجعل فيه كوا فصنعه نوح كما امره الله عز وجل وقال
ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها
في السما ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل معه ما يحتاج
اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع ومايتا
ذراع وعرضها ستماية ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلثماية ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح ماية
سنة يغرس الاشجار ويقطعها وماية سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل السفينة نوح في ثلاثين

سنة وروي انها ثلاثة اطباق الطبقة السفلى للدواب والوحش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر روث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فخرج منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فاكلاه فذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه اي جماعة من قومه سخروا منه يعني استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه قال يعني نوحا لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب ونحو قوله فسوف تعلمون يعني فسترون من ياتيه يعني اينا ياتيه نحن او انتم عذاب يخزيه يعني يهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور يعني وغلا والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا ولذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله اعجميا فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار التنور طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة والمعنى اذا رايت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء في التنور فعلمت به امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في السفينة من كل زوجين اثنين المزدوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة واهلك اي واحمل اهلك وولدك وعيالك الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك واراد به امراته واعلة وابنه كنعان ومن امن يعني واحمل معك من امن بك من قومك وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدد

من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر ممن كان امن بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الامام فخر الدين الرازي وما الذي يروى عن ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروي عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله تعالى وقال اركبوا فيها يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة بسم الله مجراها ومرساها يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسو اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الامور وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شيء وروي انه لما كثر الماء في السكك خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما لحقها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان وكان كافرا وكان في معزل يعني عن نوح لم يركب معه يا بني اركب معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين يعني فتهلك معهم قال يعني قال كنعان ساوي يعني سالتجي واصير الى جبل يعصمني يعني يمنعني من الماء قال يعني قال له نوح لا عاصم يعني لا مانع اليوم من امر الله يعني من عذاب الله الا من رحم يعني الا من رحمه الله فينجيه من الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني بعد ما انتهى الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماءك اي اشربيه ويا سماء اقلعي اي امسكي وغيض الماء اي نقص

ونضب يقال غاض اذا نقص وذهب وقضي الامر يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح واستوت يعني واستوت
السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلما بالسير
لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت
بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف
فلذلك لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي
ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد
رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح
ومن معه من السفينة يوم عاشورا فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب
الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من
الغرق غير عوج بن عنق وكان الما يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب
ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف
اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب
غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك
المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوانات
ويرد عليه ايضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع ابايهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله
تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز
وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني ان تنجي اهلي وان وعدك
الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك
قال يعني قال الله يا نوح انه يعني هذا الابن الذي سالتني نجاته انه ليس من اهلك اختلف علما التفسير
هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك
قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلي ولم
يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول
هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال
ما بغت امراة نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب
معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر
من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه فريق في الجنة وهم المومنون
وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المومن والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا
وغيرهم فان الله اخرج قابيل من صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم عليه السلام
وهو نبي من صلب ازر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه
كيف يشا فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وساله له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه ويحتمل
تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راي تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله
بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس من اهل دينك لان اهل الرجل من

يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر
قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح
الرا على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا الباقون من
القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير بضم الرا ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح
لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير
في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف
المضاف كما قالت الخنسا فانما هي اقبال وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي اسحق يعني الزجاج وابي بكر
ابن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما يجعل الشي الشي نفسه
لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف فلا تسالني ما ليس لك به علم
وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو من كمال الشفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم
ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى
فلا تسالني ما ليس لك علم بجواز مسالته اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني لمثل هذا
السوال قال يعني قال نوح رب اني اعوذ بك يعني الجا اليك واعتذر اليك ان اسالك ما ليس لي به علم
يعني انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسالتي ما ليس لي به علم والا تغفر لي
يعني جهلي واقدامي على سوال ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت كل شي اكن من الخاسرين
فصل وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح فالمراد
منه السوال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على
صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح بظاهر
اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا
السوال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سواله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح
من اقدامه على سوال ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجا الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وساله
المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح
عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سوال ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم
قوله تعالى قيل يا نوح اهبط اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض بسلام اي بامن وسلامة منا وبركات
البركة هي ثبوت الخير ونماوه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم
القيمة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم عليك وعلى امم
ممن معك يعني وعلى ذرية امم ممن معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية
اولادك وهم المومنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مومن الى يوم القيمة وامم سنمتعهم هذا ابتدا الكلام
اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى اجالهم ثم يمسهم منا عذاب اليم يعني في الاخرة
تلك من انبا الغيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك بها يا محمد من
قصة نوح وخبره وخبر قومه من انبا الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا

قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم
فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها
وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة فلم يعلمها وكذلك كانت امته
فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر
نوح على اذى قومه ان العاقبة يعني النصر والظفر على الاعدا والفوز بالسعادة الاخروية للمتقين يعني
المومنين قوله عز وجل والى عاد يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسبة لا في الدين قال يا قوم
اعبدوا الله يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيا في العبادة ما لكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الهكم
لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون
في عبادتكم غيره يا قوم لا اسالكم عليه يعني على تبليغ الرسالة اجرا يعني جعلا اخذه منكم ان اجري يعني
ما ثوابي الا على الذي فطرني يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون يعني
فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا ثم توبوا اليه
يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السما عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة
بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة
ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان امنوا بالله وصدقوه ارسل
الله عليهم المطر فاحيى به بلادهم كما كانت اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم
بقوتكم بالاموال والاولاد وذلك انه تعالى اعقم ارحام نسائهم فلم يلدن فقال لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل
الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدون فتزدادون قوة بالاموال والاولاد
وقيل تزدادون في الدين الى الدنيا والابدان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال
كونكم مشركين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول وما نحن بتاركي الهتنا
عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك وما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا
اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا يحمل امرك الا على هذا قال يعني هود مجيبا لهم اني
اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا يعني اشهدوا انتم ايضا علي اني بري مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام
التي كانوا يعبدونها فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع
فانها لا تضر ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان
وحيدا في قومه فقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز
وجل وتوكله عليه وهو قوله اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه ما من دابة
يعني تدب على الارض يدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني
انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وقاهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس وسمي
الشعر الذي عليها ناصية للمجاورة وانما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا
وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه
جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم ان ربي على صراط
مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا

بالاحسان

بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسي بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط
المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان
بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني انه لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير
منكم في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم
الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال فهو وعيد
وتهديد ولا تضرونه شيا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيا اذا اهلككم لان
وجودكم وعدمكم عنده سوا ان ربي على كل شي حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شي فيحفظني من ان تنالوني بسوء
قوله تعالى ولما جا امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا
وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المومن والكافر فلما انجى الله المومنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله
وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد
ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله
المومنين فلم تضرهم شيا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق
بين العذابين والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة
بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة
عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم واثارهم كانه
قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم فقال جحدوا بايات ربهم يعني المعجزات
التي اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من
كذب برسول فقد كذب كل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبعوا الروسا والمراد
من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة يعني اردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ويوم القيمة
يعني وفي يوم القيمة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال
تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم الا بعدا لعاد قوم هود يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة
فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه
قلت الفائدة فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود
عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا
قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله
قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل
والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين قال يا قوم
اعبدوا الله اي وحدوا الله واخلصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه
الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال هو انشاكم من الارض يعني انه هو الذي
ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها
وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة
وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا

اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني من المؤمنين مجيب لدعائهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين
ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا فلما اظهر دعاهم الى الله وعاب الاصنام انقطع
رجاؤهم منه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا يعني الالهة وانا لفي شك مما تدعونا اليه يعني من عبادة
الله مريب يعني انا مرتابين في قولك من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة
قال يا قوم يعني قال صالح مجيبا لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي على يقين وبرهان
واتاني منه رحمة يعني نبوة وحكمة فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته يعني ان
خالفت امره فما تزيدونني غير تخسير قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسين بن الفضل
لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم
الى الخسارة ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت
هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها
وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم اية ومعجزة دالة على
صدق صالح عليه السلام فذروها تاكل يعني من العشب والنبات في ارض الله يعني فليس عليكم مؤنتها
ولا تمسوها بسوء يعني بعقر فياخذكم يعني ان قتلتموها عذاب قريب يعني في الدنيا فعقروها يعني فخالفوا
امر ربهم فعقروها فقال يعني فقال لهم صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ثلاثة ايام يعني ثم تهلكون ذلك
يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اي صدق غير مكذوب روي انه قال لهم ياتيكم
العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا يعني بالعذاب نجينا صالحا والذين
امنوا معه برحمة منا اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان فامنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب
يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكفار ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد هو القوي
يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شي ثم اخبر عن عذاب
قوم صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة
فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت قلوبهم في
صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني صرعى هلكى كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا في تلك
الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود
وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل
وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة
املاك وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقال ابن عباس هو الاولى لان
اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة باسحق
ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني ان الملائكة سلموا سلاما قال يعني ابراهيم سلام اي عليكم
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ يعني مشوي والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل اهل
البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم

خمس

خمس عشرة ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءه الملائكة راى اضيافا
لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي فلما راى ايديهم يعني ايدي الاضياف لا تصل اليه يعني
الى العجل المشوي نكرهم يعني انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس منهم خيفة يعني
ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل
ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل انهم ملائكة وانما خاف
ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول
الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة ما قدمه اليهم لعلمه ان
الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رات الملائكة خوف ابراهيم عليه
السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط وامراته يعني سارة زوجة ابراهيم
وهي بنت عم ابراهيم قايمة يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قايمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس
معهم فضحكت اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سمي مقدمات
الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم للعلما في تفسير هذا الضحك
قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي
لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا لا ناكل طعاما
الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على اخره فنظر جبريل
الى ميكائيل وقال وحق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة
وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة
قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه
وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه فلما قالوا
لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون
لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير تقديره فبشرناها
باسحق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت يا ابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب
نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك فضحكت لموافقتهم ما ظنت القول
الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك
قال الراغب وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين
فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تفسيرا لحالها فانه جعل ذلك امارة لما بشرت به فحاضت
في الوقت ليعلم ان حملها ليس بمنكر اذ كانت المراة ما دامت تحيض فانها تحمل وقال الفرا فضحكت
بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشي ضحكت بمعنى حاضت قال ابن الانباري قد انكر
الفرا وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد

وتضحك الضبع لقتلى هذيل ... وترى الذيب بها يستهل

قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الاية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري عن بعضهم في قوله فضحكت اي
حاضت قال ويقال اضحكت الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دما سليم ... اذ راتها على الحراب تمور

وقال في الحكم ضحكت المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا
حاضت قال وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب
عن هذا من انكره ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم
انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها ضحكا وقيل معناه انها
تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا
فان قلت اي القولين اصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين يحتمل
في معنى الضحك فالله اعلم اي ذلك كان وقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يعني
ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد
صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النسا وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتى
الندبة واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا ءالد وانا
عجوز وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي
يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا عليها قايما بامرها سمي بعلا لذلك شيخا
وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة في قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة
والولادة سنة ان هذا لشي عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة
يولد لهما قالوا يعني قالت الملائكة لسارة اتعجبين من امر الله معناه لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى
قادر على كل شي فاذا اراد شيا كان سريعا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت يعني بيت ابراهيم عليه
السلام وهذا على معنى الدعا من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته
انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السرا والضرا والشدة والرخا
فهو محمود على كل حال مجيد ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم
السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطا وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى
يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد يجادلنا فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا
او جعل يجادلنا وقيل معناه يكلمنا ويسالنا في قوم لوط لان العبد لا يقدر ان يجادل ربه وقال جمهور المفسرين
معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة انه قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط
خمسون رجلا من المومنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال
كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تاخير
العذاب عنهم لعلهم يومنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة
الاف الف ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم
يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه قد جاء امر ربك يعني ان
ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب الذي نزل
بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا يعني هولاء الملائكة الذين كانوا عند
ابراهيم وكانوا على صور غلمان مرد حسان الوجوه سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساءه بقومه

وضاق

وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في
سيره ذراعا على قدر سعة خطوة فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه
فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة يعني قوله ضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك
الامر مخلصا وقال غيره معنى ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع
والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا
اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم
اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال يعني
لوطا هذا يوم عصيب يعني شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اي شد به ماخوذ من العصابة التي
يشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف
النهار وهو يعمل في ارض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع
شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال
اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل
الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى
فقال جبريل هذه واحدة ثم مر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال
لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان
الملائكة جاوا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته
الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم وجاءه قومه
يهرعون اليه قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع مشي بين
مشيين وقال شمر هو من الهرولة والجمز ومن قبل يعني ومن قبل مجي الرسل اليهم وقيل من قبل مجيئهم الى لوط كانوا
يعملون السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم قال يعني
قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم يا قوم هؤلاء بناتي يعني ازوجكم اياهن
وفي اضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال
الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نسا قومه واضافهن
الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب ان شا الله تعالى والدليل
عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على اعدائه
ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبيا ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على
سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله هن اطهر لكم سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم
من باب افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة
فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السوال ان هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اعل هبل قال الله
اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة وله نظاير كثيرة وقوله
فاتقوا الله يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا
تسوونى في اضيافي ولا تفضحون معهم اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل

يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بنا تلك لنا
بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط
الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني في اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك قال لوط
عليه السلام لو ان لي بكم قوة اي لو اني اقدر ان انقوى عليكم او اوي الى ركن شديد يعني او انضم الى
عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت
اليها قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
ثم اتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز
وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم
تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك
الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه
وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه
من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار
وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الجدار فلما رات الملائكة ما يلقى لوط
بسببهم قالوا يا لوط ركنك شديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا
واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى
صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه
مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط اسحر قوم في
الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك
يعني ببيتك بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة
بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه
الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله انه مصيبها ما اصابهم فقال
لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ان موعدهم الصبح قال انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح
بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما
سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم فلما جاء امرنا
يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى لوط
وهي خمس مداين اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها اربعمائة الف وقيل
اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء
ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من
مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك وكل
فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قولهم استبرق

وسندس ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية
وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر
واخرها طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل سجيل اسم سماء
الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد
وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما
لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي
كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبها الذي يرمى بها وما هي يعني تلك
الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله
منها ظالما بعده وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو يعرض عليه حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان
الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فبقي الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى
خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم
شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة
بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام
عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذه كانت
عادة الانبياء عليهم السلام يبدءون بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء
فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد
من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن
فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص
من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر وهو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا على
حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة
فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وحذرهم عذاب الاخرة ومنه
قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما بالقسط
اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ولا تنقصوا الناس
يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان
ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم
فما الفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل
والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية
بالتاكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال نهي عن التنقيص
وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول
النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر
بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما وهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الامر والنهي

واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما خصص النهي عن التنقيص
والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشيا التي يجب ايفاء الحقوق فيها فيدخل فيه الكيل
والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فايدة هذا التكرار والله اعلم وقوله ولا تعثوا في
الارض مفسدين يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس
يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد
بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل
لكم في الدنيا من المال الحرام ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما
انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يومر بقتالهم قالوا
يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشا
يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل
انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزون به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراتك
لان الصلاة تطلق على القراة والدعا وقيل المراد بالصلاة هنا الدين اديك يامرك ان نترك
ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير وكان شعيب ينهاهم
عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين انك لانت الحليم الرشيد
قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشي بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة
المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزا والسخرية وقيل معناه انك لانت
الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمل بك
شق عصى قومك ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني
على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان شعيب كثير المال والنعم وقيل
الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره
ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعم
العظيمة ان اخون في وحيه وان اخالف امره واتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد
المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان
يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف يقال
خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا
عن الما فتسيله عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام
فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال
العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي
فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس
والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها الا ما انتم
عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري
بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه

ولا ينطوي

ولا ينطوي الا على مثله فكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد يعني انما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح
يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني ما استطعت الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع
اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشا ويضل من يشا وما توفيقي الا بالله التوفيق
تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله
عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع اموري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوايب
وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذاك
خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ان
يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق او قوم هود
يعني الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد
وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم
لوط وبلادهم قريبة من بلادهم ويا قوم استغفروا ربكم يعني من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه يعني من البخس
والنقصان في الكيل والوزن ان ربي رحيم بعباده اذا تابوا واستغفروه ودود قال ابن عباس الودود
المحب لعباده المومنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى
مفعول معناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي فقيل
هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان
الخطابي وقد يكون معناه ان يوددهم الى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني ما نفهم
ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعونه
ويفهمونه وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير يسمون المكفوف
ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا
به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر
عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك يعني جماعتك وعشيرتك
وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة
اسوا القتلات واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم
وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم
ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه
وعشيرته وذلك انهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله
قال يا قوم ارهطي اعز عليكم يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالاولى
ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطي لان الله اعز واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله
وراء ظهوركم وتركتموه كالشي الملقى الذي لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني انه عالم باحوالكم
جميعا لا يخفى عليه منها شي فيجازيكم بها يوم القيمة ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على تودتكم وعملكم
من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر اني عامل
يعني ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على
ذلك قوله سوف تعلمون يعني اينا الجاني على نفسه المخطي في فعله فان قلت اي فرق بين ادخال الفا

وتركها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفا في قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
وتركها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فما
يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون عاقبة ذلك فوصل تارة بالفا وتارة
بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغا العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف
وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه بسبب
عمله السيء اوانا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه وارتقبوا يعني
وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه امري وامركم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ولما جا
امرنا يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بان هديناهم
للايمان ووفقناهم للطاعة واخذت الذين ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان
جبريل صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السما فاهلكتهم جميعا فاصبحوا
في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض كان لم يغنوا
فيها يعني كانهم لم يقيموا بديارهم مرة من الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغن به
عن غيره الا بعدا يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد
الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم من
فوقهم قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على
صدقه ونبوته وسلطان مبين يعني ومعجزة قاهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين
سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان
هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض الى فرعون وملايه يعني اتباعه واشراف
قومه فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى وما امر فرعون برشيد
يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعوا الى خير يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيمة فيدخلهم النار ويدخل
هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا وكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار وبيس الورد
المورود يعني وبيس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على
الوارد الى الما وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الما محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال
في حق فرعون واتباعه واوردهم النار فبيس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمل في ورود النار
على سبيل الفظاعة واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيمة
يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيمة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بيس الرفد المرفود يعني بيس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة الاخرة وقيل معناه بيس العطا المعطى وذلك انهم ترادفت
عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالى ذلك من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى
وهم الامم السالفة والقرون الماضية نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم
يعتبروا به فيرجعوا عن كفرهم وينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرى التي اهلكنا اهلها قايم
وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية
شبهها الله بالزرع الذي بعضه قايم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد بمعنى محصود وما

ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم التي
يدعون من دون الله من شي لما جا امر ربك يعني بعذابهم لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب وما
زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة الضمير في وهي عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد ق عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه
يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد
العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده
الحديث والله اعلم قوله عز وجل ان في ذلك لاية يعني فيما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة
لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان في اهلاك اوليك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف
عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل الله باوليك الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما
اعد لهم في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيمة
تجمع فيه الخلايق من الاولين والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني
يشهده اهل السما واهل الارض وما نوخره الا لاجل معدود يعني وما نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة
الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم ياتي يعني ذلك اليوم لا تكلم
نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلايق يسكتون في ذلك فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع
بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله
تعالى والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل
وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال
يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد
من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن الله لها في الشفاعة فمنهم يعني فمن
اهل الموقف شقي وسعيد الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته
على فعل الخير والصلاح وتيسيره له ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة
القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة
القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل
ق عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا
حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من
الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
فسيصير لعمل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة والمخصرة
كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتا المثناة من فوق ضرب الشي
بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلما بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل
الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه

وبهم من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات
فهم مسكوت عنهم وهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر
لا يدل على نفي القسم الثالث فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها اي في النار زفير وشهيق اصل الزفير ترديد
النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر
قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول
صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في جوفه وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف خالدين
فيها يعني لابثين مقيمين في النار ما دامت السموات والارض قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والنار
وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سما تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فاظلك فهو سما وكل ما استقر
عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعاني هذا عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك
ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريد بذلك التابيد وقوله تعالى الا ما شاء ربك اختلف
العلما في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول المذكور في اهل الشقا يرجع
الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثنا من غير الجنس لان الذين
اخرجوا من النار سعدا في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقيا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج
ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج
من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما
سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران
ابن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين
واما الاستثنا الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هولا في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا
القول يكون معنى الايتين فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا من شاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا
القول ان الاستثنائين يرجع الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعدا اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة
يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل
ان الاستثنائين يرجع الى الفريقين السعدا والاشقيا وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو
ما بين الموت والبعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين
في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء ربك سوى ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيهما ما
دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان علي الف الا الفين
اي سوى الالفين اللذين تقدما وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هولا في النار وخلود هولا في الجنة
فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها
ولكنه لا يشا لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفرا هذا استثنا استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لاضربنك الا
ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثنا ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول
ويدل عليه قوله في اخر الاية ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال

في حال

في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقيا يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره
ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود فاذا دخل الاستثنا عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثنا
في جانب السعدا يكون بمعنى الزيادة يعني الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثنا
الاول في جانب الاشقيا معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعدا معناه
الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل
على خلود اهل الجنة في الجنة وتنزل الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله
تعالى في جانب السعدا عطا غير مجذوذ يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة
فقال تعالى عطا غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار وروي عن ابن مسعود انه قال ليأتين على جهنم
زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود
وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلا اماكن المومنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها
لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار
من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هولا
يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هولا الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما
يعبد اباوهم من قبل يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا اباهم يعبدونها فعبدوها
مثلهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم
من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا موفرا
غير ناقص قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه يعني في الكتاب فمن مصدق به
ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك يعني
بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم
وهو قوله لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك منه يعني من القران ونزوله
عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب والتهمة وان كلا يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب لما
ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزا اعمالهم في القيمة فيجازي المصدق على
تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار انه بما يعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اعمال عباده
وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله تعالى فاستقم كما امرت
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعا اليه كما امرك ربك والامر
في واستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى
اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك ومن تاب معك يعني ومن امن معك من امتك فليستقيموا
ايضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان
الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك
قال قل امنت بالله ثم استقم ولا تطغوا يعني ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في
الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه
شي منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال
شيبتني هود واخواتها خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد

الاغلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر
واراد به التسهل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاومه احد وقوله سددوا
اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا
تقصير والغدو الرواح بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا وقتا والدلجة
سير الليل والمراد منه اعملوا واعملوا بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشي من الدلجة اشارة الى تقليله قوله
تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية
لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اوليا يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه
ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيامة فهذا الوعيد لمن ركن الى الظلمة
او رضي باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل واقم الصلاة طرفي
النهار سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت
تمرا اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على
نفسك وتب فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم
الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى
الله اليه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس
عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو
ق عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت
اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الاية فقال الرجل يا رسول الله الي هذه قال لمن عمل بها من امتي
وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة فليس ياتي الرجل الى
امراته شيا الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي قال
معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمومنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس
بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار يعني
صلاة الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة
المغرب والعشا وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني
صلاة العشا وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشا وقال ابن عباس
طرفا النهار الغداة والعشا يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب
في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار
هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب
لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر وزلفا من الليل يعني

واقم

واقم الصلاة في زلفا من الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة
المغرب والعشا ان الحسنات يذهبن السيات يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيات ويكفرنها
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما
بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكباير وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنبت الكباير ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب
احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيا قال فذلك
مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات
الخمس كمثل نهر جار غمر على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلما
الصغاير من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك
من اعمال البر واما الكباير من الذنوب فلا تكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الشرط الاول
الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت
هذه الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شا الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن
مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين
ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القران ذكرى للذاكرين
يعني عظة للمومنين المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك
وما تلقى منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن
عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم
يا امة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا
بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض يعني
يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد
في الارض فلذلك اهلكناهم الا قليلا هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم يعني من
من الامم الماضية وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه
يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من
النعم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها وكانوا مجرمين يعني كافرين وما كان ربك يعني وما كان ربك
يا محمد ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم بظلم منه واهلها مصلحون يعني في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم
وركوبهم السيات وقيل في معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم
بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم
لهم ولهذا قال بعض الفقها ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها
على الضيق والتشديد قوله عز وجل ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد
وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني على اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم
فكل اهل دين من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين

والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا واختلفوا واظهروا البدعة كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم قال الحسن وعطا وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرحمهم وقال الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا تصريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاء الحق في سور القران فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القران كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمومنين اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المومنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك فهو كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا يعني ما وعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني علم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة فاعبده يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه يعني

وثق به

وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما يعملون قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شي فيجزي المحسن باحسانه والمسي باسائته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه وهو حسبنا ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية

باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة اية والف وسبعمائة كلمة وسبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما روي عن سعيد بن ابي وقاص قال انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده وشان يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه ايات الكتاب المبين وهو القران اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من ابان بمعنى اظهر وقيل انه بين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين انا انزلناه يعني هذا الكتاب قرانا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القران على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلما هل يمكن ان يقال في القران شي بغير العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القران لسانا غير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه الاية انا انزلناه قرانا عربيا وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هولا اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شا الله ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما لعلكم تعقلون اي لكي تفهموه ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها احسن القصص لما فيها من سير الملوك والمماليك والعلما ومكر النسا والصبر على اذى الاعدا وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقا وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال ابن عطا لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى بما اوحينا اليك يعني بايحائنا اليك يا محمد هذا القران وان كنت اي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن ابي وقاص انزل القران على رسول الله صلى الله عليه

وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا
يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله
لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي
اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم اجمعين م عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه وقيل هو عربي سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن
والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزل من السما ومعها الشمس والقمر فسجدوا له
وكانت هذه الرويا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا
يستضا بهم كما يستضا بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل
كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مونثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام
ابن اثني عشر سنة وقيل سبع سنين والاراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود
لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية
من يعقل في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو
السجود عبر عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون
ان الكواكب احيا ناطقة حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشي والاول
اصح فان قلت قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرويا مرة ثانية فقال رايتهم
لي ساجدين فما فايدة هذا التكرار قلت معناه الروية الاولى انه راى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى
الروية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر وكانه
قيل له وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب لدلالة على
فضلهما وشرفهما على ساير الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف
عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف هذه الرويا وكان تاويلها
ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا قال يعقوب يا بني لا تقصص روياك على اخوتك يعني لا تخبرهم برؤياك
فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا لك كيدا يعني فيحتالوا في اهلاكك فامره بكتمان روياه عن اخوته لان رويا
الانبيا وحي وحق واللام في يكيدوا لك كيدا تاكيد الصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت
لك ان الشيطان للانسان عدو مبين يعني انه بين العداوة لانه عداوته قديمة فهم ان قدموا على
الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته وعن ابي قتادة قال كنت ارى الرويا تمرضني
حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرويا الصالحة من الله والرويا السو من الشيطان فاذا
راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من
الشيطان ومن شرها فانها لن تضره خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى
احدكم الرويا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من
الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان

الرحيم

الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رويا
المومن جزء من اربعين وفي رواية جزء من ستة واربعين جزا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا
حدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه
قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة الرويا ان الله تعالى يخلق في قلب
النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشا لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا
خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على امور اخر يخلقها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق
الرويا والاعتقادات التي جعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما يضر
يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم الرويا من الله والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيا والرويا اسم للمحبوب
والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرويا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرويا المكروهة
وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروه ويرتضيها
فيستحب اذا راى الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله
من الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر فانها لا تضره لان الله تعالى جعل هذه
الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلا والله اعلم قوله
تعالى وكذلك يجتبيك ربك يعني يقول يعقوب ليوسف عليهما السلام اي وكما رفع منزلتك بهذه الرويا
الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك ربك واجتبا الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهي
فيحصل له منه انواع من الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبيا وببعض من يقاربهم من الصديقين
والشهدا والصالحين ويعلمك من تاويل الاحاديث يعني به تعبير الرويا سمي تاويلا لانه يوول امره
الى ما راى في منامه يعني يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام
اعلم الناس بتعبير الرويا وقال الزجاج تاويل احاديث الانبيا والامم السالفة والكتب المنزلة وقال
ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة قال ابن عباس لان منصب النبوة اعلا من جميع
المناصب وكل الخلق دون درجة الانبيا فهذا من اتمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب
وعلى آل يعقوب المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا انبيا والمراد من اتمام هذه النعمة عليهم كما اتمها على
ابويك من قبل ابراهيم واسحق بان جعلهما نبيين وقيل المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام
النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة
على اسحق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشي والقول الاول اصح
بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد ان ربك عليم
يعني بمصالح خلقه حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان بين رويا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابيه واخوته
اربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ هذه الروية
اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان تسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قوله عز وجل لقد كان في
يوسف واخوته يعني في خبره وخبر اخوته واسماوهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا وزبالون
ويسخر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين احدهما زلفة والاخرى بلهة

الاربعة اولاد واسماوهم دان ونفتالي وجاد واشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت يوسف وبنيامين فهولاء بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنى عشر نفرا آيات للسائلين وذلك ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء واصحاب الاخبار ولم ياخذ عن احد منهم شيا فدل ذلك على انه ما اتى به وحي سماوي وعلم قدسي اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى ايات للسائلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم منها رويا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه امرهم في الحسد ومنها صبر يوسف على بلواه مثل القايه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه امره من الملك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الايات التي اذا افكر فيها الانسان اعتبر واتعظ اذ قالوا يعني اخوة يوسف ليوسف اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف واخوه يعني بنيامين وهما من ام واحدة احب الى ابينا منا ونحن عصبة انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب اليهما وكثرة شفقته عليهما والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسموا عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر ان ابانا لفي ضلال مبين يعني انه لفي خطا بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد ذكر هذا الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به لكن ارادوا الخطا في تدبير امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطي في صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة وغاب عنهم المقصود وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف واخاه على سائر الاخوة الا في المحبة الحقيقية ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما خص يوسف لمزيد المحبة والشفقة لانه امه ماتت وهو صغير او لانه راى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يره في ساير اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من امهات الكباير وكذلك نسبة ابيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكباير ايضا وكل قادح في عصمة الانبيا فما الجواب عنه قلت ان هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبيا هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبيا قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان تفترسه السباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى لا يشغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من بعده يعني من بعد قتل يوسف وابعاده عن ابيه قوما صالحين يعني تايبين فتتوبوا الى الله بعد ذلك فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكباير فلهذا

قالوا

قالوا ونتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال منهم وهم انبيا قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبيا في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة في عصمة الانبيا وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قال قايل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قايل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان اقربهم اليه سنا والقوه في غيابة الجب يعني القوه في اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيا وغيبه عن النظر والجب البير الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطووا فاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه احد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو ببير بيت المقدس وقال وهب هو في ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم يلتقطه بعض السيارة وذلك لان الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشي من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبيا بعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له وقال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرايم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نباهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل قالوا يعني قال اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف بدوا بالانكار عليه في تركه ارسال يوسف معهم كانهم قالوا انك تخافه عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قايمون بمصلحته ونحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعني الى الصحرا نرتع الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته والاصل في الرتع اكل البهايم في الخصب من الربيع ويستعار للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سيل عمرو بن العلا كيف قالوا نلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ انبيا ويحتمل ان يكون المراد من اللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معناه نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهوا وننبسط وانا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما قال يعني قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب

ومعنى الاية انهم لما طلبوا منه الاذن بارسال يوسف معهم اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان
ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله واخاف ان ياكله الذيب
وانتم عنه غافلون يعني اذا اشتغلوا برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام كان راي في المنام ان
ذيبا شد على يوسف وكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذياب في ارضهم كثيرة قالوا يعني
قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة رجال انا اذا لخاسرون
يعني عجزة ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر
على حفظ اخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا لخاسرون قوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه اضمار
واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب يعني وعزموا على
ان يلقوه في غيابت الجب

ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه السلام

قال وهب وغيره من اهل
السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له ما تشتاق ان تخرج معنا الي مواشينا فتصيد ونستبق قال بلى
قالوا فسل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان
يوسف قد احب ان يخرج معنا الي مواشينا فقال يعقوب ما يقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى من
اخوتي اللين واللطف فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وارسله
معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على ارقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا
الي الصحرا القوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه
فجعل كلما جا الي واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه
يا يعقوب لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا
عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكا شديدا فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد
قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرويالك تخلصك
من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي
فادركته رحمة له ورقة فقال يهودا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق
به قالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الي بير
هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في البير فيتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاستتر به في الجب قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب
تخلصك وتونسك فقال اني لم ار شيا فالقوه فيها وقيل جعلوه في دلو ثم ارسلوه فيها فلما بلغ نصفها
القوه ارادة ان يموت وكان في البير ما فسقط فيه ثم اوي الي صخرة كانت في البير فقام عليها وقيل نزل
اليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة في البير فاجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وقيل ان
يعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين القي في النار
فجعله في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين القي في الجب فاضا له الجب
وقال الحسن لما القي يوسف في الجب عذب ماوه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل
فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب قال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت
شيا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترا مكاني وتعلم

حالي

حالي ولا يخفى عليك شي من امري فلما قالها يوسف حفته الملايكة واستانس في الجب وقال محمد بن مسلم
الطايفي لما القي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب
اجعل لي فرجا مما انا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم القي في الجب فقال الضحاك ست
سنين وقال الحسن اثنى عشر سنة وقال ابن السايب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة وقيل
مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا ياتيه بالطعام فذلك قوله تعالى
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبينهم بامرهم هذا يعني لتخبرن
اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يونسه ويبشره بالخروج
ويخبره انه ينبيهم بما فعلوا به ويجازيهم عليه وهذا قول طايفة عظيمة من المحققين ثم القايلون
لهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت او كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا
وكان عمره سبعة عشر سنة وقال اخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله
صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه السلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك
الوقت ولم يكن احد يبلغه رسالة ربه لان فايدة النبوة والرسالة تبليغها الي من ارسل اليه
قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفايدة ذلك
تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان
المراد من قوله واوحينا اليه وحي الهام كما في قوله واوحى ربك الي النحل واوحينا الي ام موسى والقول
الاول اولي وقوله وهم لا يشعرون يعني باجابينا اليك وانت في البير بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا
والفايدة في اخفا ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله اوحى الي
يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود
من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم
ويصيرون تحت امره وقهره قوله تعالى وجاوا اباهم عشا يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا
الي ابيهم وقت العشا ليكونوا في الظلمة اجرا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون
فسمع اصواتهم ففزع لذلك وخرج اليهم فلما راوهم قال ما لكم يا بني اصابكم شي في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم
واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج يسابق بعضنا
بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وسموا التناضل وسمي المترامياان بذلك يقال تسابقوا وتناضلوا
اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدي يعني نشتد ونعدوا والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين
اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الي الصيد وتركنا يوسف عند متاعنا
يعني عند ثيابنا فاكله الذيب يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه وما انت بمومن لنا يعني وما انت
بمصدق لنا ولو كنا صادقين يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدقنا لشدة محبتك
ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك
امارة تدل على صدقنا وجاوا على قميصه يعني قميص يوسف بدم كذب اي مكذوب فيه قال ابن عباس
انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاوا اباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم
يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذيب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذيب وقالوا هذا
اكله فقال يعقوب ايها الذيب انت اكلت ولدي وثمرة فوادي فانطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته

ولا رايت ولدك قط ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبيا فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جيت لصلة قرابة فاخذوني واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب بل سولت لكم انفسكم امرا يعني بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه قال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا اعظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم اكله الذيب كانه قال ليس الامر كما يقولون اكله الذيب بل سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون فصبر جميل اي فشاني صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر الجميل ان لا يحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك والله المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون قوله عز وجل وجاءت سيارة وهم القوم المسافرون سموا سيارة لسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذي فيه يوسف وكان في قفرة بعيد من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماوه ملحا فلما القي يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الما فذلك قوله فارسلوا واردهم فادلى دلوه والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الما فيهيي الارشية والدلا يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها اذا اخرجتها قال فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف احسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بغير سند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطي يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه لا يستطيع احد وصفه كان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه الله وصوره قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف وراه مالك بن دعر كاحسن ما يكون من الغلمان قال يعني الوارد وهو مالك بن دعر يا بشراي يعني يقول الوارد لاصحابه البشرى هذا غلام وقري يا بشرا بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال ان جدران البير بكت على يوسف حين خرج منها واسروه بضاعة قال مجاهد اسره مالك بن دعر واصحابه من التجار الذين كانوا معه وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل الما الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخا لهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن دعر واصحابه والقول الاول اصح لان مالك بن دعر هو الذي اسره بضاعة من اصحابه والله عليم بما يعملون يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهودا كان ياتي يوسف بالطعام فاتاه فلم يجده في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن دعر واصحابه نزول من البير فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد لنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى كتم حاله فلم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى وشروه اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع يقال شريت الشي بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشرا على البيع لان الضمير

في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شي واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن دعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرا على بابه بثمن بخس قال الضحاك ومقاتل والسدي بخس اي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف يعني ناقصة العيار وقال قتادة بخس اي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا انقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشي على سبيل الظلم والبخس والباخس الشي الطفيف دراهم معدودة فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان كانوا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين وزنوها اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من امه وابيه شيا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما وكانوا فيه من الزاهدين يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه وكانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق اظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن دعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزاين مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن مروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى امن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب ابن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعماية رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر يعني قطفير من اهل مصر لامراته وكان اسمها راعيل وقيل زليخا اكرمي مثواه يعني اكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بربح او يكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ او نتخذه ولدا يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني كما انعمنا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر فجعلناه على خزاينها ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث يعني عبارة الرويا وتفسيرها

والله غالب على امره قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد لا رافع لامره ولا مرد لقضائه لا يغلبه شي وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله
مستولي على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه **ولكن اكثر
الناس لا يعلمون** يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه **ولما بلغ اشده** يعني منتهى شبابه وقوته قال
مجاهد ثلاثة وثلاثين سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الكلبي
الاشد ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلاثين سنة سئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم **اتيناه حكما
وعلما** يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول
وعلما بتاويل الرويا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشيا بحقائقها والحكيم
هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عن ما لا ينبغي والعلم هو
العلم النظري **وكذلك** يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك **نجزي المحسنين** قال ابن
عباس يعني المومنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوايب كما صبر يوسف
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى
نفسها ليواقعها **وغلقت الابواب** اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستره
وخفية اولانها اغلقتها لشدة خوفها **وقالت هيت لك** اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي
يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة بالحورانية ايضا هلم وقال
مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشي واصلها هيتالج اي تعال فعربت فقيل هيت
لك ومن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق
لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في التنور ولغة العرب
للترك في الغساق ولغة العرب للحبشة في ناشية الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت
لغة لها وقرى هيت لك بكسر الها مع الهمزة ومعناه تهيات لك **قال** يعني قال يوسف **معاذ الله** اي
اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه فيما دعوتني اليه **انه ربي** يعني ان العزيز قطفير سيدي **احسن
مثواي** اي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الها في انه ربي راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن
مثواي يعني انه اواني ومن بلا الجب نجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا
يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل **ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه** الاية هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتنا بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول
في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم
مصدر هممت بالشي اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت
به اي ارادته وقصدته وكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم
عليه قال الشاعر وهو عمرو بن صابي البرجمي • وهممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلايله •
وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه
محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس
منها مجلس الخاين وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن
جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى

جيد

جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القاسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول
ما قاله قدما هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبيا من غير علم قال السدي وابن اسحق
لما ارادت امراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى
نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك
قال هي اول ما يسيل على خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله وقيل انها قالت
له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه
الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امراة حسنا جميلة حتى لان لها مما يرى من
كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام على تفسير
البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الاية المقام الثاني في تنزيه
يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطية التي نسب اليها قال بعض
المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة العزيز فالعبد
ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد
غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيية فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها
سيية واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم وللبخاري
بمعناه ق وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله
كتب الحسنات والسيات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان
هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعماية ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيية
فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيية واحدة زاد في رواية او محاها
ولا يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفا فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين
ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيية وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا واما على
مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيية واما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من
هذا ويكون قوله وما ابري نفسي الاية اي ما ابريها من هذا الهم او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما ذكر قبل وبرا فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم
وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن
المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى **كذلك لنصرف عنه السو والفحشا** وقال تعالى
وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الاية وقيل في قوله وهم بها اي بزجرها ووعظها
وقيل هم بها اي غمها امتناعه منها وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان
قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة
النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام فخر
الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر
الدين ان يوسف عليه السلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من

المفسرين والمتكلمين وبه يقول وعنه ندب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقل بعض المفسرين عن الايمة المتقدمين فان الانبيا عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموه واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال في حق داود عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيا من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيا لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبيا وحيث لم يحك عنه شي علمنا براته مما قيل ولم يصدر عنه شي مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى قد شهد ببراته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراة يوسف قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين واما شهادة الشهود ببراته قوله وشهد شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السو والفحشا انه من عبادنا المخلصين فشهد الله في هذه الاية بنزاهته وبراته وانه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاين فحاشى ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصص واصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيايه عليهم السلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه فايدة قلت فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما ان الله تعالى اعلم يوسف انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها اولى من صرفها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك ان يتخرق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تخرق من قدام لكان يوسف هو الخاين واذا تخرق من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فشهد بذلك الشاهد بحجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب في الانبيا وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي نودي يا يوسف اتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في

جو السما

جو السما لا يطاق عليه ومثلك اذا واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب لا يطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطية فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وقيل انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه راى تمثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف لم تفعلت هذا فقالت استحييت منه ان يراني على معصية فقال لها يوسف اتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم فانا احق ان استحي من ربي فهرب فذلك قوله لولا ان راى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم السلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وحلاهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله لذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السو والفحشا يعني الزنا وقيل السو مقدمات الفحشا وقيل السو الثنا القبيح فصرف الله عنه ذلك وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني يوسف من عبادنا المخلصين قرى بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرى بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى واستبقا الباب وذلك ان يوسف عليه السلام لما ان راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله وقدت قميصه من دبر يعني شقته من خلفه فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه والفيا سيدها لدا الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المراة فلما راته المراة هابته وخافت التهمة فسابقت يوسف بالقول فقالت يعني لزوجها ما جزا من اراد باهلك سوا يعني الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن اي يحبس في السجن ويمنع التصرف او عذاب اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرهن عن نفسه قال يعني يوسف هي راودتني عن نفسي يعني طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس وروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنت فرعون وشاهد يوسف

وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج
وابن المراة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة وقال الحسن وعكرمة
وقتادة ومجاهد هذا لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي فقال المستوي شو ابن عم المراة فحكم فقال ان كان
قميصه قد من قبل اي من قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت
وهو من الصادقين وانما كان هذا الشاهد من اهل المراة ليكون اقوى من نفي التهمة عن يوسف عليه السلام
مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المراة
والمملوك لا يتبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج هاربا منها والطالب لا يهرب
ومنها انهم راوا المراة وقد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة
الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دالة على صدقه
مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما راى قميصه قد من دبر يعني فلما راى قطفير زوج المراة قميص
يوسف عليه السلام قد من خلفه عرف خيانة امراته وبراة يوسف عليه السلام قال يعني قال لها زوجها
قطفير انه يعني هذا الصنيع من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن عظيم فان قلت كيف وصف كيد
الانسان بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم من مكر النساء قلت اما
كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق الملئكة والسموات والارض والجبال ونحو
ذلك واما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد
في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد
وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف اعرض
يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشوا ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف
لا تكترث لهذا الامر ولا يهتم به فقد بان عذرك وبراتك ثم التفت الى المراة فقال واستغفري لذنبك اي توبي
الى الله مما رميتي يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمراة سلي زوجك
ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك كنت من الخاطئين يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميتي
يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل
انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن من يفعل من هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين
فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه
يعني وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر وقيل
هي مدينة عين الشمس وتحدث النساء فيما بينهن بذلك وهن امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة
خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها
عن نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بانه تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب
الحدث قد شغفها حبا يعني علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان
حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب
حبه قلبها حتى لا يعقل شيا سواه انا لنراها في ضلال مبين يعني في خطا بين ظاهر حيث تركت ما يجب على
امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها فلما سمعت بمكرهن يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به
وانما سمي قولهن في ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه

وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا ارسلت
اليهن يعني انها لما سمعت ما بهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن قال وهب
اتخذت مادبة يعني صنعت وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هولاء اللاتي عيرنها
واعتدت لهن متكا يعني ووضعت لهن نمارق ومساند يتكين عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن
وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت
له وسايد يجلس ويتكي عليها فسمي الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده
والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جا النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله
عليه وسلم لا اكل متكيا وقيل المتكا الاترج وقيل هو كل شي يقطع بالسكين او يحز بها يقال ان المراة زينت
البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف واتت
كل واحدة منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النسا التاكل بها وكان من عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه
بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج
عليهن يوسف وكانت قد زينته واحتبسته في مكان اخر فلما راينه يعني النسوة اكبرنه يعني اعظمنه ودهشن
عند رويته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل
القمر ليلة البدر على ساير النجوم وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
ليلة اسري بي الى السما يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن ابي فروة كان يوسف
اذا سار في ازقة مصر تلالا وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن ادم يوم خلقه الله عز وجل وقبل
ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونحوه
عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وانكر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست
معروفة في اللغة والهاء في اكبرنه يمتنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى
مفعول قال الازهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول
ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على هذا المعنى قال
الازهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه ها الوقف لا ها الكناية
وقيل ان المراة اذا خافت او فزعت فربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فرط ما
دهاهن من امر يوسف حين راينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندي انه يحتمل وجها اخر وهو انهن انما
اكبرنه لانهن راين عليه نور النبوة وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة
ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك
الهيبة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه وعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الاية على
هذا الوجه اولى وقطعن ايديهن يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن
انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسسن الا بالدم
وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن
وقلن يعني النسوة حاشا لله ما هذا بشرا اي معاذ الله ان يكون هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم يعني
على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ذكر في النفوس ان لا شي احسن من
الملك فلذلك وصفته بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التي تحصل

للبشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امراة العزيز للنسوة
لما راين يوسف وَدهشن عند رويته فذلك الذي لمتنني في محبته وانما قالت لا قامته عندها عندهن حين
قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن بعد ما قام من المجلس
وَذهب وَقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقوله عشقت عبدها الكنعاني يقول هو ذلك
العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبت منه وانما صرحت بذلك لانها
علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد اصابهن ما اصابها عند رويته ثم ان امراة العزيز قالت ولئن لم
يفعل ما امره يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه ليسجنن اي ليعاقبني بالسجن والحبس وليكونا
من الصاغرين يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعوتك اليه فاختار
يوسف السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك فقال رب اي يا رب السجن احب الي مما يدعونني
قيل ان الدعا كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن
جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعا اليهن جميعا قال بعضهم
لو لم يقل السجن احب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله العافية والا تصرف عني كيدهن
يعني ما اردن مني اصب اليهن اي اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه واكن من
الجاهلين يعني من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب
ذنبا انما يرتكبه عن جهالة فاستجاب له ربه يعني فاجاب الله دعا يوسف فصرف عنه كيدهن انه هو
السميع يعني لدعا يوسف وغيره العليم يعني بحاله وفي الاية دليل على ان يوسف عليه السلام لما
اظلته البلية بكيد النسا ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجا الى الله وفزع الى الدعا رغبة الى
الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل
ذلك على انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل ثم بدا
لهم يعني للعزيز واصحابه في الراي وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف بالاعراض وكتم الحال
وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني قد راودته
عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه من بعد ما راوا
الايات يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النسا ايديهن
وذهاب عقولهن عند رويته ليسجننه اي ليحبسنه في السجن حتى حين يعني الى مدة يرون رايهم
فيه وقال عطا الى ان ينقطع مقالة الناس قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه
قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة ودخل معه السجن فتيان
وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان العمليقي ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه
والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان
جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان
يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة
وسم الطعام بين يدي الملك قال للساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز ولا

تشرب

تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل طعامك فابى فاطعم من
ذلك الطعام لدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر
علمه ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراءيا له رويا
فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيا قال ابن مسعود ما رايا شيا انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا
قد رايا رويا حقيقة فرايا يوسف وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وانه
حبسهما وقد رايا رويا قد غمتنا فقال يوسف قصا علي ما رايتما فقصا عليه ما رايا وذلك قوله تعالى قال
احدهما وهو صاحب شراب الملك اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا سمي العنب خمرا باسم ما يوول اليه يقال فلان
يطبخ الاجر اي يطبخ اللبن حتى يصير اجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني في
بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد فجنيتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت
الملك فشربه وقال الاخر وهو صاحب طعام الملك اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه وذلك
انه قال اني رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير ينهشن منها
نبئنا بتاويله اي اخبرنا بتفسير ما راينا وما يوول اليه امر هذه الرويا انا نراك من المحسنين يعني من
العالمين بعبارة الرويا والاحسان هنا بمعنى العلم وسيل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض
انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع له واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع هذا
يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاوهم
وانقطع رجاوهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك
وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق
ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك
جوارك اختر اي بيوت السجن شيت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك
فقال لهما يوسف انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلا لقد احبتني
عمتي فدخل علي من ذلك بلا واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه روياهما
كره يوسف ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم في ذلك من المكروه لاحدهما واعرض عن سوالهما واخذ في غيره
من اظهار المعجزة والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعلا
واعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين
فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا
قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرويا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير روياهما الى
اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر
له المعجزة لهذا السبب قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما
طعام ترزقانه في يومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما
ترزقانه يعني تطعمانه وتاكلانه الا نباتكما بتاويله يعني بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان يصل
اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبيكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه السلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال
ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما به ذلكما مما علمني ربي يعني ان

هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله فان قلت
ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس
الامر كذلك لان الانبيا عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا الي الوجود وهم علي التوحيد فما معني هذا
الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشي والالتفات
اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان
يوسف عليه السلام لما ان كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف
كان علي التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون
فترك ملتهم واعرض عنهم فلم يوافقهم علي ما كانوا عليه تكرير لفظة هم في قوله وهم بالاخرة هم كافرون للتوكيد
لشدة انكارهم للمعاد وقوله واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب لما ادعي يوسف النبوة واظهر
المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان اباه كلهم انبيا وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين
بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة عند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه
من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ما كان لنا
ان نشرك بالله من شي معناه ان الله تعالي لما اختارنا للنبوة واصطفانا برسالته وعصمنا من الشرك
فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله
من شي زايدة موكدة كقولك ما جاني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان
نشرك بالله اي شي كان من ملك او جن او انس فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك من فضل الله يعني
ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله علينا وعلي الناس يعني بما نصب لهم من
الادلة الدالة علي وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه وكل ذلك من فضل الله علي عباده ولكن اكثر الناس
لا يشكرون يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله علي هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره
ثم دعاهم الي الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الي السجن كما يقول يا سارق
الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
أأرباب متفرقون اي الهة شتي من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير وهو
متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع خير ام الله الواحد القهار يعني ان هذه الاصنام اعظم
صفة في المدح واستحقاق الالهية والعبادة ام الله الواحد قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل
هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كساير الاحاد من الاجسام المولفة لان ذلك قد
تكثر بانضمام بعضها الي بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا تشبيه بشي
في خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال
غيره القهار هو الذي قهر كل شي فذلل فاستسلم وانقاد وذل له والمعني ان هذه الاصنام التي يعبدونها
دليلة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه
شي وهو الغالب لكل شي سبحانه وتعالي ثم بين عجز الاصنام وانها لا شي البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني
من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين
الا اسما سميتموها يعني سميتموها الهة وارباب وهي حجارة جماد خالية عن المعني لا حقيقة لها انتم واباوكم
يعني من قبلكم سموها الهة ما انزل الله بها من سلطان يعني ان تسمية الاصنام الهة لا حجة لكم ولا برهان

ولا امر الله

ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله
بها من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والقضا والامر والنهي لله تعالي لا شريك له في ذلك امر ان لا
تعبدوا الا اياه لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها الهة ذلك الدين القيم يعني عبادة
الله هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فلما فرغ يوسف عليه السلام من الدعا الي
الله وعبادته رجع الي تعبير رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني ان صاحب
شراب الملك يرجع الي منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام
يبقي في السجن ثم يدعو به الملك ويرده الي منزلته التي كان عليها واما الاخر فيصلب يعني صاحب طعام
الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعو به الملك فيصلبه فتاكل الطير من راسه قال ابن مسعود لما
سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما راينا شيا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان
يعني فرغ من الامر الذي سالتماه عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رايتما او لم تريا شيا وقال يعني يوسف
للذي ظن يعني علم وتحقق والظن بمعني العلم انه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك يعني عند
سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه فانساه الشيطان
ذكر ربه في هاء الكناية في فانساه الي من يعود قولان احدهما انها ترجع الي الساقي وهو قول عامة المفسرين
والمعني فانسي الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الي ذلك
الرجل الساقي حتي انساه ذكر يوسف اولي من صرفها الي يوسف والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان
هاء الكناية ترجع الي يوسف والمعني ان الشيطان انسي يوسف ذكر ربه عز وجل حتي ابتغي الفرج من غيره واستعان
بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جايز الا انه
لما كان مقام يوسف اعلا المقامات ورتبته اشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف
مواخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيات المقربين فان قلت كيف يمكن الشيطان من يوسف
حتي انساه ربه قلت بشغل الخاطر والقا الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجري الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه وقوله
تعالي فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الي التسع وقال
قتادة هو ما بين الثلاث الي التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين علي ان البضع
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثني عشر سنة وقال وهب اصاب
ايوب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي
اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكي يوسف وقال يا رب انسي
قلبي كثرة البلوي فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلي الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها
ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكي الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الي الناس ذكره
الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل علي يوسف في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا اخي المنذرين ما لي اراك بين الخاطيين فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين يقرا عليك السلام رب العالمين
ويقول لك اما استحييت مني ان استغثت بالادميين وعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف
وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك
قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الي ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البير قال الله قال فمن

علمك تاويل الرويا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغنت بادمي مثلك
قال فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج
يوسف واراد الله عز وجل اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رويا عجيبة هالته وذلك انه راى
في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف
السمان ودخلن في بطونهن فلم ير منهن شي ولم يتبين على العجاف منها شي وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها
شي فجمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم روياه التي راها فذلك قوله **وقال الملك اني ارى سبع بقرات**
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رؤياي يعني يا ايها
الاشراف اخبروني بتاويل روياي **ان كنتم للرويا تعبرون** يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وعلم التعبير
مختص بتفسير الرويا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرويا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج
معناها وهذا اخص من التاويل لان التاويل يقال فيه وفي غيره **قالوا** يعني قال جماعة الملك الملا وهم السحرة
والكهنة والمعبرون مجيبين للملك **اضغاث احلام** يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة
المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرويا التي يراها الانسان في منامه **وما نحن بتاويل**
الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرويا سببا لخلاص يوسف من السجن وذلك ان الملك لما راها قلق
واضطرب وذلك لانه شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فاراد ان
يعرف تاويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى في منامه فسالهم عن تاويلها فعجزهم الله
بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرويا ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف
من السجن فذلك قوله تعالى **وقال الذي نجا منهما** يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك
صاحبه الخباز **وادكر بعد امة** يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو
سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة ايام والامة الجماعة **انا انبيكم بتاويله** يعني اخبركم وقوله
انا انبيكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين او اراد الملك وحده وخاطبه
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثى بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالما
يعبر الرويا **فارسلون** فيه اختصار تقديره فارسلني ايها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن
في المدينة **يوسف** اي يا يوسف **ايها الصديق** انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير
الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير روياه التي راها في السجن **افتنا في**
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فان الملك راى هذه الرويا **لعلي**
ارجع الى الناس يعني بتاويل هذه الرويا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم **قال** يعني قال يوسف معبرا
لتلك الرويا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات العجاف والسنبلات
اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله **تزرعون** وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا **سبع سنين دابا**
يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد **فما حصدتم فذروه في سنبله** انما امرهم
بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان **الا قليلا مما**
تاكلون يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت
السنين المجدبة وهو قوله **ثم ياتي من بعد ذلك** يعني من بعد السنين المخصبة **سبع شداد** يعني سبع سنين

مجدبة

مجدبة ممحلة شديدة على الناس **ياكلن** يعني يفنين **ما قدمتم لهن** يعني يوكل فيهن كلما اعددتم وادخرتم
لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام **الا قليلا مما تحصنون** يعني تحرزون
وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشي في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع **ثم ياتي من بعد ذلك**
يعني من بعد هذه السنين المجدبة **عام فيه يغاث الناس** اي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من
قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث **وفيه يعصرون** يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم
دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب
والشدة والجدب قوله عز وجل **وقال الملك ائتوني به** وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بفتيا
يوسف وما عبر به روياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كاين لا محالة فقال ائتوني به حتى ابصر هذا
الرجل الذي قد عبر روياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له اجب الملك قوله تعالى **فلما**
جاءه الرسول فابى ان يخرج معه حتى يظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص **قال** يعني قال يوسف للرسول
ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك **فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** ولم يصرح
بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما لها **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت
في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف
عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه
مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل بل لبث في السجن وراسل الملك في
كشف امره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
يوسف وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله تعالى **ان ربي بكيدهن عليم** يعني ان الله
تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى
الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن وقال لهن **ما خطبكن** يعني ما شانكن
وامركن **اذ راودتن يوسف عن نفسه** انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك
امراة العزيز وحدها ليكون استر لها وقيل ان امراة العزيز راودته عن نفسه وحدها وساير النسوة
امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بذلك الخطاب **قلن** يعني النسوة جميعا مجيبات للملك **حاش**
لله يعني معاذ الله **ما علمنا عليه من سوء** يعني من خيانة في شي من الاشيا **قالت امراة العزيز الان**
حصحص الحق يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل خافت ان يشهدن
عليها فاقرت فقالت **انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين** يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا
في قوله **ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب** على قولين احدهما انه من قول المراة ووجه هذا القول ان
هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المراة الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته وهو في السجن
ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته
ثم بالغت في تاكيد هذا القول فقالت **وان الله لا يهدي كيد الخائنين** يعني اني لما اقدمت على هذا
الكيد والمكر لا جرم اني افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول
يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلما ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام

انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز
اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون ذلك من كلام يوسف اتصل بكلام امراة العزيز
انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان
ثم اتبعه بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا
فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون
من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه
كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال
حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن جريج والقول الثاني
انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطا عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول
كيف خاطبهم بلفظ ذلك وهي اشارة للغايب مع حضوره عندهم قلت قال ابن الانباري قال اللغويون
هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل
ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من تردادي الرسول ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب
اي لم اخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت
خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت لان الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين
واختلفوا في قوله **وما ابرئ نفسي** من قول من على قولين ايضا احدهما انه من قول المراة وهذا التفسير
على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب من قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي
من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف
عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف
عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى يقول
ولا تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل لان رؤية النفس في
مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات المقربين
ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسيئة
الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه
الثلاث مراتب هي صفات النفس الواحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة
بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة فلامته على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل
عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة
بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة **الا ما رحم ربي** قال ابن عباس
معناه الا من عصم ربي فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم من النسا يعني من طاب لكم وقيل هذا استثنا
منقطع تقديره لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء **ان ربي غفور رحيم** لذنوب
عباده رحيم بهم قوله تعالى **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي** وذلك انه لما تبين للملك عذر

يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي اي اجعله
خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشي من جميع شوايب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص
يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشيا النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس
وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن
واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه ولما اراد
الله تعالى امرا هيا اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره
فلما جا الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الان بلا معاودة روي ان يوسف لما قام ليخرج من السجن
دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد
فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي
ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناوك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال
اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية
فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان
ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين
وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه
ما راى وكان سن يوسف وكان له من العمر يوميذ ثلاثين سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى
فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبتدي بالكلام فيها وانما يبتدي الملك
بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي ايها الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك مع عجز
السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك **قال انك اليوم لدينا مكين امين** يقال اتخذ فلان عند
فلان مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى
قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراتك مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما
يحتاج اليه من الفضايل والمناقب في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب
ان اسمع تاويل رؤياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غير حسان كشف
لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن
اذ نضب النيل فغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون
وليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن
السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينما
انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والما
فبينما انت تقول في نفسك اي شي هذا هولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد واصولهن
في الثرى والما اذ هبت ريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن
فصرن سودا فهذا ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منها شيا فما شان هذه الرويا
وان كانت عجبا فما سمعت منك وما ترى في تاويلها ايها الصديق قال يوسف عليه السلام ارى ان
تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام في الخزاين

بنصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون ذلك الغضب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فيرفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتاتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك **قال** يعنى يوسف **اجعلنى على خزاين الارض** يعنى على خزاين الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اى اجعلنى على خزاين ارضك التى تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلنى على خراج مصر ودخلها **انى حفيظ عليم** اى حفيظ للخزاين عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل انى حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتينى وقال الكلبى حفيظ بتقديره فى السنين الخصبة للسنين الجدبة عليم لوقت الجوع حين يقع فعند ذلك قال الملك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهته طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسالة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة بهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم فى تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون لبعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل **وكذلك مكنا ليوسف فى الارض** وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكناله فى الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله **يتبوا منها حيث يشاء** لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون معرفة وضرب له عليه حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزاين كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله

وجعل امره وقضاه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرايم ومنشا وتم لابنا يوسف واستوسق ليوسف ملك مصر واقام فيها العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف فى ملكه دبر فى جميع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين الجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنون الجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا اول اوان القحط فهلك فى السنة الاولى من سنين القحط كلما اعدوه فى السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر فلم يبق فى ايدى الناس منها شى وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى حتى احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا امة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هولاء قال الملك الراى رايك ونحن لك تبع قال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخى الملك ان يجعلوا غداه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار وقال مجاهد فلم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء **نصيب برحمتنا من نشاء** يعنى نختص بنعمتنا وهى النبوة من نشاء يعنى من عبادنا **ولا نضيع اجر المحسنين** قال ابن عباس يعنى الصابرين **ولاجر الاخرة** يعنى ولثواب الاخرة **خير** يعنى افضل من اجر الدنيا **للذين امنوا وكانوا يتقون** يعنى يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذى اعد الله عز وجل ليوسف فى الاخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله فى الدنيا من الملك قوله تعالى **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** قال المفسرون اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة يوسف لا يعطى احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاء فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغنى ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى

تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك كان على راسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى لها فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم بامرهم وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجينا نمتار فقال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبيا الله قال وكم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال كم انتم الان قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا هو عند ابينا لانه اخو الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فاتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم فقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين الا ترون اني اوف الكيل يعني اتمه ولا ابخس منه شيا وازيدكم حمل بعير لاجل اخيكم اكرمكم بذلك وانا خير المنزلين يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم وقال لهم انتم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف فان لم تاتوني به يعني باخيكم الذي من ابيكم فلا كيل لكم عندي يعني لست اكيل لكم طعاما ولا تقربون يعني ولا ترجعوا الى بلادي وهذا نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك قالوا يعني اخوة يوسف سنراود عنه اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده وانا لفاعلون يعني ما امرتنا به قوله عز وجل وقال لفتيته يعني وقال يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم اذا انقلبوا الى اهلهم يعني اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يرجعون الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا امتعتهم ووجدوا بضاعتهم ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع سريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه شيا اخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لوما لشدة حاجتهم اليه وقيل

اراد ان يحسن اليهم على وجه لا تلحقهم فيه منة ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبيا واولاد انبيا وقيل اراد برد البضاعة اليهم ليكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقروه عني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا منع منا الكيل وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم ولاخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم يحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم فارسل معنا اخانا يعني بنيامين نكتل بالياء يعني لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا وانا له لحافظون يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم فلما لم يحصل هاهنا ثم قال فالله خير حافظا يعني ان حفظ الله له خير من حفظكم له وفيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وهو ارحم الراحمين وظاهر الكلام يدل على انه ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف او ان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام او اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم لما وجدوا في متاعهم من الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف فرد عليهم ودس في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي يعني ماذا نبغي واي شي نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اي شي نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن ارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم ونمير اهلنا يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد الى بلد والمعنى انا نشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداد من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا قال يعني قال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه لتاتنني به دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا

على الرجوع فلما اتوه موثقهم يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لان الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي لاردن كلاهما بعدما توكلت على وفوضت امرك الي وذكر انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم قد كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتدادا قامة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين

ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضا ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله قال المازري اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا او تكذيبهم بما اخبر به من امور الاخرة قال وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العائن ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللدغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبايع وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى من عكسه فيبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن فيتصل بالعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل عندها الهلاك كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجا العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة ان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر ام لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه وانما هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضو لهذا الامر في حديث سهل ابن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما صفة وضو العائن فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما فبطلت من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب ابن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم في

ارض

ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف لان الله لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله بقوله وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضا فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر ان الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا التفويض من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب المتفرقة وكان بمدينة مصر وقيل بمدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغني عنكم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها هذا الاستثنا منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الابا على الابنا وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر او خاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه وانه يعني يعقوب لذو علم يعني صاحب علم لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشيا حصل له العلم بذلك الاشيا وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به فقد جيناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مايدته وجعل يواكله فلما كان الليل امر لهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فساضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله اوى اليه اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يعني يوسف فلا تبتئس يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضرر والشدة والابتياس اجتلاب الحزن والبوس بما كانوا يعملون يعني فلا تحزن بشي فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وعفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل

قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما اعلمتك به ثم امر اوفى لاخوته الكيل وزاد
لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي
وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت
اغتمام والدي بي واذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك
الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية في رحل اخيه وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال
ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها
يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت في وعاء
طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل
حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم ثم اذن مؤذن يعني نادى مناد واعلم معلم
والاذان في اللغة الاعلام ايتها العير وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو
الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير
الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في
الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير انكم لسارقون فقفوا والسرقة
اخذ ما لغيره لاخذه في خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان بامره فكيف يليق بيوسف
مع علو منصبه وتشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه براءتهم
من ذلك وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها قلت ذكر
العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخاه قال لست افارقك قال
لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتالم
فكيف سبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من
ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان
يكون المنادي ربما قال ذلك على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون الرابع ليس في القران
ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها
ولم يكن هنالك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا اصحاب الاحمال لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم
نكن معكم ونحسن ضيافتكم ونوفي لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا
سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى واقبلوا عليهم اي عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا اي
ما الذي تفقدون والفقدان ضد الوجود قالوا يعني المؤذن واصحابه نفقد صواع الملك الصاع
الذي يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان ولمن جاء به يعني بالصواع حمل بعير يعني من
الطعام وانا به زعيم اي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل على ان
الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الحميل غارم والحميل الكفيل
فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فحمل

ذلك

ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة او لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان
فعمل عليه قالوا يعني اخوة يوسف تالله التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة
تقديره والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ان اخوة يوسف حلفوا على امرين
احدهما انهم ما جاؤوا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جاؤوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه
كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ
من امرهم انهم شدوا افواه دوابهم لئلا تؤذي زروع الناس ومن كان هذه صفته فالفساد في حقه
ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم قد كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم
يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في
الارض وما كنا سارقين لما تبين براءتهم من هذه التهمة قالوا يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين قالوا يعني اخوة يوسف جزاؤه من وجد في رحله فهو يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان
يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر
ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع
في شرعنا فاراد يوسف ان ياخذ بحكم الله في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان
يستعبد ويستخدم جزاء له على جرمه وسرقته فهو جزاؤه يعني هذا الجزاء جزاؤه كذلك نجزي الظالمين يعني مثل
هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل
هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال
اصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه
قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف
لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء
اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر
في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا قال اخوته
والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك
قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يؤنث
ويذكر فلما خرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويوبخونه
له اي شيء الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل ما زال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع
فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين
تولوا التفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف
كذلك كدنا ليوسف يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اجازة الى الحكم باسترقاق السارق اي
مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا
في حق الله عز وجل محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد
هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق

ذا المعنى كما الهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزا السارق ان يسترق لذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع
فى رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون
المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل
على خلاف معناه فى اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وتمويه فى موضع
فعل الله معرى من المعانى المذمومة وتخلص انه وقع عن تكييفه تدبير ما يريده به من حيث لا يشعر
ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيته بالذى يكون من المخلوق من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر
عنه ما يوريه ويضمره له وان الذى يقع به الكيد من الله تعالى فهو ستر ما ختم الله عاقبته به والذى وقع
باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى
الامر على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم لهم بعده وكل ذلك بتدبير الله تعالى وخفى لطفه
سماه كيدا لما يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع ما اعطاه
وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى **ما كان لياخذ اخاه فى
دين الملك** يعنى فى حكم الملك وقضايه لانه كان فى حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفى قيمة المسروق
فلم يكن يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده فى حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف ما دبر حتى وجد السبيل
الى ذلك **الا ان يشا الله** يعنى ان ذلك الامر كان بمشية الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من
الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد **نرفع درجات من نشا** يعنى بالعلم كما رفعنا درجة
يوسف على اخوته وفى هذه الاية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى
مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجوه الهداية والصواب فى الامور كلها **وفوق
كل ذى علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله فالله تعالى فوق كل عالم لانه
هو الغنى بعلمه عن التعليم وفى الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علما وكان يوسف اعلم منهم قال
ابن الانبارى يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه فى الغلبة على العلوم
لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى **قالوا** يعنى اخوة يوسف **ان يسرق** يعنى بنيامين الصواع **فقد
سرق اخ له من قبل** يعنى يوسف وظاهر الاية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب
منه فان اخاه الذى هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على
سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا
فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابى امه
صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف
جاءه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السايل وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من
الطير التى كانت فى بيت يعقوب فاعطاها سايلا وقال وهب كان يخبا الطعام من المايدة للفقرا
وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته
حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لها يا اختاه سلمى الى يوسف
فوالله ما اقدر على ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال والله ما انا بتاركه عندك
فقالت دعه عندى اياما انظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق
وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف

تحت

تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع
يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته
عندها حتى ماتت ولذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة
قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند
الغضب **فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم** فى هذه الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير
يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى **قال** يعنى يوسف **انتم شر مكانا** روى هذا المعنى العوفى
عن ابن عباس والثانى ان الضمير يرجع الى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق اخ له من
قبل وهذا معنى قول ابى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة
التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول
فاسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعايهم اليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعنى منزلة
عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانتكم **والله اعلم
بما تصفون** يعنى بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل **قالوا** يعنى اخوة يوسف **يا ايها العزيز** يخاطبون
بذلك الملك **ان له ابا شيخا كبيرا** قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج
الصواع من رحل اخيه بنيامين نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعى هذا يخبرنى انكم اثنى عشر
رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك
من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسالنى عن صاحبى وقد رايت مع من كنت
قالوا فغضب روبيل لذلك وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه
شى وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب
يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال
لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفونى انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفونى انتم
الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او
لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امراة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت
من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه او خذ بيده فاتى به فلما مسه سكن غضبه
فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه
غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركله برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر
العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى الخلاص خضعوا وذلوا
وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعنى فى السن ويحتمل ان يكون كبيرا فى القدر لانه نبى من اولاد
الانبيا **فخذ احدنا مكانه** يعنى بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك **انا نراك من المحسنين**
يعنى فى افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل
ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين **قال معاذ الله** يعنى قال يوسف
اعوذ بالله معاذا **ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده** لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم
ان اخاه ليس بسارق **انا اذا لظالمون** يعنى ان اخذنا بريا بمذنب فان قلت كيف استجاز يوسف
ان يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه لشدة وجد ابيه عليه

فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان
يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذا لهم فكيف يليق به هذا الكلام قلت قد ذكر العلما عن هذا
السوال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك
ليزيد بلا يعقوب فيضاعف الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها
احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع
قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما استياسوا منه يعني
ايسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد عليهم قال ابو عبيدة استياسوا
اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس
فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهودا وكان اعقلهم
وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل
وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا يعني
عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر يوسف حتى ضيعتموه فلن ابرح الارض
يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة حتى
ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر فيدعوني اليه او يحكم الله لي يعني برد اخي علي او بخروجي معكم وترك
او يحكم الله بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد
من هذا الكلام الالتجا الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني
يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا له يا ابانا
ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع
بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فكذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على
انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني فلم يقل ذلك الا بعد راينا اخراج
الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة
انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد
عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اي نسب الى السرقة
واتهم بها وهذه القراة تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراة ليست بمشهورة
فلا يقوم بها حجة والقراة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما
قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في
عمرنا على شي الا بما علمنا وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب
هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق
يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله ويعقوب وبنيه واورد على هذا القول
كيف جاز ليعقوب ان يخفى هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان
مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك لهذا الحكم لظنه انه كان كافرا وما
كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو
علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل وقال ابن عباس ما كانوا

لليله

لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب
لا يعلمه الا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال
اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد
بالقرية قال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كانت قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي
اقبلنا فيها يعني واسال القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وانا
لصادقون يعني فيما قلناه وانما اتهم اخوهم الذي اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة
عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم انفسكم امرا
فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم
ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم
معكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال امركم الى ما ال وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر
جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث
الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاه ومحنته علم ان الله سيجعل
له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلا وعظم كان
اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رويا يوسف وقوله لا تقصص
رءياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما انتهى الامر قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم يعني
بحزني ووجدي عليهم الحكيم يعني فيما دبره وقضيه فقوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض يعقوب عن بنيه
حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تتام حزنه واشتد بلاوه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك
اعرض عنهم وقال يا اسفا على يوسف والاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه
الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال
متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك فقال اتبكي كل قبر رايته لقبر ثوى بين اللوا
والدكادك فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى فدعني فهذا كله قبر مالك فاجاب بان الحزن يجدد الحزن
وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل
فراق بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض
بعض الجهال على يعقوب في قوله يا اسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا تليق بعلو
منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله لا منه فقوله
يا اسفا على يوسف معناه يا رب ارحم اسفي على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض اللغويين
انه قال نداء يعقوب للاسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا الهي ارحم اسفي
او انت راي اسفي وهذا اسفي فنادى الاسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا ماثم اذا لم ينطق
اللسان بكلام موثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفي على يوسف شكوى الى ربه
كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاوه وقويت محنته قال يا اسفا
على يوسف اي اشكو الى الله شدة اسفي على يوسف ولم يشك الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو
بثي وحزني الى الله وابيضت عيناه من الحزن اي عمي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر
شيا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكا وذلك ان الدمع تكثر عند غلبة البكا فتصير العين

كانهما ببجنا من ذلك الماء الخارج من العين فهو كظيم اي مكظوم وهو الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه
قال قتادة هو الذي تردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى
يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني
ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني ايها الصديق
قال يوسف ارى صورة طاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك
مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان
الله يطهر البيوت بطهر النبيين وان الارض التي تدخلونها هي اطهر الارضين وان الله قد طهر بك السجن
وما حوله يا اطهر الطاهرين ومن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني
من المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال لانه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في
معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين والحقك باباءك الصالحين قال
يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه بالحزن عليك فهو
كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين قال فما له من الاجر يا جبريل قال
اجر مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم وطابت نفس يوسف وقال ما ابالي ما لقيت ان رايته قوله
عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف يعني لا يزال تذكر يوسف ولا تفتر
من حبه يقال ما فتي يفعل كذا اي ما زال ولا محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف
كقول امرئ القيس فقلت يمين الله لا ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اي لا ابرح قاعدا قوله
حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن
اسحق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد في الجسم
والعقل من الحزن او الهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مجهود العقل حتى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن
والهم والاسف او تكون من الهالكين يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقته قطعا
قلت بنوا الامر على الاغلب الظاهر اي كقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك قال يعني يعقوب عند ما راى
قولهم له وغلظتهم عليه انما اشكو بثي وحزني الى الله اصل البث اثارة الشيء وتفريقه وبث النفس
ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه
كان هما واذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون انما اشكو حزني العظيم
وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي
اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكا على يوسف واما الذي قوس
ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول اما تستحي
ان تشكو الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل
على يعقوب جار له فقال يا يعقوب ما لي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابيك
فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال
يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سيل يقول انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا كشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما

اشكوا

اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي
اشمه شمة قبل ان اموت ثم اصنع ما شئت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول
لك ابشر فوعزتي وجلالي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على
بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيا وان احب عبادي الي الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما
وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند ال يعقوب وكان بعد ذلك
اذا تغدى امر مناديا ينادي من اراد الغدا فليات يعقوب واذا افطر امر من ينادي من اراد ان يفطر
فليات يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب
اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لانك شويت عناقا وقترت
على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلا يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها
فان قلت وهل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبيا قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان
حسنات الابرار سيات المقربين وانما يطلب من الانبيا من الاعمال على قدر منصبهم وشريف
رتبتهم ويعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك قد ابتلى كل واحد من ابائه
بمحنة فصبر فابراهيم عليه السلام التي في النار فصبر ولم يشك الى احد واسمعيل ابتلي بالذبح فصبر
وفوض امره الى الله واسحق ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف
وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك او ضعف بصره من كثرة البكا عليهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى
الى احد شيا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب
بذلك المدح العظيم والثنا الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الاخرة مع من سلف له من ابائه
ابراهيم واسحق عليهم الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به عتابا ولا
عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه
وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضى
ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس
وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى من رحمته واحسانه ياتي بالفرج من حيث لا احتسب
وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال
له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح
قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رويته فلذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم
ان رويا يوسف حق وصدق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبر بنوه بسيرة ملك مصر وكمال
حاله في جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني
يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب
من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحا يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو
الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن
فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال
من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد عن
ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما السلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب

اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما
جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه
ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخر
وكان اخاه من امه وكنت اتسلي به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد
بكاوه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شا الله تعالى وذلك قوله يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه **ولا تايسوا** اي ولا تقنطوا **من روح الله** يعني من رحمة الله وقيل من فضل
الله وقيل من فرج الله **انه لا ييايس من روح الله الا القوم الكافرون** يعني ان المومن على خير يرجو
من الله فيصبر عند البلا فينال به خيرا والكافر بضد ذلك قوله تعالى **فلما دخلوا عليه** فيه حذف
واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف **قالوا يا ايها
العزيز** يعنون يا ايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقبا لملك مصر يومئذ **مسنا واهلنا
الضر** اي الشدة والفقر والجوع واراد واباهلهم من خلفوا وراهم من العيال **وجينا ببضاعة مزجاة**
يعني جينا ببضاعة ردية كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البايع واصل الازجا في اللغة
الدفع قليلا قليلا والترجية دفع الشي لينساق كترجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر

وحاجة غير مزجاة من الحاج

يعني شي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتدادبها وانما
وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او لرداتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات
المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا وقيل كانت خلق
الغرايرو والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضر
وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الردية
مزجاة من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جينا ببضاعة مزجاة لندافع
بها الزمان وليست مما ينتفع بها وقيل انما قال للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة غير مقبولة ممن
يدفعها **فاوف لنا الكيل** يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى انا نريد ان تقيم
لنا الزايد مقام الناقص والجيد مقام الردي **وتصدق علينا** يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد
والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي سالوه من المساحة يشبه
الصدقة وليس به واختلف العلما هل كانت الصدقة حلالا للانبيا قبل نبينا ام لا فقال سفيان
ابن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر
جمهور العلما ذلك وقالوا ان حال الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع
للمخلوقين والاخذ منهم لان الصدقة اوساخ الناس فلا يحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه
واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم في المسامحة وايفا الكيل ونحو ذلك
مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل
في دعايه اللهم تصدق علي لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغي الثواب وروي الحسن سمع رجلا يقول
اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال

بحث هذا الاختلاف وما فيه

ابن جريج

ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني برد اخينا علينا **ان الله يجزي المتصدقين** يعني بالثواب
الجزيل قال الضحاك ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مومن **قال** يعني قال يوسف لاخوته **هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه** اختلفوا في السبب الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال
ابن اسحق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج
لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي اخره وكتب يهودا فلما قروا الكتاب اعترفوا بصحته
وقالوا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وامر
بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوا قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه
الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك
حين ادركته الرقة عليهم ورحمهم فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه لم يتمالك
البكي فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا الاستفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه
ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتضييعه من ابيه وهذا كما
يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت لم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد
تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله
اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة
فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشه
وكانوا يوذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا
اذ انتم جاهلون هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين ووقت
الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يوول اليه امر يوسف فتقول عز وجل **قالوا ايك لانت يوسف**
قري على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم واخيه تبسم فراوا
ثنايا كاللولو تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما ايك لانت يوسف وقري على الخبر
وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج على راسه وكان
له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه لها وقالوا انت
يوسف وقيل قالوه على التوهم ولم يعرفوه حتى **قال انا يوسف** قال بعض العلما انما اظهر الاسم في قوله انا
يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك وكانه قال انا
يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني باخس الاثمان ثم صرت الى ما
ترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال **وهذا اخي** وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا
اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو قوله **قد من الله علينا** بكل عز وخير في الدنيا وقيل من
علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا **انه من يتق ويصبر** يعني يتقي الزنا ويصبر على العزوبة قال ابن عباس وقال
مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرايضه ويصبر عما حرم الله **فان الله لا يضيع اجر
المحسنين** يعني اجر من كان هذا حاله **قالوا** يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه **تالله لقد اثرك
الله علينا** اي اختارك وفضلك فقال اثرك الله ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل
والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر

وقيل بالحكم والصفح علينا وقيل بالحسن وساير الفضايل التي اعطاها الله له دون اخوته وقيل فضله عليهم
بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبيا ايضا فليس له عليهم فضل واجيب عنه بان يوسف فضل
عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمع له النبوة والرسالة كان افضل ممن خص
بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني في صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطي على المخطي والفرق
بينهما انه يقال خطا خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون اثر لفظ خاطيين على مخطيين
لموافقة روس الاي لان خاطيين اشبه بما قبلها قال يعني يوسف لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليجدها الحد ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد
عليها وفي محل قوله اليوم ويبتدى قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم
والمعنى انه هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى
هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدى يغفر الله لكم والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر
الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدى اليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ
والتقريع بقوله لا تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف نفسه
سالهم عن حال ابيه فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكا عليك فاعطاهم قميصه وقال
اذهبوا بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه
قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب
فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد راسها وعلقها في عنق يوسف
كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القي يوسف في البير عريانا اتاه جبريل واخذ
ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاه جبريل فامره بان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه
ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا قال المحققون انما علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد
البصر كان بوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه لما عمي من كثرة البكا وضيق الصدر فبعث
اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاوه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر
فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا
وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين ما بين رجل وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عريش
مصر متوجهة الى كنعان قال ابوهم يعني قال يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح الصبا استاذنت
المائي ان ياتي يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة
ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح
فاحملت ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال اني لاجد ريح
يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا
خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو المفند والفند فيكون
فيكون المعنى لولا ان تفندون اي تنسبون الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلوموني وقيل تجهلون وتقول
ابن عباس والضحاك تهرمون تقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله قالوا يعني اولاد يعقوب واهله

الذي

الذي عنده لان اولاده لصلبه كانوا غايبين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف
ولا ينساه لان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله
انك لفي ضلالك القديم والضلال الذهاب عن طريق الصواب فلما ان جا البشير وهو المبشر بخبر
يوسف قال ابن مسعود جا البشير بين يدي العير قال ابن عباس هو يهودا قال السدي قال يهودا انا
ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذيب فانا اذهب اليوم بالقميص
واخبره انه حي فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهودا وخرج به حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة
فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا فالقاه على وجهه يعني فالقى البشير
قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه قوته
بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني من حياة يوسف
وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما
اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر
لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله انا كنا خاطئين يعني في صنيعنا قال سوف استغفر لكم ربي قال
اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعا والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي
يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما
فرغ رفع يديه الى الله تعالى فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى
اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم
الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال
طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشورا وقال الشعبي سوف استغفر
لكم ربي قال حتى اسال يوسف فان كان قد عفى عنكم استغفرت لكم ربي انه هو الغفور يعني لذنوب عباده
الرحيم بجميع خلقه قال عطا الخراساني طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف
لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه السلام بعث مع اخوته
الى ابيه مايتي راحلة وجهازا وسالهم ان ياتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر
فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا يعقوب
من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجي ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة
الاف من الجند وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد ابنه يهودا
فلما نظر الى الخيل والناس قال يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد منهما
اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام
عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد لوالده وبكيا وقيل
ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب
دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه يعني ضم اليه ابويه قال اكثر
المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هو ابوه وامه وكانت
حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرويا والاول اصح وقال ادخلوا

مصر قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال
ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان
بها اي ادخلوا مصر مستوطنين فيها **ان شا الله امنين** قيل ان الاستثنا عايد الى الامن لا الى الدخول
والمعنى ادخلوا مصر امنين ان شا الله وقيل انه عايد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك
لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثنا يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديما وتاخيرا
تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شا الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد
الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر امنين على انفسكم واهليكم ان شا الله فعلى هذا يكون قوله ان شا
الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم **ورفع ابويه
على العرش** يعني السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو **وخروا له سجدا** يعني يعقوب وخالته
واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود ونحو الانحنا والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة
على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا في
النبوة والشيوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما
انه كان انحنا على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود ونحو وضع الجبهة
بالارض وهذا مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال
ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملايكة لادم ويدل
على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على
السرير خروا وسجدوا لله ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ من التواضع فان قلت يرفع
صحة هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله وخروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات
وهو يوسف عليه السلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل
يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر
عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل
التحية والتواضع على سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان فلما جا الاسلام نسخت هذه
الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه **وقال** يعني قال يوسف عند ما راى ذلك **يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل** يعني تصديق الرؤيا التي اريتك في حال الصغر **قد جعلها ربي حقا** يعني في اليقظة واختلفوا
فيما بين رؤياه وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد اربعون سنة وقال
ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون
سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله شوذب سبعون وقال الفضيل بن عياض
ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين
القي في الجب سبع عشر سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه
واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله **وقد احسن
بي** يعني انعم علي يقال احسن بي والي **اذ اخرجني من السجن** انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن
وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم
اليوم ولان نعمة الله في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه

من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك
وقيل ان دخوله الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم
نعمة عليه **وجاء بكم من البدو** يعني من البادية واصل البدو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه
من بعد بمعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية
فسكنوا البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل
النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف
اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما
في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على
سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق
المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله
بقضايه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين
وذلك باقدار الله اياه على ذلك **ان ربي لطيف لما يشا** يعني انه تعالى ذو اللطف عالم بدقايق
الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويصح ان يكون
وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقايق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في
هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشا اي حسن الاستخراج متلطفا على ما اوصل اليه يوسف حيث القاه
اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وذلك مع طيبة
الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه
انه هو العليم بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام
اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى
الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب
عليه السلام بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق
ذلك موت العيص اخو يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعة
واربعون سنة فلما دفن يوسف اباه ورجع الى مصر قالوا فلما جمع الله شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته
علم ان نعيم الدنيا زايل سريع الفنا لا يدوم سال الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال **رب** اي
يا رب **قد اتيتني من الملك** يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه
ملك اخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير **وعلمتني من تاويل الاحاديث**
يعني تعبير الرؤيا **فاطر السموات والارض** يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال
فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق اوجده وابدعه **انت وليي** يعني انت معيني ومتولي امري
في الدنيا والاخرة توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا اسال هو طلب الوفاة في الحال ام لا على قولين
احدهما انه سال الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يتمن احد من الانبيا الموت الا يوسف قال اصحاب
هذا القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفي والقول الثاني انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت
في الحال قال الحسن انه عاش بعدها سنين كثيرة فعلى هذا القول تكون معنى الاية توفني اذا توفيتني
على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة

في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل
ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زايلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق دايم لا نفاد
له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند
وجود الضرر ونزول البلا مكروه والصبر عليه اولى وقوله **والحقني بالصالحين** اراد بدرجة ابايه وهم
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام قال علما التاريخ عاش يوسف ماية وعشرين سنة
وفي التوراة ماية وعشر سنين وولد ليوسف من امراة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم ومنشا ورحمة امراة
ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه في النيل في صندوق
من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم
رجا بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم راوا ان يدفنوه في النيل تحت مجرى الما عليه ويتفرق عنه وتصل بركته
الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر
فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدد وبسلسلة فاخصب
الجانبين فبقي الى ان اخرجه موسى عليه السلام وحمله معه حتى دفنه بقرب ابايه بالشام والارض المقدسة
قوله عز وجل **ذلك** يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى
الملك بعد الرق **من انبا الغيب** يعني اخبار الغيب **نوحيه اليك** يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف
وحي اوحيناه اليك يا محمد في هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا
اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى بلد اخر غير بلده الذي نشا فيه صلى الله عليه وسلم ونشا بين
امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح
علم بذلك ان الذي اتى به نور وحي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قايمة الى اخر الدهر وقوله تعالى **وما
كنت لديهم** يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **اذ اجمعوا امرهم** يعني عزموا على القا يوسف في الجب **وهم
يمكرون** يعني بيوسف **وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما
اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين وذلك ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يومنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له **وما تسالهم عليه من اجر** يعني
على تبليغ الرسالة والدعا الى الله من اجر يعني اجرا وجعلا على ذلك **ان هو** يعني وما هو يعني القران **الا ذكر** يعني
عظة وتذكيرا **للعالمين وكاين من اية** يعني وكم من اية دالة على التوحيد **في السموات والارض يمرون عليها** يعني
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **وهم عنها معرضون** اي لا يلتفتون اليها والمعنى لتعيس اعراضهم عن هذه
الاثار الظاهرة الدالة على وحدانية الله فاعجب من اعراضهم عنك يا محمد **وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون** يعني ان ايمانهم انهم اذا سالوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله
وهم على ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون
غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك
لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطا هذا في الدعا وذلك ان الكفار نسوا ربهم
في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا **افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله** يعني عقوبة تجللهم
تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع **او تاتيهم**

الساعة

الساعة بغتة يعني فجاة **وهم لا يشعرون** يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم
قل اي قل يا محمد لهولا **هذه سبيلي** يعني طريقتي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي
الدين سبيلا لانه الطريق المودي الى الثواب والجنة **ادعو الى الله** يعني الى توحيد الله والايمان به **على
بصيرة** يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي تميز بها بين الحق والباطل **انا ومن اتبعني** يعني ومن
امن بي وصدقني بما جيت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وامن
به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف على بصيرة انا ومن
اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود من كان
مستنا فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا
واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا
باخلاقهم وطرايقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم وقوله **وسبحان الله** اي وقل سبحان الله يعني تنزيها
لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركا والاضداد والانداد **وما انا من المشركين** يعني
وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله غيره قوله عز وجل **وما ارسلنا من قبلك** يعني وما ارسلنا قبلك
يا محمد **الا رجالا** مثلك ولم يكونوا ملايكة **يوحى اليهم** هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا
والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وساير الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك **من
اهل القرى** يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا
من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النسا وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية
لغلظهم وجفاهم **افلم يسيروا في الارض** يعني هولا المشركين المكذبين **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**
يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هولا بهم وبما حل بهم من عذابنا **ولدار الاخرة** يعني فعلنا
هذا باوليانا واهل طاعتنا ان ننجيهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة لهم يعني
الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي هي لان العرب تضيف الشي الى نفسه
كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه **افلا تعقلون** يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيومنون قوله عز
وجل **حتى اذا استياس الرسل** قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياس الرسل عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف
من حروف الابتدا استانف بعدها والمعنى استياس الرسل من ايمان قومهم **وظنوا انهم قد كذبوا** قرا اهل
الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراة على ما قاله الواحدي ان معناه
ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن عباس
وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم لمن كذبك الحديث اي لم اصدقك
ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراة للمرسل
اليهم التقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم
وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يومنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال
الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر
المرسل اليهم وان شيت قلت ان ذكرهم جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

فيكون الذين من قبلهم مكذبي الرسل وظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روي عن ابن عباس
انه قال حتى اذا استياس الرسل من قومهم الاجابة وظن قوم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم
واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا وعد قومهم اياهم الايمان اي وعدا
انهم يومنوا ثم لم يومنوا لقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسكم حين حدثتكم
بانهم لا ينصرون او رجاوهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة
وانتظار النصر حتى الله ونبيه وتطاولت عليهم وعادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر
لهم في الدنيا **فجاءهم نصرنا** فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد
اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن
ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما
الظن الذي هو يرجح احد الجائزين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله
الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه
قال هذا غير معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متاول
تاوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا
رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطا عظيما لا يستحقون ظفرا
ولا نصرا وتبرية الانبيا وتطهرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل
من ايمان قومهم فظنوا وظنوا يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن
بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم قومهم ان
يصدقوهم وظنوا ان من امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلا واستبطاء
النصر ما تاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من امن بهم يعني
وظنت الرسل ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لا بطايه وتاخره عنهم وطول البلا
بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان نوع
كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطو النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من
جهة الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل **خ** عن عروة بن الزبير انه سال عايشة عن قوله
تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا
ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة اقبل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت
معاذ الله لم يكن الرسل يظن ذلك بربها قلت ما هذه الاية قالت هي اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم
جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عايشة معاذ
الله والله ما وعد الله رسوله من شي قط الا انه علم انه كاين قبل ان يموت ولكن لم يزل البلا بالرسل

حتى خافوا

حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم يكذبونهم وكانت تقراها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى جاءهم نصرنا
يعني جاء نصر الله النبيين **فنجي من نشا** يعني عند نزول العذاب بالكافرين ننجي المومنين المطيعين **ولا
يرد باسنا** يعني عذابنا **عن القوم المجرمين** يعني المشركين قوله تعالى **لقد كان في قصصهم** يعني في خبر
يوسف واخوته **عبرة** اي موعظة **لاولي الالباب** يعني يتعظ بها اولوا العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار
والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل
والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القايه فيه واخراجه
من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع
لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة
جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه
السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل
على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها لمن اعتبر بها **ما كان حديثا يفترى** يعني ما كان هذا
القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان
يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القران المعجز فدل ذلك على صدقه وانه
ليس بمفترى **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة
من السما من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة
من ذكر قصة يوسف **وتفصيل كل شي** يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شي يحتاج اليه
من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد
في امر دينهم ودنياهم **وهدى** يعني الى كل خير **ورحمة** يعني انزلناه رحمة **لقوم يومنون** لانهم هم الذين ينتفعون به
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

وهي مكية قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس
وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطا وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ايتين احدهما
قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول
الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس انها مدنية
الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر الايتين وقال بعضهم المدني منها قوله
هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاثة وقيل خمس واربعون اية وثمان مائة وخمس وخمسون
كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة وستة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **المر** قال ابن عباس معناه انا الله
اعلم وارى وروى عطا عنه انه قال معناه انا الله الملك الرحمن **تلك ايات الكتاب** الاشارة بتلك الى ايات
السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى **والذي
انزل اليك** يعني من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص
التي قصصتها عليك من ايات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي انزل اليك
يعني وهذا القران الذي انزل اليك **من ربك** يا محمد **الحق** اي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة
اراد بايات الكتاب القران والمعنى هذه ايات الكتاب الذي هو القران ثم قال والذي انزل اليك من

ربك الحق يعني وهذا القران الذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك ولا فيه ولا قصور ولكن اكثر الناس
لا يومنون يعني مشركي مكة نزلت هذه الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر
من دلايل ربوبيته وعجايب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد
جمع عمود وهي الاساطين والدعايم التي تكون تحت السقف وفي قوله ترونها قولان احدهما ان الروية
ترجع الى السما يعني وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا
من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السما مقببة على الارض مثل القبة
وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الروية
ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف
وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن
ابن عباس والقول الاول هو الصحيح وقوله ثم استوى على العرش تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف
بما فيه كفاية وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد كل يجري لاجل
مسمى يعني الى وقت معلوم وهو وقت فنا الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما
ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله
تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو في الحركة
يدبر الامر يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل
الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة ففيه دليل
على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره وهم داخلون تحت قهره وقضايه وقدرته
يفصل الايات يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلايل الدالة
على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات وما فيها من العجايب واحوال الشمس
والقمر وساير النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد
الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل
على وجود الصانع وكمال قدرته لعلكم بلقاء ربكم توقنون يعني انه تعالى ذكر هذه الدلايل الدالة على
وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقايه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان
بعد عدمه قادر على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية
وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى وهو الذي مد
الارض لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس
والقمر اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي والله هو الذي مد الارض وبسطها
على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض
مسطحة لا كرة وعند اصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كثيرة عظيمة فكل قطعة
منها يشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه
دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة
وجعل فيها يعني في الارض رواسي يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشي يرسو اذا ثبت وارساه غيره قال
ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض وانهارا يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق ومن

كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا يغشي الليل النهار يعني يلبس النهار بظلمة
الليل ويلبس الليل بضو النهار ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من عجايب صنعته وغرايب قدرته
الدالة على وحدانيته لايات اي لدلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب
على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشيا وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم
والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن
ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف
بصورة وقال الادبا الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها
طلبا للوصول الى حقيقتها قوله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات يعني متقاربات بعضها من بعض
وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة وهذه سبخة ولا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وجنات
يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض
والنيه الاشارة من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من اصل
واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل واحد وغير
صنوان هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير صنوان المتفرق تسقى بما واحد يعني اشجار
الجنات وزروعها والما جسم رقيق مايع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح ونفضل
بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعوم عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي
والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم
وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن
فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ما السما فيخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ويخرج نباتها
ويخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بما واحد فلو كان الما مالحا قيل انما هذا من قبل الما كذلك
الناس خلقوا من ادم فينزل عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم
فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال
الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تعالى ان في ذلك
يعني الذي ذكرت لايات لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويتفكرون في الايات الدالة على وحدانيته
قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض
للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله
محال لانه تعالى علام الغيوب لا يخفى عليه خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وان تعجب
يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ان كنت تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب
من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة تعبد مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض
وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم وقيل وان تعجب من انكارهم
النشاة الاخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين
كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله فعجب من قولهم وذلك ان المشركين
وقد تقرر في النفوس ان الاعادة اهون من الابتدا فهذا موضع التعجب وهو قولهم ايذا كنا ترابا يعني

بعد الموت ائنا لفي خلق جديد يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم
اولئك الذين كفروا بربهم وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر
البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شي قدير واولئك الاغلال في اعناقهم يعني يوم القيمة
والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيمة
كانقياد الاسير الذليل بالغل واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون
منها ولا يموتون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجي وقته والمراد
بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من
العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وقد خلت من قبلهم المثلات يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب
تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثا نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا ليرتدع غيره به وذلك
كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثا فيهما لغتان وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وان ربك لشديد العقاب يعني
للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وانه
لشديد العقاب ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه
وسلم اية من ربه يعني مثل عصى موسى وناقة صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي جا بها
النبي صلى الله عليه وسلم انما انت منذر اي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس اليك من
الايات شي ولكل قوم هاد قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد
والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشا وقال عكرمة في
رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر وانت هاد
وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل وقال
ابو صالح الهادي القايد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى لما سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر
او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر وما تغيض يعني وما تنقص الارحام وما
تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا
في الولد لان دم الحيض هو غذا الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذا فينتقص الولد واذا لم تحض يزداد
الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد لخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا
حاضت المراة في وقت حملها ينقص الغذا ويزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رات خمسة
ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام والنقصان في الغذا والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان
السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على
تسعة اشهر واقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم
اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عايشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال
جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال حماد بن ابي سلمة هرم ابن حيان هرما لانه بقي في
بطن امه اربع سنين وعند مالك اذ اكثر مدة الحمل خمس سنين وكل شي عنده بمقدار يعني بتقدير وحد

لا يجاوزه

لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شي وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى
كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر
عليه غيره عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم
والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس الكبير اي العظيم الذي يصغر
كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق بصفات الكمال
المتعال يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة
التامة وتنزيهه عن جميع النقايص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو منكم من اخفى
القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف
بالليل اي مستتر بظلمته وسارب بالنهار اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الرا الطريق
وقال القتيبي السارب المتصرف في حوايجه قال ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا
خرج بالنهار ارى الناس انه بري من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشي اذا اظهرته واخفيته
اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار داخل في سرب مستخفيا ومعنى الاية سواء ما اضمرته القلوب ونطقت
به الالسنة وسواء من اقدم على القبايح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى
محيط بالكل له معقبات يعني لله ملايكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة الليل عقبها
ملايكة النهار والتعقيب العود بعد البدا وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان الملايكة ذكور لان
واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار ويجتمعون في
صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم
وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من ابن ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب
الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيات وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل العبد
حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول
انظره لعله يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال له اكتبها عليه سيئة
واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه بها
وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدع يدخل في فيه شيا من الهوام يوذيه فهولا
خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال
شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني
يحفظون العبد من بين يديه ومن ورا ظهره ومعنى من امر الله اي بامر الله واذنه ما لم يجي القدر فاذا جا خلوا
عنه وقيل معناه انهم يحفظونه مما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه
في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شي ياتيه يريده الا قال له الملك وراك الا شي ياذن الله
فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملايكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم
لتخطفنكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيات وهذا على قول من يقول
ان الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيات وقال عكرمة الاية في
الامرا وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال

ابن عباس في معنى الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث شا قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال او ليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شيت فارسل على اربد صاعقة في يوم صحو قايظ فاحرقته فولى عامر هاربا فقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وشبانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنع الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحرا ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لين ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب واجراه حتى مات على ظهره واجاب الله عز وجل دعا رسوله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شان هذه القصة سوا منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الله اي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله **ان الله لا يغير ما بقوم** خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم **حتى يغيروا ما بانفسهم** يعني من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى **واذا اراد الله بقوم سوا** يعني هلاكا وعذابا **فلا مرد له** يعني لا يقدر احد ان يرد ما نزل بهم من قضايه وقدره **وما لهم من دونه من وال** يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا** لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوا ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه والنقمة والعذاب من وجه فقال تعالى وهو الذي يعني والله الذي يريكم البرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرسه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه

من له في نزول المطر نفع كالزارع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا مطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت **وينشي السحاب الثقال** يعني بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها فانبدات والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الما قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الما واصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره الما ولانجراره في سيره **ويسبح الرعد بحمده** اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول عطف عليه قوله **والملايكة من خيفته** واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد اسما لملك من الملايكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملايكة فهو كقوله وملايكته وجبريل وميكال قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث شا الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره للسحاب حتى ينتهي حيث امر قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا واراد به هنا الة يزجر بها الملايكة السحاب ويسوقه وقد جا تفسيره في حديث اخر وهو سوط من نور يزجر به الملايكة السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وهو على كل شي قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وكان يقول ان هذا لوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يومر وانه يحوز الما في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السما الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد تسبيح لله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقايص وكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقايص والا لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شي الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملايكة من خيفته يعني وتسبح الملايكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملايكة اعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملايكة وهم خايفون خاضعون طايعون وقيل المراد بهم جميع الملايكة وحمله على العموم اولى **ويرسل الصواعق** جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحرق من يصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب او موت وهي في ذاتها شي واحد وهي الاشيا الثلاثة تحشا منها **فيصيب بها** يعني الصواعق **من يشا** يعني فيهلكه بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر **وهم يجادلون في الله** يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل اي احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك امن در ام من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السما فاحرقته وسيل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا

من اصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني اليه مم هو من ذهب او فضة او حديد او نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيئا بل قال اخبث فقال ارجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئا اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تمم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراد به سوءا وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة والجهد فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يفطنون له وقيل المحال من الحول والحيلة والميم زائدة ثم اختلف عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه اشد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا باجابته الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى دعاؤه الثاني ان يضاف الى الحق الذي هو على الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في توعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الاية الدعا بالاخلاص لان الدعا الخالص لا يكون الا لله تعالى والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم المشركون من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها لا يستجيبون لهم بشيء يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع او دفع ضر ان دعوهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه يعني الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا بحاجته اليه ولا يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشرب فبسطهما ناشرا اصابعه فلم يلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا اصابعه

لايكون

لا يكون في يده منه شي ولا يبلغ الى فيه منه شي كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شي وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الماء بعينيه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا ياتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير وهو يمد يده الى البير فلا هو يبلغ الى قعر البير ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك قال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعاء الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس او جن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو والغدوة والغداة من اول النهار قبل الى نصف النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل وهو العشية والاصيل العشا بالجمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ظل كل شخص يسجد لله سوى ظل الكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال يعظم ويكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى قل من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومدبرهما وخالقهما

فسيقولون الله لانهم يقرون بان الله خالق السموات والارض وما فيهما فاذا اجابوك لذلك
فقل ارايت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب
انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد الله وقيل انما جا السوال والجواب من جهة واحدة لان
المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شي فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين
افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات
والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام لا يملكون يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف
يعزهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمومنين الذين يعبدون الله فقال
تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن ام هل تستوي الظلمات
والنور يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمومن وكما
لم تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا
كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا ام جعلوا لله شركا هذا استفهام انكار يعني اجعلوا لله شركا خلقوا كخلقه
يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا فتشابه الخلق عليهم من هذا
الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم
بقوله ام جعلوا لله شركا خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله عندهم وهذا استفهام
انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد
بخلق سائر الاشيا والشركا مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا
كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله قل الله خالق كل شي اي قل يا محمد لهولا المشركين الله خالق
كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شي من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى
هو الواحد المنفرد بخلق الاشيا كلها الفها لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته قوله
عز وجل انزل من السما ما لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات
والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السما ما يعني المطر فسالت اودية بقدرها
اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال
في الوادي وهو كما يقال جرى النهر والمراد جري الما في النهر فحذف المضاف ودلالة الكلام عليه بقدرها قال
مجاهد على قدر ملئها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ثلثها وانما نكر الاودية لان المطر
اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد
فلهذا التسبب جاهنا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى
فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع للهدى والنور والبيان بنزول
المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يسكن فيها الما وكذلك
القلوب يسكن فيها الايمان والعرفان بذكره بنزول القران فيها وهذا خاص بالمومنين لانهم الذين انتفعوا
بنزول القران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله
به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت منها طايفة طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب
الكثير وكان منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها

اخرى

اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم
وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النواوي
رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش
وقوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والباء كذا في الصحيحين وقع وهي الارض التي لا تنبت
الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك
الما ولا يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي اخاذات بالخا المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير
التي يمسك الما وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة
زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين
الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه الفهم من الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده
فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جا به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر فقال العلما
والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع
بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع
الاول من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به
وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذ اي
لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم بما رزقت من صفا الفهوم النوع الثاني من انواع
الارض ارض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الما لغيرها لينتفع
به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام ثاقبة فيبقى
ما عندهم من العلم حتى يجي المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع
الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ما كذلك النوع الثالث من الناس ليس
لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شي من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم
والله اعلم وقوله تعالى فاحتمل السيل زبدا الزبد ما يعلو على وجه الما عند الزيادة كالحبب
وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الما زبدا
رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الما طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدا المثل الاخر فقال تعالى ومما
توقدون عليه في النار الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد ثم جعل تلك النار تحت الشي ليذوب
ابتغا حلية يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين
لان الحلية لا تطلب الا منهما او متاع يعني او لطلب متاع اخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص
ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال للحل ما ينتفع
به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع زبد مثله يعني ان ذلك الذي يوقد عليه
في النار اذا ذيب فله ايضا زبد مثل زبد الما فالصافي من الما ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل
الحق والزبد من الما ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى كذلك يضرب
الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو
قوله فاما الزبد فيذهب جفا يعني ضايعا باطلا والجفا ما رمى به الوادي من الزبد الى جنباته
وقيل الجفا المتفرق يقال جفات الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل

ويذهب **واما ما ينفع الناس** يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام الذي تذاب **فيمكث**
في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب **كذلك يضرب الله الامثال** قال اهل التفسير والمعاني هذا
مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه
ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي
الذي ينفع وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما
يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب سوا واهل الحق
يظهر هو واهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع
به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور
الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شي فيه من النجاسات
والمستقذرات كذلك النور اذا سال في وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته
كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب
الباطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقايق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله
تعالى **للذين استجابوا لربهم الحسنى** قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله
وللكافرين الذين لم يستجيبوا له على هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين
والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استانف الكلام بقوله للذين استجابوا
لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة
الخالصة الخالية عن شوائب المضرة الانقطاع **والذين لم يستجيبوا له** يعني الكفار الذين استمروا على
كفرهم وشركهم وماتوا عليه **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** يعني لبذلوا ذلك كله فدا لانفسهم
من عذاب النار يوم القيامة **اولئك** يعني الذين لم يستجيبوا لربهم **لهم سوء الحساب** قال ابراهيم النخعي سوء
الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شي **ومأواهم** يعني في الاخرة **جهنم وبئس المهاد** يعني وبئس
ما مهد لهم في الاخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى **افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق** يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه **كمن هو اعمى** يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر
فلا يؤمن بالقران ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو حمزة او عمار والثاني هو الاعمى ابو جهل وحمل الاية
على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه من لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه
الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان لرشد
وربما اوقعاه في المهالك **انما يتذكر اولوا الالباب** يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم
الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار قوله عز وجل **الذين يوفون بعهد الله** يعني الذين عاهدهم عليه
وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد
ما اخذه على اولاد ادم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق **ولا ينقضون الميثاق** بل يوفون به
تاكيدا لقوله الذين يوفون بعهد الله **والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل** قال ابن عباس يريد الايمان
بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالايمان بهم ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة

الرحم

الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله
وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته اخرجه
ابو داود والترمذي ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول
من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط
له في رزقه وان ينسا له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله
وان ينسا له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسي يؤخر والمراد به
تاخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة
حقيقية والله يفعل ما يشا ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع
زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم ح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في
المال منساة في الاثر اخرجه الترمذي وقوله تعالى **ويخشون ربهم** يعني انهم مع وفايهم بعهد الله وميثاقه والقيام
بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف مشوب بتعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه
ويخافون سوء الحساب تقدم معناه **والذين صبروا** يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال
عطا على المصايب والنوايب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه
الصبر على جميع المامورات من ساير العبادات والطاعات وجميع اعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه
ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل
جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصايب واصل الصبر حبس النفس عما تقتضيه العقل
او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكروا انما قيد الصبر بقوله
ابتغاء وجه ربهم لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما
اكمل صبره واشد قوته على ما يحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا يشمت به الاعدا
وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى
النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر
ثواب الله محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم
تعظيما لله وطلب رضوانه **واقاموا الصلاة** يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فتدخل
صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيآتها **وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** قال الحسن
المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما به بترك اداء الزكاة
فالاولى ان يؤديها علانية وقيل المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام
وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى **ويدرؤون
بالحسنة السيئة** قال ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيء وهو معنى قوله ان الحسنات
يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التاويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا
عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة
ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل

عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن
كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه
اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة
الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل ان يعد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه
الخلال من اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى اولئك يعني من اتى بهذه الاعمال
لهم عقبى الدار يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار يعني بساتين
اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به يدخلونها يعني الذي تقدم وصفهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم يعني ومن صدق من ابائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان
الانسان لا ينتفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وامن ووحد وعلى قول
الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع
سروره بما يراه في اهله حيث بشره بدخول الجنة مع هولاء فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل
الاتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع العامل
الاتي به لان كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وازواجهم
ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوج وزوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنده وما روي ان ما كبرت
سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاء
ان يحشر في جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من
ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بالتحية من الله والتحف والهدايا سلام عليكم يعني
يقولون سلام عليكم فاضمر القول هاهنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم الله من
الافات التي كنتم تخافون منها واوصلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل ان
السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة
لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات
معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن ابي امامة
موقوفا عليه قال ان المومن ليكون متكيا على اريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين
باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول
للذي يليه ملك يستأذن فيقول للذي يليه ذلك حتى يبلغ المومن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم
الى المومن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيفتح له
فيدخل فيسلم ثم ينصرف فنعم عقبى الدار يعني فنعم العقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه والذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله احوال السعداء وما اعد لهم من الكرامات والخيرات
ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله ونقض العهد
ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وخالفوا امره ومعنى
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يعني ما بينهم وبين المومنين من الرحم والقرابة ويفسدون في الارض يعني بالكفر والمعاصي اولئك يعني

من هذه صفتهم لهم اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيمة ولهم سوء الدار يعني النار لان منقلب
الناس في العرف الى دورهم ومآل لهم فالمومنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله
تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على
من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة
لما بسط الله الرزق عليهم اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح
بالدنيا والركون اليها حرام وما الحياة الدنيا في الاخرة يعني بالنسبة الى الاخرة الا متاع اي قليل ذاهب
قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها في الدنيا بها ثم يذهب كذلك الحياة في الدنيا
لا بقاء لها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل
على محمد اية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى قل اي قل لهم يا محمد ان الله يضل من يشاء فلا ينفعه نزول الايات
وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل ونحو قوله ويهدي اليه من اناب يعني ويرشد الى دينه والايمان
به من ايات تقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من قوله اناب وتطمئن قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم
بذكر الله قال مقاتل بالقرآن لان الطمانينة للقلوب المومنين والطمانينة والسكون انما يكون بقوة
اليقين والاضطراب انما يكون بالشرك الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المومنين
ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكن قلوب
المومنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم
بالوجل والطمانينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب
والطمانينة انما يكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه
وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلف
العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية
اخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اطيب خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم
وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم ونحو كلما استطاب في الجنة من بقاء
بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب
ونحو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي
الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها قال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد
ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل
ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من
اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه رفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره البغوي هذين الحديثين بغير سند وروي بسنده
موقوفا على ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ
ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب حقة او جذعة

ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول لها الله تفتقي لعبدي عما يشاء فيفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء ويفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء عن اللباس وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ق وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى **وحسن مآب** يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة قوله عز وجل **كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم** يعني كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبيا من قبلك الى امم قد خلت ومضت **لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك** يعني لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين **وهم يكفرون بالرحمن** قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل ابن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى **قل** اي قل يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته **هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت** يعني عليه اعتمدت في اموري كلها **واليه متاب** يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى **ولو ان قرآنا سيرت به الجبال** الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان او احي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله عن امرك احق ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الآية ولو ان قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض **او قطعت به الارض** يعني شققت فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** باحيائها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن كقول الشاعر

فاقسم لو شيء اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اراد

اراد لو شيء اتانا رسول سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن فلم يؤمنوا به لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا قال تعالى **بل لله الامر جميعا** يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل **افلم ييأس الذين آمنوا** قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيدة الم ييأس الم يعلموا واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني * الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم

يعني الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر آخر

الم ييأس الاقوام اني انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا

يعني الم تعلم الاقوام قال قطرب ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشيء وتعينك به يأسك من غيره وقيل لم يرد ان الياس في موضع كلام العرب للعلم وانما يعد ييأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من الياس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشتاق المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولان احدهما ان ييأس بمعنى علم والقول الثاني انه من الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا** على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلق **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** يعني من الكفر والاعمال الخبيثة **قارعة** اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم **او تحل** يعني السرية والبلية **قريبا من دارهم** وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم **حتى يأتي وعد الله** يعني بالنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد به وعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم **ان الله لا يخلف الميعاد** قوله عز وجل **ولقد استهزئ برسل من قبلك** وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء فكذلك لقد استهزئ برسل من قبلك **فامليت للذين كفروا** يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة **ثم اخذتهم** يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الآخرة بالنار **فكيف كان عقاب** يعني فكيف كان عقابي لهم **افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** يعني افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التي لا تضر

ولا تنفع وجعلوا لله شركا يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها لله شركا قل سموهم يعني له
وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد ام تنبونه يعني ام تخبرون الله بما لا يعلم في الارض يعني
انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه
والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريكا ام بظاهر من القول يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو
في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته بل زين للذين كفروا مكرهم قال
ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر انما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين
في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين
الشيطان القا الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الى الله تعالى ويدل على سياق الاية
وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله وصدوا عن السبيل قرى بضم الصاد ومعناه صرفوا عن
سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك او الصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرى وصدوا بفتح
الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان ومن يضلل الله فما له من هاد الوقف عليه بسكون الدال
وحذف اليا في قراة اكثر القرا لهم عذاب في الحياة الدنيا يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم
ولعذاب الاخرة اشق يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يتصدع
القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع وما لهم من الله يعني من عذاب الله من واق يعني من مانع
يمنعهم من عذابه قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
الانهار اكلها دايم يعني لا ينقطع ابدا وظلها يعني انه دايم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة
بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي
الاية دليل على حركات اهل الجنة لا ينتهي الى سكون دايم كما يقوله ابو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار
المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وينقطع
اكلها لقوله كل شي هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة لقوله اكلها دايم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر
ان يكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملايكة ومن يعد حيا من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روي الا
ان الذي يذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين احدهما
قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه والاخر قوله اكلها دايم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين
سقط دليلهم فتخصص هذين الدليلين بالادلة الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا يعني ان عاقبة اهل التقوى هي
الجنة وعقبى الكافرين النار يعني في الاخرة قوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
في المراد بالكتاب قولان احدهما انه القران والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القران
ومن الاحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود
والنصارى من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من الكفار وغيرهم من اهل
الكتاب ينكرون القران كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القران
جملة لانه قد ورد فيه اثبات الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني المراد
بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهل الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه

ومن اسلم

ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا
بالقران كونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وساير
المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القران فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل
الكتاب ساهم قلة ذكر الرحمن في القران مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القران
فرحوا بذلك فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة
من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله
الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن قل اي قل يا محمد
انما امرت ان اعبد الله يعني وحده ولا اشرك به اليه ادعوا يعني الى الله والى الايمان به ادعوا الناس
واليه ماب يعني مرجعي يوم القيمة وكذلك انزلناه حكما عربيا اي كما انزلنا الكتاب على الانبيا بلغاتهم ولسانهم
انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القران حكما
لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القران سببا للحكم جعل
نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القران والعمل بمقتضاه سماه حكما
لذلك المعنى ولين اتبعت اهواهم قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ملة ابايه فتوعده الله على اتباع اهواهم في ذلك وقال ابن السايب المراد به متابعة ابايهم في الصلاة
لبيت المقدس من بعد ما جاءك من العلم يعني بانك على الحق وان قبلتك هي الكعبة وقيل ظاهر الكتاب الخطاب
فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام
بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذر
كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى ما لك من الله من ولي ولا واق يعني من ناصر ولا حافظ قوله تعالى
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله
عليه وسلم ليس له همة الا في النسا فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله
عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانه قد كان لسليمان عليه
السلام ثلثماية امراة حرة وسبعماية سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه السلام ماية
امراة فلم يقدح ذلك ايضا في نبوته فكيف يعيبوا عليك ذلك ويجعلوه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولا
ينكحون وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله هذا جواب لعبد الله بن امية وغيره من المشركين
الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا
الجواب ان المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها
البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشية الله عز
وجل فان شا اظهرها وان شا لم يظهرها لكل اجل كتاب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطاوا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله فاخبر الله ان لكل
قضا قضاه كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتاب قد

اثبته فيه وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه **يمحوا الله ما يشا ويثبت** وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما يصيب ذلك الا انه يقوله من تلقا نفسه فاجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحوا الله ما يشا ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحوا الله ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على عمره ولا ينقص اخرجه مسلم **ق** عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله جرى بان الاجال والارزاق مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا يتغير عما قدره الله في علمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحوا الله ما يشا قلت قد تقرر بالدلايل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده ومنه قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلما عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انه بالنسبة الى ما يظهر للملايكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله يمحوا الله ما يشا ويثبت الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا او السعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب عن الشقاوة الى السعادة وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلما من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي يقتضيه ظاهر اللفظ يزيد الله ما يشا في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان والكفر وقيل عن هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا تمحوا السعادة والشقاوة وتمحوا الرزق والاجل ويثبت ما يشا وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة والمغفرة

فانك

فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت ومن العلما من حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القايل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك كتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحوا والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحوا الله ما يشا يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله وقال سعيد بن جبير يمحوا الله ما يشا من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشا فلا يغفرها وقال عكرمة يمحوا الله ما يشا من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحوا الله ما يشا يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة وقيل هذا في المحن والمصايب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعا والصدقة وقيل ان الله يمحوا ما يشا ويثبت ما يشا لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحوا شيا ولا يثبت شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضا والقدر **مسئلة** استدلت الرافضة على مذهبهم في البدا بهذه الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحوا الله ما يشا ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى **وعنده ام الكتاب** يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع الاشيا مثبتة فيه ومنه تنتسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحوا الله ما يشا منه ويثبت ما يشا وام الكتاب الذي لا يغير شي منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسماية عام من درة بيضا له دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلثماية وستون لحظة يمحوا الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون **واما نرينك** يعني يا محمد **بعض الذي نعدهم** يعني من العذاب **او نتوفينك** يعني قبل ان نريك ذلك **فانما عليك البلاغ** يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ **وعلينا الحساب** يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيمة ونجازيهم باعمالهم قوله عز وجل **اولم يروا انا ناتي الارض**

ننقصها من اطرافها يعني اولم ير كفار مكة الذين سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص من دار الشرك والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالي اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واجراما كان ذلك نقصان ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلايل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز لهم ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطا وجماعة من المفسرين نقصها بموت العلما وذهاب الفقها عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس روسا جهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شي ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلما فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلما والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

° واسال بنا وبكم اذا وردت منا اطراف كل قبيلة من يمنع °

قال يريد اشرف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ان هذا الوجه ايضا لا يليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال اولم يروا كلما احدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات شاهدة محسوسة فما الذي يومنهم ان يقلب الله الامر على هولا الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ما كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يجوز اتصال الكلام بما قبله قوله تعالى **والله يحكم لا معقب لحكمه** يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضايه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب حكمه احد بتغيير ولا نقض **وهو سريع الحساب** قال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر مجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازات المومنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا **وقد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية مكروا بانبيايهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر جميعا** يعني عند الله جزا مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل ممن كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره وان كان الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين **يعلم ما تكسب كل نفس** يعني جميع اكتساب العباد وتاثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو

واجب

واجبا الوقوع وكلما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والقول فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين **وسيعلم الكافر** وقرى الكافر على التوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة **لمن عقبى الدار** والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمومنين ولهم العاقبة المذمومة في الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المومنون الجنة قوله تعالى **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله بقوله **قل** اي قل يا محمد لهولا الكفار الذين انكروا نبوتك **كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** والمراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والايات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله **ومن عنده علم الكتاب** ايضا يشهد على نبوتك يا محمد واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علما اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله لما يجد من الدلايل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم وقيل انهم مومنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وهو قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جايزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراة من قرا ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراة ابن عباس وغيره على البنا للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القران الذي جيتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه °

° تفسير سورة ابراهيم °

صلى الله عليه وسلم وهي مكية سوى اثنين وهما قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى اخر الايتين وهي احد وقيل اثنان وخمسون اية وثمانماية واحدى وستون كلمة وثلاثة الاف واربعماية وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الر كتاب انزلناه اليك** يعني هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم **لتخرج الناس من الظلمات الى النور** يعني بهذا القران والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدعة كثيرة وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان ليس الا واحد **باذن ربهم** يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم **الى صراط العزيز الحميد** يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد **الله** قرى بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده وقرى بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو قراة الخفض

على التقديم والتاخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض يعني
ملكا وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات
وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في السموات والارض من
عذاب شديد يعني معد لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على
الاخرة يعني يختارون الحياة ويوثرونها على الاخرة ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس
عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل
وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها راجعة الى الدنيا
ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن بجهة الحرام اوليك يعني من هذه صفتهم في
ضلال بعيد يعني عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال يبعد عن
الطريق قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم
اليه قوله تعالى ليبين لهم يعني ما ياتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه
وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون الجمع
قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوث
الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى
الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم
غيرهم من جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه وكانت دعوته ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة
عليهم في ذلك فاذا فهموه وهو نقل عنهم انتشر علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى
ذلك ممن هو من غير العرب واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات
كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهيم فوايده وغوامضه واسراره وعلومه
وجميع حدوده واحكامه وقوله فيضل الله من يشا ويهدي من يشا يعني ان الرسول ليس
عليه الا التبليغ والبيان والله هو الهادي المضل يفعل ما يشا وهو العزيز يعني يغلب ولا
ولا يغلب الحكيم في جميع افعاله قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا المراد بالايات
المعجزات التي جا بها موسى عليه السلام مثل العصى واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات
العظيمة الباهرة ان اخرج قومك من الظلمات الى النور يعني ان اخرج قومك بالدعوة من
ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام الله قال ابن عباس وابي بن كعب ومجاهد
وقتادة يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام
العرب اي بوقايعهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة والنقمة فاختبر بذكر الايام
عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد
والوعيد فالترغيب في الوعد ان يذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن امن بالرسل فيما مضى
من الايام والترهيب في الوعيد ان يذكرهم باس الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله

وقيل

وقيل بايام الله في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلا حين كانوا تحت ايدي القبط يسومونهم سو
العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار
الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكافة
لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولان
الانتفاع بالايات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة واذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم لما امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه ايام الله امتثل
ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعام الله عليكم
في ذلك الوقت الذي انجاكم فيه من ال فرعون يسومونكم سو العذاب ويذبحون ابناكم فان قلت قال في
سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو وفي الغرق قلت انما حذفت الواو في سورة
البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سو العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول اتاني
القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان ال فرعون كانوا يعذبونهم
بانواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله يسومونكم سو العذاب ويذبحون نوع اخر من العذاب
لا انه تفسير العذاب ويستحيون نساكم يعني يتركوهن احيا وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم فان قلت كيف كان
فعل ال فرعون بلا من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا كان ذلك بلا من الله وفيه وجه اخر وهو ان
ذلك اشارة الى الانجا وهو بلا عظيم لان البلا يكون ابتلا بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان
تذبيح الابنا فيه بلا فكيف يكون استحيا النسا بلا قلت كانوا يستحيونهن ويتركوهن تحت ايديهم كالاما
فكان ذلك بلا واذ تاذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا
حين تاذن ومعنى تاذن اذن اي اعلم ولا بد في تفعل زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذن ربكم ايذانا
بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لين شكرتم يا بني اسرايل ما خولتكم
من نعمة الانجا وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم
ما اتيتكم قيل شكر الموجود وصيد المفقود وقيل لين شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور
النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وها هنا
دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة اقسام نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله وكرمه واحسانه اليه
اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك يتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف اعلا
منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسال الله القيام بواجب
شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرامة احسانه وانعامه وقوله ولين كفرتم المراد من الكفر ها هنا كفران
النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ان عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها وقال
موسى ان تكفروا يعني انتم يا بني اسرايل ومن في الارض جميعا يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على
انفسكم وحرمتموها الخير كله فان الله لغني يعني عن جميع خلقه حميد اي محمود في جميع افعاله لانه فيها متفضل
وعادل الم ياتكم نبا يعني خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا
خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون
خطابا من الله على لسان موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام ان يذكرهم لمثل امر القرون الماضية

والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم والذين من بعدهم يعني من بعد هولا
الامم الثلاثة لا يعلمهم الا الله يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعدده الا الله لان علمه محيط بكل شي الا يعلم من
خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله هم اقوام وامم ما بلغنا اخبارهم اصلا ومنه قوله
وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون
علم النسب الى ادم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان
ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى ادم لانه
لا يعلم اولئك الاباء الا الله وقوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات فردوا ايديهم في افواههم وفي معنى الايدي والافواه قولان احدهما ان المراد بهما هاتان
الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا على ايديهم غيظا وقال ابن عباس
لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما
جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني
انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم على افواه الرسل
يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك
ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد الافواه غير الجارحتين فقيل
المراد بالايدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد اي نعمة والمراد بالافواه
تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق
ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد
اجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على رسلهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به يعني انا كفرنا بما زعمتم ان
الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لانهم لو اقروا بان الرسل ارسلوا عليهم لكانوا مؤمنين وانا
لفي شك مما تدعوننا اليه مريب يعني موجب للريبة او موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان
لا يطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي
شك والشك دون الكفر او داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب لهم
الشك فقالوا ان لم يدع الجزم في كفرنا فلا اقل من ان يكون شاكين مرتابين في ذلك قالت رسلهم يعني مجيبين
لاممهم افي الله شك يعني هل يشكون في الله وهو استفهام انكاري ونفي ما اعتقدوه فاطر السموات والارض
يعني وهل يشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم
ذنوبكم اذا امنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبين
الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الى حين انقضاء اجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب
قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا يعبدونها
فاتونا بسلطان مبين يعني بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني ان
الكفار لما قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم فنحن بشر مثلكم
لا ننكر ذلك ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا
المنصب العظيم الشريف وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله يعني وليس لنا مما خصنا الله به

من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان ناتيكم باية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في دفع شرور اعدائهم عنهم وما لنا ان لا نتوكل على الله يعني ان
الانبيا قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شي الا بقضا الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شرور
عنا وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد ولنصبرن لام القسم تقديره والله
لنصبرن على ما اذيتمونا يعني به من قول او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر
بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة استحداث التوكل والتوكل الثاني
فيه اشارة الى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على
ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام
العرب وفيه وجه اخر وهو ان الانبيا عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم
اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع
الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشاوا على التوحيد لا يعرفون غيره او لتعودن فاوحى اليهم ربهم
يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين يعني
ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الارض من بعدهم يعني من بعد هلاكهم ذلك يعني
ذلك الاسكان لمن خاف مقامي يعني خاف قيامه بين يدي يوم القيمة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان
العرب قد تضيف افعالها الى نفسها كقولهم ندمت على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله وخاف
وعيد اي وخاف عقابي قوله عز وجل واستفتحوا يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الامم وذلك
انهم قالوا اللهم ان كان هولا الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم
وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب وخاب يعني وخسر
وقيل هلك كل جبار عنيد والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعا منزلة عالية لا يستحقها
وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر
على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل
هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يابى ان يقول لا اله الا الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد
الذي يعاند ويخالف من ورائه جهنم يعني من امامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد
يعني انه يقال ورا بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سياتيك
ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب اهل النار
وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله يتجرعه اي يتحساه ويشربه
لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه
يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين كاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه
وقال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم
ولا يكاد يسيغه بعد ابطا لان العرب تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطا فعلى هذا كاد على اصلها وليس
بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن ابي امامة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه -
فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت
مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة راسه اي جلدة راسه شبهها بالفروة
للشعر الذي عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت يعني ان الكافر يجد الم الموت
وشدته من كل مكان من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت شعرة من جسده وقيل ياتيه الموت من
قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج يعلق
نفسه عند حنجرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا يرجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة ومن ورائه يعني
امامه عذاب غليظ اي شديد وقيل هو الخلود في النار قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف هذا كلام مستانف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه
تقديره فيما يقص او يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها عجب وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقال الفراء مثل اعمال
الذين كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى
صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف
وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم يبق منه شيا في
يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد
وحار وليلة ماطرة لان الحر والبرد والمطر يوجد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه
قد تقدم ذكرها وهو مثل ضربه الله لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل
وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف يطير الرماد ويذهب به ويفرق اجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء
وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال
ما هي فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير واقراء الضيف
وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع بها
صاحبها يوم القيمة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام
التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم تعبوا بها في الدهر الطويل
لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها
غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى
لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا على شيء يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم في
الاخرة ذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك هو الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى
عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعني لم يخلقها باطلا
ولا عبثا وانما خلقها لامر عظيم وغرض صحيح ان يشا يذهبكم يعني ايها الناس ويأت بخلق جديد يعني
سواكم اطوع لله منكم والمعنى الذي قدر على خلق السموات والارض فانه يقدر على افنائكم واماتتكم وايجاد
خلق اخر سواكم كان الاولى له ان القادر لا يصعب عليه شيء فقيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر
الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز يعني بممتنع لان الاشياء كلها

سهلة

سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا يعني وخرجوا من قبورهم الى الله
ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضا وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله
والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضا ومن برز حصل في البراز الى واورد بلفظ الماضي وان
كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كان قد حصل ودخل
في الوجود فقال الضعفا يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة الرؤسا انا كنا لكم تبعا يعني
في الدين والاعتقاد فهل انتم يعني في هذا اليوم مغنون عنا يعني دافعون عنا من عذاب الله
من شيء من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا قالوا
يعني الرؤسا والقادة والمتبوعين للتابعين لو هدانا الله لهديناكم يعني لو ارشدنا الله لارشدناكم
ودعوناكم الى الهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يعني
مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه
ما لنا من محيص يعني من مهرب ولا منجاه عما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم
الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي
بلغني ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت
الخزنة ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض
علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة
مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما
صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا فطال صبرهم فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك
قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قوله تعالى وقال الشيطان يعني ابليس لما قضي
الامر يعني فرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه
فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر
الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق فيه اضمار تقديره وصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعني الوعد
وقيل القول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل
لم اتكم بحجة فيما وعدتكم به الا ان دعوتكم قال هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم
الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة
فكان اللوم بكم اولى باجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم وما
انتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما اشركتمون من قبل يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا
له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك
ان الظالمين لهم عذاب اليم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتوني فيأذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب ريح شمها احد
حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع

لهم من يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المومنون من يشفع لهم
فقم انت فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم يعظم لجهنم ويقول
عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الاية وقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار لما شرح الله عز وجل حال الكفار الاشقيا بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال
المومنين السعدا وما اعد لهم في الاخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة
دايمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشير اليه بقوله خالدين فيها والتعظيم حاصل من وجهين احدهما
قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله وانعاما الثاني قوله تحيتهم فيها سلام
فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة او الملكة تحييهم بها او الرب سبحانه وتعالى يحييهم
بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الافات لان السلام مشتق من السلامة
قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة لما شرح الله عز وجل احوال الاشقيا
واحوال السعدا ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى الم تر اي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامي
اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان
يكون الخطاب لكل فرد من الناس فتكون المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبها
والمثل عبارة عن قول في شي يشبه قولا في شي اخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما من الاخر ويتصوره
وقيل هو على قول ساير ليشبه به شي بشي اخر كلمة طيبة هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجمهور
المفسرين كشجرة طيبة يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد
وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة تشبه
الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا توتي اكلها كل حين قال ابن عمر وقع في نفسي انها النخلة
ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي
النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك ان تتكلم
قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيا فقال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا وفي
رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي
قال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة
وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية اخرى انها المومن وقوله اصلها ثابت يعني في
الارض وفرعها يعني اعلاها في السما يعني ذاهبة في السما توتي اكلها يعني ثمرها كل حين باذن ربها
يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا فقال
مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة
والحسن ستة اشهر يعني من وقت طلعها الى حين صرامها روى ذلك عن ابن عباس ايضا وقال
علي بن ابي طالب ثمانية اشهر يعني ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من
حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت يوكل منها الى صرامها
وقال الربيع بن انس كل حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتا
فيوكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمصيف والرطب وبعد ذلك يوكل الثمر اليابس

الى حين

الى حين الطري الرطب باكلها دايم في كل وقت قال العلما ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي
كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب
المومنين كثبوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المومن الى
السما كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه النخلة عال
في السما الوجه الثالث ان ثمرة هذه النخلة تاتي في كل حين ووقت وكذلك ما ينشيه المومن
من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمومن كلما قال لا اله الا الله صعدت
الى السما وجا بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في
غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة ادم وانها اذا قطع راسها تموت كالادمي بخلاف ساير
الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في
تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجرة على الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشيا
عرق راسخ واصل قايم وفرع قايم ولذلك لا يتم الايمان الا بثلاثة اشيا تصديق بالقلب وقول
باللسان وعمل بالابدان وقوله ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب
الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني وتذكير ومواعظ لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى ومثل
كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن
ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انه الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له
اصل ثابت ولا يصعد الى السما اجتثت يعني استوصلت وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار
يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السما
كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه
تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب
فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما توتي اكلها كل حين باذن ربها قال
هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظل اخرجه
الترمذي مرفوعا موقوفا وقال الموقوف اصح قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
لما وصف الله الكلمة الطيبة في الاية المتقدمة فاخبر في هذه الاية انه يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور
المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الاية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الاية ويضل الله
الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قال جميع المفسرين وقوله في الحياة الدنيا يعني في
القبر عند السوال وفي الاخرة يعني يوم القيمة عند البعث والحساب والقول الاول الذي عليه
الجمهور واضح ويدل عليه ما روي عن البرا بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم
اخرجه البخاري ومسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره
وتولى وذهب عنه اصحابه انه يسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر
الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال
قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر والمنافق وفي رواية واما الكافر
والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة
من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم معناه زاد في
رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس وهذا
لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد
فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسال
عن شي بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان لك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا
في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره
اتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت تعبد فيقول ما ادري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت
تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة
يسمعها الخلق غير الثقلين واخرجه النسائي ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قبر الميت او قال اذا اقبر احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر
النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب
اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا
فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التامي عليه فتلتيم عليه فتختلف
اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البرا بن عازب
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد
بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما على روسنا الطير وبيده عود ينكت
به في الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في
رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك
ومن نبيك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان وما دينك
فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما
يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فافرشوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان الكافر
فذكر موته قال فتعاد روحه الى جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا ادري
فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه
لا ادري فينادي مناد من السما ان كذب عبدي فافرشوا من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له اعمى

ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب
الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت فانه الان يسال اخرجه
ابو داود وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلا وحول
وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا
فاقبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله
وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري
قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا ارجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة
فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على
على الشهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها في قلبه
اعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده
ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكونه فلعل الله عز وجل ان يرزقه بركة مواظبته على شهادة الاخلاص
التثبت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الاخرة نسال الله التثبت في القبر
وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شي قدير وقوله تعالى ويضل الله
الظالمين يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشا يعني من
التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسال عما يفعل وهم
يسالون قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
قال هم كفار اهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار
البوار قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فقد متعوا
الى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله
اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة
الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة
اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر واحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني
دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى جهنم يصلونها وبيس القرار يعني المستقر وجعلوا لله اندادا يعني امثالا
واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبه والمثل علوا كبيرا ليضلوا
عن سبيله يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق قل تمتعوا اي قل يا محمد لهولا الكفار تمتعوا في الدنيا
اياما قلايل فان مصيركم الى النار يعني في الاخرة قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة يعني
اقيموا او ليقيموا الصلاة يعني الواجبة واقامتها اتمام اركانها وينفقوا مما رزقناهم قيل اراد بهذا الانفاق
اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لان يدخل
فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقوا اموالهم في حال السر وحال العلانية
وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه قال ابو
عبيدة البيع هاهنا الفدا يعني لا فدا في ذلك اليوم ولا خلال يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون بين

اشيئ وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا اشرا ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها او يعاقب عليها
فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الاية وفي الاية التي في سورة البقرة واثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين قلت الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والاية الدالة
على حصول الخلة واثباتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن
غيرهم وقيل ان يوم القيمة احوال مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلا بعضهم
على بعض اذا كانت تلك المخالة لله في محبته قوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما
ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه تقدم تفسير هذه الاية في مواضع كثيرة ونذكر ها هنا بعض فوايد
هذه الاية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شي اراده بقوله الله الذي خلق السموات
والارض انما بدا بذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق
القادر المختار وانزل من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع
وقيل المطر ينزل من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الما من الثمرات رزقا
لكم الثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه
يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بامره لما ذكر الله انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع بهما ذكر نعمته على عباده
بتسخير السفن الجارية على الما لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد
الى بلد اخرى فهي من تمام نعمة الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شيتم ولما كان
ما البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير
العيون لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الداب
العادة المستمرة دايما على حالة واحدة وداب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر
يجريان دايبين فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضا عمر الدنيا وذهابها قال
ابن عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدابان في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة
الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان
الليل وبه يعرف انقضا الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم الليل
والنهار يعني يتعاقبان في الضيا والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده ٥
وتسخيره لهم واتاكم من كل ما سالتموه لما ذكر الله الانعام العظيمة التي انعم بها على عباده وسخرها لهم
بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطا عباده من المنافع والمرادات ما لا ياتي على بعضها
العد والحصر والمعنى واتاكم من كل شي سالتموه شيا فحذف الشي الثاني اكتفا بدلالة الكلام على التبعيض
وقيل هو على التكثير يعني واتاكم من كل شي سالتموه وما لم تسالوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها ان الانسان
قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم
لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود
لنعم الله عليه وقيل ظلوم للنعمة باغفال شكرها كفار رشديد الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة يشكوا
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني ذا امن يومن

فيه

فيه داره البلد مكة فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت
الفرق بينهما انه سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي تامن اهلها فيها ولا يخافون وسال في الثاني
ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت قد يوجه على هذه الاية
اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة امنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا
عليها واخافوا اهلها الوجه الثاني ان الانبيا عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان
كذلك فما الفايدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم سال ربه ايضا ان يجنب بنيه
عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم
عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما
ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بنا الكعبة دعا بهذا الدعا والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا
موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب مكة واورد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه في الصحيحين واجيب
عنه بان قوله اجعل هذا البلد امنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة
ذو السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل اهل هذا البلد امنين
وهذا الوجه عليه اكثر العلما من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم
كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة امنين من ذلك حتى ان من التجا الى مكة امن
على نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم استانست لعلمها
انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني
من وجوه ايضا الوجه الاول ان دعا ابراهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين
لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام
الا انه ذكر هذا الدعا هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله ورحمته وان احدا لا
يقدر على نفع نفسه بشي لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعا واما دعاوه لبنيه
وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه
ولم يعبد احد منهم صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعا ولا
شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان يدعو له
فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعا لهم لان دعا الانبيا مستجاب وقد كان من نسله من عبد الصنم
فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعا من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمومنين من اولاده
والدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله
اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى رب انهن يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان
الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيا حتى يضل من عبادها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف
اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني فانه مني يعني المذنبين بذ
المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر ٥ اذا حاولت في اسد فجورا ٥ فاني لست منك ولست مني ٥ اراد
ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي في القرب والاختصاص ومن عصاني

يعني في غير الدين **فانك غفور رحيم** قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن
عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح ابو بكر الانباري هذا فقال ومن عصاني تخالفني في بعض
الشرايع وعقد التوحيد فانك غفور رحيم ان شيت ان يغفر له غفرته اذا كان مسلما وذكر وجهين اخرين
احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهذا يقرر ان ذلك غير محظور فلما عرف
انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك
قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا
عن ابراهيم **ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** عن ابن عباس قالوا
اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتخفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم
وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة
يومئذ احد وليس لهما ما يوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا
فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت
ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم
ثم دعا بهولا الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون
وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا ما نفد ما في السقا عطشت وعطش
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب
جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت حتى اذا
بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة
فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم فكذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها
ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث
بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها
وهي تفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله
ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها
فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله
وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله وكانت كذلك
حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا
عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا
هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم
ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي
تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم
العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعد
ما تزوج اسمعيل يطالع تركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة
واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام

بواد

بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل ابا قبيس وجبل اجياد ومكة واد بين عند بيتك
المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لانه محرم على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض
له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي
محرما لان الزايرين له يحرمون على انفسهم اشيا كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة
ومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك
قلت يحتمل ان الله عز وجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان انه سيعمره
فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك انه سيحدث
ربنا ليقيموا الصلاة اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت بمعنى اسكنت قوما من ذريتي وهم اسمعيل واولاده
بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا اي لاجل ان يقيموا او لكي يقيموا الصلاة **فاجعل افئدة من الناس** قال
البغوي **تهوي اليهم** اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي افئدة من
الناس اي قلوب جماعة من الناس فجعله جمع فواد وقال ابن الانباري وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب
القلب من الفواد فجعل القلب والفواد جارحتين وقال الجوهري الفواد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة
واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال افئدة الناس لازدحم فارس والروم والترك
والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال
الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفرا تهوي اليهم تريدهم كما تقول رايت رجلا
يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي اليهم تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل
هذا قول اللغة في هذا الحرف واما اقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة
تنزع اليهم وفي هذا اشارة الى حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعا للمومنين بان يرزقهم
حج البيت ودعا لسكان مكة من ذريته لانهم ينتفعون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم
عليه السلام في هذا الدعا من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته **وارزقهم من الثمرات** يعني كما رزقت
سكان القرى ذوات الما والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون
المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شي وقوله **لعلهم يشكرون**
يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على
ان تحصيل منافع الدنيا هي ليستعين بها على ادا العبادات واقامة الطاعات **ربنا انك تعلم ما نخفي وما
نعلن** يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا
وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعا والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك
وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وامه حيث
اسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكا وقيل ما نخفي من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني
ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حيث قالت لابراهيم الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا
وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما قيل هذا من تتمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو
عالم الغيب من شي في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك
يفعلون **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق** قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع
وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن ماية واثني عشر سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن

مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من اعظم المنن لان سن اليأس
من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت
كيف جمع بين اسحق واسمعيل في الدعا في وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل
ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعا عند ما بشر باسحق وذلك انه لما عظمت المنة عليه بهبة
ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا
ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وامه لان الذي صح في الحديث انه دعا بقوله رب
اني اسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق في وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعا كان ابراهيم عليه السلام قد
دعا ربه وسال الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سال شكر الله تعالى
على ما اكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع
الدعا يقال سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله رب اجعلني مقيم الصلاة يعني ممن يتم
الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل
لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار
لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي واراد بهم المؤمنين من ذريته ربنا وتقبل دعاء فسال ابراهيم
عليه السلام ربه ان يتقبل دعاه فاستجاب الله تعالى لابراهيم وقبل دعاه بفضله ومنه وكرمه ربنا اغفر لي
فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب وقد ثبت
عصمة الانبيا من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجا الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع
من كل شي الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف
استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان تبين له انهما
من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه ادم وحوى وللمؤمنين اي واغفر للمؤمنين
كلهم يوم يقوم الحساب يعني يوم يبدوا ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى
بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعا للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعا خليله ابراهيم
ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة
معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ
والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود منه انه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه
وعيد وتهديد للظالم واعلام له بانه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه قال
سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف
يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون قلت ان كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله
يا ايها الذين امنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الاعلام
بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى
ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على

القطمير

القطمير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس
غير عارفين بصفات الله فمن جواز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا يطرقهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة
من هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة مسرعين وهذا قول ابي عبيدة فعلى هذا المعنى ان
الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف فانه يبقى واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه
الاية ان احوال اهل الموقف بخلاف الحال المعتاد فاخبر انهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني
مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت مقنعي روسهم والاقناع رفع الراس الى فوق
فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا روسهم الى السما وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلا فانه يطرق
ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيمة الى السما لا ينظر احد الى احد وهو قوله لا يرتد
اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم
وافئدتهم هوا اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم
ولا تعود الى اماكنها ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعي شيا ولا تعقل من شدة الخوف وقال
سعيد بن جبير وافئدتهم هوا اي مترددة عن اماكنها والابصار شاخصة والروس مرفوعة الى السما من
هول ذلك اليوم وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيمة وهو قوله يوم ياتيهم
العذاب فيقول الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا
مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا به فينفعهم ذلك وهو قوله نجب دعوتك
ونتبع الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها
من انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من
كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا
اياهم وضربنا لكم الامثال يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القران ليتدبروها ويعتبروا انها فحت
على من تشا هذا احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف اهلكوا ان يعتبر
بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير الى من
يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان
الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى
الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس
يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك وعند الله مكرهم يعني جزا مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله
ليجازيهم به يوم القيمة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني وان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال
وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكى علي بن
ابي طالب في الاية قولا اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله
ابراهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة فرخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبر
واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات اربع في اطراف
التابوت وجعل على روس الخشبات لحما احمر وقعد في التابوت واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في
اطراف التابوت من اسفل فجعلت النسور كلما رات اللحم طرن اليه فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهوا

فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السما هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السما كهيئتها
فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان
قال فطارت النسور يوما وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح
الباب الاعلى ففعل فاذا السما كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سودا مظلمة فنودي ايها الطاغية
اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم
فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهوا وقيل طاير اصابه السهم فلما رجع اليه
السهم ملطخا قال كفيت الىه السما ثم امر نمرود صاحبه ان يضرب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت
النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث حادث من
السما وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال استبعد بعض العلما هذه الحكاية وقال لان الخطر فيه عظيم وما يكاد عاقل ان يقدم على مثل
هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة فلا
تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلا
الكلمة واعلا الدين فانه ناصر رسله واولياه ومهلك اعداه وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن
الله مخلف رسله وعده ان الله عزيز اي غالب ذو انتقام يعني من اعدايه قوله عز وجل يوم تبدل
الارض غير الارض والسموا ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما انه تبدل صفة الارض
والسموا لا ذاتها فاما تبديل الارض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقا ذاتها وهو ان تدكدك جبالها وتسوى
وهادها واوديتها وتذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السما فهو ان تتغير كواكبها وتطمس شمسها
وقمرها وتكوران وكونها مارة كالدهان وتارة كالمهل ولهذا القول قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على
ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفرا بالعين المهملة وهي البيضا
الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهي الخبز البيض من الحنطة الفايق المايل الى حمرة كان النار ميلته ببياض وجهه
الى الحمرة وقوله ليس علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع ما بها فلا
يبقى فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما وهذا قول جماعة من العلما
ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة
بيضا نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة
والسما من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسما جنانا وقال ابو هريرة
وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا ياكل المومن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيمة خبزة واحدة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفى
احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح
هذا الحديث اما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة
فبضم الخا قال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها بالهمز بيده اي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع
وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع
باستحالة الجارحة ليس كمثله شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او كالرغيف العظيم ويكون

طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين
قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل
اولا صفتها مع بقا ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها
بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموا فاين تكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على
الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس
يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على
ان تبديل الارض ثاني مرة تكون بعد الحساب والله اعلم بمراده وقوله تعالى وبرزوا يعني وخرجوا من قبورهم
لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب الواحد القهار صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني
له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل
ما يشا ويحكم ما يريد قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت
الشي بالشي اذا شددته معه في رباط واحد في الاصفاد يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل
كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد يقرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن
قتيبة يقرن بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس من قطران القطران
دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت يدهن به الابل اذا اجربت وهو الهنا يقال هنات
البعير اهنوه بالهنا وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار
في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب من
قطران على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والان الذي انتهى حره وتغشى وجوههم النار يعني يعلوها
وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده
يوم القيمة هذا بلاغ للناس يعني هذا القران فيه تبليغ وموعظة للناس ولينذروا به يعني
وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني وليستدلوا
بهذه الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب يعني وليتعظ بهذا القران
ونحوه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم
بمراده واسرار كتابه .

تفسير سورة الحجر مكية

باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستماية واربع وخمسون كلمة والفان وسبعماية وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة من الايات والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذي وعد الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم ويتلو القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات ذلك الكتاب الكامل
في كونه كتابا وفي كونه قرانا واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل
اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا
القول ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القران
وانما جمع بينهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفايدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين
الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما قري بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب

للتقليل وكم للتكثير وإنما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وإن شئت جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب يود الذين كفروا وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا لأن التمني تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين على قولين أحدهما أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر أنه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني أن هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيمة وشدائده وما يصيرون إليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج إن الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل إذا رأى الكافر أن الله يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال وإليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأنس ابن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم يعني النخعي فإن قلت رب إنما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيمة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره إن هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل إن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم فإن قلت رب لا تدخل إلا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كأنه قال ربما ود قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها ويلههم الأمل يعني ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والأخذ بطاعة الله تعالى فسوف يعلمون يعني إذا وردوا القيمة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على أن إيثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وما أهلكنا من قرية يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال إلا ولها كتاب معلوم أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من أمة أجلها من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد يعني أحدا

وقيل

وقيل على أصلها لأنها تفيد التبعيض إلى هذا الحكم فيكون ذلك في إفادة عموم النفي آكد ومعنى الآية أن الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله وما يستأخرون وإنما دخل الهاء في أجلها لإرادة الأمة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لإرادة الرجال قوله عز وجل وقالوا يعني مشركي مكة يا أيها الذي نزل عليه الذكر يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم إنك لمجنون إنما نسبوه إلى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا أن ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه إلى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه إنك لمجنون في ادعائك الرسالة لو ما قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا تأتينا بالملائكة يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا إن كنت من الصادقين يعني في ادعائك الرسالة ما ننزل الملائكة إلا بالحق يعني بالعذاب وقت الموت وهو قوله وما كانوا إذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة إليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الملائكة عيانا فأجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال إن لم يؤمنوا ويصدقوا إنا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل أنه هو الذي أنزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وإنا له لحافظون الضمير في قوله له يرجع إلى الذكر يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف والقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الأبد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول أن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية إليه لكونه أمرا معلوما إلا أن القول الأول أصح وأشهر وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية إلى أقرب مذكور أولى وهو الذكر وإذا قلت إن الكناية عائدة إلى القرآن وهو الأصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا باينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لأنه لو زادوا فيه أو النقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك المراد ليس بقرآن وقال آخرون إن الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن إبطاله وإفساده بوجه من الوجوه فقيض له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه إلى آخر الدهر لأن دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على إبطاله وإفساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين الحجر كفار مكة على

وسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساوا الادب عليه
فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع انبيايهم كذلك
تلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبيا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية
محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة ارسلنا عليه وقوله
تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة
الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينتشرون عنه فقوله في شيع الاولين من باب اضافة
الصفة الى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين السلوك النفاذ في الطريق والسلك
ادخال الشي في الشي كادخال الخيط في المخيط ومعنى الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزا في قلوب
شيع الاولين كذلك نسلكه اي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي قومك وفيه رد على القدرية والمعتزلة
وفيه ابين اية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعانده قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله تعالى
الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن امن بالقران فليستحسنه وقال الامام فخر
الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة
لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان الضمير عايدا اليه واجيب عنه بانه تعالى
قال وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فالضمير في قوله كذلك نسلكه عايد اليه والاستهزا
بالانبيا كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي الكفر والضلال
والله اعلم وقوله تعالى لا يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران وقد خلت سنة
الاولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل لهم مثل ما انزل بالامم الماضية المكذبة للرسل
والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم
مثل ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هولا
الذين قالوا لو ما تاتينا بالملايكة بابا من السما فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار وكما يقال
بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي
المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملايكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى
لو كشف عن ابصار هولا الكفار فراوا بابا في السما مفتوحا والملايكة تصعد فيه لما امنوا والقول
الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون
في ملكوت السموات وما فيها من الملايكة لما امنوا لفسادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى لقالوا
انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سكرت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل
هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران
من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واهل اللغة
يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا
سحره وحاصل الاية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملايكة عيانا
عيانا ويشهدوه فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا انا سحر
لما سبق لهم في الازل من الشقاوة وقوله عز وجل ولقد جعلنا في السما بروجا يعني البروج التي تنزلها
الشمس والقمر واحدها برج وهي بروج الفلك الاثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان

والاسد

والاسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج
مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم تلك منازل
القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثماية وستين درجة لكل برج
منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في
ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال
عطية هي قصور في السما عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال ابو
اسحق يريدون نجوم هذه وهي نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور وزيناها
يعني السما بالشمس والقمر والنجوم للناظرين يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها
وهو الله الذي اوجد كل شي وخلقه وصوره وحفظناها يعني السما من كل شيطان رجيم اي مرجوم
قيل يعني مقتول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن
السموات وكانوا يدخلونها وياتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق
السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض
حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا هذا والله حدث
الا من استرق السمع هذا استثنا منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اي لحقه شهاب مبين
والشهاب شعلة من نار ساطع ثم سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار
قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين تركب
بعضهم بعضا الى السما يسترقون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب فلا تخطي ابدا فمنهم
من تقتله ومنهم من تحرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشا الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل
الناس في البوادي خ عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السما
ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع
هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى
من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل
ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا كذا وكذا
فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما فصل اختلف العلما هل كانت الشياطين
ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انه لم تكن ترمى بالنجوم
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا
الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي
ان يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من
ثقيف وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما

حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى
بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي ترمى بها
فهي والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها
فهذا الامر اراده الله بهذا الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله
عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرها ذكر
الكواكب المنقضة فلما حدث بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال
ذو الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب والقول الثاني ان ذلك كان موجودا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان
يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت
وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن
عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينا هم جلوس ليلة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد
الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى بها لموت
احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين
يلونهم حتى تبلغ التسبيح الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا
قال ربكم فيخبرونه بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف
الجن السمع فيقذفون الى اوليائهم ويرمون فما جاؤوا به على وجهه فهو الحق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون
اخرجه مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحين اشد بعد مبعثه قال
وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي خازم وهو جاهلي

والعير يرهقها الغبار وجحشها ٭ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه ٭ نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما
بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله اعلم قوله تعالى
والارض مددناها يعني بسطناها على وجه الماء يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم
بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها
خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة
اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة
واهاجرة اجاب اصحاب التفسير بان الله اخبر في كتابه انها ممدودة وانها مبسوطة ولو
كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم بمراده وكيف هي الارض والقينا فيها رواسي يعني جبالا
ثوابت وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض على الماء رجفت فاثبتها بالجبال وانبتنا فيها
اي في الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها

اقرب

اقرب مذكور لقوله من كل شيء موزون وانما يوزن ما يتولد في الجبال من المعادن من
كل شيء موزون قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور
فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس
في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء
الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة
والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن
وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والتشكل يقول العرب فلان موزون الحركات
اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا
والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما استخرج من المعادن وجميع
ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان
الصاع والمد مقدران بالوزن وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وسوما يعيش به
الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك ومن لستم له
برازقين يعني الدواب والوحش والطير انتم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق
على الله ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من قوله ومن لستم بمعنى
ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله فمنهم من
يمشي على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فيكون من على اصلها ويدخل معهم من لا يعقل من
الدواب والوحش وان من شيء الا عندنا خزائنه الخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد
بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني ادم والدواب والوحوش والطير ومعنى عندنا
انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية وقيل ان
لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث
يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر
قوما ويحرم اخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد الله بقوم
سوءا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى
جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر وهو
تاويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وارسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني للشجر وهو
قول الحسن وقتادة واهل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الماء فحملت فكذلك
الرياح كالفحل للسحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يرسل الله
الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فيدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير
يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير سحابا ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب
بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية القاحها السحاب
لقوله فانزلنا من السماء قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها

فالصبا يهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب يدره من والدبور يفرقه وقال ابو عبيد
لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذف الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان
يقال لها لواقح وان الحقت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن اي ذو وزن
واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بمعنى لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح
حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشي لان اللاقح هو المنسوب
الى اللقحة ومن افاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات اي ذات
لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب في الدليل وعليه قوله حتى اذا اقلت
سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حامل تحمل السحاب قال الزجاج يجوز
ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات بخير ورد في بعض الاخبار ان
لقح الرياح الجنوب وفي بعض الاثار ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غزقه عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها
وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به وروى
البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه
وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح
العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى فانزلنا
من السما ما يعني المطر فاسقيناكموه يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقا فلان فلانا
اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ما ولبنا اذا
كان يسقيه فاذا جعلوا له ما لشرب رضه او ماشيته تقول اسقيته وما انتم يعني المطر
بخازنين يعني ان المطر في خزاينا لا في خزاينكم وقيل وما انتم له بمانعين وانا لنحن نحيي ونميت
يعني بيدنا احيا الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا
لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ونحن الوارثون وذلك بان يميت جميع الخلق
فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد
ذهاب غيره والله تعالى هو الباقي بعد فنا خلقه الذين امتعهم بما اتاهم في الحياة الدنيا لان
وجود الخلق وما اتاهم كان ابتداوه منه تعالى فاذا فني جميع الخلايق رجع الذين كانوا يملكونه
في الدنيا لكن المجازي الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه قوله عز وجل
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين عن ابن عباس قال كانت امراة تصلي
خلف النبي صلى الله عليه وسلم حسنا من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون
في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه
فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين اخرجه النسائي واخرجه الترمذي
وقال فيه وقد روي عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح قال
البغوي وذلك ان النسا كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه

ربية فينا خر الى اخر صف الرجال ومن النسا من في قلبها ريبة فيتقدم الى اول صف النسا لتقرب
من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها
وشرها اخرها وخير صفوف النسا اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن
عباس اراد بالمستقدمين من خلق الله والمستاخرين من يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد
المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون
يعني في الطاعة والخير والمستاخرون المبطئون عنها وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين
في اول الوقت وبالمستاخرين المؤخرين لها الخ وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين
في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا وقال ابن عباس في رواية اخرى
عن ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم
قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت
الاية ومعناها انما يجزون على النيات فاطمانوا واسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم
للتقوى والمتاخر للنظر وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمتاخر للعذر ومعنى الاية
ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شي من احوال
خلقه وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم
الاولين والاخرين على ما ماتوا عليه م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد
على ما مات عليه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني ادم عليه السلام في قول جميع المفسرين
سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي من صلصال يعني
من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس الطين الحر
الطيب الذي اذا نضب عنه الما تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره
الكسائي وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن من حما يعني من الطين الاسود مسنون اي متغير قال
مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال ابو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سببت الما اذا
صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل
على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما اراد خلق ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض
واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم اخذ ذلك التراب بله
بالما وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ذلك الطين
الاسود المتغير صورة[2] الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني
صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا نقر في الشمس ثم نفخ فيه
الروح فكان بشرا سويا والجان خلقناه من قبل يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان
ادم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون
وكافرون وياكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون
ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الادميين
ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين
نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل

[2] صورة صح

اذا استرق الشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المومن ومنهم الكافر **من نار السموم** يعني من
ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فيقتله وقيل للريح الحارة التي تكون بالنهار
السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق
تكون منها وهي نار بين السما والحجاب فاذا احدث امر احرقت الحجاب فهربت الى ما امرت به فالهدة
التي يسمعون خرق ذلك الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار
وقيل نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي
خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملئكة يسمون الجان خلقوا
من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار وخلقت الملئكة من النور قوله
عز وجل **واذ قال ربك للملئكة** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملئكة **اني خالق بشرا** سمي الادمي بشرا لانه
جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد **من صلصال من حما مسنون** تقدم تفسيره **فاذا سويته** يعني
عدلت صورته واتممت خلقه **ونفخت فيه من روحي** النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ
الروح في النشاة الاولى وهو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي واضاف الله عز وجل روح ادم الى نفسه
على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيجي الكلام على الروح
في تفسير سورة سبحان عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شا الله تعالى **فقعوا له ساجدين** الخطاب
للملئكة الذين قال لهم الله اني خالق بشرا امرهم بالسجود لادم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا
السجود سجود تحية لا سجود عبادة **فسجد الملئكة** يعني الذين امروا بالسجود لادم **كلهم اجمعون**
قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملئكة
لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند
هذا بقي احتمال اخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر
ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه
اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا روي عن ابن عباس ان الله تعالى امر جماعة من الملئكة بالسجود
لادم فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا **الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين** يعني مع الملئكة الذين امروا بالسجود لادم **قال** يعني قال الله **يا ابليس
ما لك الا تكون مع الساجدين قال** يعني ابليس **لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما
مسنون** اراد ابليس انه افضل من ادم لان ادم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من
الطين فيكون ابليس في قياسه افضل من ادم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله **قال
فاخرج منها** يعني من الجنة وقيل من السما **فانك رجيم** اي طريد **وان عليك اللعنة الى يوم الدين**
قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما تلعنه اهل الارض فهو ملعون في السموات والارض فان قلت
ان حرف الى لانتها الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيمة قلت لا بل
يزاد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم يزداد بعد
ذلك معها عذابا دايما مستمرا لا انقطاع له **قال رب فانظرني** يعني اخرني **الى يوم يبعثون** يعني
يوم القيمة واراد بهذا السوال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيمة ويوم القيمة
لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سال الانظار الى يوم يبعثون فاجابه

الله

الله تعالى بقوله **قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** يعني الوقت الذي يموت فيه
جميع الخلايق وهي النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعين سنة وهي ما بين النفختين
وقيل لم يكن اجابه الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال له زيادة في بلائه
وشقا به وعذابه وانما سمي يوم القيمة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك لا يعلمه احد الا الله تعالى
فهو معلوم عنده وقيل ان جميع الخلايق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سال ابليس
الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم
الذي عينت وسالت الانظار اليه **قال رب بما اغويتني** البا للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب
القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي **لازينن لهم في الارض** وقيل هي با السبب يعني بسبب
كوني غاويا لازينن لهم في الارض يعني لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك **ولاغوينهم اجمعين** يعني
بالقا الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال
الخلق واغوايهم ثم استثنى فقال **الا عبادك منهم المخلصين** يعني المومنين الذين اخلصوا لك
التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من اخلصته واصطفيته
لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا يعمل فيهم ولا
يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشي خالصا عن شايبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات
فلا يخلو ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او لمجموع الامرين اما ما كان
لله تعالى فهو الخالص المقبول وما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما من كان مراده مجموع
الامرين فان ترجح جانب الله كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الاخر كان من الهالكين
لان المثل يقابل المثل فيبقى القدر الزايد تالي اي الجانبين رجح اخذ به **قال** يعني قال الله تبارك وتعالى
هذا صراط علي مستقيم قال الحسن معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع
الى الله وعليه طريقه لا تعرج على شي وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم
وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي اي
لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عايد
الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والي يودي الى كرامتي ورضواني **ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان** اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس قال لازينن لهم في الارض الا عبادك منهم المخلصين
اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد
من عبيده سوا كان من المخلصين او لم يكن من المخلصين قال اهل المعاني ليس لك سلطان على
قلوبهم وسيل سفيان بن عيينة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان يلقيهم
في ذنب يضيق عنه عفوي وهولا الذين هداهم واجتباهم من عباده **الا من اتبعك
من الغاوين** يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له
فيما يامرهم به **وان جهنم لموعدهم اجمعين** يعني موعد ابليس واشياعه واتباعه **لها** يعني لجهنم
سبعة ابواب يعني سبع طبقات قال علي بن ابي طالب تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى
يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب منهم جزء مقسوم** يعني لكل دركة

قوم يسكنونها والجزء بعض الشي وجراته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يجزى اتباع ابليس بسبعة
اجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فكذلك اختلفت مراتبهم في
النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم
ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابيون وفي الخامسة المجوس
وفي السادسة لاهل الشرك وفي السابعة المنافقين فذلك قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب ان المتقين في
جنات وعيون المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك
والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون
عين الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون وتجرى هذه
العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجرى
في جنانه وقصوره ودوره فينتفع بها ومن يختص به حوره وولدانه ويحتمل انها تجرى من جنات
بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقايل
هو الله تعالى او بعض ملايكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن
جميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحنا والعداوة
والبغضا والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب روى
ان المومنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يومر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من
الغل والغش والحقد والحسد اخوانا يعني في المودة والمحبة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب
على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس
سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعا الى
الجابية متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان
المومن في الجنة اذا اراد ان يلقا اخاه المومن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان
لا يمسهم فيها يعني في الجنة نصب اي تعب ولا اعيا وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من الله
في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقا بلا فنا وكمال بلا نقصان وفوز
بلا حرمان قوله عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل
جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند وان عذابي
هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما
تورع عن حرام ولو علم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين
رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة
ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الاية لطايف منها انه تعالى اضاف
العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه

بالعبودية

بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في
التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخل الالف واللام على قوله الغفور
الرحيم وهذا يدل على جانب تغليب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف
نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة
والرحمة قوله تعالى ونبيهم عن ضيف ابراهيم هذا معطوف على ما قبل اي واخبر يا محمد عبادي
عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك
نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف مصدر وكذلك استوى فيه الواحد
والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملايكة
الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط اذ دخلوا عليه يعني اذ دخل
الاضياف على ابراهيم عليه السلام فقالوا سلاما اي فسلم سلاما قال يعني ابراهيم انا منكم وجلون
اي خايفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم ياكلوا طعامه قالوا لا توجل يعني لا تخف انا نبشرك
بغلام عليم يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرايع والمراد
به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امراته فقال ابشرتموني يعني
بالولد على ان مسني الكبر يعني على حالة الكبر على طريق التعجب فبم تبشرون يعني فباي شي تبشرون
وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر قالوا بشرناك بالحق يعني بالصدق
الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا يكثر ذريته وهو اسحق فلا تكن من القانطين يعني فلا تكن
من الايسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير قال يعني ابراهيم ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون يعني من ييس من رحمة ربه الا المذنبون وفيه دليل على ان ابراهيم لم يكن من القانطين
ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملايكة انه به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان
القانط من رحمة الله حال لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من جهل كون
الله تعالى قادرا على ما يريد وان يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بكل هذه الامور سبب للضلال
قال يعني ابراهيم فما خطبكم يعني فما شانكم وما الامر الذي جيتم به ايها المرسلون والمعنى ما الامر الذي
جيتم به سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملايكة انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني لهلاك
قوم مجرمين الا آل لوط يعني اشياعه واتباعه من اهل دينه انا لمنجوهم اجمعين الا امراته يعني امراة
لوط قدرنا يعني قضينا وانما اسند الملايكة التقدير الى انفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم
بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك انها
لمن الغابرين يعني من الباقين في العذاب والاستثنا من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنى امراة
لوط من الناجين فهي ملحقة بالهالكين فلما جا آل لوط المرسلون وذلك ان الملايكة عليهم السلام لما
بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط قال انكم قوم
منكرون وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه هجما وهم في زي شباب مرد حسان الوجوه
فخاف ان يهجم عليه قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم
قوم منكرون لا اعرفكم ولا اعرف من اي الاقوام انتم ولا لاي غرض دخلتم علي فعند ذلك قالوا يعني

الملئكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه واتيناك
بالحق يعني باليقين الذي لا شك فيه وانا لصادقون يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم فاسر
باهلك بقطع من الليل يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشي بعضه واتبع ادبارهم يعني واتبع
اثار اهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم احد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع
بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات الى من وراه والاهتمام بمن خلفه كما تقول امض
لشانك ولا تعرج على شي وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط وليلا يتخلف احد منهم
فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون وقال ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر
وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة ما عمل
اهلها عمل قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر يعني واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به
على قومه وفرغنا منه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله ان دابر هولا مقطوع مصبحين
يعني ان هولا القوم يستاصلون عن اخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم
اولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشانه وجا اهل المدينة يعني مدينة سدوم وهي مدينة
قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور
وذلك ان الملئكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم في المدينة وقيل ان امراته اخبرتهم بذلك وكانوا شبابا
مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجا قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال يعني
قال لوط لقومه ان هولا ضيفي وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه
يفضحه اذا اظهر من امره ما يلزمه العار بسببه واتقوا الله يعني خافوا الله في امرهم ولا تخزون
يعني ولا تخجلون قالوا يعني قوم لوط الذين جاوا اليه اولم ننهك عن العالمين اولم ننهك عن ان
تضيف احدا من العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغربا الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم
وقيل معناه الستا قد نهيناك ان تكلمنا في احد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة قال يعني قال
لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه هولا بناتي يعني ازوجكموهن ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا
الحرام وقيل ارادوا بالبنات نسا قومه لان النبي كالوالد لامته ان كنتم فاعلين يعني ما امركم به
لعمرك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد قال ابن عباس ما
خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد
وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقايه مدة حياته وقال النحويون ارتفع
لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه انهم لفي سكرتهم
يعني في جنونهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني يترددون يتحيرون وقال قتادة يلعبون فاخذتهم
الصيحة مشرقين يعني اضاءت الشمس فكان ابتدا العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه
حين اشرقت الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل تقدم تفسيره في سورة
هود ان في ذلك يعني الذي نزل بهم من العذاب لايات للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين وقال
قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التاويل ما روي
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله
ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الفراسة بالكسر

اسم

اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين احدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله
في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت
والنوع الثاني يحصل بدلايل التجارب والخلق والاخلاق يعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في
علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم
حتى يعرفوا سمة الشي وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلالة يقول توسمت في فلان كذا اي
عرفت وسم ذلك وسمته وانها يعني قرى لوط لبسبيل مقيم يعني بطريق واحد قال مجاهد بطريق معلم
ليس بخفي ولا زايل والمعنى ان اثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه بسبيل مقيم ثابت لم
يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون اثره ان في ذلك
يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما انزل بهم لاية للمومنين يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله
لظالمين للتاكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم
المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله وقوله تعالى فانتقمنا
منهم يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بانفاسهم وقرب من الهلاك
فبعث الله سحابة كالظلة فالتجاوا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم
جميعا وانهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح مستبين لمن مر
بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يوم
ويتبع ولان المسافر ياتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام واثاره موجودة باقية
يمر عليه ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع
للتعظيم او لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل واتيناهم اياتنا يعني الناقة وولدها والايات التي كانت
في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الايات اليهم
وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الايات فكانوا عنها اي عن الايات معرضين يعني تاركين لها غير
ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين يعني من الخراب وان يقع عليهم الجبل او السقف
فاخذتهم الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من
الشرك والاعمال الخبيثة ق عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار الحق والعدول وبقولك ثياب
المومن المصدق ويعاقب الكافر المكذب وان الساعة لاتية يعني وان القيامة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه
والمسي باساته فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم
عفوا حسنا واحتمل ما يلقى من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ باية القتال وقيل فيه بعد لان الله
تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف
ان ربك هو الخلاق العليم يعني الله تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات

ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت
هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الاية وقال قد اعطيتكم
سبع ايات هي خير من هذه السبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله **لا تمدن عينيك** الاية قال
الحسين بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف اولا يصح ان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير
ليس فيهما من المدني شي ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصح ان يقال سبع قوافل
جات في يوم واحد فيها انواع عظيمة حتى غنا بها المسلمون فانزل الله هذه الاية واخبرهم
بان السبع ايات هي خير من هذه السبع قوافل والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال احدها
انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين
عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية عنه ومجاهد في رواية عنه وعطا وقتادة في اخرين
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله رب العالمين ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي عن
ابي سعيد المعلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
والقران العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية فاتحة الكتاب
بالسبع المثاني لانها سبع ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس
والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرا في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله
نصفين فنصفها الاول ثنا على الله ونصفها الثاني دعا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين الحديث مذكور في فضايل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة كلها مثل قوله
الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط فيل فيه الفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل
لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها
وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب
ثنيت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثنا على الله تعالى وهو حمد الله
وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها افضل
سور القران لان افرادها بالذكر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم مع انها جز من اجزا
القران واحد سوره لا بد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا
من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس في رواية عنه وسعيد
ابن جبير في رواية عنه والسبع الطوال هي سورة البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف
واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بسم الله الرحمن
الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المبين مكان الانجيل واعطاني
مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع
الطوال مثاني لان الفرايض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه
السور الطوال مدنيات غالبها فكيف يمكن ان تفسر هذه الاية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد

بان الله

بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر
كذلك منها بمنتظر الاية بهذه السور القول الثاني ان السبع المثاني هي السور التي دون الطوال
ودون المفصل وهي المبين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول
الرابع ان السبع المثاني هو القران كله وهذا قول طاووس وحجة هذا القول قوله تعالى الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القران كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت
فيه فان قلت كيف يصح عطف القران في قوله والقران العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو
الا عطف الشي على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن
فيطلق عليه القران لان القران اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك
هذا القران يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القران كله كان المعنى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني التي هي القران العظيم وانما سمي القران عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله على
خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله **لا تمدن عينيك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن
عينيك يا محمد **الى ما متعنا به ازواجا منهم** يعني اصنافا يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل
رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القران
العظيم الذي فيه غنى عن كل شي فلا يشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روي ان
سفيان بن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران يعني لم يستغن بالقران
فتاول هذه الاية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشي اذا ادام النظر اليه مستحسنا فيحصل من ذلك
تمني ذلك الشي المستحسن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شي من متاع الدنيا ولا يلتفت
اليه ولا يستحسنه **ولا تحزن عليهم** يعني لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل لا تحزن على
ايمانهم اذا لم يومنوا ففيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا روى البغوي بسنده
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق
بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يموت قال النار **ق** عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من
هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عون بن عبد الله بن عتبة كنت
اصحب الاغنيا فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابته خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا
صحبت الفقرا فاسترحت وقوله تعالى **واخفض جناحك للمومنين** يعني لين جانبك للمومنين وارفق بهم
لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنيا من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقرا المسلمين وغيرهم
من المومنين **وقل** لهم اي وقل لهم يا محمد **اني انا النذير المبين** لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالزهد في الدنيا والتواضع للمومنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني
انا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين بين النذارة **كما انزلنا على المقتسمين** يعني انذركم عذابا كالعذاب
انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد سموا بذلك
لانهم امنوا ببعض القران وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم
اقتسموا سور القران فقال واحد هذه السورة لي وقال اخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزا به

وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة وابن السايب اراد بالمقتسمين كفار قريش قال قتادة سموا بذلك لان اقوامهم تقسمت في القران فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السايب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا اعقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين وقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سالوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاءوا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على انقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاءوا وسالوه بما قالوا اوليك المقتسمين قال صدقوا وقوله تعالى **الذين جعلوا القران عضين** خ عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القران عضين قال هم اليهود والنصارى جزوه اجزاء امنوا ببعضه وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من قولهم عضيت الشي اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم جعلوا القران اعضاء متفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضه وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعني انهم جعلوا القران سحرا **فوربك لنسالنهم اجمعين** اقسم الله بنفسه انه يسال هولاء المقتسمين الذين جعلوا القران عضين **عما كانوا يعملون** يعني عما كانوا يقولونه في القران وعما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسالنهم الى جميع الخلق المومن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب قال ابو العالية يسال العباد عن كلمتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسالنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السوال ضربان سوال استعلام وسوال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يعني سوال استعلام وقوله لنسالنهم اجمعين سوال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو ما روي عن ابن عباس ايضا انه قال في الايتين يوم القيمة يوم طويل فيه مواقف فيسالون في بعض المواقف ولا يسالون في بعضها نظيره قوله هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قوله عز وجل **فاصدع بما تومر** وقال ابن عباس اظهر ويروى عنه ايضا امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي افرق بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه **واعرض عن المشركين** اي اكفف ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزايهم وهو قوله تعالى **انا كفيناك المستهزئين** واكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما للفسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والا التفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك

كما كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من روسا قريش كانوا يستهزءون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود ابن المطلب بن الحرث بن اسد بن العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس ابن عيطلة قال الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزءون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بيس عبد الله فقال قد كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه بردة يمانية وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطاطي راسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر بهم العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة تنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطي على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجليه فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيا وانتفخت رجله حتى صارت مثل رجل البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك واستغاث بغلامه فقال غلامه ما ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله على انه خالي فقال جبريل قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومى جبريل الى راسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقران **الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون** يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد قوله تعالى **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تابى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله **فسبح بحمد ربك** قال ابن عباس فصل بامر ربك **وكن من الساجدين** يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين **روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزنه امر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين السبب في نزول

الحزن عن القلب اذا الى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرف قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا ياسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلما اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة كانه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سوا اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشا **واعبد ربك** في جميع اوقاتك ومدة حياتك **حتى ياتيك اليقين** يعني الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روي البغوي بسنده عن جبير بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان تسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها او قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وذكره البغوي بغير سند والله اعلم

تفسير سورة النحل مكية

الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله تعلمون وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد غيره ثلاث من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي ماية وثمانون وعشرون اية والفان وثمان مائة واربعون كلمة وسبعة الاف وسبعمائة وسبعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **اتى امر الله** يعني جاء ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجي بعد ما اتى ومعنى الاية اتى امر الله وعدا **فلا تستعجلوه** يعني وقوعا والمراد به مجي القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما راوا انه لا ينزل شيا قالوا ما نرى شيا فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزل قوله اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس روسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد **ق** وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا **سبحانه وتعالى عما يشركون** يعني تنزه الله وتعاظم

بالاوصاف

بالاوصاف الحميدة عما يصف به المشركون قوله تعالى **ينزل الملائكة بالروح** يعني بالوحي **من امره** وانما سمي الوحي روحا لانه يحيي به القلوب من الجهالات وقال عطا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة والروح هو جبريل والبا بمعنى مع تنزل الملائكة مع الروح وهو جبريل **على من يشا من عباده** يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق **ان انذروا** يعني بان اعلموا **انه لا اله الا انا فاتقون** اي فخافون وقيل معناه مروهم بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقران **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون** تقدم تفسيره **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة فيه فنزلت فيه هذه الاية نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الاية ونزل فيه ايضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الاية عامة في كل ما يقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة فذر فصار رجلا اكبر الخصومة وفيها كشف قبح ما فعله الكفار من جحدهم نعمة الله مع ظهورها عليهم قوله عز وجل **والانعام خلقها** لما ذكر الله عز وجل خلق السموات والارض ثم اتبعه بخلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا فقال تعالى **لكم فيها دف** فقال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال لكم فيها دف قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدا بقوله لكم فيها دف والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دف وهو ما يستدفا به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم **ومنافع** يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام **ومنها تاكلون** يعني من لحومها فان قلت قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب واكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى **ولكم فيها** يعني في الانعام **جمال** اي زينة **حين تريحون وحين تسرحون** الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما تكون هذه الاراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت سمع للابل رغا وللشا ثغا تجاوب بعضها بعضا فعند ذلك

يفرح اربابها بها وتتجمل بها الافنية والبيوت وتعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من الرعي ملأ البطون حافلة الضرع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج اليه من آلة السفر الى بلد يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه يعني من بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤف يعني بخلقه حيث خولهم هذه المنافع رحيم يعني بهم قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنسا وزينة يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر فلم يذكر الله علمنا تحريم اكله ولان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من ابلح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتهما مختصة بذلك وانما خص هذان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير اخذنا به جمعا بين النصين والله اعلم وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها

ما لا ينتفع

ما لا ينتفع بها الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصر او يحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا ذكره على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني ما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ومنها جائر يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها هو اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهوا والبدع ولو شا لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله ما شا هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفا الشيء لانتفا غيره فقوله ولو شا لهداكم معناه ولو شا هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى من نعمته على عباده الى ما شا هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذي انزل من السما ما لما ذكر الله نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السما وهو من اعظم النعم على العباد فقال هو الذي انزل يعني ان الله الذي خلق جميع الاشيا هو الذي انزل من السما ما يعني المطر لكم منه يعني من ذلك الما شراب يعني تشربونه ومنه يعني ومن ذلك الما شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدي عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشيء وعظامه التي تبقى على الشتا واما ورق الشجر فصنفان احدهما يبقى له ارومة في الشتا وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتا كالبقول وقال ابو اسحق كل ما ينبت على الارض فهو شجر وانشد يطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية هو الكلا ومعنى الآية انه ينبت بالما الذي انزل من السما ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السايمة اذا خليتها ترعى وسامت هي اذا رعت حيث شات ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقرا تنبت على التعظيم لكم بها اي بذلك الما الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبههما لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن وبارك فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرها غذا وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر ساير الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لآية يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات لامره مقهورات تحت قهره وتصرفه كيف يشا ويختار وانها ليس لها تصريف

في نفسهما فضلا عن غيرها ولما ذكر الله انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده وختم هذه
الاية بقوله **ان في ذلك لايات لقوم يعقلون** يعني ان كل من كان له عقلا صحيحا سليما علم ان الله
تعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما اراد منهم **وما ذرا لكم في**
الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار **مختلفا**
الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها
بعضا من كل الوجوه دليل قاطع على كمال قدرة الله وذلك ختم هذه الاية بقوله **ان في ذلك لاية**
لقوم يذكرون يعني فيعتبرون بذلك قوله تعالى **وهو الذي سخر البحر** لما ذكر الله تعالى الدلايل الدالة
على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق ساير الحيوانات
والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من اثار قدرته وعجايب صنعته وذكر انعامه
في ذلك على عباده ذكر بعده ذكر انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير
الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد
منه فذكر هذه الثلاث اقساما من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر **لتاكلوا منه لحما**
طريا فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فايدة دالة على كمال
قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري
لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه من غاية العذوبة علم انه انما حدث بخلق الله
وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها حتى اللولو والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان والمراد
بلبسهم لبس نسايهم لان زينة النسا بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة
قوله تعالى **وترى الفلك** يعني السفن **مواخر فيه** يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك
ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت
السفينة مخرا اذا شقت الما بجوجوها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني انها اذا جرت يسمع لها
صوت قال ابو عبيدة يعني صوايح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر
اي مملوة متاعا **لتبتغوا من فضله** يعني الارباح بالتجارة في البحر **ولعلكم تشكرون** يعني انعام الله
تعالى عليكم اذا رايتم صنع الله فيما سخر لكم **والقى في الارض رواسي** يعني جبالا ثابتة **ان تميد بكم** يعني لئلا
تميل بكم وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشي العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت
تمور وتتحرك فقالت الملايكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارست الجبال فلم تدر
الملايكة مما خلقت الجبال **وانهارا** يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل لقوله تعالى وانهارا
معطوف على والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من
الجبال **وسبلا** يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوايجكم من بلد الى بلد ومن
مكان الى مكان **لعلكم تهتدون** يعني بتلك السبل الى ما تريدون ولا تضلون **وعلامات** يعني وجعل فيها
علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا **وبالنجم هم يهتدون**
وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل
وقال مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي اراد بالنجم الثريا

لعلهم بالغوص

وبنات

وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال قتادة انما خلق الله
النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة السما ومعالم الطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد
تكلف ما لا علم له به قوله عز وجل **افمن يخلق** لما ذكر الله عز وجل من عجايب قدرته وغرايب صنعته
وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة المذكورة
في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها
قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع
ولا تقدر على شي افمن يخلق يعني هذه الاشيا الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى
الخالق لها **كمن لا يخلق** يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة لانها جمادات لا تقدر
على شي فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله
خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله **افلا تذكرون** يعني ان هذا القدر ظاهر
غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والتطويل بمجرد التذكير فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر
بما ذكر بقي في الاية سوالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها
بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت
مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا
فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة
على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام بل المراد منه
الذي خلق الاشيا العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة
في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشيا
الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة الجمادات لا تخلق شيا البتة والله اعلم قوله تعالى **وان تعدوا**
نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه
النظر الصحيح والعقل السليم الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك
مما انعم به عليه في نفسه وفيما انعم الله عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من انزال الدين والدنيا
حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم يعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا
يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني ولو
اجتهدتم في ذلك واتعبتم انفسكم فلا تقدروا عليه **ان الله لغفور** يعني لتقصيركم في القيام بشكر
نعمته كما يجب عليكم **رحيم** يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي **والله**
يعلم ما تسرون وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي
صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم الله انه عالم بكل احوالهم سرها
وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها
في الاية المتقدمة ذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة بحيث ان يكون عالما بكل المعلومات
سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا يستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام
بصفات فقال تعالى **والذين تدعون من دون الله** يعني الاصنام تدعونها الهة من دون الله
لا يخلقون شيا وهم يخلقون فان قلت قوله في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان

هذه الاصنام لا تخلق شيا وقوله هنا لا يخلقون شيا وهم يخلقون وهذا هو نفس المعنى المذكور في
تلك الاية فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المعنى المذكور في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون
شيا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيا
وهم يخلقون بغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فايدة التكرار **اموات** اي جمادات ميتة لا حياة
فيها **غير احيا** يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة كما تزعمون لكانت احيا غير جايز
عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احيا
فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها **وما يشعرون** يعني هذه
الاصنام **ايان يبعثون** يعني متى يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيمة
حتى يتبرا من عابدها وقيل معناه ما تدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى
الهكم اله واحد يعني الذي يستحق العبادة هو الله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق
العبادة **فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة** يعني جاحدة لهذا المعنى **وهم مستكبرون** يعني
عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا **لاجرم** يعني حقا **ان الله يعلم ما يسرون وما
يعلنون انه لا يحب المستكبرين** يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله
حسنة قال فان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما
جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله
من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني انه يتكبر
عند سماع الحق فلا يقبله قوله وغمط الناس قال غمصت فلان اذا احتقرته ولم تره شيا وكذا
يعني غمصه اذا انتقصت به وازدريته قوله عز وجل **واذا قيل لهم** يعني لهولا الذين لا يومنون بالاخرة
وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم **ماذا انزل
ربكم قالوا اساطير الاولين** يعني احاديثهم واباطيلهم **ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة** اللام
في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك
ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا واعمال
البر التي عملوا في الدنيا لا تكفر عنهم شيا يوم القيمة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين
الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين اذ لو كان هذا المعنى
حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هولا الكفار بهذا التكميل فايدة وقوله تعالى **ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم** يعني ويحصل للروسا الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار
الاتباع والسبب فيه ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى
كان له من الاجر مثل اجور من يتبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم
مثل اثام من يتبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرييس والكبير
اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم ثوابه
او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا للكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا
بالسنة الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب والعقاب الذي يستحقه

الاتباع

الاتباع الى الروسا لان ذلك ليس بعدل الله ويدل على قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير
جايز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من اثامهم شيا لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس
اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الروسا انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه
من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد
الا سا ما يزرون يعني الا بيس ما يحملون نفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى **قد مكر الذين من قبلهم**
يعني من قبل مكر كفار قريش وهم نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السما ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس ووهب كان طول
الصرح في السما خمسة الاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت
راسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السن الناس من الفزع فتكلموا يومئذ
بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره
البغوي وفي هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عرب
منهم جرهم الذين نشا اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابراهيم مثل
طسم وجديس ولا مركل هولا عرب فتكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية
عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير وقوله **فاتى الله بنيانهم
من القواعد** يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فقصفت بنيانهم من اعلاه
واتاهم بزلزلة فقلعت بنيانهم من القواعد والاساس هذا اذا حملنا تفسير الاية على القول الاول
وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما
رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبيا الله والحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل
هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموها باساطين فانهدم ذلك البناء وسقط عليهم فاهلكهم
فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر فاخذه فاهلكه بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بيرا
لاخيه اوقعه الله فيه وقوله تعالى **فخر عليهم السقف من فوقهم** يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم
وقوله من فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند
سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته **واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون** يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنا
سبب هلاكهم **ثم يوم القيمة يخزيهم** يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم
في الدنيا وفي الاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان **ويقول** يعني ويقول الله لهم يوم القيمة **اين
شركاي** يعني في زعمكم واعتقادكم **الذين كنتم تشاقون فيهم** يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين
وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى
ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان **قال الذين اوتوا العلم** يعني
المومنين وقيل الملايكة **ان الخزي** يعني الهوان **اليوم** يعني في هذا اليوم وهو يوم القيمة **والسو** يعني العذاب **على**

الكافرين وانما يقول المومنون هذا يوم القيمة لان الكفار لما كانوا يستهزون بالمومنين في الدنيا
ويتكبرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيمة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل
الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المومنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
وفايدة هذا القول اظهار الشماتة فيكون اعظم في الهوان والخزي الذين تتوفاهم الملكة تقبض
ارواحهم ويتم لك الموت واعوانه ظالمي انفسهم يعني بالكفر فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا
لامر الله الذي نزل بهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان
الله عليم بما كنتم تعملون يعني فلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة عني بذلك من قتل من الكفار يوم
بدر فادخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال
ذلك لهم ليكون اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض فلبيس مثوى
المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان
احيا العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد
سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون
واذ لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل
مكة فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي
مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله وقيل للذين اتقوا يعني الذين اتقوا الشرك وقول الزور والكذب
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين
ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب
المقر المومن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن
السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا
المومنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوف
مفعولا للانزال فقالوا خيرا ان انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ فقال تعالى
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة
مضاعفة من الواحدة الى العشر الى السبعماية الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح والرزق
الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله ولدار
الاخرة خير يعني ما لهم في الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى
يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله
جنات عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام به يدخلونها يعني تلك الجنات
لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها الانهار يعني تجري الانهار في هذه الجنات تحت دور اهلها
وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في الجنات ما يشاؤن يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات
غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن يفيد الحصر وذلك يدل
على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين
ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين تتوفاهم الملكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك
قال مجاهد زاكية افعالهم واقوالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم

اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع
الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة المكروهة وقيل معناه ان اوقاتهم
تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند
ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون
لهم يعني الملكة سلام عليكم تسلم عليهم الملكة او يبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ
محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب
ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشيا كلها ولا غيرها
الا بالشرع ومذهب اهل السنة ان الله تعالى لا يجب عليه شي بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه
يفعل فيهما ما يشا فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا
اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى
اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم
النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح
في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث
دلالة على الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها
الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق
للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو
مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون
يعني هولا الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تاتيهم الملكة يعني بقبض ارواحهم
او ياتي امر ربك يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيمة كذلك
فعل الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال الخبيثة فاصابهم سيات ما عملوا يعني فاصابهم عقوبات
ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزون والمعنى ونزل بهم جزاء استهزايهم
وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا يعني ان مشركي مكة
قالوا هذا على طريق الاستهزا والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو
شا الله منا الايمان لحصل حيث اولم يجي ولو شا الله منا الكفر لحصل حيث اولم يجي واذا كان كذلك
فالكل من الله فلا فايدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله
فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي افعاله
وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله
ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا او كان في حكم الله وسنته في عباده ارسال

الرسل اليهم ليامروهم بعبادة الله وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه
فهو المهتدي ومن اضل فهو الضال وهذه سنة الله في عباده ان يامر الكل بالايمان به وينهاهم
عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشا الى الايمان ويضل من يشا فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة
الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هولا لو شا الله ما عبدنا من دونه
من شي نحن ولا اباونا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل
وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله ولا حرمنا من دونه
من شي يعني الوصيلة والسايبة والحامي والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا
الى غيرها كذلك فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم من كفار الامم الماضية كانوا على هذه
الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل
الا البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد
بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو
كل معبود عبد من دون الله فمنهم يعني من الامم الذين جاهم الرسل من هدى الله يعني هداه الى
دينه والايمان به وتصديق رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجب
عليهم الضلالة بالقضا السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الاية ابين
دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشا ويضل من يشا
لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم به في سابق علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مال امر من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب
والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب ما نزل بهم قوله عز وجل
ان تحرص على هداهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص يا محمد على هدى هولا وايمانهم
وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرئ بفتح اليا وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله
وقيل معناه لا يهتدي من اضله الله وقرئ بعضهم بضم اليا وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا
هادي له وما لهم من ناصرين يعني ما نعين يمنعونهم من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم
قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه
فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت
فاقسم بالله ان لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية قال ابو العالية وتقديرا لشبهة التي
حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة
فاذا مات وتفرقت اجزاوه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات
ولا حقيقة بعد فنايه وعدمه وهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت
فذلك قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك واكذبهم
فقال في قوله تعالى بلى يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان
الله خالق الانسان واوجده من العدم ولم يكن شيا فالذي اوجده لقدرته ثم اعدمه قادر على
ايجاده بعد اعدامه لان النشاة الاخرة اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي وعد

به من

به من البعث بعد الموت وعدا حقا لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني
من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد
الموت انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم
للحساب والجزا فلا تعب عليه في احيايهم وبعثهم انما نقول لشي اراده كن فيكون على ما اراد الله لانه القادر
الذي لا يعجزه شي اراده خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يشتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه
فقوله ليس يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والذين هاجروا في الله من بعد ما
ظلموا يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون
بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحا
مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلوا على صدره الحجارة وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق
واعتقه واشترى معه ستة نفر اخروا اما صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلا انفعكم وان كنت
عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به ابو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع واما
باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طايفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها
لهم دار هجرة لهم فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المومنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية
تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت
بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث
اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب وقوله تعالى لنبوينهم في الدنيا حسنة يعني لنبوينهم
مباءة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوينهم في الدنيا دارا حسنة
او بلدة حسنة وهي المدينة روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين
عطاه يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة افضل ثم
يقرا هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم
واخرجوهم منها ثم سخرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا
التوفيق والهداية الى الدين ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم في الدنيا لو كانوا
يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا
فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد
والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه وهو
صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله
وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا
السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات
واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصايب اما التوكل

فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الخالق تعالى بالكلية فالاول هو مبدا السلوك الى الله والثاني
هو اخر الطريق ومنتهاه قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم نزلت هذه الاية جوابا
لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا
هلا بعث الينا ملكا فاجابهم الله عز وجل وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني مثلك يوحي اليهم
والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من اول مبدا الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة
وسنة جارية قديمة فاسالوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما امرهم الله
بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم
رسولا منهم مثل موسى وعيسى ابن مريم وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد وان
يخبروهم بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا مثلهم فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم
ان كنتم لا تعلمون الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم يا هولا لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا
في المعنى الجالب لهذه البا فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا يوحي اليهم ولم
يبعث ملايكة وقيل معناه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل
الذكر بمعنى العلم في قوله فاسالوا اهل الذكر يعني اهل العلم والمعنى فاسالوا اهل الذكر الذي هو العلم
بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون انتم ذلك البينات والزبر لفظ جامع لكل ما يتكامل به امر الرسالة
لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات وعلى بيان الشرايع والتكاليف
وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وانزلنا اليك الذكر الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القران وانما سماه ذكرى لان فيه مواعظ
وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما اجمل من احكام القران وبيان الكتاب يطلب
من السنة والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض
من القران والحديث وجب تقديم الحديث لان القران مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الاية والمبين
مقدم على المجمل وقال بعضهم القران منه محكم ومنه متشابه فالمحكوم يجوز ان يكون مبينا والمتشابه
هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين
المفسر ولعلهم يتفكرون يعني فيما انزل اليهم فيعملون به افامن الذين مكروا السيات فيه اضمار
تقديره المكرات السيات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا
في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفا وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير
الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين وقيل المراد بالذين مكروا السيات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ان يخسف
الله بهم الارض يعني كما خسف بقارون قبلهم او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني ان العذاب
ياتيهم بغتة فيهلكهم فجاة كما اهلك قوم لوط وغيرهم او ياخذهم في تقلبهم يعني في تصرفهم في الاسفار
فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس ياخذهم في اختلافهم
وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان ياخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم
فما هم بمعجزين يعني بسابقين ويفوتونه بل هو قادر عليهم او ياخذهم على تخوف قال ابن عباس ومجاهد
يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا تنقصه

واخذ

واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من اطرافهم
ونواحيهم الشي بعد الشي حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه تعالى لا ياخذهم
بالعذاب اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني طايفة فيتخوف
الاخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب ينزل
من السما او بآفات تحدث دفعة او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان ياتي الهلاك على اخرهم ثم انه
تعالى ختم الاية بقوله فان ربكم لرءوف رحيم يعني انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى
اولم يروا قرى بالتا على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة الى ما خلق الله من شي يعني من جسم
قايم له ظل وهذه الروية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا
يكون الا بنفس الروية التي يكون معها نظر الى الشي ليتامل احواله ويتفكر فيه ويعتبر به يتفيو ظلاله
يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي في اول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في اخر النهار الى حالة
اخرى ويقال للظل بالعشي في لانه من فا يفي اذا رجع من المغرب الى المشرق والفي الرجوع قال الازهري
تفيو الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالفي لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل
يكون بالغداة وهو ما لم ينله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى مفرد
وهو قوله من شي لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى الظلال عن اليمين والشمايل قال العلما
اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت
في وسط السما كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة
والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال فاخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع
للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجعة الى لفظ الشي وهو واحد والشمايل راجع الى
المعنى لان لفظ الشي يوكد به الجمع سجدا لله في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام
والانقياد والخضوع فيقال سجد البعير اذا طاطا راسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة
الحمل والمعنى ان جميع الاشيا التي لها ظلال فهي منقادة لله مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها
له من التفيو وغيره قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شي لله والقول الثاني في معنى هذا السجود ان
الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال تشبه شكلها شكل
الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شي ساجد لله سوا كان ذلك الشي يسجد لله
او لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله وهم داخرون اي صاغرون اذلا والداخر
الصاغر الذي يفعل ما يامر به شا ام ابى وذلك ان جميع الاشيا منقادة لله تعالى فان قلت الظلال
ليست من العقلا فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله
تعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو
وبالنون وهي جمع العقلا قوله عز وجل ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال العلما
السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود
الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يحتمل النوعين لان سجود كل شي بحسبه فسجود
المسلمين والملايكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظة ما في قوله
ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب

الذكر على المونث ولانه لو اتى بمن التي هي للعقلا لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلا
خاصة فاتى بلفظة ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتق من الدبيب وهي عبارة عن الحركة الجسمانية
فالدابة اسم تقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض لهذا
افرد الملايكة في قوله والملايكة لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافردهم بالذكر وان كانوا في جملة من في
السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملايكة وما في الارض من دابة فسجود الملايكة
والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم يدل لله وتسخيرها لما خلقت له او سجود ما لا يعقل والجماد ان تدل
على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعوا الغافلين الى السجود لله عند التامل والتدبر وهم لا يستكبرون
يعني الملايكة يخافون ربهم من فوقهم هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره ويفعلون ما
يومرون عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى
قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي ذر موقوفا فصل
وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراتها وسماعها قوله
تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات
والارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الاية
عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين وقال الزجاج ذكر الاثنين
توكيدا لقوله الهين اثنين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره ولا تتخذوا اثنين الهين يعني
ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها وانما الاله واحد وهو قوله انما هو اله واحد لان
الالهين لا يكونان متساويين في الوجود والعدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية
منافية للالهية فذلك قوله انما هو اله واحد فاياي فارهبون يعني خافون والرهب مخافة مع
حزن واضطراب وانما نقل الكلام عن الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه ابلغ
في الترهيب من قوله فاياه فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو
ان يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله وجنابه وله ما في السموات والارض
لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية وجب ان يكون جميع
المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله وله ما في السموات والارض يعني عبيدا
وملكا وله الدين واصبا يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دايما ثابتا والواصب الدايم قال
ابن قتيبة ليس من احد يدين لله ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه
وتعالى فان طاعته واجبة دايمة ابدا افغير الله تتقون يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في
ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو
استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله
يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد وكان ذلك من
الله تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة
انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا

اياه لانه

اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض
والاسقام فاليه تجأرون يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعا ليكشف عنكم ما نزل
بكم من الضر والشدة واصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه خوار البقرة والمعنى ان النعم لما
كانت كلها من الله فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يفزع الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها
فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم يعني ثم اذا ازال الشدة والبلا عنكم
اذا فريق منكم يعني طايفة وجماعة منكم بربهم يشركون يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد الا
ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المومنين
لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ليكفروا بما اتيناهم قيل ان هذه اللام لام كي ويكون
المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمة الله عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة
والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم الضر والبلا فتمتعوا لفظه امر والمراد
منه التهديد والوعيد والمعنى فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم فسوف
تعلمون يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام
يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم
عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو
والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عايد الى المشركين احتجنا فيه
الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له حق نصيبا واذا قلنا انه
عايد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله نصيبا مما رزقناهم يعني ان
المشركين جعلوا للاصنام من حروثهم وانعامهم وانواع اموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة
الانعام تالله اقسم بنفسه على نفسه انه يسالهم يوم القيامة وهو قوله لتسالن عما كنتم تفترون يعني
عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام الهة وان لها نصيبا من اموالهم وهذا التفات
من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا
الملايكة بنات الله ولما اطلقوا لفظ البنات على الملايكة لاستتارهم عن العيون كالنسا او لدخول
لفظ التانيث في تسميتهم سبحانه نزه الله نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي
يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن
والغم ايضا يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن في الغم فثبت
بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا يعني متغيرا من الحزن والغم والقبض والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة
والمعنى ان هولا المشركين لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله
تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله وهو كظيم يعني انه ظل ممتلي حزنا وغما يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به انه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة
احدهم توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى

حزنه ولم يظهرا باتًا حتى تفكر ما يصنع بها ونحو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان واعاد ذكر
الضمير في ايمسكه لانه عايد الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني ام يخفي
ذلك الذي بشر به في التراب وقيل والدس اخفا الشي قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا
يدفنون البنات احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة والحمية فيخاف
عليهن من الاسر ونحوه او لطمع غير الاكفا فيهن وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد
ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا
اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها ويكون
قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت اليها
دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على راسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي من
ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمي الذي منع الوائدات
فاحيا الوئيد فلم يؤد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في
النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون يعني بئس ما يقضون حيث جعلوا لله الذي
خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى
تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء ما يحكمون في وأد البنات للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل
السوء يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد وكراهتهم للاناث وقتلهم خوف الفقر ولله المثل الاعلى
اي الصفة العليا المقدسة وهي انه له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو وانه له جميع صفات الجلال
والكمال من العلم والقدرة والبقا السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن
عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع في كبريائه وجلاله
الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم وتعاجلهم بالعقوبة
على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال الله تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما
واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية الاخرى لان في جنس الناس
الانبيا والصالحون ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك
لظلم عظيم وقوله ما ترك عليها يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض من
دابة يعني ان الله تعالى لو واخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال قتادة وقد
فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح
عليه السلام وروي ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بئس ما قلت ان الحبارى
تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الحية تعذب في جحرها بذنب ابن ادم وقيل اراد بالدابة
الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الاية ولو يؤاخذ الله الاباء الظالمين
بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابنا فلم يبق في الارض احد ولكن يؤخرهم يعني يمهلهم بفضله وكرمه
وحلمه الى اجل مسمى يعني انتها اجالهم وانقضا اعمارهم فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
يعني لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذي جعله لهم ولا ينقصون منه وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيمة والمعنى
ولكن يؤخرهم الى يوم القيمة فيعذبهم فلا يستاخرون عن العذاب ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله

ما يكرهون

ما يكرهون يعني لانفسهم وهن البنات وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يعني ويقولون ان لهم
البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافترا على الله تعالى وقيل
اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم
قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال لا جرم
ان لهم النار يعني في الاخرة لا الجنة وانهم مفرطون قرئ بكسر الرا مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الرا
مع التشديد يعني مضيعون لامر الله وقراة الجمهور بفتح الرا مع تخفيفها اي منسيون في النار قاله ابن
عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفرا مقدمون الى النار
والفرط المتقدم الى الما قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يعني كما ارسلناك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان
شانهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم يعني اعمالهم
الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل
الشيطان الة بالقا الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا وانما له الوسوسة فقط فمن
اراد شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته فهو وليهم اي ناصرهم اليوم ومن كان الشيطان
وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه ولهم عذاب اليم يعني في
الاخرة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه يعني من امر الدين والاحكام
فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة يعني فيما انزلنا
الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى والله انزل من
السما ما يعني المطر فاحيا به يعني بالما الارض يعني بالنبات والزرع بعد موتها يعني يبسها
وجدوبتها ان في ذلك لاية يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا لقوم يسمعون يعني سماع
انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات القران بقلبه
وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات وان لكم في الانعام لعبرة يعني
اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا نسقيكم مما في بطونه الضمير عايد الى الانعام فكان حقه ان يقال
مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب
اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو
مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول
ابي عبيدة والاخفش وقال الكسائي رده الى يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المؤرج الكناية
مردودة الى البعض والجز كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن واضمر اللبن اذ ليس لها
لبن وهو ما في الكرش من الثفل فاذا اخرج منها لا يسمى فرثا من بين فرث ودم لبنا خالصا يعني من
الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف
واستقر في كرشها وطحنته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط عليها
يقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو سايغا للشاربين
يعني هنيا سهلا يجري في الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن احد قط هذا قول المفسرين في معنى
هذه الاية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكما في ذلك فقال والقايلون يقول الدم واللبن

لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد في
كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته وان كان من الانعام
الى كرشه فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعا
ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفرا
والسودا وزيادة المائية فاما الصفرا فيذهب الى المرارة واما السودا فتذهب الى الطحال
واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب الى الاوردة وهي العروق
النابتة في الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب
الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم لبنا
فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم انما يتولد من الاجزاء
اللطيفة من الاشيا الماكولة الحاصلة في الكرش فاللبن يتولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا
ثم صفاه الله تعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع
خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها كالمصفاة
للبن وكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله
خالصا يعني من شوائبه كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيا
مريا قوله عز وجل **ومن ثمرات النخيل والاعناب** يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ورزقكم من ثمرات
النخيل والاعناب **تتخذون منه** الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب
ما تتخذون منه **سكرا ورزقا حسنا** قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم
وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق
الحسن سائر ما يتخذون من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك
فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام والامتنان قلت قال العلما في الجواب عن هذه
السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الاية في الوقت الذي
كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الاية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها
وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن
ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب
اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرمه يقول
المراد من الاية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس
عن هذه الاية فقال السكر ما حرم من ثمرتيهما والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة
راى ان هذه الاية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية بانها
منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره السكر
ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي
عبيدة ان السكر الطعم **ان في ذلك** يعني ان الذي ذكر من انعامه على عباده **لاية** يعني دلالة وحجة واضحة
لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الايات على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلم

بالضرورة

بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد قوله تعالى **واوحى ربك الى النحل** لما ذكر
الله تعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم
واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر في هذه اخراج العسل الذي جعله شفا
للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق
لجميع الاشيا المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك تكون بالكلام
على سبيل الرمز والتعريض وقد تكون بصوت مجرد وتقال للكلمة الالهية التي يلقيها الى انبيائه الهام
واما تسخير لما خلق الله له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها
وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلا من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على
شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة
او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى
ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية ضائعة والهمها الله ايضا
ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة
واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان يجعلوا على
باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور
وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة
على مزيد الذكا والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال الله
تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الذبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا
الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى اعطاهم وقال غيره النحل يذكر
ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز ولذا انثها الله فقال تعالى **ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر**
ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر
ويأوي الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي الى البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان
الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم **ثم كلي من كل**
الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل جميع الثمار فلفظة كل هنا ليست للعموم **فاسلكي سبل**
ربك يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات **ذللا** قيل انه نعت للسبل
يعني انها مذللة لك الطرق مسلوكة لك سهلة لكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان يسلكه وقيل
نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان
اخر حيث شاؤوا وارادوا لا تستعصي عليهم **يخرج من بطونها** يعني العسل **شراب مختلف الوانه** يعني
ما بين ابيض واصفر واحمر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار
ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي
انه راى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر
فتجمعه النحل فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك
الاجزا الطلية شي كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب

من طبيعة العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل تتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من
بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها وقول اهل
الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تاكلها النحل وكذلك
يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما اكلت
مغافير قال لا قلت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة
العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت
ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين
وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما ياكله النحل ولونه وريحه لا ما قال الاطبا من انه طل لانه
لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين
فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة ونحو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في
الدرجة الثانية وبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن
اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم قوله تعالى فيه يعني في الشراب
الذي يخرج من بطون النحل شفا للناس وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ان الضمير في قوله فيه شفا
للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في الشفا هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين
احدهما ان العسل فيه شفا من كل دا وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور
وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين القران والعسل وروي نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة
ولا شي الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس عن ابي سعيد
الخدري قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال
له ثلاث مرات ثم جاه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبري وقد اعترض بعض الملحدين
ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطبا مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن
به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان العسل يحصل من انواع كثيرة
منها الاسهال الحادث من التخم والهيضة وقد اجمع الاطبا في مثل هذا على ان علاجه بان يترك الطبيعة
وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم
واستعجال مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال
من امتلا او هيضة فدواه بترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب
العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به
يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل
جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول
الاطبا بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا
المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله
وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر

نفعه

نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عنده ثم قال صدق الله يعني فيما وعد فيه من ان فيه شفا
وكذب بطن اخيك يعني باستعجالك الشفا في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله
عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفا للناس وهو يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة ويضر بالشباب
المحرورين ويعطش قلت في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا للناس خرج مخرج الاغلب
وانه في الاغلب فيه شفا ولم يقل انه فيه شفا لكل الناس ولكل دا لكنه في الجملة دوا وان نفعه اكثر من مضرته
وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ
المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني ان فيه شفا للاوجاع التي شفاوها فيه وهذا قول السدي
وقال مجاهد في قوله فيه شفا للناس يعني القران لان فيه شفا من امراض الشرك والجهالة ونحو الضلال وهو
هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله
يخرج من بطونها وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله
خلقكم يعني والله اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيا ثم يتوفاكم يعني عند انقضا اجالكم
اما صبيانا واما شبابا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني ارداه واضعفه وهو الهرم
وقال بعض العلما عمر الانسان له اربع مراتب اولها سن النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث
وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من
ثلاث وثلاثين سنة الى الاربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة
وهو من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا
لا تظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم
والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال
قتادة تسعون سنة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من
العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات
وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهولا الدعوات اللهم اني اعوذ
بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد
علم شيا يعني ان الانسان يرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قال ابن عباس لكي
يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيا لشدة هرمه
وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم
من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيايه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا
عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته فيكون
ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد
في طول العمر والبقا الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرا القران لم يرد الى ارذل
العمر حتى لا يعلم بعد علم شيا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين قروا القران
وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المومنين فقال الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى ان الله عليم يعني بما صنع باوليايه واعدايه قدير

يعني على ما يريد قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على اخر وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا كما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى انهم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سوا وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركا لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في جميع ما له فكيف يعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم فيه في رزقه سوا فلا يحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك الرزق سوا وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه الانكار على المشركين حيث جحدوا النعمة وعبدوا غيره هو الله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النسا خلق من ادم حوى زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بادم وحوى خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعا واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك فهذا اصله في اللغة ثم اختلف اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال الكلبي ومقاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ورزقكم من الطيبات يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله افبالباطل يومنون يعني بالاصنام وقيل بالشياطين يومنون قيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار اي ليس لهم ذلك وبنعمة الله هم يكفرون يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض يعني الاصنام التي لا تقدر انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض بعد منه شيا يعني لا تملك من الرزق شيا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شي بذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا تضربوا لله الامثال يعني لا تشبهوا بالله خلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق

بالمرزوق او القادر بالعاجز ان الله يعلم خطا ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون ذلك وقيل معناه وانتم لا تعلمون خطا ما تضربون له من الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شي البتة وقيل هذا مثل قوله ضربه الله للمومنين والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شي وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغا مرضاته وهو قوله فهو ينفق منه سرا وجهرا فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد فهو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما قوله لا يقدر على شي احترز به عن المملوك المكاتب والماذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقها بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيا هل يستوون ولم يقل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر والعاصي والمومن والطايع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق ثم قال تعالى الحمد لله حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التي عبدها هولا فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجزة لا يد لها على احد ولا معروف فيحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه اهل المحامد والثنا الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني ان الحمد لله لا لهذه الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شي هو اشارة الى العجز الكامل والنقصان الكامل وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه اي حيث ما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم لا يات بخير يعني لا يات بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم هل يستوي يعني من هذه صفته هو يعني صاحب هذه الصفات المذمومة ومن يامر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات وهو ذو رشد وديانة يامر الناس بالعدل والخير وهو يعني في نفسه على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الامر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثاني ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده وانعامه وشمولهم

به من اثار رحمته والطافه والاصنام التي هي موات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى الكلفة والنقل والخدمة وقيل كل المثلين للمومن والكافر فالمومن هو الذي يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يامر بخير فعلى هذا القول تكون الاية على العموم في كل مومن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يامر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يامر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يامره بالاسلام وذلك المولى يامر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله فهو الذي لا يات بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يات بخير ابي بن خلف وبالذي يامر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون **ولله غيب السموات والارض** اخبر الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه شي منها وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة وهو قوله **وما امر الساعة** يعني وقيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب **الا كلمح البصر** يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا **او هو اقرب** يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيا قال له كن فيكون في اسرع من لمح البصر وهو قوله **ان الله على كل شي قدير** فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى مهما اراده كان كاسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شا لا يعجزه شي قوله عز وجل **والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا** تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبداها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى **وجعل لكم السمع والابصار والافيدة** يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلايل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجايب مصنوعات الله وغرايب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانية الله وجعل لكم الافيدة لتعقلوا بها وتفهموا بها معاني الاشيا التي جعلها دلايل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الاية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الاية والله خلقكم في بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الات لازالة الجهل التي ولدتم عليها واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم بها وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم في الاخرة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه قلت ذكر العلما فيه ان تقديم الاخراج وتاخير ذكر هذه الحواس لا تدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتوخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى **لعلكم تشكرون** يعني انعم الله عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم **الم يروا الى الطير مسخرات** يعني مذللات **في جو السما** الجو الفضا الواسع بين السما والارض وهو الهوا قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك **ما يمسكهن الا الله** يعني في حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في الهوى وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها وذللها وامسك اجسامها في حال طيرانها ووقوفها في الهوى وهو الله تعالى وهو قوله **ان**

في ذلك

في ذلك لايات لقوم يومنون انما خص المومنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى **والله جعل لكم من بيوتكم** يعني التي هي من الحجر والمدر **سكنا** يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف او بيت **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى **تستخفونها** يعني يخف عليكم حملها **يوم ظعنكم** يعني في يوم سيركم ورحلتكم في اسفاركم وظعن البادية هو لطلب ما او مرعى ونحو ذلك **ويوم اقامتكم** يعني ويخف عليكم ايضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** الكناية عايدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز **اثاثا** يعني تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت الكثير واصله من اث اي كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك **ومتاعا** يعني وبلاغا وهو ما ينتفعون به **الى حين** يعني الى حين بلا ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثاث ما كثر من الات البيت وحوايجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم **والله جعل لكم مما خلق ظلالا** يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار **وجعل لكم من الجبال اكنانا** جمع كن وهو ما يسكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج الى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليسكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا واما الفقير فيسكن بظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا ومن الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر** يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك يمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه **وسرابيل تقيكم باسكم** يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والباس الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم قال عطا الخراساني انما نزل القران على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكنهم كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السما من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر وقوله تعالى **كذلك** يعني انعم عليكم بهذه النعم **يتم نعمته عليكم** يعني من نعم الدنيا والدين **لعلكم تسلمون** يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وقيل الاية تعد على هذه

الانعامات الا الله تعالى **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد واثروا ما هم
فيه من الكفر واللذات الدنياوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليك **فانما عليك البلاغ المبين** يعني
ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله بقوله
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه
وقيل نعمة الله هي الاسلام وهي من اعظم النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه
وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا
قيل تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن ابائنا وقال الكلبي هو انه لما ذكر
هذه الاية قالوا هذه نعم كلها من الله لكنها بشفاعة الهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان
كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب
رضوا الله ولا يشكروه عليها **واكثرهم الكافرون** انما قال تعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كلهم كانوا كافرين
لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل اراد والاكثر الجاحدين المعاندين
وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجمع
قوله عز وجل **ويوم نبعث من كل امة شهيدا** لما ذكر الله تعالى انعامه على الكفار وانكارهم لها وذكر انهم
اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم في الاخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعني رسولا وذلك
اليوم هو يوم القيمة والمراد به ان الشهداء انهم الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام اصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى
دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم
بذلك **ولا هم يستعتبون** الاستعتاب طلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب
ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يكلفون
ان يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم
والاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب مسدود على الكفار في الاخرة **واذا راى الذين ظلموا** يعني ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي **العذاب** يعني عذاب جهنم **فلا يخفف عنهم** يعني العذاب **ولا هم ينظرون** يعني
لا يؤخرون ولا يمهلون **واذا راى الذين اشركوا** يعني يوم القيمة **شركاءهم** يعني اصنامهم الذي كانوا يعبدون
في الدنيا **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك** يعني اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم الهة
فالقوا اليهم يعني الاصنام **اليهم** يعني الى عابديها **القول انكم لكاذبون** يعني ان الاصنام قالوا للكفار انكم
لكاذبون يعني في تسميتنا الهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جمادة لا تتكلم فكيف يصح منها
الكلام قلت لا ابعد ان الله تعالى لما بعثها واعادها في الاخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى
قالوا ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار وتراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة
فيزدادون بذلك غما وحسرة **والقوا** يعني المشركين **الى الله يومئذ السلم** يعني انهم استسلموا له وانقادوا
لحكمه فيهم ولم يغن عنهم الهتهم شيا **وضل عنهم** يعني وزالت عن المشركين **ما كانوا يفترون** يعني ما كانوا يكذبون
في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** يعني انهم ضموا الى كفرهم انهم
منعوا التحول في الايمان بالله ورسوله **زدناهم عذابا فوق العذاب** يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب
صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال

عبدالله

عبد الله بن مسعود عقارب لها انياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب
امثال البغال تلسع احداهن اللسعة يجد صاحبها المها اربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني
خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان
على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى
النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس
عن سبيل الله **بما كانوا يفسدون** يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله
وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر **ويوم نبعث في كل امة شهيدا**
عليهم قال ابن عباس يريد الانبيا قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها
من انفسهم يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان
وطاعة وعصيان **وجئنا بك** يعني يا محمد **شهيدا على هؤلاء** يعني على قومك وامتك تم الكلام هنا ثم
قال تعالى **ونزلنا عليك الكتاب** يعني القران **تبيانا لكل شيء** تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني
ما امر به وما نهي عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة
على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القران من الحدود
والاحكام والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم
الدين **وهدى** يعني من الضلالة **ورحمة** يعني لمن امن به وصدقه **وبشرى للمسلمين** يعني وفيه بشرى للمسلمين
من الله عز وجل قوله تعالى **ان الله يامر بالعدل والاحسان** العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان
اداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما
تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في
رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في المكافاة ان خيرا فخيرا
وان شرا فشرا والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان يعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف
اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وقيل يعني بالعدل في الافعال
وبالاحسان في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن **وايتاء**
ذي القربى يعني ويامر بصلة الرحم وهي القرابة الادنى والابعد منك ويستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله
فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد **وينهى عن الفحشاء** قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء
ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة **والمنكر** قال ابن عباس
يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة **والبغي** يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول
على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر
لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الاية العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن
من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان يكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من
المامورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال
وذكر الاحسان وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان
من احسن اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته
البغي وهو ان يتكبر عليهم او تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى **يعظكم لعلكم تذكرون** يعني انما امركم بما امركم به ونهاكم

عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع اية في القران لخير
وشر هذه الاية وقال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي بين
في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شي يحتاج اليه الناس في امر دينهم مما يجب
ان يوتى او يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية وروى عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد
ابن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى اخر الاية فقال له يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه فقال له الوليد
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر قوله
عز وجل **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات
على سبيل الاجمال ذكر في هذه الاية بعض ذلك الاجمال على التفصيل وبدا بالامر بالوفا بالعهد
لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفا بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل
فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ها هنا هو اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته
كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفا به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفا به لقوله
صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ثم راى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه
فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف
اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام
الا شدة **ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها** يعني بتشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد
بالعهد غير اليمين لانه اعم منه **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** يعني شهيدا بالوفا بالعهد **ان الله يعلم
ما تفعلون** يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى **ولا تكونوا** يعني
في نقض العهد **كالتي نقضت غزلها من بعد قوة** يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه
امراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء بها وسوسة
وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل
من الصوف او الشعر او الوبر وتامر جواريها بالغزل وكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف
النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن العمل ولا حين عملت
كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفا به **انكاثا** جمع نكث وهو ما ينقض
من الغزل او الحبل بعد الفتل **تتخذون ايمانكم دخلا بينكم** يعني دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل
في الشي على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفا بالعهد ويبطن نقضه **ان تكون** يعني
لان تكون **امة هي اربى من امة** يعني اكثر واعلا من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفا فاذا
وجدوا قوما اكثر من اوليك واعز نقضوا حلف هولا وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد
بان كانت امة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفا بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا
انما يبلوكم الله به يعني يختبركم بما امركم به من الوفا بالعهد وهو اعلم بكم **وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون** يعني في الدنيا فيثيب الطايع للحق ويعاقب المسي المخالف قوله تعالى **ولو شا الله لجعلكم امة
واحدة** يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام **ولكن يضل من يشا** يعني بخذلانه اياه عدلا منه
ويهدي من يشا بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسال عما يفعل وهم يسالون

وهو قوله

وهو قوله تعالى **ولتسالن عما كنتم تعملون** يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسي او يغفر
قوله عز وجل **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم** يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى
ايمانكم ويامنون اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا النهي تاكيدا عليهم واظهارا لعظم نقض العهد قال المفسرون
وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد
الذي بعده وهو قوله **فتزل قدم بعد ثبوتها** لا يليق بنقض عهد قبله انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الايمان به وبشريعته وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلا ومحنة بعد عافية
ونعمة او سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلا بعد عافية زل قدمه والمعنى فتزل اقدامكم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها **وتذوقوا السوء** يعني العذاب **بما صددتم عن سبيل الله** يعني بسبب
صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدامه على ذلك
ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد **ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا** يعني ولا تنقضوا عهدكم وتطلبوا
بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها **انما عند الله** يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفا
بالعهد **هو خير لكم** يعني من عاجل الدنيا **ان كنتم تعلمون** يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى
ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها يعني وتذهب **وما عند الله باق** يعني من ثواب الاخرة
ونعيم الجنة **ولنجزين الذين صبروا** يعني على الوفا بالعهد في السرا والضرا **اجرهم** يعني ثواب صبرهم **باحسن
ما كانوا يعملون** عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن
احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى **من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن**
فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة ذكر الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين
الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله الذكر دون الانثى فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد
للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من
اعظم دلايل الكرم والرحمة اثباتا للتاكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مومن جعل الايمان شرطا
في كون العمل الصالح موجبا للثواب **فلنحيينه حياة طيبة** قال سعيد ابن جبير وعطا هي الرزق الحلال
وقال مقاتل يعني العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم
واعلم ان عيش المومن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المومن لما علم ان
رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب
فكان المومن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان مصلحته في ذلك القدر
الذي رزقه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر او الجاهل بهذه
الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر
له فظهر بهذا ان عيش المومن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر
لان المومن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة
هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا يطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا
فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا يكون الا في
الجنة ولقوله في سياق الاية **ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** لان ذلك الجزا انما يكون الا في
الجنة قوله عز وجل **فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** الخطاب فيه للنبي

صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله والمومنين بالاستعاذة عند القراءة حتى يبقى مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود الموتة الجنون والفا في قوله فاستعذ بالله للتعقيب وظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابي هريرة وذهب اليه مالك وداود الظاهري قالوا لان قاري القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس في قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا واما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الايمة وفقها الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة وقالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في اثنا القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة ليذهب الوسوسة عنه اولى من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطا انه يجب الاستعاذة عند قراءة القران سواء كانت في الصلاة او في غيرها واتفق سائر الفقها على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجا اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله تعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر في قلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال الله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت والذين هم به يعني بالله مشركون وقيل الضمير في به راجعة الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل الاية وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقا نفسه فانزل الله هذه الاية والمعنى واذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وفيما يغير ويبدل من احكامه اي هو اعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع مع الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قالوا انما انت مفتر اي مختلق من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافترا الكذب لاجل التبديل والنسخ وانما

على قولهم مع

فايدة

فايدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يامر المريض بشرب دوا ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويامره بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل اكثرهم لا يعلمون يعني يعلمون فايدة الناسخ وتبديل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله يعني القران روح القدس يعني جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدسة المطهرة من ربك يعني ان جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد ليثبت الذين امنوا يعني ليثبت بالقران قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا وهدى وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان اخر وهو ادمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على غلام لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيد الله ابن مسلم كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابا فكيهة ويقال للاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقران التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقران فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يقعد اليهما ويستروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفرا قال المشركون انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان قد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجم وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب عنه الله تعالى وانزل هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون ويشيرون اليه اعجمي يعني هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه زياد الاعجم كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة يمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القران الفصيح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القران من عجمة هذا الذي يشيرون اليه ولا ياتي به من تلقا نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه ان الذين لا يومنون بايات الله يعني لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة ثم اخبر الله ان الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله يعني انما يقدم على الفرية الكذب من لا يومن بايات الله فهو رد لقول قريش انما انت مفتر واولئك هم الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تعالى

انما يفترى الكذب فما معنى قوله واوليك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله انما يفترى الكذب اخبار عن فعلهم وقوله واوليك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الاية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب بالكباير لان الكاذب المفترى هو الذي لا يومن بايات الله روى البغوى باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المومن يزني قال قد يكون ذلك قلت المومن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المومن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يومنون بايات الله قوله تعالى **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان** نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما وعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجي في قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذوا بنو المغيرة عمارا وغطوه في بير ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمين بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الاية وقال مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم وكانوا كارهين وهذا القول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يومروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمين بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى ان يقال ان الاية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمين بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناوه من الكافر فما معنى هذا الاستثنا الا من اكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثنا بهذه المشابهة والمشاكلة والله اعلم

فصل في حكم الاية قال العلما يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التخويف بالنار ونحوه قال العلما اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الاخرون والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر ولا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل ياتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله في كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلما من الافعال ما لا يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها من

اكره بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر او ياكل الميتة او لحم الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه واختلف العلما في طلاق المكره فقال الشافعي واكثر العلما لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة تقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي اثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمين بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب **ولكن من شرح بالكفر صدرا** يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة **ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة** يعني ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة **وان الله لا يهدي القوم الكافرين** يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به **اوليك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم** تقدم تفسيره **واوليك هم الغافلون** يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى **لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون** يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الاخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل **ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا** يعني عذبوا وفتنوا ان يدخلوا في الاسلام فتنهم المشركون **ثم جاهدوا وصبروا** يعني على الايمان والهجرة والجهاد **ان ربك من بعدها** من بعد الفتنة التي فتنوها **لغفور رحيم** نزلت هذه الاية في عياش بن ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه لامه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه في عبد الله بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فيكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى **يوم تاتي كل نفس تجادل** يعني تخاصم وتحتج **عن نفسها** بما اسلفت من خير وشر مشتغلة بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها ايضا والمعنى تاتي كل نفس تجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات **وتوفى كل نفس ما عملت** يعني ما عملت في الدنيا من خير او شر **وهم لا يظلمون** يعني لا ينقصون من جزا اعمالهم شيا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار حدثنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الاية قال ما

ثم لا تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش
بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش بها
ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجا هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لساني وبه ابصرت عيناي
وبه مشت رجلي فضرب الله لهم مثلا اعمى ومقعد دخلا حايطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر
والاعمى لا ينالها وله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية
المثل عبارة عن قول في شي يشبه قولا في شي اخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما الاخر ويصوره وقيل
هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة
قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشي موصوف بصفة معينة سوا كان ذلك الشي
موجودا او لم يكن وقد يضرب بشي موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان
تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من
المفسرين انها مكة والاقرب على انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال
الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم
الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه
الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها
وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان المشبه والمشبه به وها هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه
عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن
والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الاية ضرب الله مثلا لقريتكم مثلا اي بين الله لها شبها
ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هي الممثل بها في المثل ويجوز ان يكون المعنى ضرب
الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون
انه اراد في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها مكة قاله
ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا
يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الاية نزلت في المدينة في قول
مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله تعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه
الصفات موجودة في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم
ما اصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع
المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يامر بالقتال وهو بمكة انما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة وكان
يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الاية فقوله
تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة **كانت امنة** يعني ذات امن لا يغار اهلها ولا يغار عليهم **مطمئنة** يعني
قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه ساير العرب **ياتيها رزقها رغدا** يعني
واسعا **من كل مكان** يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي
وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات **فكفرت** يعني هذه القرية
والمراد اهلها **بانعم الله** جمع نعمة والمراد به ساير النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي

النعم بها

النعم بها عليهم بالجحود والكفران لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف**
وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر
يعالج بالدم ويخلط به حتى يوكل حتى كان احدهم ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤسا
مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا اما هذا فهب عاديت الرجال فما بال النسا
والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف
يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة وكان يطيف بهم ويغيرون
على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتها
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس كانه
يل يلبس فيقال وكساهم الله لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف
فاما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس منها
فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من
طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس
فكانه قيل فاذاقها ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان كلاما يشهد لصحة
ما قاله وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع
نوعان احدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع الثاني
ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس والحاصل انه حصل
لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر
عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذواق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف والاختبار تقول
ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها
ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الظهور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف
البال كما يقول تعرفت سوا اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرفت الوجه الثالث انه يحمل لفظ
الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى
بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب
ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم انعم الله عز
وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه
وبالغوا في اذاه وارادوا قتله واخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة
البلا والشدايد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من
بين اظهرهم قوله تعالى **ولقد جاءهم** يعني اهل مكة **رسول منهم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون
نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها **فكذبوه فاخذهم العذاب** يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم
بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية **وهم ظالمون** يعني كافرون **فكلوا مما رزقكم الله** في المخاطبين

بهذه قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي
لما اشتد الجوع باهل مكة كلم روساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال
فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه
الواحدي وغيره وعلى القول الاول هو الصحيح قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس
فكلوا يا معشر المومنين مما رزقكم الله يريد الغنائم حلالا طيبا يعني ان الله احل الغنائم لهذه
الامة وطيبها لهم ولم يحل لاحد قبلهم واشكروا نعمة الله يعني التي انعم بها عليكم ان كنتم اياه تعبدون
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان
الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في تفسير سورة البقرة فلم نعده ها هنا
وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسببا الا
الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة قال ابن عباس يعني قولهم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا
يحلون اشيا ويحرمون اشيا من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو قوله تعالى لتفتروا على الله
الكذب يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افترا على الله
ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعني لا
ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالجنة والنجاح ثم بين ان
ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى متاع قليل يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل
فان لا بقا له ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انا حرمنا عليهم
ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله ان ربك للذين عملوا السو بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله وكرمه
وسعة مغفرته ورحمته لان السو لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وساير المعاصي وكل ما
لا ينبغي وكل من عمل السو فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعلا
قبيحا من كفر او معصية انما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب
او لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان من فعل السو انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد
من عمل سوا بجهالة ثم تاب واصلح العمل في المستقبل فانه يتوب عليه ويرحمه وهو قوله ثم تابوا من
بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك واصلحوا يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل يعني الاصلاح الاستقامة
على التوبة ان ربك من بعدها يعني من بعد عمل السو بجهالة والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب
وامن رحيم يعني بجميع المومنين التائبين قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة حكى ابن الجوزي عن ابن
الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث
قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسما المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله
تعالى فنادته الملايكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع

فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر
وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال احدها
قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير ياتم به اهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان
مومنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة واحدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد
ابن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه قد كان فارق الجاهلية وما كانوا
عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة
فعلة بمعنى مفعول وهو الذي ياتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله اني
جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين
عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم
عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله قانتا لله يعني مطيعا لله وقيل هو القايم باوامر
الله حنيفا مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل من اختتن وضحى واقام
مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى
كبره شاكرا لانعمه يعني انه كان شاكرا لله على انعمه التي انعم بها عليه اجتباه اي اختاره لنبوته واصطفاه
لخلته وهداه الى صراط مستقيم يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم
واتيناه في الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثنا الحسن والقبول
العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى
ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم وقيل هي انه اتاه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني
في اعلا مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الانبيا في الجنة
فيكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية
امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم
مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر الطبري امره باتباعه
في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله حنيفا وما كان من المشركين تقدم
تفسيره قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني انما فرض تعظيم السبت
على الذين اختلفوا وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم
الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيا من صنعتكم
وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل
ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون
عيدهم يوم عيدنا يعني اليهود فاتخذوا الاحد فاعطا الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها
فبورك لهم فيها ق عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون
يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون

الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا
فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت
والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيمة نحن الاخرون في الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلائق
قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم قال العلماء معنى الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود
السابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني
غير انهم او الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي
عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم
فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكله الى اجتهادهم
ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم
بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم
فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني
على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في
ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم
يقل به لان اليهود متفقون على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من
المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله
فرغ فيه من خلق الاشيا وقال اخرون بل الاحد افضل لان الله تعالى ابتدا فيه بخلق الاشيا وهذا
غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان
قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام
وبدا بالخلق والتكوين في اليوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت
اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى لما
بدا بخلق الاشيا في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل
يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه
كان فيه وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وثم
وجه اخر وهو ان الله تعالى خلق فيه اشرف خلقه وهو ادم عليه السلام ابو البشر وفيه تاب عليه
فكان يوم الجمعة اشرف الايام بهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره
لهم ولم يختاروا لانفسهم شيا فكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم قال بعض
العلما بعث موسى عليه السلام بتعظيم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ
يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة
كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وفي معنى الاية قول اخر قاله قتادة الذين اختلفوا فيه
اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اي وبال
وتغليظ على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فعذبوا ومسخوا قردة وخنازير
في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه
فلم يصطادوا فيه شيا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة وقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم

يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني في امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيمة فيجازي المحسن
بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة يعني
ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح
للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو ان لا يخفى عليهم
انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم وجادلهم بالتي هي احسن يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة اقسام القسم
الاول وهم العلما الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشيا
على حقائقها فهولاء المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية
حتى يعلموا الاشيا بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلما من الصحابة وغيرهم القسم
الثاني وهم اصحاب النظر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احد الكمال ولم
ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة اي ادع
هولاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث وهم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهولاء هم المشار اليهم
بقوله وجادلهم بالتي هي احسن يعني حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القران
يعني ادعهم بالقران الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة
والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن
اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعا الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علما التفسير هذا منسوخ
باية السيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انما عليك يا محمد
تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي
فيجازي كل عامل بعمله قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الاية بالمدينة
في شهدا احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير
البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن ابي عامر الراهب
وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا
ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا
بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتاكلها فلم تلبث في بطنها
حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على
الله من ان يدخل شيا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر
الى شي لم ينظر الى شي قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك
فانك ما علمت ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان
ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله
عز وجل وان عاقبتم الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه
عن ابي بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم
حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة

فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل
لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة
في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الاية مع بيان استيفاء الحقوق يعني
ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم
ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الاية دليل على ان الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك
بطريق الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير
زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر
خير من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين العافين **فصل** اختلف العلما هل هذه
الاية منسوخة ام لا على قولين انها نزلت قبل براة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا
يبدا بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله
ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ هذا بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له
ان ينال من ظالمه اكثر مما نال الظالم منه وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري
قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص
وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشيا لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم
قوله عز وجل **واصبر وما صبرك الا بالله** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره به وبتوفيقه وبمعونته **ولا تحزن عليهم** يعني على الكافرين
واعراضهم عنك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه
ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم
قري في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال
ابو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن
قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كانه قال ولا تكن في امر ضيق
من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة
في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة في قوله
ولا تك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشي المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط
فكانت الفائدة بذكر هذا اللفظ بهذا المعنى **ان الله مع الذين اتقوا** اي اتقوا المثلة والزيادة
في القصاص وسائر المناهي **والذين هم محسنون** يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية يعني بالعون
والفضل والرحمة يعني ان اردت ايها الانسان ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة تكن من المتقين
المحسنين وفي هذه اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق
صدق مع الحق وصلح وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم

ابو حيان

ابن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل
والله اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة بني اسرائيل**
فصل في نزولها قال ابن الجوزي هي مكية في قول جماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن
عباس انه قال هي مكية الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال
مقاتل فيها من المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك
احاط بالناس وقوله وان كادوا ليفتنونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات وقيل
واحدى عشرة اية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وستة الاف وسبعمائة وستون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا** روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
تفسير سبحان الله تعالى تنزيه الله عن كل شي هكذا ذكره بغير سند قال النحويون سبحان اسم علم
للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله اسم علم للتسبيح وتفسير سبحان
الله تنزيه الله من كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل
ما لا ينبغي الذي بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلما والمتكلمون ان المراد به
محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم
وتكريم ومنه قول بعضهم • لا تدعني الا بيا عبدها • فانه من اشرف اسمائي قيل لما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه يا محمد قال رب حيث
تشرفني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل
فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به في بعض ليلة من مكة
الى الشام مسيرة شهر او اكثر فدل تنكير الليل على البعضية **من المسجد الحرام** قيل كان الاسرا من نفس مسجد
مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر وذكر
حديث المعراج وسياتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار ام هاني بنت ابي طالب وهي بنت عمه اخت علي فعلى
هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم **الى المسجد الاقصى** يعني الى بيت المقدس سمي اقصى لبعده عن المسجد الحرام
او لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد **الذي باركنا حوله** يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا
لانه مقر الانبيا ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم
القيمة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرا كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج
به الى السما فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت كان الاسرا على ظهر البراق
الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السما على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه
وسلم لو اخبر بصعوده الى السما اولا لاشتد انكارهم كذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس وبان
لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السما فجعل الاسرا
الى المسجد الاقصى كالتوطية لمعراجه الى السما وقوله تعالى **لنريه من اياتنا** يعني من عجايب قدرتنا فقد راى
محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الانبيا وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من في قوله
من اياتنا يقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فما وجهه قلت ملكوت
السموات والارض من بعض ايات الله ولا شي اليه افضل من ذلك واكبر فالذي اراه محمدا صلى الله عليه وسلم

من اياته وعجائبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم **انه هو السميع** لاقوال محمد ودعائه **البصير** لافعاله واحواله له في ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لاقوال الجميع خلقه البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله نحمله على العموم اولى

فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قاله العلماء فيه ق عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ اتاني ات قال فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة فقال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فاستفتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقيل وما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة

كل يوم

كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن امتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت على عبادي زاد في رواية واجزي بالحسنة عشرا وفي رواية بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بما زمزم ثم ملي حكمة وايمانا وفيه فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخر ما عليهم ق عن انس بن مالك قال ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ما زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جينا الى السما الدنيا قال جبريل لخازن السما الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال معك احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم فافتح فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى السما الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السما الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات ادم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى قال موسى ما فرض ربك على امتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال له موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته فقال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال راجع فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى بي سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها المسك ق

عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة

انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال
اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام
قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه
منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ما زمزم بيده حتى انقى
جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشى صدره ولغاديده يعني عروق
حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا فقال جبريل
قال ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا به واهلا تستبشر اهل السما لا يعلم
اهل السما ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السما الدنيا ادم عليه السلام قال جبريل هذا
ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا واهلا يا بني نعم الابن انت فاذا هو في السما الدنيا بنهرين
يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى به في السما
فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال
هذا الكوثر الذي خبا لك ربك ثم عرج به الى السما الثانية فقالت الملايكة مثل ما قالت الاولى من هذا
قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا به واهلا ثم عرج به الى
السما الثالثة قالوا مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به
الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا
مثل ذلك كل سما فيها انبيا قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة واخر في الخامسة
فلم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال موسى رب لم اظن انه
يرفع علي احد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جا سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى
فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما اوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى
بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال
امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل
كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شيت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب
خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده
موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني اسرايل
موسى على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع
فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه ولا
يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفا اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم
فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك
في ام الكتاب فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال
كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها فقال موسى قد والله راودت بني اسرايل
على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا
لفظ البخاري وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث ثابت البناني المسند وذكر

من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد
ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث
حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال
فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني
جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا
الى السما فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف
عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الرابعة فاستفتح
جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بادريس فرحب ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بي الى السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى واذا ورقها كاذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تستطيع
ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيية فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيية واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ا بمحمد تفعل
هكذا ما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النساي مختصرا والمعنى واحد وفي اخره
قال رجعت الى ربي فسالته التخفيف فقال ان يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى

وعلى امتك خمسين صلاة تخمس بخمسين نقم بها انت وامتك فعرفت انها من الله صرى يقول حتم

فصل

قال البغوى قال اهل الحديث ما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك ابن ابى نمر عن انس واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحى واتفق اهل العلم ان المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنى عشر سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عايشة ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لا يصح لان هذا كان رويا فى النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التى راها من قبل كما انه راى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال الشيخ محيى الدين النواوى رحمه الله فى كتابه شرح مسلم قد جاء فى رواية شريك فى هذا الحديث اوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسرا اقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبايل قال الشيخ محيى الدين واشبه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق واما قوله فى رواية شريك وهو نايم وفى الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رويا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس فى الحديث ما يدل على كونه نايما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهو الذى قاله فى رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن انس فى كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابى نمر عن انس وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين والايمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التى تقدمت قبل هذا هو المعول عليها

فصل فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به

كانت ليلة الاسرى قبل الهجرة بسنة يقال كانت فى رجب ويقال فى رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس فى الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلق من المتاخرين والفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى به بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول من طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رويا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا القول عن عايشة ايضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلما من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق وهو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته او لشدة صفايه وبياضه ولمعانه وتلالئه ونوره والحلقة

باسكان

باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل بانا من خمر وانا من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة الفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بى حتى اتى السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها حرسا وقوله بواب السما وقد ارسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرا وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقاله غيره وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه استحباب لقا اهل الفضل والصلاح والبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزاير افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملايكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين او اكثر قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيى الدين معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته منه اولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربى معناه بين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرويا وما يتعلق بها فانه سياتى ان شا الله تعالى فى تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم دنى فتدلى قوله ففرض الله على امتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الخ ثم قال هى خمس وهى خمسون من الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا الحديث على جواز النسخ قبل فعله وفى اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت مرضعة فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملايكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلى حكمة وايمانا فافرغها فى صدرى فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل فى الطست شى يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله صفة ادم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى ارواح بنيه وقد اعترض

على هذا بان ارواح المومنين في السما وارواح الكفار تحت الارض السفلى فيكون يكون في السما
والجواب عنه بانه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السما فوافق وقت
عرضها على ادم مرور النبي صلى الله عليه وسلم به فاخبر بما راى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك
واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وحزنه بحسن حال المومن منهم
وحزنه على سو حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق
المورخون ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليه السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم
كما ان ابراهيم جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال ادم وابراهيم
عليهما السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية
ابراهيم فليس هو جد لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث
ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله
تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا لان الانبيا اخوة والمومنون اخوة والله اعلم **فصل**
في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق الاحاديث
تتعلق بالاسرا قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان
بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس
وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي اصبحت بمكة فضقت بامري
وعرفت ان الناس مكذبي فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه
فقال كالمستهزي هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس
قال ابو جهل ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث
ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فانفضت
المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك ما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى
اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين
واضع يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن كان قد امن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي
بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال
نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا او تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة قبل
ان يصبح قال نعم لاني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السما في غدوه او روحه فلذلك سمي
ابو بكر الصديق قال وكان في القوم من اتى المسجد الاقصى قال هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال
نعم فذهبت انعت وانعت حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل
فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن
عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا وقد اضلوا بعيرا وهم
في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسالوا هل وجدوا الما
في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما
بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمي بفلان فانكسرت فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه اية قالوا فاخبرنا
عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك

ثم سألت

ثم سألت له بعد عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان
وفلان يقدمها جمل ازرق عليه غرارتان مخيطتان يطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية
ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد اشيا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا عليه
فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال اخرون هذه
العير قد طلعت يقدمها بعير ازرق فيها فلان وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين **م** عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني
عن مسراي فسالتني عن اشيا عن بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط قال فرفعه
الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبيا فاذا موسى قايم يصلي
فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوه واذا عيسى ابن مريم قايم يصلي اقرب الناس به شبها عروة
ابن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قايم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم
فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال لي قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه
فبداني بالسلام **ق** عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش قمت الى الحجر
فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية لما كذبتني قريش
حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث **م** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على
موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي
فان قلت كيف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبيا ببيت المقدس
ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبيا بعد الموت وهم
في الدار الاخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا ببيت المقدس يحتمل ان الله جمعهم له
ليصلي بهم او يعرفوا بفضله ويقدموه عليهم ثم ان الله تعالى اراه اياهم في السموات على مراتبهم وفضلهم
واما مروره بموسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه عن المعراج واما
حكم صلاة الانبيا وهم في الدار الاخرة فهي في حكم الشهدا بل افضل منهم وقد قال الله ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا فالانبيا احيا بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا
وذلك من اعمال الاخرة قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصايص في الاخرة كما خصهم في الدنيا بخصايص لم يخص
بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم
بالحقايق قوله تعالى **واتينا موسى الكتاب** يعني التوراة **وجعلناه هدى لبني اسرايل الا تتخذوا** يعني
وقلنا لهم ان لا تتخذوا **من دوني وكيلا** يعني ربا وكفيلا **ذرية** يعني يا ذرية **من حملنا مع نوح انه كان
عبدا شكورا** يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال
الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل **وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب** يعني اعلمناهم
واخبرناهم فيما اتيناهم من الكتب انهم سيفسدون وهو قوله **لتفسدن في الارض مرتين** قال ابن
عباس وقضينا عليهم في الكتاب والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم مجازه
والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس **ولتعلن** يعني

ولتنكبرن ولتظلمن الناس **علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما** يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة
الاولى موت اخالفوا من احكام التورية وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة
وارتكابهم المعاصي **بعثنا عليكم عبادا لنا** يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنحاريب
من اهل نينوى وقيل هو بخت نصر البابلي وهو الاصح **اولي باس شديد** يعني ذوي بطش وقوة في الحرب **فجاسوا
خلال الديار** يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم **وكان وعدا مفعولا** يعني قضاء كائنا
لازما لا خلف فيه **ثم رددنا لكم الكرة عليهم** يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم
حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد **وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا** يعني
اكثر عددا **ان احسنتم احسنتم لانفسكم** يعني لها ثوابها وجزاء احسانها **وان اساتم فلها** يعني
فعليها عقاب اساءتها **فاذا جاء وعد الاخرة** يعني المرة الاخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى
فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم
فسبوهم وقتلوهم وهو قوله **ليسوءوا وجوهكم** يعني ليخزوكم ويعموكم دقرى بالموت اي ليسوء الله وجوهكم
وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه **كما دخلوه اول مرة** يعني وقت افسادهم الاول **وليتبروا
ما علوا تتبيرا** يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل **ذكر القصة** في هذه
الايات قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم
ومحسنا اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم
الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التورية والاحكام التي
فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن امضيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي
بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشري اوري سلم ومعناه ابشري الان ياتيك راكب الحمار ومن
بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس فلما انقضى ملكه عظمت
الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فلم يزل سائرا
حتى اتى حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعيا النبي اليه وقال يا ملك
بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده وقد راهم الناس وفزعوا منهم فكبر ذلك على
الملك وقال يا نبي الله هل اتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب
وجنوده فقال شعيا لم ياتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان ائت ملك بني
اسرائيل فقل له ان ربك قد اوحى الي ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل
بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي
ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم
يا رؤوف الذي لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل فذلك كله كان منك
وانت اعلم به مني سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الى شعيا ان يخبر صديقة
ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمسة عشر سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه شعيا
فاخبره فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا وقال الهي واله ابائي لك سجدت وسبحت وكرمت
وعظمت انت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم
الغيب والشهادة انت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين

انت الذي

انت الذي اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع راسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقة فيامر
عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برا ففعل ذلك فشفي فقال
الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له اني كفيتك
عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما اصبحوا جاء
صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب
ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه
الطلب في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بخت نصر فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم
الملك فلما راهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنحاريب كيف رايت
فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنحاريب قد اتاني خبر ربكم ونصره
اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي
ولو سمعت او عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء
ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا
وعذابا في الاخرة ولتخبروا من وراءكم بما رايتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك
ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم ان ملك بني اسرائيل
امر امير حرسه ان يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا
وكان رزقهم خبزتين من شعير فقال سنحاريب للملك صديقة القتل خير مما يفعل بنا فامر بهم الى
السجن فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل
فلما قدموا جمعوا الناس فاخبروهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد
كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد مع ربهم
وكان امر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل بما كفاهم الله تعالى ذلك بذكره وغيره ثم ان سنحاريب مكث
بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابن ابنه بخت نصر فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث
سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل
بعضهم بعضا وشعيا نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك اوحي على
لسانك فلما قام انطق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقص
شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده كالغنم
الضائعة التي لا راعي لها فاوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها
وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم
صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة لا يدرون اني جاءهم الحين ان البعير مما تذكر وطنه
فينتابه وان الحمار مما تذكر الاري الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما تذكر المرج الذي سمن فيه
فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير
اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي
فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي او يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا
وشيد فيها قصرا وانبط نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب والوان

الثمار كلها وولي ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا قويا امينا فلما اطلعت جا طلعها خروبا قالوا يبست الارض هذه نرى ان نهدم جدارها وقصرها وندفن نهرها ونقبض فيها ونحرق غرسها حتى نصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب التي اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة وان قد قضيت عليهم قضاهم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان يتقربوا الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها يشيدون بالبيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم واحلامهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها واي حاجة الي تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزكوا صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عوا الذياب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فسلهم من ذا الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي ام كيف تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم انما اجر عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب دعاهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعي اللين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة وتاليف مما تولف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضا اثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا لا بد انه واقع فان صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضيه فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان كانوا يقدرون على ان يولفوا ما يشاون فيولفوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السما والارض ان اجعل النبوة في الاجراء وان اجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلا والقوة في الضعفا والغنا في الفقرا والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القايم بها ومن اعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون فاني باعث لذلك نبيا اميا اعمى من عميان ضلالة من ضلالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهد به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين القلوب المختلفة واهوا مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس

يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا رضواني الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماوهم واناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرايل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا ان اخلقنا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ات قومك من بني اسرايل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شيت اني معك ولن يصلوا اليك بشي معي فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستماية الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولا الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرايل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وفرق من بقي من بني اسرايل ثلاث فرق ثلثا اقر بالشام وثلثا سبا وثلثا قتل وذهب بابنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الالف حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله عز وجل ببني اسرايل بظلمهم فذلك قوله تعالى فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بخت نصر واصحابه ثم ان بخت نصر اقام في سلطانه ما شا الله ثم راي رويا عجيبة اذ راي شيا اصابه فانساه الذي راي فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا من ذراري الانبيا وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها قال ما اذكرها ولين لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاوه فقالوا رايت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وراسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت

تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله صخرة من السما فقذفته فهي التي انسكها قال صدقت فما تاويلها قالوا
تاويلها انك رايت ملوك الملك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا
الفخار اضعفه ثم اثوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب
احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اشد واعز مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل
الله من السما فقذفته نبي يبعثه الله من السما صدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل
قالوا لبخت نصر ارايت هولا الغلمان من بني اسرايل الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد
انكرنا نساينا منذ كانوا معنا لقد رايت نسانا انصرفت وجوههم عنا اليهم فاخرجهم من بيننا اظهرنا او
اقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله
عز وجل وقالوا يا ربنا اصابنا البلا بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان بقي منهم
مع بخت نصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل ثم لما اراد الله تعالى هلاك بخت نصر انبعث فقال
لمن في يده من بني اسرايل ارايتم هذا البيت الذي اخربت والناس الذين قتلت منهم وما هذا البيت
قالوا هذا بيت الله وهولا اهله كانوا من ذراري الانبيا فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم
وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلايق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط
عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرايل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع
الى السما العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر عليها
احد من الخلايق قال ليفعلن او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل
عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجا له
راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله
العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني اسرايل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على
احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى احيى اوليك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام
دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل
فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير
ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا واخرتنا غيره
قال افتحب ان يرد اليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير
فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتا ذلك الرجل باناء فيه ما وكان
ملكا بعث الله اليه فسقاه من ذلك الانا فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرايل فوضع لهم التوراة
فاحبوه حبا لم يحبوا حبه شيا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرايل بعد ذلك يحدثون الاحداث
ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من
انبيايهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت ال داود ومات زكريا وقيل قتل وقصدوا
عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك
بابل يقال له حردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من روسا
جنوده يقال له بنوزراذان صاحب القتل فقال له اني كنت حلفت بالهي لين انا ظفرت على اهل بيت
المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى

يبلغ

يبلغ ذلك منهم ثم ان بنوزراذان دخل بيت المقدس فدخل البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم
فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقال يا بني اسرايل ما شان هذا الدم يغلي اخبروني خبره فقالوا
هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا من ثمان مائة سنة فتقبل منا
الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك
والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح بنوزراذان منهم على ذلك الدم سبع مائة وسبعين
روحا من روسهم فلم يهدا الدم فامر بسبع مائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فامر
بسبعة الاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فلما راى بنوزراذان الدم لا يهدي
قال ويحكم يا بني اسرايل اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شيتم
قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر ولا انثى الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر
فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كان ارشد
لنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بنوزراذان ما كان اسمه قالوا
يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى بنوزراذان انهم صدقوه خر
ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان هاهنا من جيش حردوس وخلا في
بني اسرايل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم
فاهدا باذن ربك قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بنوزراذان
عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنو اسرايل وايقنت انه لا رب غيره وقال لبني اسرايل ان
حردوس امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دماوكم وسط عسكري واني لا استطيع ان اعصيه قالوا
افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل
من المواشي فلم يظن حردوس الا ان ما في الخندق من دما بني اسرايل فلما بلغ الدم عسكره ارسل
الى بنوزراذان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرايل او كاد وهي الوقعة الاخيرة
التي انزل الله بني اسرايل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بخت نصر
وجنوده والاخيرة حردوس وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل
الملك بالشام ونحوها ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بني اسرايل كثير وكانت لهم
الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا واحدثوا فسلط
الله عليهم طيطوس ابن اسبانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة
وضرب عليهم الذلة فليسوا في امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة
عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرايل كان يلزمه
ويدني مجلسه وان الملك هوي بنت امراته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسال يحيى تزويجها فنهاه
عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا
رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن
نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سالته فاذا اعطاها ما سالت سالت راس يحيى بن زكريا ان
يوتى به في طست ففعلت فلما راودها قالت لا افعل حتى تعطيني ما اسالك قال فما تسالينى

قالت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا
فلما ابت عليه بعث فاتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما اصبح
اذا دمه يغلي فامر بتراب فالقي عليه فرقا الدم يغلي فلا زال يلقي عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ
سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقيل سبعين
الفا حتى سكن قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة
اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي
سجنا ومجلسا من الحصر الذي هو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش قوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل الى الكلمة التي هي
اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعني القرآن المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار
في الآخرة ويدع الانسان اي على نفسه وماله وولده بالشر يعني قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم
العنه ونحو ذلك دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله
دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي بالدعا
على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سرا ولا ضرا قوله عز وجل
وجعلنا الليل والنهار آيتين اي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان
احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح
الدين والدنيا اما في الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام
ففيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان مصالح الدنيا
لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني
ان يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو
الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء وجعلنا آية النهار مبصرة اي يبصر فيه الاشياء رؤية بينة
قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءا
فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء
وبقي فيه النور وسال ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم
اي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا اي باختلاف الليل والنهار
عدد السنين والحساب اي مما تحتاجون اليه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت
الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف
وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام
والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس
بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شيء فصلناه تفصيلا يعني وكل شيء تفتقرون اليه من امر
دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار
وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر انهما نعمتان من الله على اهل الدنيا وكل ذلك

تفضلا

تفضلا منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اين ما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب
به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطائر ما قضي عليه انه
عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما
طار من عمله لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت
هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضا
لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان كالقلادة او الحلي
في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه ونخرج له يقول الله
عز وجل ونحن نخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل بسطت للانسان صحيفتان
ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه
في قبره فلا ينشران الى يوم القيامة اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن
قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب
نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه
الى غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة حمل اخرى من الآثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل
احد مختص بذنب نفسه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه
دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
في معنى الآية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى بماذا امرهم قال
اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم
خالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم
اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا
قوله تعالى امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا
فيها اي خرجوا عما امرهم الله من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها
تدميرا اي اهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن ام المؤمنين زينب بنت
جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب
قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال
لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون
اي المكذبة من بعد نوح يعني عادا وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف بذلك كفار مكة قال عبد الله
ابن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن ويزيد بن معاوية
اخره وقيل القرن مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم
وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة

سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون سنة وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني
انه عالم بجميع المعلومات راى بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء في احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة
اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد اي يفعل به ذلك
او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي
يشاؤه ولمن يريد ان يعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها وبيان
ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له اي في الاخرة جهنم يصلاها اي يدخلها مذموما
مدحورا اي مطرودا مبعدا قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها وهو
مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة
الاخرة بعمله ويتجاوز عن دار الغرور والسعي فيما كلف به من الفعل وترك ما امر بتركه والايمان الصحيح
الثابت وعن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
وتلا هذه الاية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد
الاخرة من عطاء ربك اي نرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي
ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لا حظ للكفار في الاخرة انظر يا محمد كيف فضلنا
بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع
الاخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة
الاخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان يشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد
رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقامة قوله تعالى لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب مع النبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى
فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اي وامر ربك قاله ابن
عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه وحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قرأها
ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام فخر
الدين في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد تطرق الى القرآن
ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين
ان لا تعبدوا الا اياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة
عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا
منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اي
برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما
يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما في اول العمر واعلم انه تعالى
لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله فلا تقل لهما اف وهي كلمة
تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد نفخته تزيله تقول اف
ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله ولا تنهرهما اي تزجرهما عما
يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التافيف يدل على المنع من الانتهار

فما وجه

فما وجه الجمع قلت المراد من قوله فلا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا
تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما قولا كريما اي حسنا
جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قيل هو ان تقول يا ابتاه يا اماه ولا يسميهما باسمائهما ولا يكنيهما
وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض
لهما جناح الذل اي الن لهما جانبك واخفض لهما حتى لا تمتنع من شيء احباه من الرحمة اي من الشفقة
عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله
تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اي وادع الله لهما ان يرحمهما رحمته الباقية واراد به اذا كانا
مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا
هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث
افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم
يرخص في ادنى كلمة تسوؤهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم فصل
في الاحاديث التي وردت في بر الوالدين ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك م عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله
قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة م عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال
نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالد وسخط
الرب في سخط الوالد اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو اصح عن ابي الدرداء قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فاضع ذلك او احفظه اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح ق عن عبد الله بن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي العمل احب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال
الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما
من التوقير او عقوقهما ان تكونوا صالحين اي ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير
كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل او فرطت منكم في حال الغضب وعند
جزع الصدر وما لا يخلوا منه لشيء يؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم مما فرطتم
فانه كان للاوابين اي للتوابين غفورا قال سعيد بن جبير في هذه الاية هو الرجل تكون منه
البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي
يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما
يحزبه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل
عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون الضحى
فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال اي يريد ارتفاع

الضحى وان تحمى الرمضا وهو ان تحمى حر الشمس فينزل لعقا لرمن الحر وشدة احراقه اجنافها والفصال جمع فصيل وهي اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشا ويدل عليه ما روي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشا وهي صلاة الاوابين قوله تعالى **وات ذا القربى حقه** قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان يوتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة وان يوتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السرا والضرا والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة وقال الشافعي لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده او ولد على والديه بحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل **ولا تبذر تبذيرا** اي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما او مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال الانفاق للمال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** يعني اوليا وهم واحد قالهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم **وكان الشيطان لربه كفورا** اي جحودا للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه يدعوا الى مثل عمله قوله عز وجل **واما تعرضن عنهم** نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحيان مما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حيا منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الاية والمعنى ان تعرض عن هولا الذين امرتك ان تؤتيهم **ابتغا رحمة من ربك ترجوها** اي انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك **فقل لهم قولا ميسورا** اي لينا جميلا اي عدهم وعدا يطيب به قلوبهم وقيل هو ان تقول رزقنا الله واياكم من فضله قوله تعالى **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقت اخر فعاده الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فانزل الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك **ولا تبسطها** اي بالعطا كل البسط اي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير **فتقعد ملوما** اي عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وقيل ملوما عند نفسك واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك عن الامساك اذا لم تعطهم **محسورا** اي منقطعا بك لا شي عندك تنفقه وقيل محسورا اي نادما على ما فرطت منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان ربك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى **ان ربك يبسط** اي يوسع **الرزق لمن يشا ويقدر** اي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** يعني انه تعالى عالم باحوال عباده وما يصلحهم فالتفاوت في ارزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق**

اي فاقة

اي فاقة وفقر **نحن نرزقهم واياكم** وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة او يخافون عليهم من النهب والغارات او انهم ينكحوهن لغير اكفا لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن فقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما انه يفتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النسا **ان قتلهم كان خطا كبيرا** اي اثما كبيرا **ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة** اي قبيحة زايدة على حد القبح **وسا سبيلا** اي بيس طريقا طريقه وهو ان يغصب امراة غيره او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب المرضية فقال الا بالحق اي الا باحد ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه في الصحيحين **ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا** اي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شا استقاد منه وان شا اخذ الدية وان شا عفا **فلا يسرف في القتل** اي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد هو الحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربايه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل **انه كان منصورا** وقيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول ومعناه انه كان منصورا على القاتل باستيفا القصاص منه قوله تعالى **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن** اي بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وحفظه عليه **حتى يبلغ اشده** هو بلوغ النكاح والمراد بالاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله فلو بلغ غير كامل العقل لم يفك عنه الحجر **واوفوا بالعهد** اي الاتيان بما امر الله والانتها عما نهى عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه **ان العهد كان مسئولا** اي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسال صاحبه فيقال فيما نقضت كالموودة يسال فيما قتلت قوله عز وجل **واوفوا الكيل اذا كلتم** المراد منه اتمام الكيل **وزنوا بالقسطاس المستقيم** قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو اكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي سرياني والاصح انه عربي ماخوذ من القسط وهو العدل اي زنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز منه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشرا فالشارع بالغ في منع التطفيف والنقصان سعيا في ابقا الاموال على اربابها **ذلك خير واحسن تاويلا** اي احسن عاقبة من ال اذا رجع وهو ما يوول اليه امره قوله تعالى **ولا تقف** اي ولا تتبع **ما ليس لك به علم** اي

لا تقل رايت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفوا الامور سيما ويتتبعها وحقيقته لا تتكلم في احد بالظن ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا معناه يسال المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسال السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا يرجع الاشارة في اولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول يرجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله ومن شر منيي يعني ماءه وذكره قوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا او كبرا وخيلا انك لن تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك حتى يبلغ اخرها ولن تبلغ الجبال طولا اي لا يقدر ان تطاول الجبال وتزيد عليها بكبرك والمعنى ان الانسان لا يبالي بكبره وبطره شيا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شي وقيل ان الذي يمشي مختالا لا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذي في الشمائل بقوله تكفا التكفؤ التمايل الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ اي كانه ينحدر من موضع عال عن ابي هريرة قال ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذي قوله لغير مكترث اي غير مبال ساق الاكتراث الامر الذي يشق على الانسان كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها اي كل ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروها قلت فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئه وقيل مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي الاحكام المذكورة في هذه الايات شرايع واجبة الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فهي محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الايات ترجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الايات كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة واعلم ان الله تعالى افتتح هذه الايات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكون فيه التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شي ثم انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان الشرك يجب كون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الاية ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم هو ان كونه مذموما معناه ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهو مذموم فيقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعود المطرود عن كل خير قوله عز وجل افاصفاكم ربكم يعني اخصكم واختاركم وجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لانهم كانوا

يقولون

يقولون الملكية بنات الله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية تجهل القايلين بهذا القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اي ليتعظوا ويعتبروا وما يزيدهم اي تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق قل يا محمد لهولاء المشركين لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي لطلبوا يعني هولاء الالهة الى ذي العرش سبيلا اي بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه ليتقربوا اليه وقيل معناه ليعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يعني وصفه بذلك للمبالغة في البراة والعبد مما يصفونه به قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني الملايكة والانس والجن وان من شي الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شي حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات والناميات وقيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا فاذا توسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقيل وان من شي جماد او حي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشيا تسبح الله حيوانا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روي ابن مسعود قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاووا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رايت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اخرجه البخاري م عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ليالي بعثت اني لاعرفه الان خ عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشي ففي هذه الاحاديث دليل على الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان الله تعالى خلق علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت

تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت
لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد
كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني وبينها
وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لان يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه
واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلوا القران ولوا على ادبارهم
نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به اي من الهزو بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي
يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرا القران واذ هم نجوى اي وبما
يتناجون به في امرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول هو ساحر او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة واصحابه ان تتبعون الا رجلا
مسحورا اي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرية ومعناه انه
بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب اي نعلل
بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع
ذلك وجاروا فلا يستطيعون سبيلا اي الى طريق الحق وقالوا ائذا كنا عظاما اي بعد الموت
ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شي يكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فيه انهم
استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلا فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم يا محمد كونوا حجارة اي
في الشدة او حديدا اي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر تعجيز اي استشعروا في قلوبكم
انكم حجارة او حديدا في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني السماء والارض والجبال لانها اعظم
المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شي في نفس ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه
لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول
مرة فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة فسينغضون اليك رؤوسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك
مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو يعني البعث والقيامة قل عسى ان يكون قريبا اي هو
قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيمة فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بامره
وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع
المومنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك
لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بالنسبة لمدة القيمة
والخلود في الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيمة قوله تعالى وقل لعبادي
يقولوا التي هي احسن وذلك لان المشركين كانوا يوذون المسلمين فيشكوا ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي احسن اي لا تكافوهم
على سفههم بل تقول لهم يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب
وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المومنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي
هي احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويلقي
العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا
يرحمكم اي يهديكم للايمان فتومنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه

ان يشا

ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
اي حفيظا وكفيلا قيل نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم
بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذوات الارضين والسموات يعلم حال كل
احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم
ومللهم واديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى
تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتى داود زبورا وذلك قوله
تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله على داود يشتمل على ماية وخمسين سورة كلها دعا وثنا
على الله وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داود
في الاية بالذكر دون غيره من الانبيا قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين
على بعض ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر
ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في الاية المراد منه العلم لا الملك والمال الوجه الثاني
ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث
ان اليهود زعمت ان لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله تعالى بقوله واتينا داود
زبورا ومعنى الاية انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعطاه القران وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا
صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا الخطاب مع من يقر بتفضيل
الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين اصابهم قحط
شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل
قل ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم اي الجوع والقحط ولا تحويلا اي
الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان
نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه
تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الاية وبين عجز الهتهم ثم قال تعالى
اولئك الذين يدعون يعني الذين يدعونهم المشركين الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة اي القربة
والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد
الله بن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن
ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الاية وقوله تعالى ايهم اقرب معناه
انهم ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل
الصالح وازدياد الخير والطاعة ويرجون رحمته اي جنته ويخافون عذابه وقيل معناه يرجون نجاة
كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي كان حقيقا بان يحذره
كل احد من ملك مقرب او نبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلايق قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة اي بالموت والخراب او معذبوها عذابا شديدا اي بالقتل وانواع العذاب
اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المومنين هو بالاماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن
مسعود اذا ظهر الربا والزنا في قرية اذن الله في هلاكها كان ذلك في الكتاب اي في اللوح المحفوظ مسطورا

اي يكونوا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق
الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر ما هو كائن الى الابد اخرجه الترمذي قوله تعالى وما
منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون قال ابن عباس سال اهل مكة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان تنحى الجبال عنهم ليزدرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه
وسلم ان شئت ان استاني بهم فعلت وان شئت ان اوتيهم ما سالوا فعلت فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت
من كان من قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستاني بهم فانزل الله وما منعنا ان نرسل بالايات
التي سالها قومك الا ان كذب بها الاولون اي فاهلكناهم فان لم يومن قومك بعد ارسال الايات
اهلكتهم لان من سنتنا في الامم اذا سالوا الايات ثم لم يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد
حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا
بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة اي بينة وذلك لان اثار اهلاكهم
في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فظلموا بها اي فجحدوا بها انها من عند
الله وقيل ظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة وما نرسل بالايات الا تخويفا اي وما نرسل
بالايات المقترحة الا تخويفا اي انذارا بعذاب الاخرة ان لم يومنوا فان تخوف الناس بما تشا من اياته لعلهم
يرجعون قوله عز وجل واذ قلنا لك اي واذكر يا محمد اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي ان
قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فاذا كان الامر كذلك فهم
لا يقدرون على الامر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما امرتك
به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس
الاكثرون من المفسرين على ان المراد منه ما راي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجايب والايات
قال ابن عباس هي رويا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس اخرجه
البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب
تقول رايت بعيني روية ورويا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم ذلك
وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسري بروحه دون جسده وتوضيح
وقال قوم كان له معراجان معراج روية عين في اليقظة ومعراج رويا منام وقيل اراد بهذه الرويا ما
راي النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل
فصده المشركون فرجع الى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم
ثم دخل مكة في العام المقبل وانزل الله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم راي في المنام ولد الحكم بن امية ينزون على منبره كما ينزو القردة فساءه ذلك فان اعترض
معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانت بالمدينة اجيب بانه لا اشكال
فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة والشجرة
الملعونة في القران يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة والصافات والعرب تقول
لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ابن ابي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم
بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال
ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الثريد والتمر فقال ابو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فاتت بزبد

وتمر فقال

وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى حين عجبوا ان
يكون في النار شجرة انا جعلناها فتنة للظالمين الايات فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران
قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن
اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل جهنم
في ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث التي تلتوي
على الشجرة والشوك فتجففه ونخوفهم فما يزيدهم اي التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا قوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا اي من طين
وذلك ان ادم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح
فهو شقي قال يعني ابليس ارايتك الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني هذا الذي كرمت علي اي فضلته
علي لئن اخرتني اي امهلتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم
كيف شيت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في
قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله تعالى اذهب اي امض لشانك وليس من الذهاب الذي
هو ضد المجي فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اي مكملا قوله عز وجل
واستفزز اي استخف واستزل واستجهل وازعج من استطعت منهم اي من ذرية ادم بصوتك قال
ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو
واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي اجمع عليهم مكايدك وخيلك واحثهم على الاغواء وقيل
معناه تستعين عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وكل من قاتل او مشى في معصية
الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جيتنا بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فكل مال اصيب من حرام او انفق في حرام وقيل
هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم او يحرمونه كالبحيرة والسايبة والوصيلة والمشاركة في
الاولاد فروي عن ابن عباس انها الموودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هو تسميتهم اولادهم في
الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل
وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار
ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال ان امراتي
استيقظت وفي فرجها شعلة من نار قال ذلك من وطي الجن وعدهم اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة
ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان ان دعى الى المعصية فلا بد ان يقرر اولا انه لا مضرة في فعله البتة
وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فتقرر عنده انه لا مضرة
البتة في هذه المعاصي فاذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة
والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوى الى المعصية ثم ينفر عن فعل الطاعات
وهو انه تقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فايدة فيها وقيل معنى عدهم اي شفاعة الاصنام
عند الله وايثار العاجل على الاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشيا بصيغة الامر والله تعالى يقول
ان الله لا يامر بالفحشا قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم وكقول القايل اجتهد
جهدك فسترى ما ينزل بك وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي يزين الباطل بما يظن انه حق

واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما يكون زاجرا عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا
والسبب فيه انه انما يدعوا الى قضا الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعوا الى معرفة الله ولا الى عبادته
وتلك الاشيا التي تدعوا اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا
حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضا وبعضها المر في الهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشيا
بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يعني بعبادة الانبيا واهل
الفضل والفلاح لا يقدر على اغوايهم وكفى بربك وكيلا اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان
ياتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك
وكيلا اي فالله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصم من اغوايه
واضلاله وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل ادم فسلطني
عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم الاية
فقال ادم يا رب سلطته علي وعلى ذريتي واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد
الا وكلت به من يحفظه قال يا رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال يا رب
زدني قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبيا وانزلت
كتبا فما قراتي قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال اين مطعمي قال ما لم
يذكر عليه اسمي قال ما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق
قال وما حبائلي قال النسا قال وما اذاني قال المزمار قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم اي يسوق ويجري
لكم الفلك اي السفن في البحر لتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها انه
كان بكم رحيما اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم واذا مسكم الضر اي الشدة وخوف
الغرق في البحر ضل من تدعون اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام
وغيرها الا اياه اي الا الله وحده وانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم
وانجائكم فلما نجاكم اي اجاب دعاكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا اي جحودا افامنتم اي بعد انجائكم ان يخسف بكم جانب البر اي يغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته
برا كان او بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت التراب كما ان
الغرق يغيب تحت الما او يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حجارة من السما كما امطرها على قوم لوط ثم
لا تجدوا لكم وكيلا اي مانعا وحرزا ام امنتم ان يعيدكم فيه اي في البحر تارة اي مرة اخرى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شي من شجر
وغيره فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا المتبيع
المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من
جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال ابن عباس هو انه
ياكل بالايدي وغير الادمي ياكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط
والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحا والنسا بالذوايب
وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تاميرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم
خير امة اخرجت للناس وحملناهم في البر اي على الابل والخيل والبغال والحمير والبحر اي وحملناهم في

البحر

البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله تعالى سخر له هذه الاشيا لينتفع بها ويستعين
بها على مصالحه ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل السمن والزبد والتمر والحلو
وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا
باطيب الصنفين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان وفضلناهم على
كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم ان الله تعالى قال في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم وفي اخرها وفضلناهم
ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله كرم الانسان
على ساير الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى
عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقايد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم
والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه فضل بني ادم على
كثير من خلقه لا على الكل فقيل فضلوا على جميع الخلق الا على المليكة وهذا مذهب المعتزلة وقال
الكلبي فضلوا على الخلايق كلهم الا على طايفة من المليكة مثل جبريل وميكاييل واسرافيل وعزراييل واشباههم
وقيل فضلوا على جميع الخلايق وعلى المليكة كلهم فان قلت كيف يصنع بكثير قلت بوضع الاكثر موضع الكل
كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله
ادم وذريته قالت المليكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة
فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو
الاولى الراجح ان خواص بني ادم وهم الانبيا افضل من خواص المليكة وعوام المليكة افضل من عوام
بني ادم وهذا التفضيل انما هو بين المليكة والمومنين من بني ادم لان الكفار لا حرمة لهم قال
الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال المومن اكرم على الله من المليكة الذين عنده قوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم
اي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي
دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رييسهم في الخير والشر
وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن
والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه فاوليك يقرون كتابهم فان قلت لم خص
اصحاب اليمين بقراة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرونه ايضا قلت الفرق ان اصحاب الشمال
اذا اطلعوا على كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا
يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراتهم كلا قراة واما اصحاب اليمين اذا اطلعوا على كتابهم وجدوه
مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرونه احسن قراة وابينها ولا يظلمون فتيلا اي ولا ينقصون
من ثواب اعمالهم ادنى شي ومن كان في هذه اعمى المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في
هذه يعني في الدنيا اعمى يعني عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الايات المتقدمة فهو في الاخرة التي
لم تعاين ولم تر اعمى واضل سبيلا قال ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن روية
قدرة الله واياته وروية الحق فهو في الاخرة اعمى اي اشد عمى واضل سبيلا اي اخطا طريقا وقيل
معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى لانه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل
توبته قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل في سبب نزولها ان النبي صلى

الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهتنا وتمسها فحدث
نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم اني لكاره بعد ان تدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر الهتهم
حتى يسلموا او يتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نحني في الصلاة اي لا
نحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم واما الطاغية يعني
اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب ان يسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط
غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم يعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله وان كادوا اي هموا ليفتنونك اي ليصرفونك
عن الذي اوحينا اليك لتفتري اي لتختلق وتقول علينا غيره اي ما لم نقله واذا اي لو فعلت ما دعوك
اليه لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت
تركن اي تميل اليهم شيا قليلا اي قريبا من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف
يجوز ان يقرب ما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عن حديث النفس وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح ان الله تعالى
قال ولولا ان ثبتناك وقد بينه الله فلم يركن اليهم اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني اضعفنا لك العذاب
في الدنيا والاخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل هذه الاية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا فاتوه فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه
بارض الانبيا وان ارض الانبيا الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبيا عليهم
السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك
من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي
الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الاية والارض هنا ارض المدينة وقيل الارض
ارض مكة والاية مكية هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه
وهذا اليق بالاية لان ما قبلها خبرا عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان
يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز
الازعاج واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله
تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله
ان يهلكهم ولا يعذبهم ما دام بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله
عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس روي ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل
والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطا وقتادة ومجاهد
والحسن واكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا
غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت

الصلاة

الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر الى غسق الليل اي ظهور ظلمته وقال ابن
عباس بدو الليل فهذا يتناول المغرب والعشا وقران الفجر يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرانا لانها
لا تجوز الا بقران ان قران الفجر كان مشهودا اي يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار ح عن ابي هريرة
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجميع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع
ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم ان قران الفجر كان مشهودا
قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس افضل من التنوير لان
الانسان اذا شرع فيها من الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة الباقية فتكون ملايكة الليل حاضرين
ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضو حضرت ملايكة النهار
اما اذا ابتدا بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملايكة الليل فلا يحصل المعنى
المذكور في الاية فثبت ان قوله تعالى كان مشهودا على ان الصلوة في اول وقتها افضل قوله تعالى
ومن الليل فتهجد به اي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الاية
قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتدا
لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة
بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا
في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله نافلة لك اي زيادة لك يريد فريضة زايدة على ساير الفرايض
التي فرضها الله عليك روي عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهي
سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار
قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة
في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فايدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد
والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات

فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل ق عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت
عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم قام فصلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما
ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشر ركعة لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة بن عبد
الرحمن انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان
يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشر ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل
ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة
ويسجد سجدتين قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين
له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة م عنها قالت

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك
الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف
وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت
والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بال عمران
ثم سورة سورة اخرجه ابو داود والنسائي عن عايشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من
القران ليلة اخرجه الترمذي ق عن انس قال سالت عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن
وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج عن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه اخرجه النسائي زاد في
رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيا
قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك
لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم
لا يعطيه ما اطمعه فيه ق والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة
لامتي فهي نايلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيا م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى
الله عليه بها عشرا ثم سلوا الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان
اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة خ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة
ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة
ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيمة فيهتمون لذلك وفي رواية
فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت
ادم ابو الناس خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملايكته وعلمك اسما كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه
منها ولكن ايتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم
ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التوراة
قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ايتوا
عيسى روح الله وكلمته فياتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ايتوا محمدا
عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتوني فاستاذن
على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع قل تسمع سل
تعطه اشفع تشفع قال فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من
النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل
تسمع سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم

من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من
حبسه القران اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن
شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة
وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن انس في حديث الشفاعة وذكر
نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل
من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه
فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع
منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال اعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال
يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك لك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريايي وعظمتي لاخرجن منها
من قال لا اله الا الله قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات
فياتون ادم فيقولون انت ابونا فاشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا فاهبطت به الى الارض
ولكن ايتوا نوحا فياتون نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى
ابراهيم فياتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله ولكن ايتوا موسى فياتون موسى فيقول قد قتلت نفسا
ولكن ايتوا عيسى فياتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ايتوا محمدا فياتوني فانطلق معهم
قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ بحلقة باب الجنة
فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله
من الثناء والحمد فيقال لي ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود
الذي قال الله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس هذه الكلمة فاخذ
بحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه الترمذي قوله ما حل بها المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه
السلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت عنه وقوله فاقعقعها اي احركها
حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترسة وغيرها مما له صوت عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا
ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر اخرجه الترمذي زاد في رواية غير
الترمذي وانا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي الف خادم كانهن بيض
مكنون او لؤلؤ منثور م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم
القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع زاد الترمذي قال انا اول من تنشق عنه

الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام
غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيمة حتى يبلغ العرق نصف الاذن
فبينما هم كذلك استغاثوا بادم ثم بموسى ثم بمحمد لا يشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب
فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم م وعن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني
راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة
فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر
الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد
اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي يقولون قال اتقرا القران قلت نعم قال
فاقرا ما قبله فانه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام
محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس
عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك قال غير انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا
فيها قال فيخرجون كانهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون
كانهم القراطيس يعني فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها
عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو بكر عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده
على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل **وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق** المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل
صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه
اخرجني من مكة امنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل ادخلني في امرك الذي ارسلتني
به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل
ادخلني في طاعتك مدخل صدق واخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه ادخلني بالصدق واخرجني
بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله **واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا** اي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني او عزا ظاهرا اقيم
به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له واجاب دعاءه وقال والله
يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الاية قوله تعالى **وقل جاء الحق** يعني الاسلام والقران **وزهق الباطل** اي الشرك
والشيطان **ان الباطل كان زهوقا** اي مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة
في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه
وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثماية وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد قوله عز وجل **وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمومنين** من قوله من القران لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قران
ما هو شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة

ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الظاهرة والباطنة وذلك
لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقاد
فاسده فساد بعد الموت والقران كله يشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال
المذاهب الفاسدة لا جرم كان القران شفاء لما في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني وهو
الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال
الفاضلة فثبت ان القران شفاء من جميع الامراض الباطنة واما قوله شفاء من الامراض الجسمانية
فان التبرك بقراته تدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة
الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمومنين لما كان القران شفاء للامراض الباطنة والظاهرة
فهو جدير بان تكون رحمة للمومنين **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** لان الظالم لا ينتفع به والمومن
ينتفع به فكان رحمة للمومنين وخسارا للظالم وقيل لان كل اية تنزل فيجدد لهم تكذيبها فيزداد خسارهم
قال قتادة لم يجالس القران احد الا قام عنه بزيادة او نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة
للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى **واذا انعمنا على الانسان** اي بالصحة والسعة
اعرض اي عن ذكرنا ودعائنا **ونا بجانبه** اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه
تكبر وتعظم **واذا مسه الشر** اي الشدة والضر **كان يوسا** اي ايسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع
ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة ييس فلا ينبغي للمومن ان يدع الدعاء ولو تاخرت
الاجابة قوله عز وجل **قل كل** اي كل احد **يعمل على شاكلته** قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة
اي يعمل على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت
نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة
صدرت عنه افعال خسيسة فاسدة ردية **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اي اوضح طريقا واحسن
مذهبا واتباعا للحق قوله تعالى **ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي** ق عن عبد الله بن مسعود
قال بينما انا امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال
بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسالوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي رواية
فقام اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام
ساعة ينظر وعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى صعد الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح من
امر ربي **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسالوه وفي رواية وما اوتوا
من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا في قراتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا
اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا
نفرا الى اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقال اليهود سلوه
عن ثلاثة اشيا فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شي منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب
عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب
وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم
بما سالتم غدا ولم يقل ان شا الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما
واهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبر بشي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويسألونك عن ذي القرنين ونزل
في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن
عباس انه جبريل وعن علي انه ملك له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها
وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس ياكلون الطعام وقال
سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش لو شاء ان يبتلع السموات السبع والارضين
السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه
الادميين يقوم يوم القيمة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله اليوم عند الحجب السبعين واقرب
الخلق الى الله يوم القيمة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق
اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو
الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال
بعضهم هو الدم الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحياة بدليل انه
يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل الروح اجتمع
النور والطيب والعلم والعلو والبقا الا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه
الصفات فاذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا
موضع استقصائها والاولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى عز وجل وهو قول اهل السنة قال
عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من امر
ربي اي من علم ربي الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام
وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة
قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما
فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به
لان ترك الاخبار به كان علما للنبوة والقول الاصح هو ان الله عز وجل استاثر بعلم الروح قوله عز وجل
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك معناه اي كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا
ذهبنا بالقران ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته
محفوظا مستورا الا رحمة من ربك معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء
المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران
محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقران وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محوه من المصاحف
واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة
حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم
فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القران من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك
فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بي اتلى ولا يعمل بي ان فضله كان عليك كبيرا اي بسبب ابقاء العلم والقران

عليك

عليك وجعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على ذلك ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا اي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز
وجل فالقران معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة لا
يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل اي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل
معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا
اي جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك اي لن نصدقك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لما تبين اعجاز
القران وانضمت اليه معجزات اخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات
فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر
بن الحارث وابا البختري بن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة
وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج
اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى
تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سريعا وهو يظن انه بدا لهم في امره بدا وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا
اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت
الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح الا وقد
جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون
اكثرنا مالا وان كنت تريد به الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان
كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى
نبريك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني
اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان
تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا
يا محمد فان كنت غير قابل مما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا
فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا
وليجر لنا فيها الانهار كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن منهم قصي بن كلاب
فانه كان شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان
تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك
واسال له ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تقوم بالاسواق
وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط
السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قايل منهم لن نؤمن

لك حتى تاتينا بالله والملئكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه
عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما
عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سالوك
ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما ترقى
فيه وانا انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملئكة يشهدون لك بما تقول
وايم الله لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اهله حزينا لما راى من مباعدتهم فانزل الله وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني ارض
مكة ينبوعا اي عيونا او تكون لك جنة من نخيل وعنب اي بستان فيه نخيل واعناب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا اي تشقيقا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا اي قطعا او تاتي بالله والملئكة
قبيلا قال ابن عباس كفيلا اي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اي باصناف الملئكة قبيلة
قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراه مقابلة عيانا او يكون لك بيت من زخرف
اي من ذهب واصله الزينة او ترقى اي تصعد في السما ولن نومن لرقيك اي لاجل رقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقروه اي امرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن ابي امية قل اي يا محمد سبحان ربي
امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب هل كنت الا بشرا رسولا يعني كساير الرسل وان كان الرسل
ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد
ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما تقترحه البشر وما انا الا بشر وليس ما سالتم في
طوق البشر واعلم ان الله تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الايات والمعجزات ما يغني عن
هذا كله مثل القران وانشقاق القمر ونبع الما من بين اصابعه وما اشبهها من الايات وليست بدون
ما اقترحوه بل هي اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل
ليومنوا فرد الله عليهم سوالهم قوله عز وجل وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى اي الوحي
والمعنى وما منعهم الايمان بالقران ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي
انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله الا ان قالوا اي جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا وذلك
كانوا يقولون لن نومن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله قل لو كان
في الارض ملئكة يمشون مطمينين اي مستوطنين مقيمين فيها لنزلنا عليهم ملكا رسولا
اي من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي علي اني رسوله اليكم واني قد
بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده يعني المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا
اي عالما باحوالهم فهو يجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ومن يهد
الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اوليا من دونه اي يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مومنين ومن سبق لهم حكم
الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ق عن انس
ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذي يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على
وجهه يوم القيمة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على
وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي الحدب ما ارتفع
من الارض عميا وبكما وصما اي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم
عمي وبكم وصم وقد قال تعالى وراى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا
وزفيرا فاثبت لهم الروية والكلام والسمع قلت فيه اوجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لا يرون
ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما
وصفهم الله تعالى ثم يعاد اليهم هذه الاشيا الوجه الثالث حين يقال لهم اخسيوا فيها ولا تكلمون
فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ماويهم جهنم كلما خبت اي سكن
لهبها وقيل ضعف وهدت من غير ان يوجد نقصان في الام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم
وقيل معناه ارادت ان تخبو زدناهم سعيرا اي وقودا وقيل المراد من خبت اي نضجت جلودهم
واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد في سعير النار لتحرقهم ذلك جزاوهم بانهم كفروا باياتنا
لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاوهم بما كفروا يعني ذلك العذاب جزاوهم بسبب كفرهم باياتنا
وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اينا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله ورد عليهم بقوله اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض اي في عظمها وشدتها قادر على ان يخلق مثلهم اي في صغرهم
وضعفهم وجعل لهم اجلا اي وقتا لعذابهم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه ياتيهم قيل الموت وقيل يوم
القيمة فابى الظالمون الا كفورا اي جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اي خزاين نعمة
ورزقه وقيل ان خزاين الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزاين لا نهاية لها اذا لامسكتم
اي لبخلتم وحبستم خشية الانفاق اي خشية الفاقة والفقر ونفاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم
بهذا الشح وكان الانسان قتورا اي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد
كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان يحب ما ينفع
به غير صدد الحاجة فيمسكه لنفسه لانه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدحة او رجا الثواب
فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اي دلالات
واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضا والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل
الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صار حجرين والمراة
قايمة تخبز وقد صارت حجرا روي ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب القرظي عن الايات فذكر منها
الطمس فقال عمر هذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض
مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هي ايات الكتاب
وهي احكام تدل عليه ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي
فقال الاخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له اربعة اعين فاتياه فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى
تسع ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تاكلوا
الربا ولا تسحروا ولا تمشوا ببري الى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف

وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان
تتبعوني قالوا ان داود دعى ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود
فاسال يا محمد بني اسرائيل يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسوال
ليتبين كذبهم مع قومهم اذ جاءهم يعني جا موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له
فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اي سحروك وقيل معناه ساحرا
يعطى علم السحر فهذه العجايب التي تفعلها من سحرك قال موسى لقد علمت خطابا لفرعون قال ابن
عباس علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل هولاء الا رب السموات والارض يعني الايات التسع
بصائر اي بينات تبصرها واني لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل
مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل
من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اي اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا
من بعده اي من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض يعني ارض مصر والشام فاذا جا
وعد الاخرة يعني يوم القيمة جينا بكم لفيفا اي جميعا الى موقف القيمة واللفيف الجمع الكثير اذا
كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المومن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الاخرة نزول عيسى عليه
السلام من السما قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني انا ما اردنا انزال القران الا تقريره
للحق فلما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا هذا القران الا بالحق المقتضى
لانزاله وما نزل الا متلبسا بالحق لاشتماله على الهداية على كل خير وما ارسلناك الا مبشرا يعني
بالجنة للمطيعين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل وقرانا فرقناه اي فصلناه
وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله
تعالى لتقراه على الناس على مكث اي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه تنزيلا اي
على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله
قيل هم مومنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد ابن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني
القران يخرون للاذقان قال ابن عباس اراد بها الوجوه سجدا يعني يسقطون على الوجوه سجدا
ويقولون سبحان ربنا اي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم ان كان وعد ربنا لمفعولا اي كاينا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
اي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين والبكا مستحب عند قراة القران عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود
اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذي والنساي
وزاد النساي في منخري مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت
تحرس في سبيل الله اخرجه الترمذي قوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس
سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل
ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية ومعناهما انهما اسمان لله

تعالى

تعالى نسميه بهذا الاسم او بهذا الاسم اياما تدعوا ما صلة ومعناه اي هذين الاسمين سميتم
او ذكرتم او من جميع اسمايه فله الاسما الحسنى يعني اذا حسنت اسماوه كلها فهذان الاسمان منها
ومعنى كونها حسنى لانها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى
الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا
القران ومن انزله ومن جا به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي
بقراتك فيسمع المشركون فيسبوا القران ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك
سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القران وقيل نزلت
الاية في الدعا وهو قول عايشة والنخعي ومجاهد ومكحول ق عن عايشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها قالت انزل ذلك في الدعا وقيل كان اعراب من بني تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع صوتك
بقراتك ودعايك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ اي اطلب بين ذلك سبيلا
اي طريقا وسطا بين الجهر والاخفا عن ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك
وانت تقرا وانت تخفض من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت
بك وانت تقرا وانت ترفع من صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض
قليلا اخرجه الترمذي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر الله نبيه صلى الله بان يحمده على
وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك
جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده
بعد انقضايه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع المحامد ولم يكن له شريك
في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك
قوله ولم يكن له ولي من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا اي وعظمه
عن ان يكون له ولد او شريك او ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا
لجميع انواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يدعى الى الجنة
يوم القيمة الذين يحمدون الله في السرا والضرا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعا الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الكلام الى الله اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدات اخرجه
مسلم

تفسير سورة الكهف

وهي مكية وايها ماية واحدى عشرة اية وكلماتها الف وخمسماية وسبعة وسبعون كلمة وحروفها
ستة الاف وثلثماية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب اثنى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه
على اجزل نعمايه عليهم وهي الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي

هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى الله عليه بالذكر لان انزال القران كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما اي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها لينذر باسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب بئيس من لدنه اي من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا يعني الجنة ماكثين فيه اي مقيمين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به ولا لابائهم اي ولا لاسلافهم من قبل كبرت اي عظمت كلمة تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ان يقولون اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك على اثارهم اي من بعدهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القران اسفا اي حزنا وقيل غيظا انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت اي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لها لنبلوهم فمن يبلوهم يجب ان لا يدخل فيه ومعنى لنبلوهم لنختبرهم ايهم احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها وانا لجاعلون ما عليها اي من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل الارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله تعالى ام حسبت اي ظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي هم عجب من اياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب اياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه اسماء اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قال كعب هو اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف وقيل هو اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قائل اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا اليه وجعلوه ماواهم والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب

فقالوا

فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من امرنا رشدا حتى يكونوا بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه قال محمد بن اسحق بن يسار مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقيل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه اهل الايمان وهربوا في كل وجه واتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اولئك الشرط يتبع اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله تعالى فيقتل فلما راى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت فلما راى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتي بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة لاهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل لكم ذلك الا اني اراكم شبابا حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا يذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر لهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض امره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي انا احب احباب الله عز وجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من

دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف
قال ابن اسحق فلبث ليس لهم عمل الا الصلاة والقيام والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله عز وجل وجعلوا
نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم فكان
اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه ينطلق الى المدينة فيشترى لهم
طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشى ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله
ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظما اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل
الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل
فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظما المدينة ففزعوا ووقعوا
يذكرون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا روسكم واطعموا
وتوكلوا على ربكم فرفعوا روسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون
ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف
فاصابه ما اصابهم وهم مومنون موقنون ونفقتهم عند روسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس
فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظما المدينة لقد ساءني شان هولا الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا
ان بى غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امرى ما كنت لاجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا الهتى فقال عظما المدينة
ما انت بحقيق ان ترحم انفسهم مردة عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاوا لرجعوا في ذلك الاجل
ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى ابائهم فاتى بهم فقال اخبروني
عن ابنائكم المردة الذين عصوني قالوا اما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا باموالنا
واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل
ما يدرى ما يصنع بالفتية فالقى الله تعالى في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم واراد الله
عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة اتية لا
ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم
في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه
ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان
ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الاخر روناس ائتمرا ان يكتبا شان الفتية واسمائهم وانسابهم
وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل
الله ان يظهر على هولا الفتية قوما مومنين قبل يوم القيمة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب
ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت
الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوايب
فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب واخرجوا معهم الصنم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم
وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه
اخرج من بين اظهر هولا القوم لا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس
فيه ثم خرج اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلسوا اليه من غير ان يظهره على امره

ثم خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على
نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلو ويفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا
على الايمان واذا الكهف في جبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ففقدهم قومهم
وطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم في لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا
فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكونن لهولاء شان ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد
رجل صالح يقال له بيدوسيس فلما ملك بقى في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه
فكانوا احزابا منهم من يومن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك
الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل
الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما يبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروسيس
الملك يرسل الى من يظن فيه خيرا وانهم ائمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى
كادوا يخرجوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق
بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه وبات ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى
ويقول رب قد ترى اختلاف هولا فابعث لهم اية تبين لهم ثم ان الله الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة
عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا
ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروسيس ويتم نعمته عليه وان يجمع من
كان بدد من المومنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى فيه الكهف وكان اسمه
اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ويبنى به حضيرة لغنمه فاستاجر غلامين
فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحضيرة حتى نزعا ما كان على فم الكهف وفتحا باب
الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فلما فتحا باب الكهف اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان
محيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم
بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها اذا اصبحوا من ليلتهم
ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شى ينكرونه وانهم كهيئتهم
حين رقدوا وهم يرون دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا
الذى قال الناس في شاننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا
يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم
لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم
يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يوتى بكم اليوم فيذبحوا للطواغيت
او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا
بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى
يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك احدا وابتع لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام
الذى جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التى

كان يتنكرونها واحد ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت خفاف الوزيع فانطلق
تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف راى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها
حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان
دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك بثلثماية سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فراى فوق
ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها
مستخفيا ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان
المدينة ليست بالتي كان تعرف وراى ناسا كثيرا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب
ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب التي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري
ما هذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم
ظاهرة لعلي حالم ويرى انه ليس بنائم فاخذ كساه فجعله على راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها
فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده ذلك عجبا وراى انه حيران فقام مسندا ظهره الى
جدار من جدر المدينة ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من
يذكر عيسى ابن مريم الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه
ليست بالمدينة التي اعرف والله لا اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له
ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله
يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فدنا الى الذين يبيعون الطعام فاخرج له
الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل
ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحوا
بها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب
كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد
فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه
فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا علي قد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به
فقالوا يا فتى من انت وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا
انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لا تفعل نحملك الى السلطان فيسلمك
اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شي احذر منه فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع
ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يحر اليهم شيا فلما راوه لا يتكلم اخذوا
كساه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه على سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل معه
كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه
المدينة وما رايناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وكان مستيقنا ان اباه
واخوته بالمدينة وانه من عظما اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينظر
متى ياتيه بعض اهله فيخلصونه من ايديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى راسي المدينة ومدبريها
اللذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الاخر اسطوس فلما انطلقوا
به اليهما ظن تمليخا انه انما يطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس

يسخرون

يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم اله السما واله الارض افرغ
علي اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرق ما
بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتوني فنقوم جميعا بين هذا الجبار فانا
كنا فريقا نصا على الايمان بالله ولا نشرك به ابدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين
الصالحين اريوس واسطوس وراي انه لم يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه البكا واخذ
اريوس واسطوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال
تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري
ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه
المدينة فقيل له من ابوك ومن يعرفك بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال احدهما
انت رجل كذاب لا تنبينا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله
هذا رجل مجنون قال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما
ونظر اليه نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها
ولها اكثر من ثلاثماية سنة وانت غلام شاب اتظن انك تاتينا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك
سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزاين هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم
ولا دينار واني لاظنني سامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته
فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك
شيا قال لهم ما فعل الملك دقيانوس فقالا لا نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن
الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال لهم تمليخا
اني اذا لحيران وما هو مصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة
الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل بنجلوس فنمنا
فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا
معي الى الكهف اريكم اصحابي قال فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله
جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس
واسطوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم ولما راى
الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه
ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات
وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليوتى بهم فقاموا الى الصلاة
وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا ناتي اخانا تمليخا فانه الان بين
يدي الجبار وهو ينتظر متى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحال اذا هم باريوس
واصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سالوه عن خبره
فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس
وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا من نحاس
مختوما بخاتم فضة فدخل على الباب ودعا جماعة من عظما اهل المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم

نوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا ومرطونس وكسطونس
وبيرونس ودينموس وبطيونس وقالوش كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم
عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم
ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قروه عجبوا وحمدوا الله الذي اراهم اية تدل على البعث ثم رفعوا اصواتهم
بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر
اريوس واصحابه سجودا وحمدوا الله الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية
عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس ان
عجل لعلك تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك وللناس اية ولتكون لهم نورا وضياء وتصديقا
للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع
عقله اليه وذهب همه وقال احمدك الله رب السموات والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني
فلم تطفئ النور الذي جعلته لابائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته
فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد
الجبل وراى الفتية بيدروس فرح وخر ساجدا على وجهه قام بيدروس الملك قدامهم واعتنقهم
وبكا وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك
نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر
الانس والجن فبينما الملك قايم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك
اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسوا ونام اتوه في
منامه فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير
فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج
فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان
يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يوتى كل سنة وقيل ان تمليخا
حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او
منذ ايام وترك منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول
وان اسماءهم مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء
الاخرين فقال تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا
دعوني حتى ادخل على اصحابي فابشرهم فانهم ان راوكم معي ارعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله
روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه امرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى
الفتية الى الكهف اي صاروا الى الكهف واسمه حيزم فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي هداية
في الدين وهيئ لنا اي يسر لنا من امرنا رشدا اي ما نلتمس من رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس
مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى فضربنا على اذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعناهم وصول
الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه في الكهف سنين عددا اي انمناهم سنين
كثيرة فان العدد يدل على الكثرة ثم بعثناهم اي من نومهم لنعلم اي علم المشاهدة وذلك ان الله
عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق بالعلم من ظهور الامر ليزدادوا ايمانا واعتبارا اي الحزبين

اي الطريقين احصى لما لبثوا امدا اي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا
في مدة لبثهم في الكهف نحن نقص عليك نباهم بالحق اي نقرا عليك خبر اصحاب الكهف بالحق اي بالصدق
انهم فتية اي شبان امنوا بربهم وزدناهم هدى اي ايمانا وبصيرة وربطنا على قلوبهم اي شددنا
على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما
كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف اذ قاموا يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم
على ترك عبادة الاصنام فقالوا اي الفتية ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها اي
قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس يعني جورا وقيل
كذبا يعني ان دعونا غير الله هؤلاء قومنا يعني اهل بلدهم اتخذوا من دونه اي من دون الله الهة
يعني اصناما يعبدونها لولا اي هلا ياتون عليهم اي على عبادة الاصنام محال فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا اي وزعم ان له شريكا وولدا ثم قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم يعني قومكم
وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى وان
اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته فاووا الى الكهف اي الجئوا اليه
ينشر لكم اي يبسط لكم ربكم من رحمته ويهيئ اي يسهل لكم من امركم مرفقا اي ما تعودون اليه يسركم
ورفقكم قوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين واذا
غربت تقرضهم اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه اي متسع من الكهف ذلك من
ايات الله اي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس
ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهم في مقناة ابدا
لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله
لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويرفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول
يكون معنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله ومن يضلل الله اي ومن يضلله
الله ولم يرشده فلن تجد له وليا اي معينا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم خطاب لكل احد ايقاظا
اي منتبهين لان اعينهم منفتحة وهم رقود اي نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس
كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون في يوم
عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقليبتان وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس كان
كلبا اغر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل كان اصفر وقيل كان
شديد الصفرة تضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبا وقيل ليس
في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم بالوصيد يعني فنا الكهف وقيل عتبة
الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما وقيل كان يتقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا
ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى
ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل
اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت منهم رعبا اي خوفا من وحشة
المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم
وطول اظفارهم وتقليبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد

قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منكم فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية اناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم في الكهف وحفظنا اجسامهم من البلا على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اي ليسئل بعضهم بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا كم لبثتم اي في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك فقالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا او بعض يوم فلما نظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم يعني تمليخا بورقكم هذه يعني الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة الى المدينة قيل هي طرطوس وكان اسمها في الزمان الاول قبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مومن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مومنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما واجوده وقيل اكثر طعاما وارخص فلياتكم برزق منه اي قوت وطعام تاكلونه وليتلطف اي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان ولا يشعرن اي ولا يعلمن بكم احدا اي من الناس انهم ان يظهروا عليكم اي يعلموا بمكانكم يرجموكم قيل معناه يشتموكم ويوذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يضربوكم او يعيدوكم في ملتهم اي الكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان عدتم اليه قوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم بيدروس الذين انكروا البعث وان الساعة لا ريب فيها اي لا شك فيها انها اتية اذ يتنازعون بينهم امرهم قال ابن عباس في البنا فقال المسلمون يبنى عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون يبنى عليهم بنيانا لانهم من اهل ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله اية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعني بيدروس واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام بعدما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب اي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشي بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجما بالغيب وظاهر اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل هذا [illegible] العالم بتفاصيل كاينات العوالم الكاينات في الماضي والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى او من اخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس

وبينونس

وبينونس وساريونس ودونوانس وكشفططيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم اي لا تجادل ولا تقل في عددهم وشانهم الا مراء ظاهرا اي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم اي في اصحاب الكهف منهم يعني من اهل الكتاب احدا اي لا ترجع الى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثنا وذلك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت الاية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الاية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب في الانجيل ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقيل الاية في الصلاة تدل عليه ما روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها اقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم او نام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي يثبتني على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل ان الله امره ان يذكره اذا نسي شيئا ويسأله ان يذكره او يهديه لما هو خير له من يذكر ما نسي وقيل ان القوم سالوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله تعالى ان يخبرهم ان الله تعالى سيوتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شيء امر ان يقوله مع قوله ان شاء الله فيوتيه من ذلك ان يقول عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا ان نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا قيل قالت نصارى نجران اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية له غيب السموات والارض يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال اهلها وانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية ما لهم اي ما لاهل السموات والارض من دونه من ولي

من دون الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في حكمه احدا قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل
في قضائه قوله عز وجل واتل اي واقرا يا محمد ما اوحي اليك من كتاب ربك يعني القران واتبع ما فيه
واعمل به لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقران ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغير او تبديل فان قلت
موجب هذا انه لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته
الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما اوعد الله بكلماته
اهل معاصيه ولن تجد من دونه اي من دون الله ان لم تتبع القران ملتحدا اي ملجا وحرزا يعدل اليه
قوله عز وجل واصبر نفسك الاية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقرا منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه
وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يوذيك ريح هولا ونحن سادات مضر واشرافها ان
اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هولا فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز
وجل اصبر نفسك اي احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي
النهار يريدون وجهه اي يريدون وجه الله لا يريدون به عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة
وكانوا سبعماية رجل فقرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع
ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد
لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر معهم ولا تعد اي لا تصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة
الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنيا والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف واتبع
هواه اي في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا
وقيل مخالفا للحق وقل الحق من ربكم اي قل يا محمد لهولا الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق
واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شي فمن شا فليومن ومن شا
فليكفر هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شيتم وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم اي لست
بطارد المومنين لهواكم فان شيتم فامنوا وان شيتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان امنتم
فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الاية من شا الله له الايمان امن ومن شا له الكفر
كفر انا اعتدنا اي هيانا من العتاد وهو العدة للظالمين اي للكافرين نارا احاط بهم سرادقها
السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار
اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حايط من نار وقيل هو عنق
يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان محيط بالكفار وان يستغيثوا اي من شدة
العطش يغاثوا بما كالمهل قال ابن عباس هو ما غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال في قوله بما كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقط فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال
رشدين بن سعد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح
وقيل هو الرصاص والصفر المذاب يشوي الوجوه اي ينضج الوجوه من حره بيس الشراب اي ذلك
الذي يغاثون به وساءت اي النار مرتفقا قال ابن عباس منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكا وانما جاء
كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل ان الذين امنوا

وعملوا

وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل
نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن اي دار اقامة سميت عدنا لخلود
المومنين فيها تجري من تحتهم الانهار وذلك ان افضل المساكن ما كان يجري فيه الما يحلون فيها
من اساور من ذهب لهذه الاية وسوارا من فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وسوارا من لولو
لقوله ولولوا ولباسهم فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وهو الديباج الرقيق واستبرق
وهو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب متكئين خص الاتكا لانه هيئة
المتنعمين والملوك فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولما وصف الله تعالى
هذه الاشيا قال نعم الثواب اي نعم الجزا وحسنت اي الجنات مرتفقا اي مقرا ومجلسا والمراد بقوله
وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم من قوله تعالى وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا
رجلين قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد
ياليل وكان مومنا واخوه الاسود بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن
واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرايل اخوين احدهما مومن واسمه يهوذا في قول ابن عباس
وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه فرطوس وهما اللذان وصفهما الله في سورة والصافات وكانت
قصتهما على ما ذكر عطا الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا
اخوين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فاقتسما فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال
صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار واني اشتري منك ارضا في الجنة بالف دينار
فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف فقال
هذا اللهم اني اخطب اليك امراة من نسا الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى
خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشتري منك خدما ومتاعا في الجنة بالف دينار
فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعله ينالني منه بمعروف فجلس
على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم
قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا
مالا واخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك
شيا فطرده فقضي لهما ان توفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتسالون قال قايل منهم اني كان
لي قرين وروي انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا
رجلين جعلنا لاحدهما جنتين اي بستانين من اعناب وحففناهما اي اطفناهما من جوانبهما
بنخل وجعلنا بينهما زرعا اي وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما اي بين الجنتين
يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع كلتا الجنتين اتت اي اعطت كل واحدة من الجنتين
اكلها اي ثمرها تاما فلم تظلم منه شيا اي ولم تنقص منه شيا وفجرنا خلالهما يعني شققنا وسطهما نهرا
وكان له ثمر اي لصاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة
من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المومن وهو يحاوره
اي يخاطبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل حشما وخدما ودخل جنته يعني

يعني الكافر احدا بيكاهيه المومن يطوف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره قال ما اظن
ان تبيد اي تهلك هذه يعني جنته ابدا وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى
ابدا وانكر البعث فقال وما اظن الساعة قايمة اي كاينة ولين رددت الى ربي فان قلت كيف
قال ولين رددت الى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه على ما يزعم من ان الساعة اتية لاجدن خيرا منها منقلبا
كما في الدنيا
اي يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة افضل منها قال له صاحبه
يعني المومن وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك من تراب لان خلق اصله
سبب في خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا
مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي مجازه لكن الله هو ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اي هلا اذ دخلت
جنتك قلت ما شا الله والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك منها الامر ما شا الله
اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيية الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شا تركها
عامرة وان شا خربها لا قوة الا بالله اي وقلت لا قوة الا بالله اي ما قويت به على عمارتها وتدبير
امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالي ودفع شي عنه الا بالله روي عن عروة
ابن الزبير انه كان اذا راى من ماله شيا يعجبه او دخل حايطا من حيطانه قال ما شا الله لا قوة
الا بالله الحايط البستان ان ترن انا اقل منك مالا وولدا اي لاجل ذلك تكبرت علي وتعظمت
فعسى ربي فلعل ربي ان يوتين اي يعطيني في الاخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها اي على جنتك
حسبانا قال ابن عباس وقيل مرامي من السما وهي الصواعق تهلكها فتصبح صعيدا زلقا اي ارضا
جردا املسا لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هايلا او يصبح ماوها غورا اي غايرا
ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلا فلن تستطيع له طلبا يعني ان طلبته لم تجده واحيط بثمره اي احاط
العذاب بثمر جنته وذلك ان الله ارسل عليها نارا فاهلكها وغار ماوها فاصبح يعني صاحبها الكافر
يقلب كفيه اي يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها المعنى
فاصبح يندم على ما انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها اي ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها
المعروشة سقطت عروشها على الارض ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا يعني انه يذكر موعظة
اخيه المومن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ولم تكن له فية اي جماعة ينصرونه
من دون الله اي يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا اي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل
معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية قرى بكسر الواو يعني السلطان في القيمة
لله الحق وقرى بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يوميذ ويتبرون مما كانوا يعبدون
في الدنيا هو خير ثوابا اي افضل جزا لاهل طاعته لو كان غيره يثيب وخير عقبا يعني عاقبة طاعته
خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله عز وجل واضرب لهم اي يا محمد اضرب لقومك
مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما يعني المطر فاختلط به نبات الارض اي تخرج من كل لون وزهرة
فاصبح اي عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس تثيره وقيل تفرقه وتنسفه
وكان الله على كل شي مقتدرا اي قادرا قوله تعالى المال والبنون يعني التي تفخر بها عيينة واصحابه
الاغنيا زينة الحيوة الدنيا يعني ليست من زاد الاخرة قال علي بن ابي طالب المال والبنون حرث الدنيا
والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس يعني قول

سبحان الله

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه
الشمس عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات
قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قال وما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد
لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله اكبر وسبحان الله
ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان
الباقيات الصالحات الخمس وانها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا اي جزا وخير املا اي
ما يومله الانسان قوله تعالى ويوم نسير الجبال اي يذهب بها وذلك بان يجعلها هبا منثورا كما يسير
السحاب وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بنا وقيل يبرزون ما في بطنها من
الموتى وغيرها فيصير باطن الارض ظاهرا وحشرناهم يعني جميعا الى موقف الحساب فلم نغادر منهم
احدا اي لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اي صفا فصفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل
قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة يعني احيا وقيل حفاة
عراة غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعني القيمة يقول ذلك لمنكري البعث ق عن ابن عباس قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة
غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلايق يكسى يوم القيمة
ابراهيم عليه السلام الا وانه يجا برجال من امتي فيوخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب اصحابي
فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية
فاقول سحقا سحقا غرلا اي قلفا والاجزل القلفة التي تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان
وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلما ان المراد بهولا اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا
الزكاة بعده ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة
عراة غرلا قالت عايشة فقلت الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان
يهمهم ذلك زاد النساي في رواية له لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه قوله عز وجل ووضع الكتاب
يعني صحايف اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمايلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى
فترى المجرمين مشفقين اي خايفين مما فيه من الاعمال السيية ويقولون يعني اذا راوها يا ويلتنا اي
يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ما لهذا الكتاب لا يغادر اي لا يترك صغيرة ولا كبيرة اي
من ذنوبنا الا احصاها اي عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبل والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا
بطن واد فجا هذا بعود وجا هذا بعود وجا هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات

الحقير الشي الصغير التافه وقوله لموبقات اي لمهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا اي مكتوبا مثبتا
في كتابهم ولا يظلم ربك احدا اي لا ينقص ثواب احد عمل خيرا ولا ياخذ احدا بجرم لم يعمله عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله
اخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد رواه بعضهم
عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى واذ قلنا اي واذكر يا محمد اذ قلنا للملكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن قال ابن عباس كان من حي من الملكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال
الحسن كان من الجن ولم يكن من الملكة فهو اصل الجن كما ان ادم اصل الانس وجه كونه من الملكة الاثاني
كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملكة بنات الله
فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو التستر فعلى
هذا ادخل الملكة فيه فكل الملكة جن لاستتارهم وليس كل ملكة جن ووجه كونه من الملكة ان
الله تعالى استثنى من الملكة والاستثنا يفيد اخراج ما لولاه لدخل او يصح دخوله وذلك يوجب
كونه من الملكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف
من الملكة وقوله افتتخذونه وذريته اوليا فاثبت له ذرية والملكة لا ذرية لهم واجيب عن
الاستثنا انه استثنا منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما فقيل
انه كان من الملكة فلما خالف الامر مسخ وعتو وطرد ولعن وقوله ففسق عن امر ربه اي خرج عن
طاعة ربه افتتخذونه يعني يا بني ادم افتتخذون ابليس وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو
يعني اعدا روي مجاهد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس
زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اوليا
من دوني فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقيل يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وقيل
انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية
ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومره وبه يكنى وزلنبور وهو
صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصايب يزين
خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز
المراة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم
وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضع
واذا اكل ولم يسم الله تعالى اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم
فرايت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم روي ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان للوضو شيطانا فقال له الولهان فاتقوا وسواس الما اخرجه الترمذي م عن
عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراتي
يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني م عن جابر قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الما ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة
اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيا ثم يجي احدهم فيقول ما تركته
حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه
قوله تعالى ما اشهدتهم اي ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملكة خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم والمعنى ما اشهدتكم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم
فيها وما كنت متخذ المضلين يعني الشياطين الذين يضلون الناس عضدا يعني انصارا واعوانا
قوله عز وجل ويوم يقول نادوا يعني يقول الله يوم القيمة نادوا شركاي يعني الاصنام الذين زعمتم
يعني انهم شركاي فدعوهم اي فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا
بينهم يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل الضلال موبقا مهلكا وقال ابن عباس
هو واد في النار وقال انس يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كان حاجزا بين شيئين
فهو موبق واهلكه الهلاك وراى المجرمون اي المشركون النار فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها اي داخلوها
وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملكة تسوقهم
اليها ولقد صرفنا اي بينا في هذا القران للناس من كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان
اكثر شي جدلا اي خصومة في الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحرث وجداله في القران وقيل
اراد به ابي بن خلف وقيل اراد الكفار وقيل اراد الاية على العموم وهو الاصح عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلا فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شا ان يبعثنا بعثنا
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك فلم يرجع الي شيا ثم سمعته وهو مول
يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله عز وجل وما منع الناس ان يومنوا اذ
جاهم الهدى يعني القران والاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويستغفروا ربهم المعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتنزيه والتخلية حاصلة
والعوائد زايلة فلو لم يقدموا على الايمان والاستغفار الا ان تاتيهم سنة الاولين يعني سنتنا
في اهلاك الاولين ان لم يومنوا وهو عذاب الاستيصال او ياتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس
عيانا من المقابلة وقيل فجاة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة
ومنذرين بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ليدحضوا به اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي وما
انذروا هزوا فيه اضمار يعني اتخذوا ما انذروا به وهو القران استهزا قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر
اي وعظ بايات ربه فاعرض عنها اي تولى عنها وتركها ولم يومن بها ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من
المعاصي من قبل انا جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه يريد لئلا يفهموه وفي اذانهم وقرا
اي ثقلا وصمما وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة لو يواخذهم اي يعاقب
الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اي في الدنيا بل لهم موعد يعني البعث والحساب
لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا وتلك القرى يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم
اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا لاهلاكهم قوله تعالى واذ قال

موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الايات اكثر العلما على ان موسى المذكور في هذه الاية
هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب
الاحبار انه موسى بن منشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح
بدليل ان الله تعالى لم يذكر في كتابه موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف
اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه
بصفة علمنا ان موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرايم
ابن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل انه فتاه يعني
عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي عن
سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه
اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به
قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم انطلق فانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب
الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت
جرية الما فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا
بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قال ولم يوجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه
ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على
اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم
عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك
لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا
تعلمه وانت على علم من علم الله لا اعلمه فقال موسى ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك
امرا قال له الخضر فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان
على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة
لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت
الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجا عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال
الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا
من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ
الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد

جيت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك
عن شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مايل فقال الخضر بيده هكذا
فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شيت لاتخذت عليه اجرا قال
هذا فراق بيني وبينك سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن
عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا
وكان ابواه مومنين وفي رواية عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى
رسول الله فذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال
اي رسول الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى قيل بلى
قال اي رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا
فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مايها
شيا الا حيي فاصاب الحوت من ما تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل ورجعنا الى التفسير
قوله لا ابرح لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين قيل ارادا بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل
طنجة وقيل افريقية **او امضي حقبا** يعني او اسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا
وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى عند
مجمع البحرين وعنده عين ما تسمى ما الحياة لا تصيب شيا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الما
وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت في البحر **فلما بلغا** يعني موسى وفتاه **مجمع بينهما** اي بين
البحرين **نسيا** اي تركا **حوتهما** وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما
لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة
المخصوصة في الوصول المطلوب **فاتخذ** اي الحوت **سبيله في البحر سربا** اي مسلكا روى ابن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الما عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتام فدخل
موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيا من البحر الا يبس
حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت
فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله سربا فامسك الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالى
فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين **قال** يعني موسى **لفتاه اتنا غدانا** اي طعامنا **لقد**
لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة
ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه **قال** يعني يوشع **ارايت اذ اوينا الى الصخرة** وهي صخرة كانت بالموضع
الموعود **فاني نسيت الحوت** اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام
ليدرك موسى فيخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد قال **وما انسانيه**
الا الشيطان ان اذكره اي وما انسانيه ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان
شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي هو ضد الذكر لان

ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع يعني طفر الحوت الى
البحر فاتخذ فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل اي شي اعجب من
حوت يوكل منه دهرا ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى ذلك ما كنا نبغ اي نطلب
فارتدا على اثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جاءاه ويتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا
قيل كان ملكا من الملايكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ
انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل من بني اسرايل وقيل كان من ابنا الملوك
الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك خ عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا انه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز تحته خضرا الفروة
قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى
راى الخضر مسجا ثوبا فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت
رشدا ويعني مسجا ثوبا اي مغطا بثوب وقوله واني بارضك السلام معناه من اين بارضك السلام التي انت
فيها الان السلام وروي انه لقيه على طنفسة خضرا على كبد البحر فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا
اتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند
اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه الايات تدل على ان الخضر كان اعلا شانا من موسى وكان موسى
يظهر التواضع له والتادب معه قلت لا يخلوا ان يكون الخضر من بني اسرايل او من غيرهم فان كان
من بني اسرايل فهو من امة موسى ولا جايز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلا شانا منه وان
كان من غير بني اسرايل فقد قال الله تعالى لبني اسرايل واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم
قال له موسى هل اتبعك معناه حيث لا اصحبك واتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا اي صوابا
وقيل علما يرشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وببني اسرايل شغلا قال
له موسى ان الله امرني بهذا فحينيذ قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك
لانه علم انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للانبيا الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني ان شا الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من
نفسه بالصبر ولا اعصي لك امرا اي لا اخالفك فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني
ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسالني عن شي اي مما اعلم
مما ينكره ولا يعترض عليه حتى احدث لك منه ذكرا معناه حتى ابدي بذكره فابين لك شانه قوله
تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل يطلبان سفينة تركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال
اهل السفينة هولا لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن ارى وجوه
الانبيا وروينا عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم
فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير عوض ولا عطا فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من الواح
السفينة فذلك قوله حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها لتغرق اهلها
لقد جيت شيا امرا اي اتيت شيا عظيما منكرا وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الما وروي
ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشى به الخرق قال العالم وهو الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا قال يعني موسى لا تواخذني بما نسيت قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه

نسي شيا

نسي شيا الخ وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اي لا تغشني
من امري عسرا والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسرها بالاغضا وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة
ولا تضيق على امري فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان
فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضي الوجه فكان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه
ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ براسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر واشار
باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروي انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب
راسه بالجدار قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسا زاكية
الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق وياخذ
المتاع ويلجا الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد وتاذى منه ابواه ق عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا
وكفرا لفظ مسلم قال يعني موسى اقتلت نفسا زاكية اي لم تذنب قط وقرى زكية وهي التي اذنبت
ثم تابت بغير نفس اي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جيت شيا نكرا اي منكرا عظيما وقيل
النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه
تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جيت شيا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا
لا سبيل الى تداركه قال يعني الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قيل زاد في هذه الاية قوله لك
لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد التوبيخ فعند هذا قال موسى ان سالتك
عن شي بعدها فلا تصاحبني وقيل ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي انت
عليه قال موسى ان سالتك عن شي بعد هذه المرة فلا تصاحبني اي فارقني ولا تصحبني قد بلغت
من لدني عذرا قال ابن عباس اي قد اعذرت فيما بيني وبينك قيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي
والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا
من الانبيا بدا بنفسه لولا انه عجل لراى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سالتك عن
شي بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لراى العجب قوله ذمامة هو بذال
معجمة اي حيا واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعني لمته ملامة وليشهد له قول
الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس
يعني انطاكية وقيل الايلة وقيل ابعد الارض من السما وقيل هي بلدة الاندلس استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما قال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتيا اهل قرية لياما
فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروي انهما كانا في القرية فاستطعماهم
فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال اطعمتهما امراة من اهل بربر بعد
ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنساهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي
لا يضيف الضيف فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي ان يسقط وهذا مجاز الكلام لان الجدار
لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها

فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة **فاقامه** اي سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم فقال الخضر بيده فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه **قال** يعني موسى **لو شئت لتخذت
عليه اجرا** يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اخذت
على عملك اجرا **قال** يعني الخضر **هذا فراق بيني وبينك** يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا
الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق بيننا **سانبئك بتاويل** اي سوف اخبرك بتاويل **ما لم تستطع عليه
صبرا** وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر **اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر
اي يواجرون ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيا لا يزول عنه اسم المسكنة
اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة اشد من حال المسكين لان الله تعالى سماهم
مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة **فاردت ان اعيبها** اي اجعلها ذات عيب **وكان
وراءهم ملك** اي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول اصح **ياخذ كل سفينة غصبا**
اي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبتها حتى لا ياخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي
وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شان الملك الغاصب
فلم يكونوا يعلمون خبره وقال اردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوه اصلحوها واستنفعوا
بها قوله عز وجل **واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا** اي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم
واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا **ان يرهقهما** اي يغشيهما وقيل يكلفهما **طغيانا
وكفرا** قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه **فاردنا ان يبدلهما ربهما** الابدال
رفع الشي ووضع اخر مكانه **خيرا منه زكاة** اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله اقتلت نفسا زكية
فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة **واقرب رحما** اي ويكون البدل منه اقرب عطفا ورحمة
بابويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية فتزوجها نبي من الانبيا فولدت له نبيا فهدى
الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي
قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضا الله
تعالى فان قضا الله للمومنين فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب قوله تعالى **واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة** قيل كان اسمهما اصرم وصريم **وكان تحته كنز لهما** روي ابو الدردا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحف
فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد رسول
الله وفي الجانب الاخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته
للخير واجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال
ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما **وكان ابوهما صالحا**
قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقيا قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب
الصالح سبعة قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل
دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي

فازيد

فازيد في صلاتي **فاراد ربك ان يبلغا اشدهما** اي يعقلا ويدركا قوتهما وقيل البلوغ وقيل ثمانية
عشر سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه
كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله
تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلما
العظما في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر
رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح في ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابنا وصلاح
احوالهم لرعاية حق الابا ليس ذلك الا الى الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى **ويستخرجا
كنزهما** يعني اذا بلغا وعقلا وقويا **رحمة من ربك** اي نعمة من ربك **وما فعلته عن امري** اي باختياري
وراي بل فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص اموال الناس واراقة دماهم وتغيير احوالهم
لا يكون ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله وما فعلته عن امري انه الهام من
الله تعالى له بذلك وهذه درجة الاوليا وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان يظهر
رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى **ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا** اي لم تطق ان تصبر عليه روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر
قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلف العلما في ان الخضر حي ام ميت
فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلما ويتفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة
والحكايات في رويته والاجتماع ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال
الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلما والصالحين والعامة في ذلك
وهذا اخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة
الخضر فيما حكي انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان
الخضر عند مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى واخطا ذو القرنين
الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشا ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس ماية سنة لا يبقى ممن
هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده قوله عز وجل **ويسالونك
عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا** قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان
ابن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس الرومي وكان من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل
الامام فخر الدين الرازي في تفسيره عن ابي الريحان البيروني المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن
القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو كرب سمي بن عير بن افريقس الحميري وهو الذي افتخر به احد
شعرا حمير حيث يقول • قد كان ذو القرنين عمي مسلما • ملكا في الارض غير معند •
• بلغ المشارق والمغارب يبتغي • اسباب ملك من كريم مرشد •
• فراى مآب الشمس عند غروبها • في عين ذي خلب وثاط حرمد •
قوله فراى مآب اي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حماة والثاط الحماة ايضا والحرمد
الطين المسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل انه
ملك فارس والروم وقيل انه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرني الشمس

وقيل انه كان له ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروي عن علي انه امر
قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا
يدل عليه قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبيا وقيل لم يكن نبيا
ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه الله وروي ان عمر سمع رجلا
يقول لاخر يا ذا القرنين فقال تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتى تسموا باسما الملايكة والاصح
الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا
هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوايف ثم مضى
الى ملوك العرب وقهرهم وامعى حتى اذا انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنا الاسكندرية وسماها
باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب
وبها السعود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى
الهند والصين وغزى الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها وحمل الى حيث
[illegible] وقيل كان عمره الفا وثلاثين سنة وصل هذا الملك التسبيط الذي هو على خلاف
العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فلذلك قوله تعالى انا مكنا له في الارض اي
وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب قال علي سخر له السحاب يحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط
له النور فكان الليل والنهار عليه سوا وسهل عليه السير في الارض وذلل له طرقها وآتيناه من
كل شي يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعدا سببا اي علما
يتسبب به الى كل ما يريد وتشتهيه في اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له
اقطار الارض فاتبع سببا اي سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمية
اي حارة وقرى حمئة اي ذات حماة وهي الطينة السودا وسال معاوية كعبا كيف في التوراة تغرب
الشمس واين تغرب قال نجد في التوراة انها تغرب في ما وطين وقيل يجوز ان يكون معنى في عين حمئة
اي عندها عين حمئة او في راي العين وذلك انه بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شي من العمارات
وجد الشمس كانها تغرب في وهدة مظلمة كان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر ووجد عندها
قوما اي عند العين امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال انها الجابرس واسمها
بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع الناس
وجبة الشمس حين تجب اي تغيب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله
خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره
اما ان تعذب يعني تقتل اي ليدخلوا في الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح وقيل
باسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين قال اما من ظلم اي كفر فسوف نعذبه اي نقتله ثم يرد
الى ربه اي في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اي منكرا يعني بالنار لانها انكر من القتل واما من امن وعمل
صالحا فله جزا الحسنى اي جزا اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا اي نلين له القول ونعامله
باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اي سلك طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل انهم في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر
عليهم بنا فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم

وحروثهم

وحروثهم وقيل كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الما فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم
وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مومني قوم
هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون ياجوج وماجوج قوله
تعالى كذلك اي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين هم عند
مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح وقد احطنا بما لديه خبرا اي علما
بما عنده ومعه من الجند والعدة والالات للحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من
الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين هما هاهنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكي ان الواثق بعث بعض
من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بنا من
لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل وجد من دونهما قوما يعني امام السدين
قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس لا يفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم
قالوا يا ذا القرنين فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفقهون قلت تكلم عنهم مترجم ممن يجاورهم
لا يفهم الخرس ان ياجوج وماجوج اصلهما من لحج النار وتوضوها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم
وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طايفة منهم خرجت تغير وضرب ذو القرنين السد فبقوا
خارجة فسموا الترك بذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام
ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر
والصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزا وولد ادم كلهم جزء وروي حذيفة
مرفوعا ان ياجوج وماجوج امة كل امة اربعة الاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من
من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد ادم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة اصناف
صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السما وصنف منهم عرضه وطوله
سوا عشرون ومائة ذراع وهولا لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه
ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام
وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله شبر
ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد ادم وذلك ان ادم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الما ياجوج وماجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون
الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا
قال الله له اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احداهما عند
مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض
احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في وسط
الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذو القرنين اي قوة اكاثرهم وباي جمع اكاثرهم وباي
لسان اناطقهم قال الله تعالى اني ساطوقك وابسط لسانك واشد عضدك فلا يهولنك شي والبسك
الهيبة فلا يروعك شي واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من امامك
والظلمة تحوطك من ورايك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله

نكاحهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله وعبادته فمنهم من امن ومنهم من صد
عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته
فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم
كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل فيهم كفعله فيما قبلهما ثم عمد الى الامم التي في وسط
الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قال له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان
بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات والعقارب
وكل ذي روح خلق في الارض فليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك انهم سيملكون الارض ويظهرون
علينا ويفسدون علينا فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه
ربي خير وقال اعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم
فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم نصف الرجل المربوع منهم مخاليب واضراس كالسباع
ولهم هلب شعر يواري اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد اذنان عظيمان يفترش احديهما
ويلتحف بالاخرى مصيف واحدة ومشتو في اخرى يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين
ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك
قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قيل فسادهم انهم كانوا
يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون فيها شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا حملوه وادخلوه
ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون
عند خروجهم فهل نجعل لك خرجا اي جعلا واجرا من الاموال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا
فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي خير اي ما قواني به ربي خير من جعلكم فاعينوني
بقوة يعني لا اريد المال بل اعينوني باموالكم وقوتكم اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا قالوا وما تلك
القوة قال فعلة وصناع يحسنون البنا والالة قالوا وما تلك الالة قال اتوني اي اعطوني وقيل
جيئوني زبر الحديد اي قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى اذا ساوى
بين الصدفين اي بين طرفي الجبلين قال انفخوا يعني في النار حتى اذا جعله نارا اي صار نارا قال
اتوني افرغ عليه اي اصب عليه قطرا اي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل
مكانه حتى لزم الحديد قيل ان كان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون
ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فراسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة
الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب
فكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه
فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه لعلوه وملاسته وما استطاعوا له نقبا اي من اسفله
لشدته وصلابته قال يعني ذو القرنين هذا اي السد رحمة من ربي اي نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
قيل يعني القيمة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي ارضا ملسا وقيل مدكوكا مستويا مع الارض وكان
وعد ربي حقا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج
وماجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موصوفات الحساب وتواتي
يجعل راس اصبعه السبابة على وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا خلل يسير

وعنه

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه حتى ارجعوا فستحفرونه
غدا قال فيعيده الله تعالى كاشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي
عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء الله واستثنى قال فيرجعون فيجدونه هيئته حين تركوه
فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه ويفر منهم وفي رواية يتحصن الناس في حصونهم منهم
فيرمون بسهامهم الى السما فترجع مخضبة بالدما فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السما
قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون قال فوالذي نفس محمد بيده ان دواب
الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي قوله قسوة وعلوا اي غلظة وفظاظة وتكبرا
والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر فقال شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلا
ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلي اجسادها لحما وتسمن خ عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج قوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا ياجوج وماجوج يموج اي يدخل بعضهم في بعض يموج
الما ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط
انسهم بجنهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على ان خروج ياجوج وماجوج من علامات قرب الساعة
فجمعناهم جمعا اي في صعيد واحد وعرضنا اي ابرزنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا حتى يشاهدوها
عيانا الذين كانت اعينهم في غطا اي غشا وستر عن ذكري اي عن الايمان والقران والهدى والبيان
وقيل عن روية الدلايل وتبصرها وكانوا لا يستطيعون سمعا اي سمع القبول والايمان لغلبة الشقا
عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له
قوله تعالى افحسب اي افظن الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا يعني اربابا يريد
عيسى والمليكة بل هم لهم اعدا ويتبرون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين اطاعوهم من دون
الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري اوليا واني لا اغضب لنفسي فلا اعاقبهم وقيل معنا
افظنوا انهم ينفعهم ان يتخذوا من دوني اوليا انا اعتدنا اي هيانا جهنم للكافرين نزلا اي منزلا
قال ابن عباس هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف قوله عز وجل قل هل ننبيكم بالاخسرين
اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس
هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب
هم اهل حروراء يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اي بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
اي يظنون انهم يحسنون صنعا اي عملا ثم وصفهم فقال تعالى اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه
يعني انهم جحدوا دلايل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي
والقران فصاروا كافرين بهذه الاشيا فحبطت اعمالهم اي بطلت فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقيل
لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات
ومقدار الحسنات قال ابو سعيد الخدري ياتي اناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كالجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقيل معناه نزدري
بهم فليس لهم عندنا خطر ولا قدر ولا وزن ق عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقروا ان شيتم فلا نقيم

لهم يوم القيمة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكره من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال تعالى
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي سخرية واستهزا قوله تعالى ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر
انهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو
البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس
بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهيا للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات
الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم اي في علم الله قبل ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اي
يطلبون عنها حولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا
لم توافقه الى دار اخرى قوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس قالت اليهود
يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم قالت اليهود اوتينا
التوراة فيها علم كل شي فانزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي مدادا يعني مدة وهو ما يستمده
الكاتب فيكتب به واصله من الزيادة وقال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلايق
يكتبون لنفد البحر اي لفني ماوه قبل ان تنفد كلمات ربي اي علمه وحكمه ولو جينا بمثله مددا المعنى
ولو كان الخلايق يكتبون والبحر يمدهم لفني ما البحر ولم تفن كلمات الله ولو جينا بمثل ما البحر في كثرته
مددا او زيادة قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
التواضع لئلا يزهي على خلقه فامره ان يقر فيقول اني ادمي مثلكم الا اني خصصت بالوحي واكرمني الله
به وهو قوله يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير
اليه وقيل يامل رؤية ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجا لقا الله والمصير اليه فليستعمل نفسه
بالعمل الصالح ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله
وقد يراد به الريا والسمعة اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله والثاني ان يكون مبرا من جهات
الشرك جميعها وعن جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به
ومن يرائي يرائي الله به قوله من سمع سمع الله اي من عمل عملا من اذا للناس يشتهر بذلك شهره الله
يوم القيمة وقيل معنى سمع به اي اسمعه المكروه م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركا عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته
وشركه وللغير مسلم فانا منه بري هو للذي عمله عن سعيد بن ابي فضالة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله
احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركا عن الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال
الريا عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال وفي رواية من اخرها **تفسير سورة مريم عليها السلام** ٢

وهي

وهي مكية وهي ثمان وتسعون اية وسبعماية واثنان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وثمانماية حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كهيعص قال ابن عباس هو اسم من اسما الله وقيل اسم للقران
وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والها من هاد واليا
من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق
ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر اي هذا الذي نتلوا عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا
قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته اذ نادى اي دعا ربه في المحراب نداء خفيا اي سرا من قومه
في جوف الليل وقيل راعى سنة الله لانه ابعد عن الريا وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على
طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله قال رب اني
وهن العظم مني وقيل اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الراس اي ابيض الشعر شيبا اي شمطا ولم
اكن بدعايك رب شقيا اي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان
امنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من وراي اي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل
العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد فهب لي من لدنك وليا اي
اعطني من عندك وليا مرضيا يرثني ويرث من ال يعقوب اي وليا وارثا وقيل اراد يرثني مالي ويرث من ال
يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورة لان زكريا كان راس الاحبار
والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبيا لم يورثوا المال انما ورثوا العلم ويبعد من زكريا
وهو نبي من الانبيا ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله
ويغيروا احكامه وذلك لما شاهده من بني اسرايل من تبديل الدين وقتل الانبيا فسال ربه ولدا
صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه وعمله لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس واجعله رب
رضيا اي برا تقيا مرضيا قوله تعالى يا زكريا المعنى فاستجاب الله له دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك
بغلام اي بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها
ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم يلد العواقر مثله ولدا وقيل لم
يرد الله بذلك اجتماع الفضايل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما
افضل منه قال رب انى يكون اي من اين يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ورقة العظم ونحول عظم الجلد قال كذلك قال ربك هو علي
هين اي يسير وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى ولم تك شيا قال رب اجعل لي اية اي دلالة على حمل
امراتي قال ايتك اي علامتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير ما باس
ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد
ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه
وكان الناس من ورا المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم زكريا
متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا اي
صلوا بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة قوله تعالى
يا يحيى فيه اضمار معناه ووهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة بقوة اي بجد واجتهاد
واتيناه الحكم قال ابن عباس يعني النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله

واذ هو الينه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبي قلت لان اصل النبوة
مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب فقرا
التورية وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا
وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحنن على هداك
المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم علي وزكاة قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص
وقيل هي العمل الصالح ومعنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة
ربهم وعملا صالحا في اخلاص وكان تقيا اي مسلما خالصا مطيعا وكان من تقواه لم يعمل خطية قط
ولا هم بها وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم من بر
الوالدين يدل لقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الاية ولم يكن جبارا
الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو
من التعظيم بنفسه من تلزمه حقا لاحد عصيا هو ابلغ من العاصي والمراد وصف يحيى بالتواضع
ولين الجانب وهو من صفات المومنين وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا معناه
وامان من الله يوم ولد من ان ينال الشيطان كما ينال سائر بني ادم ويوم يموت امان له من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا اي من عذاب القيمة وقيل اوحش ما يكون الخلق في ثلاث مواطن يوم يولد
لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث
حيا لانه يرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن فخصه بالسلامة فيها قوله
عز وجل واذكر في الكتاب اي في القران مريم اذ انتبذت اي تنحت واعتزلت من اهلها اي من
قومها مكانا شرقيا اي مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست
في مشرقة تفلي راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل وقيل ولهذا المعنى اتخذت
النصارى المشرق قبلة فاتخذت اي فضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس سترا وقيل جلست
وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت
عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرد
وضي الوجه سوي الخلق فذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل فتمثل لها بشرا سويا
اي سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيا وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه
ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملكية لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح
روح عيسى جا في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل عليه السلام يقصد
نحوها بادرته من بعيد قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مومنا مطيعا فلم يبعدها
من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان
كنت تقيا قلت هذا كقول القايل ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا
لك من الظلم كذلك هاهنا معناه ينبغي ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور قال لها جبريل
انما انا رسول ربك ليهب لك اسند الفعل الى نفسه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به غلاما
زكيا قال ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت مريم انى يكون اي من اين يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
اي لم يقربني زوج ولم اك بغيا اي فاجرة يريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن هاهنا

واحد

واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اي هكذا قال ربك هو علي هين اي خلق ولد بلا اب
ولنجعله اية للناس اي علامة لهم ودلالة على قدرتنا ورحمة منا اي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا اي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته
قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل نفخ في درعها باصبعه ثم
نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى
عليه السلام في الحال فانتبذت به اي فلما حملت حست بالحمل وانفردت مكانا قصيا اي بعيدا
من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من
غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وقيل كان مدة حملها ثمانية اشهر وذلك انه اخرى لانه لا يعيش من ولد
لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث
عشر وقيل ستة عشر سنة وكانت قد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت
بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بجنب جبل صهيون
وكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما
واول من عرف حمل مريم يوسف فبقي متحيرا في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها
لم تغب عنه واذا اراد ان يبريها راى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع في
نفسي من امرك شي وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان اتكلم به اشفي صدري فقالت
قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل
يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تعلم ان الله
انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجرة حتى استعان
بالما ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله يقدر على ما يشا
يقول له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك
زال ما في نفسه من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلا الضعف عليها بسبب الحمل
فلما دنى ولادها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فذلك قوله فانتبذت به مكانا قصيا
قوله عز وجل فاجاها المخاض اي الجاها وجاء بها وجع الولادة الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة
في الصحرا في شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجات اليها لتستند اليها وتتمسك بها من
شدة الطلق ووضع الولادة قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت استحيا من الناس وخوف
الفضيحة وكنت نسيا منسيا اي شيا حقيرا متروكا لم يذكر ولا يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل
معناه انها تمنت انها لم تخلق فناداها من تحتها قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها
وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها الا تحزني قد
جعل ربك تحتك سريا اي نهرا قال ابن عباس ضرب جبريل وقيل عيسى برجله في الارض فظهرت
عين ما عذبة وجرى وقيل كان هناك نهرا يابسا اجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فاورقت
واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اي يا مرك ان امرتيه ان يجري جرى وان امرتيه بالامساك امسك
وقيل معنى سريا اي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا وهزي اليك اي حركي بجذع النخلة تساقط

عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا قيل الجني الذي بلغ الغاية وجا اوان اجتنايه قال الربيع بن خيثم ما للنسا عندي
خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل فَكُلِي وَاشْرَبِي اي يا مريم كلي من الرطب واشربي من النهر وَقَرِّي
عَيْنًا اي طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اي صادف فوادك ما
يرضيك فيعز عينك من النظر الى غيره فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا معناه فسالك عن ولدك
فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا اي صمتا قيل كان في بني اسرايل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام
كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله امرها ان يقول هذا اشارة وقيل امرها
ان يقول هذا القول نطقا ثم يمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين احدهما
ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة
على تفويض الكلام الى الافضل اولى الثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت عن السفيه
واجب فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا يقال انها كانت تكلم الملايكة ولا تكلم الانس قوله تعالى فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا
تَحْمِلُهُ قيل انها لما ولدت عيسى حملته في الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى
الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى في الطريق
فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت الى اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا
وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا اي عظيما وقيل معناه جيت بامر
عجيب بديع يَا أُخْتَ هَارُونَ قيل كان رجلا صالحا في بني اسرايل شبهت به في عفتها وصلاحها
وليس المراد منه الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بني اسرايل كلهم
يسمى هارون سوى ساير الناس م عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم
تقرون يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقيل كان هارون اخا
مريم لابيها وكان من امثل رجل في بني اسرايل وقيل انما عنوا هارون اخا موسى لانها كانت من نسله
كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان هارون فاسقا في بني اسرايل اعظم الفسق فشبهوها به مَا
كَانَ أَبُوكِ يعني عمران امْرَأَ سَوْءٍ قال ابن عباس زانيا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا يعني حنة بغيا اي زانية فمن
اين لك هذا الولد فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ اي اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن
لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا لسخريتها افعلت
لسخريتها بنا ثم قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قيل اراد بالمهد حجرها وقيل هو المهد بعينه
وكان معنى هو قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع
واتكى على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ انا هاذكرنا عندنا ظهرنا
اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما
وقيل بل يوم ولد اني عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم ليلا تتخذ الها فان
قلت الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن امه فلهذا اول ما تكلم بها تكلم باعترافه
على نفسه بالعبودية وفي ذلك تحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة
العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لا تفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان
الاشتغال بذلك اولى آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا قيل معناه سيجعلني نبيا ويوتيني الكتاب

وهذا

وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت
نبيا وادم بين الروح والجسد والاكثرون انه اوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل
وعن الحسن انه قال الهم التوراة وهو في بطن امه وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ اي نفاعا حيث ما
توجهت وقيل معلما للخير ادعوا الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ اي امرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت يومر بالصلاة وبالزكاة في حال طفوليته
وقد قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله واوصاني
بالصلاة لا يدل على انه تعالى اوصاه باديهما في الحال بل المراد اوصاه باديهما في الوقت المعين
لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر
لقوله في سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع حياته
حين كان في الارض وحين رفع الى السما وحين ينزل الى الارض بعد رفعه وَبَرًّا بِوَالِدَتِي اي وجعلني
برا بوالدتي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا اي عصيا لربه متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع
وروي انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلما لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا
هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ اي السلامة عند الولادة
من طعن الشيطان وَيَوْمَ أَمُوتُ اي عند الموت من الشرك وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا اي من الاهوال يوم
القيمة فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم بعد حتى بلغ المدة التي يتكلم
فيها الاطفال ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اي قال اني عبد الله هو عيسى ابن مريم قَوْلَ الْحَقِّ اي هذا الكلام
هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق
والحق هو الله الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ اي يشكون ويختلفون فقايل يقول هو ابن الله وقايل يقول
الله وقايل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد
ونفاه عنه فقال تعالى مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ اي ما كان من صفته اتخاذ الولد ولا ينبغي
له ذلك سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا اي اذا اراد ان يحدث امرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اي لا يتعذر عليه
ايجاده على الوجه الذي اراده وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعني
ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله
امرني به هذا صراط مستقيم يودي الى الجنة فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ يعني النصارى سموا
احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكانية والماريعقوبية فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ يعني يوم القيمة أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة
حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في الاخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا
وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون بما يسوهم ويصدع قلوبهم يَوْمَ يَأْتُونَنَا اي يوم
القيمة لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قيل اراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطا بين
وقيل في الاخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الاخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف
المومنين قوله تعالى وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ يعني خوف يا محمد كفار مكة بيوم الحسرة سمي بذلك لان
المسي يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان يدل عليه ما روي ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان

تحسنا ندم لا يكون ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشي الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت ق وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت كهيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيقول هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادي مناد يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرئبون يقال اشرأبت الى الشي اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض يصير بجسم في صورة كبش او غيره فعلى هذا تناول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم ويوخذ فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا انتقال ق وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت يا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال رسول لا يدخل احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة اي عما يراد بهم في الاخرة وهم لا يومنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض جميعا ويبقى الرب سبحانه وتعالى وحده فيرثهم والينا يرجعون فنجزيهم باعمالهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبيايه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق فلما قرب رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني ازر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع يعني صوتا ولا يبصر شيا ولا يغني عنك اي يكفيك شيا وصف الاصنام بثلاثة اشيا كل واحد منها قادح في الالهية وذلك ان العبادة في غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا اياه يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة ما لم ياتك فاتبعني اي على ديني انجيك من ان تضل اهدك صراطا سويا اي مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهر الاية يمكن ان تومن فتكون من اهله او تصر على الكفر فتكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه

عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبهه اولا عن ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبهه على ان طاعة الشيطان غير جايزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار وقيل تاليا له في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية ابيه وثانيها اداء حق الابوة والرفق به وثالثها ان الهادي الى الحق لابد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه ورابعها النصح لكل احد فالاب بالاولى قال يعني اباه اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها لئن لم تنته اي تسكت وترجع عن عيبك الهتنا وشتمك اياها لارجمنك قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك ولابعدنك عني بالقول القبيح واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم سلام عليك اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك انه لم يومر بقتاله على الكفر وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ساستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسال له ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه سأسأل لك توبة تنال بها المغفرة انه كان بي حفيا اي برا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعاي واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي افارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر من كوثا الى الارض المقدسة وادعوا ربي اي اعبد ربي الذي خلقني وانعم علي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام فيه من التواضع لزوم التعريض بشقاوتهم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي ذهب مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحق ويعقوب اي انسنا وحشته من فراقهم باولاد كرام على الله وكلا جعلنا نبيا اي انعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا اي نعما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا في كل اهل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام اي اخلص العبادة والطاعة لله عز وجل ولم يراي وقرئ بالفتح اي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا ينعكس وناديناه من جانب الطور الايمن اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين وراى النار فنودي يا موسى اني انا الله رب العالمين وقربناه نجيا قال ابن عباس قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته وشرفنا بالمناجاة وهو قوله وقربناه نجيا اي مناجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وذلك لان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون اكبر من موسى قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم انه كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع الرجل وقيل انه وعد

من نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد
ميعادا الى اي وقت ينتظره فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم
عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظره الى وقت صلاة اخرى وكان رسولا نبيا اي الى
جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وبنو جرهم
ابن يقطن وبنو قحطان بن عامر بن سالخ وقحطان ابو قبائل اليمن نبيا اي مخبرا عن الله تعالى وكان
يأمر اهله اي قومه وقيل جميع امته بالصلاة والزكاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله
عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم
قدوة لمن سواهم وكان عند ربه مرضيا اي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا
نهاية من المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل واذكر في
الكتاب ادريس هو جد ابي نوح واسمه خنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول
من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ
السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب انه كان صديقا نبيا وذلك ان الله تعالى شرفه
بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة ورفعناه مكانا عليا قيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا
وقيل انه رفع الى السما وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السما الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس
الى السما الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه
من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني
لحمل العرش فالذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته
قال يا رب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يسأله
فكان مما ساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع الي ليؤخر اجلي
فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر نفسا اذا جا اجلها وانا نكلمه فرفعه الى السما ووضعه
عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم يشفع بي اليك لتؤخر
اجله فقال ملك الموت ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته اجله فيتقدم لنفسه قال
نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال لا اجده
يموت الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد
مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم
من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن
ربه في زيارته له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه
الى طعامه فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة
اني اريد اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة
قال وما هي قال تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد
ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته

فاكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ترفعني الى السما
لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله فرفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة قال وما تريد
قال تسال مالكا حتى يفتح ابوابها فاردها ففعل ثم قال كما اريتني النار فارني الجنة فذهب
به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق
بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج قال لان الله
تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما
هم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبامري يخرج فهو حي هناك
فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السما ام ميت فقال قوم هو ميت وقال
قوم هو حي وقالوا اربعة من الانبيا في الاحيا اثنان في الارض وهما الخضر والياس واثنان في السما
وهما عيسى وادريس قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اولئك اشارة الى
المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم من النبوة وغيرها مما تقدم وصفه من ذرية ادم يعني
ادريس ونوحا وممن حملنا مع نوح اي من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من
ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم يعني اسمعيل واسحق ويعقوب واسرائيل اي ومن ذرية
اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى فرتب الله تعالى احوال الانبيا
الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى
وممن هدينا واجتبينا اي هولا ممن ارشدنا واصطفينا وقيل وممن هدينا الى الاسلام واجتبينا
على الانام اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا اي جمع ساجد وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان
الانبيا عليهم السلام كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد
من الايات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بالايات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد
ففيه استحباب البكا وخشوع القلب عند سماع القران فصل وسجدة سورة مريم من
عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل لمن قرا اية
سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من
الباكين اليك والخاشعين لك وان قرا سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اي من بعد
النبيين المذكورين خلف اي قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة اضاعوا
الصلاة اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر
ولا العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اثروا شهوات انفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا
المعاصي وشرب الخمور وقيل هولا قوم يظهرون في اخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة فسوف يلقون غيا قال ابن عباس الغي واد في نار جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من
حره اعد للزاني المصر عليه والشارب المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق
والشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم
ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير فتستعر بها جهنم

وقيل يعني غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس يعني يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة
مع الروية **الا من تاب** وامن وعمل صالحا يعني الا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي **وامن**
اي من الكفر **وعمل صالحا** بطاعة الله **فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا** اي لا ينقصون
شيا ثم وصف الجنة فقال تعالى **جنات عدن** اي بساتين اقامة وصفها بخلاف حال جنات الدنيا
فانها لا تدوم **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** اي انهم لم يروها فهي غايبة عنهم وهم غايبون عنها **انه**
كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل يعني وعده موعوده وهو الجنة ماتيا اي ياتيه اولياوه واهل طاعته
لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا وفحشا وفضولا من الكلام **الا سلاما** اي بل يسمعون فيها سلاما
والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما توعهم
انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم وقيل هو تسليم الله
عليهم **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة
والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم
يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخا الحجب وقيل المراد منه رفاهة العيش وسعة
الرزق من غير تضيق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق التي يوتى به بالبكرة
والعشي فوصف الله الجنة بذلك **تلك الجنة التي نورث من عبادنا** اي نعطي وننزل وقيل يورث
عباده المومنين المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا **من كان تقيا** اي المتقين من عباده قوله عز
وجل **وما نتنزل الا بامر ربك** عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك
ان يزورنا اكثر مما يزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا الاية قال
فكان هذا جواب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله
عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله حتى شق على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساء ظني
واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست
احتبست فانزل الله وما نتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا وما خلفنا وقيل اكذلك قوله
له ما بين ايدينا وما خلفنا اي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما
بين ايدينا من الاخرة والثواب والعقاب وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي
من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين
سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا
وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما نسيك ربك وما تركتك **رب السموات والارض وما بينهما**
اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل
العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته**
اي اصبر على امره ونهيه **هل تعلم له سميا** قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غيره قوله
تعالى **ويقول الانسان** اي جنس الانسان فالمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابي بن
خلف الجمحي وكان منكر البعث **ايذا ما مت لسوف اخرج حيا** قال له استهزاء او تكذيبا للبعث قال الله

تعالى

تعالى **اولا يذكر الانسان** اي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث **انا خلقناه من قبل ولم يك شيا**
والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلما لو
اجتمع كل الخلايق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليه اذ لا شك ان
الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه فقال تعالى **فوربك** وفيه تشريف للنبي
صلى الله عليه وسلم **لنحشرنهم** اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث **والشياطين**
اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا**
قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته
صورة ذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله وترى كل امة جاثية قلت وصفوا
بالجثو على العادة المعهودة في موقف المقالات والمناقلات وذلك لما كان فيه من القلق
لما بدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا
ثم لننزعن اي لنخرجن **من كل شيعة** اي من كل امة واهل دين من الكفار **ايهم اشد على الرحمن عتيا**
قال ابن عباس يعني جراة وقيل فجورا وتمردا وقيل قايدهم والسهم في الشر والمعنى انه يقدم في
ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا
حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشد هم تمردا في كفره خص بعذاب
اعظم واشد لان عذاب الضال المضل واجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال
ففايدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال
في جميعهم **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا** ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب
وقيل معنى الاية انهم احق بدخول النار قوله تعالى **وان منكم الا واردها** اي وما منكم الا واردها
وقيل القسم فيه مضمر اي والله ما منكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا
في معنى الورود هنا وفيما تنصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى
الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين
منها يدل عليه ما روي ان نافع بن الازرق روي عن ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو
الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلى ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انتم لها واردون ادخلها هولا ام لا قال نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان
يخرجني الله وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المومنين النار يقول
من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور ولان الله تعالى اخبر عنهم انهم
لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يندفع عن المومنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان
الله تعالى يخمد النار فتعبرها المومنون ويحتمل ان الله يجعل الاجزا الملاصقة لابدان الكفار
من النار محرقة والاجزا الملاصقة لابدان المومنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه
السلام وكما ان الملايكة الموكلين لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المومنين عذاب فما فايدة
دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان
فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المومنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم
اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال

قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مومن ابدا لقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من
الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ما مدين اراد به الحضور والروية
عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم
الا واردها يعني القيمة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة انهم
جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
اي الشرك وهم المومنون والنجاة انما يكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار
الا تحلة القسم وفي رواية فتلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله
وان منكم الا واردها م عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
عند حفصة لا يدخل النار ان شا الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها قالت بلى
يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد قال الله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول
اهل الجنة الم يعد ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول
النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها
قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المومن من النار ق عن
عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء قوله فيح جهنم اي وهجها
وحرها وقوله تعالى **كان على ربك حتما مقضيا** اي كان ورود جهنم لازما قضاه الله عليكم واوجبه
ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك **ونذر الظالمين فيها جثيا** اي جميعا وقيل جاثين على الركب قالت
المعتزلة في الاية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان
الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجوا منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار
ابدا واجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد بصحة ذلك ان من
امن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق عن الشرك ومن صدق عليه انه متق عن الشرك صح انه متق
لان المتقي جز من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة
متقي ومن صدق عليه ذلك وجب ان يخرج من النار لعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية
التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدليل على فساد قولهم هذا حيث البحث واما من حيث السنة فقد
وردت احاديث تدل على اخراج الموحدين من النار خ عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا
الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي
رواية من ايمان ق عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تمارون
في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيمة فيقول من كان يعبد
شيا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها

منافقوها

منافقوها فياتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم
الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجوز
من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل
شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها
الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله تعالى رحمة
من اراد من اهل النار امر الملايكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم باثار السجود
وحرم الله على النار ان تاكل اثار السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ما الحياة
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضا بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار
وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني
ريحها واحرقني ذكاوها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسال غير ذلك فيقول
لا وعزتك فيعطي الله ما شا من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة
راى بهجتها سكت ما شا الله ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد
اعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي كنت سالت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك
فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان تسال غيره فيقول وعزتك لا اسال غير ذلك فيعطي
ربه ما شا من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة
والسرور فيسكت ما شا الله ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى
ويحك يا ابن ادم ما اغدرك اليس قد اعطيت العهد والميثاق ان لا تسال غير الذي اعطيت
فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم ياذن له في دخول الجنة فيقول
تمن فيتمنى حتى اذا انقطع امنيته قال الله تمن من كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني
قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله قال ابو هريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد سمعته يقول ذلك لك وعشرة امثاله وفي
رواية للبخاري قال فياتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله
منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا اتانا ربنا عرفناه فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا
ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الروية فسياتي
في تفسير سورة لم والقيمة ونتكلم هاهنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو
نبت ذو شوك معقف وهو من اجود مراعي الابل قوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب
اي اهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في
النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت
الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحا هو بزر البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الما
على شاطيه قوله قشبني ريحها اي اذاني والقشب السم وكانه قال قد سمني ريحها قوله واحرقني
ذكاوها اي اشتعالها ولهبها قوله راى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة ق عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة

رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فياتيها فيخيل اليه انها ملاى فيرجع
فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة قال فياتيها فيخيل اليه انها ملاى
فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا
وعشرة امثالها وان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة
قوله حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي اخر الاسنان عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة
قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت
الغثاء في حمالة السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء كما اجابه السيل فدلت الاية الاولى على ان
الكل دخلوا النار ودلت الاية الثانية والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين
وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات** اي دلالات واضحات
قال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث ودونه من كفار قريش **للذين امنوا** يعني فقراء اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون
بشعورهم ويدهنون روسهم ويلبسون افخر ثيابهم **اي الفريقين خير مقاما** اي منزلا ومسكنا وهو موضع
الاقامة **واحسن نديا** اي مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا** اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا **ورئيا** اي منظرا من الروية **قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا** هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره **حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب** اي الاسر والقتل في الدنيا **واما الساعة** يعني القيمة فيدخلون النار
فسيعلمون اي عند ذلك **من هو شر مكانا** اي منزلا **واضعف جندا** اي اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون
اهم خير ام هم في النار ام المومنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا قوله عز وجل **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** اي ايمانا وايقانا على يقينهم **والباقيات الصالحات**
اي الاركان والاعمال الصالحة التي يبقى لصاحبها **خير عند ربك ثوابا وخير مردا** اي عاقبة ومرجعا
قوله تعالى **افرايت الذي كفر باياتنا** الاية عن خباب بن الارت قال كنت قينا في الجاهلية وكان لي
على العاص بن وايل السهمي دين فاتيته اتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وايل سيفا فجيته
اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك الله ثم يبعث قال واني لميت ثم
مبعوث قلت بلى قال دعني حتى اموت وابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله فردا الغين الحداد ثم رد الله بقوله اطلع الغيب قال
ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى يعلم اني في الجنة ام لا **ام اتخذ عند
الرحمن عهدا** يعني قال لا اله الا الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهدا اليه انه يدخله الجنة
كلا رد عليه يعني لم يفعل ذلك **سنكتب ما يقول** اي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه في الاخرة وقيل
يامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول **ونمد له من العذاب مدا** اي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل
نطيل مدة عذابه **ونرثه ما يقول** اي ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل
يزول عنه ما عنده من مال وولد فلا يعود الا رث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك

قوله

قوله **ويأتينا** اي يوم القيمة **فردا** بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يتعذر في الاخرة بمال وولد قوله
تعالى **واتخذوا من دون الله الهة** يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها **ليكونوا
لهم عزا** اي منعة يعني يكونون شفعاء يمنعونهم من العذاب **كلا** اي ليس الامر كما زعموا **سيكفرون
بعبادتهم** يعني تجحد الاصنام والالهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرون منهم
ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداء لهم وكانوا اولياهم في
الدنيا قوله عز وجل **الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين** اي سلطناهم عليهم **تؤزهم
ازا** اي تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا
وفي الاية دليل على ان الله مريد لجميع الكائنات **فلا تعجل عليهم** اي لا تعجل بطلب عقوبتهم **انما
نعد لهم عدا** يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسون بها في الدنيا
الى الاجل الذي اجل لعذابهم قوله عز وجل **يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا** اي اذكر لهم يا محمد
اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا
قال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها
الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت **ونسوق المجرمين**
اي الكافرين **الى جهنم وردا** اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة
يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش
تساق الى الماء **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على
ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير
ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول
الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله تعالى **لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا** يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمومنين وقيل لا يشفع الا من شهد
لا اله الا الله اي لا يشفع الا المومن **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان
الملائكة بنات الله من العرب **لقد جئتم شيا ادا** قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا
عظيما **تكاد السموات يتفطرن منه** من الانفطار وهو التشقق **وتنشق الارض** اي تخسف بهم **وتخر
الجبال هدا** اي تسقط وتنطبق عليهم **ان دعوا** اي من اجل ان جعلوا **للرحمن ولدا** فان قلت ما معنى
انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين توثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه
الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة
وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت
الملائكة والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت
جهنم حين قالوا لله ولد ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال **وما ينبغي للرحمن ان
يتخذ ولدا** اي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها ولا شبيه

لله تعالى لان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا يصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جميل بعده
وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا اي ياتيه يوم القيمة عبدا
ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلايق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا اي عد انفاسهم وايامهم
فلا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي وحيدا
ليس معهم من احوال الدنيا شيء قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
اي محبة قيل يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
احب الله سبحانه وتعالى العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي في
اهل السما ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض في رواية لمسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال اني
احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السما فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السما ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه
فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم توضع له البغضا قال
هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال
كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداوها من الله ينزلها على اهل السما
ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى فانما يسرناه اي سهلنا
القران بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المؤمنين وتنذر به اي بالقران قوما لدا اي شدادا في
الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم
اهلكنا قبلهم من قرن ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وتيقنوا انه
لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي
اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى هل تحس منهم اي هل ترى وقيل هل تجد منهم اي من القرون من احد او تسمع
لهم ركزا اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم

تفسير سورة طه وهي مكية

وهي مائة واربع وقيل خمس وثلاثون اية والف وثلثماية واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف
ومايتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت
السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى
واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل
نافلة الزيادة بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طه هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته
وقيل هو اسم من اسما الله فالطا افتتاح اسمه طاهر والها افتتاح اسمه هادي وقيل معناه
يا رجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان قيل هو بالسريانية وقيل بالنبطية
فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة
عك وعك قبيلة من قبايل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل
الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه
في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه

فقال

فقال طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وقيل لما راى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما انزل
عليك القران يا محمد الا لشقاوتك فنزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعنى وتتعب
الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون
بها تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى اي من الله الذي خلق الارض والسموات العالية الرفيعة
التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها غير الله تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه
في سورة الاعراف مستوفى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما يعني الهوى وما تحت الثرى اي انه مالك
جميع ما في الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن
عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر
على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان والصخرة على
قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل
الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى
وان تجهر بالقول اي تعلن به فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما يسر في نفسك واخفى من
السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم
ما تسر غدا والله اعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن ادم في نفسه
واخفى ما اعلمه مما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما
اسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان تعلم
ان الله يعلم اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف
عن القبايح ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا
الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفا على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من
الامور التي عزم عليها والاخفا هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله
الا هو له الاسما الحسنى تانيث الاحسن والذي فضلت به اسماوه في الحسن ساير الاسما دلالتها
على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز
وجل وهل اتاك حديث موسى اي وقد اتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعه
بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعبا النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة
الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا
في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته واخيه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام
الشتا فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا تدري اليلا تضع
ام نهارا فسار في البرية من غير طريق يعرفها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك
في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته واجرا امر الله انطلق فاخذ
زنده وجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا اني انست نارا اي ابصرت نارا لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف
عود او اجد على النار هدى اي اجد عند النار من يدلني على الطريق فلما اتاها اي اتى النار راى
شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها اطافت بها نار بيضا تتقد كاضوء ما يكون فلا ضوء النار يغير

حضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة بغير ضوء النار وقيل كانت الشجرة سمرة خضراء وقيل كانت من العوسج
وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب روى ذلك ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه
موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب
تبارك وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات منه واذا
نا دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملئكة والقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني انا ربك
قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا
ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي
الا الله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله فاخلع نعليك كان
السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله اخلع نعليك قال كانت من جلد حمار ميت وروي غير
مدبوغ وانما يخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدمه تراب الارض المقدسة
فيناله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس اي المطهر
طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى وادي مستدير عميق مثل الطوي في استدارته وانا اخترتك
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال له لقد جاءك امر
عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم الصلاة لذكري اي لتذكرني
فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترى بها ولا تقصد
بها غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة اقم الصلاة لذكري وفي
رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة
لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف
يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كتمت
سرك في نفسي اي اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف
لانهم اذا لم يعلموا متى تكون الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت
على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت
فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت واذا لم يعرف وقت موته لا يزول
على قدم الخوف فيترك المعاصي ويتوب منها في كل وقت خوف معاجلة الاجل وقوله لتجزى كل نفس
بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي فلا يصرفنك عن الايمان
بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها واتبع هواه اي مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز
وجل وما تلك بيمينك يا موسى سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا
قلبها حية علم انه معجز عظيم قال هي عصاي قيل كان لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها
نبعة اتوكا عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت وعند الوثبة واهش بها على غنمي اي
اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ولي فيها مارب اخرى اي حاجات ومنافع

اخرى

اخرى واراد بالمارب ما تستعمل فيه العصا في السفر وكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء
من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروي عن ابن عباس ان
موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له
ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن
غصن تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا اراد الاستقاء من البير ادلاها فطالت على طول البير
وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب
وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول
ارفضها فالقاها اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة فاذا هي حية صفراء من اعظم ما
يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة
الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهي اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية
اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على
قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهي عبارة عن انتهاء حالها وقيل انها كانت
في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية اعظم ما يكون من الحيات
صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة
العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها وتسمع لانيابها صريفا
عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل
وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي
ادم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه انه ادخل
يده في فمها واخذ بلحيتها سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل
كان على موسى مدرعة صوف قد خلها بعيدان فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة
على يده فقال له ملك ارايت لو اذن الله بما تحاذره كانت المدرعة يغني عنك شيا قال لا ولكني
ضعيف من ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في
شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكا قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه
من الاية التي لا يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم
يدك الى جناحك اي الى ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء اي
من غير عيب والسوء هاهنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار
كضوء الشمس والقمر اية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا لنريك من اياتنا الكبرى
قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر اياته قوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في
العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية
وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي
وانطلق برسالتي وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني تستكمل
بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني
اقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط

من عيني فبلغه رسالتي وادعه الي عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان
ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك فقال اجب ربك قال
يعني موسى رب اشرح لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك
ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضعف بما كلف من
مقاومة فرعون وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته
الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل
على ما امرتني به من تبليغ الرسالة الي فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى كان
في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامراته اسية
ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته
الي فرعون فنشا في حجره وحجر امراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون
وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به راس فرعون فنظر فرعون ونظير به وهم بقتله فقالت
اسية ايها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شيت فجا بطشتين في احدهما جمر وفي الاخر جوهر
فوضعهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل بيد موسى ووضعها على الجمر
فاخذ جمرة فوضعها على فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة يفقهوا قولي اي احلل العقدة
كي يفهموا كلامي واجعل لي وزيرا من اهلي اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض
ثقل عملك ثم بين من هو فقال هارون اخي وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم
كان ابيض اللون وكان موسى ادم اقني جعدا اشدد به ازري اي قوّ به ظهري واشركه في امري
اي امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا ونذكرك كثيرا اي نحمدك
ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى
قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت جميع ما سالته ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه
المرة ثم بين تلك المنة بقوله اذ اوحينا الى امك وحي الهام ما يوحى اي ما يلهم ثم فسر ذلك
الالهام وعدد نعمه عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها ان اجعليه في التابوت
فاقذفيه في اليم يعني بحر النيل فليلقه اليم بالساحل يعني شاطي البحر ياخذه عدو لي وعدو له
يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه
ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امراته
اسية اذ بتابوت يجي به الما فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي
من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله
والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما راه احد الا احبه لملاحة
كانت في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربى وتحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل
الشي بعينيه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك واسمها مريم متعرفة خبره فتقول هل ادلكم
على من يكفله اي على امراة مرضعة وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فلما قالت لهم
اخته ذلك قالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها اي
بلقائك ورويتك ولا تحزن اي وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا قال ابن عباس كان قتل

قبطيا كافرا قيل كان عمره اثنا عشر سنة فنجيناك من الغم اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا
قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلا قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة
وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال
ثم القاوه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم
بقتله ثم تناول الجمر بدل الجوهر ثم قتله القبطي وخروجه الي مدين خايفا فلبثت اي فمكثت
سنين في اهل مدين بلدة شعيب على ثلاث مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى
عند شعيب ثمان وعشرين سنة عشر سنين منها رعي الغنم مهر زوجته صفيرا ابنة شعيب
وثمان عشر سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له ثم جيت على قدر يا موسى اي جيت على
القدر الذي قدرت ان تجي فيه على راس اربعين سنة وتنوا القدر الذي يوحى الي الانبيا فيه
واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي
وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله تعالى ومحبته وقيل معناه اخترتك
لامري وجعلتك القايم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم
اذهب انت واخوك باياتي اي بدلايلي وقال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث بها موسى
ولا تنيا اي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا في ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام
عليكما ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي داراه وارفقا به
قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد
بالقول اللين هل لك الي ان تزكى الاية وقيل امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل
عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب
والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع
امرا دون هامان وكان غايبا فلما اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال
له هامان ليت ارى ذلك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد
فغلبه على رايه وكان هارون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هارون واوحى الله الي هارون
وهو بمصران يتلقى موسى فتلقاه الي مرحلة واخبره بما اوحي اليه وقوله تعالى لعله يتذكر
او يخشى اي يتعظ ويخاف ويسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر
ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضا الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع
المعذرة كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش اذا راي بري والطافي لمن خلقته
وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه
الذكرى والخشية وذلك حين الجمه الغرق وقد ادخل عند يحيى بن معاذ الدلدي فقولا له قولا
لينا الاية فبكى يحيى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا
يعني موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة
او ان يطغى اي يجاوز الحد في الاساءة الينا قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس اسمع
دعاكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك

اي ارسلنا اليك ربك فارسل معنا بني اسرائيل اي حل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا
تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا وقطع الصخور مع قتل المولدات
وغير ذلك قد جيناك باية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع
الشمس وقيل معناه قد جيناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة
والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من اسلم
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما يكذب الله من كذب بما جينا به واعرض
عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي من الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شي
خلقه ثم هدى اي كل شي يحتاجون اليه ويرتفعون به وقيل اعطى كل شي صلاحه وهداه وقيل اعطى
كل شي صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع
ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المراة والبعير والناقة
والفرس الرمكة والتيس الجيرة والحمار الاتان ثم هدى اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون
فما بال القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها
كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم لمصارع الامم الخالية
فحينيذ قال فرعون فما بال القرون الاولى قال يعني موسى علمها عند ربي اي اعمالهم محفوظة
عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما انزلت
بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطي وقيل لا يغيب عنه
شي ولا ينسى اي فيذكره وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي جعل لكم الارض مهادا
اي فراشا وقيل مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها
وانزل من السما ما يعني المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به اي بذلك الما ازواجا
اي اصنافا من نبات شتى اي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب
كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي ان في ذلك اي الذي
ذكرت لايات لاولي النهى اي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم
اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره على النطفة
فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى
اي يوم القيمة للبعث والحساب قوله عز وجل ولقد اريناه يعني فرعون اياتنا كلها يعني الايات
التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى يعني فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال
فرعون اجيتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسى اي تريد ان تغلب على ديارنا فيكون
لك الملك وتخرجنا منها فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا
لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوي مسافة
الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان قال يعني موسى موعدكم يوم الزينة قيل كان يوم
عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشورا
وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولى يعني فرعون فجمع
كيده اي مكره وحيله وسحره ثم اتى اي الميعاد قال لهم موسى يعني للسحرة الذي جمعهم فرعون وكانوا

اثنين

اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعماية وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم ويستاصلكم وقد خاب من افترى اي خسر
من ادعى مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب على الله قوله عز وجل فتنازعوا امرهم بينهم اي
تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى سرا من فرعون فقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل
لما قال لهم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة
قالوا بعضهم لبعض سرا ان هذين لساحران يعني موسى وهارون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
يعني مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافهم وقيل معناه
يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل يعني يريدان ان يذهبا
بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بنسكم ودينكم الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي لا تدعوا شيا
من كيدكم الا جيتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم ثم ايتوا
صفا اي جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ايتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم
من استعلى اي فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول
من القى اي عصاه قال يعني موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين
الناس فراى موسى كان الارض امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراوها
انها تسعى فاوجس اي اضمر وقيل وجد في نفسه خيفة موسى قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن
انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف
اي قال الله لموسى لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب عليهم وكذا الغلبة والظفر والق ما في
يمينك اي عصاك والمعنى لا يخيفك بكثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شي اعظم منها كلها تلقف
اي تلقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي من
الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى
قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم
للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين وقيل انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار
وقيل لما سجدوا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون
امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اي لرييسكم وعظيمكم يعني انه اسحركم واعلاكم في صناعة السحر
ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا اي على ايمانكم به انا او رب موسى
وابقى اي ادوم على ترك الايمان به قالوا يعني السحرة لن نوثرك اي لن نختارك على ما جانا من البينات
يعني الدلالات الواضحات قيل هي اليد والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين
حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا
لن نوثرك على ما جانا من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم وقيل معناه لن نوثرك على الله الذي
فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما
امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا

علينا من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاوا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون
اكرههم في الابتدا على تعلم السحر لكيلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من
القبط وسبعون من بني اسرائيل كان فرعون اكره الذين هم من بني اسرائيل على تعلم السحر وقيل
قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا نام فاراهم موسى نايما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون
هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم واكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم
وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى اي خير منك ان اطيع وابقى عذابا منك ان عصي
وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتدا
كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك فان له جهنم لا يموت
فيها ويستريح ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا اي مات على الايمان قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات فقال تعالى جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة
نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم اخرجه
الترمذي قوله وانعما يقال احسن فلان الي وانعم اي افضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما ممن
زادا وتناهيا الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي سر بهم ليلا
من ارض مصر فاضرب لهم طريقا اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي يابسا ليس فيه
ما ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف
ان يدركك فرعون من ورايك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون بجنوده
فغشيهم اي اصابهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لا يعلم كنهه الا الله
تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم
وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله تعالى النعمة في نجاتهم
وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال
وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم
وفيما افاض عليهم من سائر ارزاقه كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس
لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تنفروا بنعمتي على معاصي وقيل لا تدخروا
فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار
واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس تاب من الشرك وآمن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادي
الفرائض ثم اهتدى قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه
وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله تعالى وما اعجلك اي وما حملك على العجلة عن
قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا اي يذهبوا معه لياخذوا التوراة
فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له
وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال هم اولاء على اثري اي هم بالقرب مني ياتون على اثري

من بعدي

من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب
فقال هم اولاء على اثري قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم عقبه بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى قال فانا
قد فتنا قومك اي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني
عشر الفا من بعدك اي من بعد انطلاقك الى الجبل واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلالة
وهو عبادة العجل اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع الممكنات تضاف
الى منشيها والظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله ها هنا قيل كان
السامري من عظما بني اسرائيل من قبيلة يقال السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وامن به
وقيل كان علجا من علوج كرمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان
اسفا اي حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم التوراة افطال
عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا
يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي يعني ما وعدوا من الاقامة على دينه الى ان يرجع
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة
لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا استعرناه من
قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الاثام اي حملنا اثاما
وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر
وقيل ان الله لما اغرق فرعون قذف البحر حليهم فاخرجها بني اسرائيل فكانت الغنيمة ولم تكن
الغنايم تحل لهم فقذفناها اي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها
فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري
اي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل
ان هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع
لي فقال هارون اللهم اعطه ما سالك على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة
حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز
اظهار خوارق العادة على يدي ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخارق
بحيث اذا دخل فيها الرياح صوت صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا
الهكم واله موسى يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا
لم يحبوا شيا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري اي ان موسى نسي الهه وتركه ها هنا
وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا بنفسه وخالفه في طريق اخر فاخطا الطريق
وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام
وان الاله لا يحل في شي ولا يحل فيه شي ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا
يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا
نفعا هذا توبيخ لهم اذ اعبدوا من لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع في عبده وكان العجل فتنة من

الله تعالى ابتلى به بني اسرايل بقوله عز وجل ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل رجوع موسى يا قوم
انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني اي على ديني في عبادة الله واطيعوا امري
اي في ترك عبادة العجل اعلم ان هارون سلك في هذه الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن
الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله
فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرايع بقوله واطيعوا امري فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى
عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال
وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه نبههم انه متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن
الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اي لن نزال عليه اي على عبادة العجل
عاكفين اي مقيمين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا ان نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم
هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون
حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هارون اخذ شعر راسه
بيمينه ولحيته بشماله و قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اشركوا ان لا تتبعني اي
تتبع امري ووصيتي وقيل قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من
اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري اي خالفت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي وكان قد اخذ بذوايبه اني خشيت اي
لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا ان تقول اي فتقول فرقت بين بني اسرايل او
خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلوا فتكون فتقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب
قولي اي لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري
ثم قال فما خطبك اي ما امرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت قال يعني السامري بصرت بما
لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب اثر حافر فرس جبريل فنبذتها اي فقذفتها
في فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل وراه من بين ساير الناس قلت ذكروا فيه وجهين
احدهما ان امه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل
فبعث الله جبريل اليه ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة والوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى
موسى ليذهب به الى الطور فراه السامري من بين ساير الناس فلما راه قال ان لهذا لشانا فقبض
القبضة من اثر تربة موطيه فلما ساله موسى قال قبضت من اثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد
وقيل راه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على
يديه وتم قوله وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي نفسي وقيل سول من السوال والمعنى انه لم يدعني
الى ما فعلت غيري واتبعت فيه هواي قال فاذهب يعني قال موسى للسامري اذهب فان لك في
الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا ولا يخالطك احد فعوقب في الدنيا
بعقوبة لا شي اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم
عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك فصار
السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا
او مسه احد حما جميعا فيتحامى الناس ويحامونه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم القوم يقولون

ذلك

ذلك وان لك اي يا سامري موعدا اي لعذابك في الاخرة لن تخلفه قرى بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه
ولا يذهب لك عنه بل توافيه يوم القيمة وقرى بالفتح اي لن تكذبه ولن يخلفك الله بل يكافيك على
فعلك وانظر الى الهك اي الذي تزعم الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت عليه تعبدا لنحرقنه
اي بالنار ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي البحر نسفا روي ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه
دم وحرقه بالنار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه اي لنبردنه فعلى هذا التاويل لم ينقلب لحما ودما
فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت
بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان
الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرايل انما الهكم الله اي المستحق للعبادة والتعظيم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شي علما اي وسع علمه كل شي وقيل يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله تعالى كذلك نقص
عليك من انبا يعني اخبار ما قد سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا
ذكرا يعني القران من اعرض عنه اي عن القران ولم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا
اي حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي مقيمين في عذاب الوزر يوم ينفخ في الصور قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى
به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
اي نحشر المشركين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا يتخافتون اي يتشاورون بينهم
ويتكلمون خفية ان لبثتم اي مكثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين
وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول
ما عاينوا وقال الله تعالى نحن اعلم بما يقولون اي يتشاورون بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم
عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم من اهوال يوم القيمة وقيل
نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله عز وجل ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن
عباس سال رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيمة فانزل
الله عز وجل هذه الاية والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا
اي يدع اماكن الجبال من الارض قاعا صفصفا اي ارضا ملسا مستوية لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا
ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا اي لا ترى واديا ولا رابية يومئذ يتبعون الداعي اي صوت الداعي
الذي يدعوهم الى موقف القيمة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس
ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اي
لا عوج لهم عن دعايه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا وخشعت الاصوات للرحمن اي
سكنت وذلت وخضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت له الاصوات وذلت والمراد به اصحاب
الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي قال ابن عباس
هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ
لا تنفع الشفاعة اي لاحد من الناس الا من اذن له الرحمن اي الا من اذن له ان يشفع ورضي له قولا قال
ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المومن وقيل ان درجة الشفاعة درجة
عظيمة فهي لا تحصل الا لمن اذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا

وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ان
يشفع ثم قال يعلم ما بين ايدي الشافعين وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى
ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم
وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما وعنت الوجوه اي ذلت
وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه والاد بها المكلفين
لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها
تتبين وفيها تظهر وقوله للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس
من اشرك بالله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ابن عباس
معناه لا يخاف ان يزاد على سياته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يواخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل
حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما بينا في هذه السورة او هذه الايات
المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله كذلك وقوله قرانا عربيا اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا
على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا وفصلنا القول
فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بما يتعلق فتكريره
وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم
وترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انما انزلنا القران لاجل ان يصيروا متقين مجتنبين ما لا
ينبغي ويحدث لهم القران ذكرا يرغبهم في فعل الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القران
عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله الامم السالفة قوله عز وجل فتعالى الله الملك
الحق اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما
يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير
وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل بالقران اراد ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقران يبادره فيقراه معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من
التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقران اي لا
تعجل بقراته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقراه
اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه وقل رب زدني علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى
زدني علما الى ما علمت فان لك في كل شي علما وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب
الزيادة في شي الا في العلم وقيل كان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني علما وايمانا
ويقينا قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم اي امرناه واوصينا اليه ان لا تاكل من الشجرة من قبل
اي من قبل هولا الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون فنسي
اي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر
ولم نجد له عزما اي صبرا عما نهي عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما حيث اطاع
عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية
فيكون الى المدح اقرب واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى اي ان يسجد فقلنا
يا ادم ان هذا اي ابليس عدو لك ولزوجك اي حوى وسبب العداوة ما راي من اثار نعمة الله على

ادم

ادم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى
هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ادم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب
ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والخبز قيل اهبط الى ادم
ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه وكان ذلك شقاه فان قلت لم اسند الشقا الى
ادم دون حوى قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقا الرجل شقا اهله كما ان في سعادته
سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني اريد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون
المراة لان الرجل هو الساعي على زوجته ان لك الا تجوع فيها اي الجنة ولا تعرى وانك لا تظما
اي تعطش فيها ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فتوذيك حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في
ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكسب هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان
فذكر الله حصول هذه الاشيا في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما
يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسرها اليه ثم بين تلك
الوسوسة ما هي قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت
مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشي الذي رغب الله فيه
ادم رغبة ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس وقفه
على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بان الله هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه
اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تامل هذا البشر عرف انه لا دافع لقضا الله ولا مانع
له منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل ادم وحوى من الشجرة فبدت لهما سواتهما اي عريا
من الثوب الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة اي يلزقان بسواتهما من ورق التين وعصى ادم ربه اي باكل الشجرة فغوى
اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه فخاب ولم
ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى ادم
ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه لا يقال الا لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال
خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا اخرجتنا من
الجنة فقال له ادم انت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على
امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى وفي رواية لمسلم قال يا ادم بكم وجدت
الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال وهل وجدت فيها وعصى ادم
ربه فغوى قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين
سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى الكلام على معنى الحديث وشرح قوله
احتج ادم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اي جادلته فغلبته قال
ابو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضا من الله على معنى الاجبار والقهر
للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه
الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها

خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدارا عن فعل القادر والقضا في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من ورا علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقديم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها والملايمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البنا ونقضه وانما توضع الحجة لادم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من ادم انه يتناول الشجرة فياكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض الذي خلق لها وانما ادلى ادم بالحجة على هذا المعنى ورفع لايمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني على امر قد قدره الله علي من قبل ان يخلقني

فصل في بيان عصمة الانبيا وما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبيا وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جايز عليهم الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريض والا لارتفع الوثوق بالادا واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطاهم فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكباير الثاني قول من منع من الكباير وجوز الصغاير على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التاويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب ان عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه احدها لو صدر الذنب منهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جايز لان درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جايز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيمة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتدا به فيه وذلك محال الرابع بين ببديهة العقل لانه لا شي اقبح ممن رفع الله درجته وايتمنه على وحيه وجعله خليفته على عباده وبلاده يسمع ربه ينادي لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجمعت الامة على ان الانبيا كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل فيه فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبيا

فاعلين

فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين وقال في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفا والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف فقد تمسك بايات منها قصة ادم والجواب عنها ان يقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان ادم حال ما صدرت عنه هذه الاشيا ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا وقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكن اغترا بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصد المخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكاهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شي عليه قلت ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة بها فهم خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذه ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى احوالهم كالسيات وسنذكر كلا في موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شا الله تعالى والله اعلم قوله عز وجل ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهدى اي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاحتمال كل من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوى لانهما اصل البشر فجعلا كانهما البشر فخوطبا بلفظ الجميع بعضكم لبعض عدو وقيل في نوفيه هذا الظاهر حتمه ان يكون ابليس والشياطين اعدا الناس ويحتمل ان يكون بعض الفر لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيمة سو الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة

ومن اعرض عن ذكري يعني القران فلم يومن به ولم يتبعه فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى اي معيشة ضنكا روي عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد هو يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتام عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقا وعنه قال كلما اعطي العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل بسلب القناعة حتى لا يشبع ونحشره يوم القيمة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي بصير العين وبصير الحجة قال كذلك اي كما اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران اي كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد اي مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اي وادوم قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يتبين القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهو ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وهو القيمة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها اية السيف وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن اناء الليل اي ومن ساعاتها فسبح يعني فصل المغرب والعشا قال ابن عباس يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخر ابتدا لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رويته وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رويته والكاف في قوله كما ترون القمر كاف التشبيه للروية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم روية ينزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السما وامين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اي لا تنظر نظرا الا تكاد ترده استحسانا

للمنظور اليه واعجابا له وتمنيا له الى ما متعنا به اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي في المعاد في الجنة خير وابقى اي ادوم قال ابن كعب من لم يتعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما في ايدي الناس يطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة اي بالمحافظة عليها واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك اي بل نحن نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة للتقوى اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض المسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي بالاية المقترحة فانه كان قد اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى دلالة واوضح اية وقيل معنى ما في الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يومنهم ان اتتهم الاية ان يكون حالهم كحال اوليك وقيل ببينة ما في الصحف الاولى هي البشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح قل كل متربص اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جا امر الله وقامت القيمة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام انتم والله اعلم •

• تفسير سورة الانبيا عليهم السلام وهي مكية •

وعددها ماية واثنا عشرة اية والف وماية وثمانية وستون كلمة واربعة الاف وثمانماية وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيمة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التاهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه وهم في غفلة معرضون اي عن التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا انتبهوا عن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني ما يحدث الله من تنزيل شي من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فتنزل الاية بعد الاية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ

سوى ما في القرآن وإضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إلا استمعوه وهم يلعبون أي لا عبرة أي لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية قلوبهم أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله وأسروا النجوى الذين ظلموا أي بالغوا في إخفاء التناجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى المقبول من أشكاله أقرب أفتأتون السحر أي تحضرون السحر وتقبلونه وأنتم تبصرون أي تعلمون أنه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والأرض أي لا يخفى عليه شيء وهو السميع العليم بأفعالهم قوله عز وجل بل قالوا أضغاث أحلام يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم بل افتراه أي اختلقه بل هو شاعر وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم شعر فليأتنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم بآية إن كان صادقا كما أرسل الأولون أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم ما آمنت قبلهم أي قبل مشركي مكة من قرية أي من أهل قرية أتتهم الآيات أهلكناها أي بالتكذيب أفهم يؤمنون أي إن جاءتهم آية والمعنى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفيؤمن هؤلاء قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا يوحى إليهم مثلك فاسألوا أهل الذكر يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر المشركون بمسألة أهل الكتاب لأن المشركين أقرب إلى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن إن كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم يعني الرسل جسدا لا يأكلون الطعام هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين أي في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد أي الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم فأنجيناهم ومن نشاء أي المؤمنين الذين صدقوهم وأهلكنا المسرفين أي المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد أفلا تعقلون فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا أي أهلكنا من قرية كانت ظالمة أي كافرة والمراد أهل القرية وأنشأنا بعدها أي أحدثنا بعد هلاك أهلها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا أي عذابنا بحاسة البصر إذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب لا تركضوا أي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه أي نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسألون قال ابن عباس قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية في أهل حصور قرية باليمن وكان أهلها عرب فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم فلما استحر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أي لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فإنكم أهل ثروة ونعمة واتبعهم بخت نصر فأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين أي لأنفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم

اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين أي ميتين قوله عز وجل وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى لو أردنا أن نتخذ لهوا قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه أنه الولد لاتخذناه من لدنا أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم واستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونون عنده لا عند غيره إن كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لا يليق بالربوبية بل أي دع الذي قالوه فإنه كذب وباطل نقذف أي نرمي ونسلط بالحق أي بالإيمان على الباطل أي على الكفر وقيل الحق قول الله أنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه أي فيهلكه فإذا هو زاهق أي باطل والمعنى أنا نبطل كيدهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله من في السموات والأرض عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم ومن عنده يعني الملائكة وإنما خص الملائكة وإن كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم وقربهم لا عشائهم لا يستكبرون عن عبادته أي لا يأنفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون أي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون أي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك أن تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم أم اتخذوا آلهة من الأرض يعني الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من الأرض هم ينشرون أي يحيون الأموات إذ لا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل لو كان فيهما أي في السماء والأرض آلهة إلا الله أي غير الله لفسدتا أي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام وقال الإمام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الإلهين يفضي إلى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الإلهين محالا إنما قلنا إنه يفضي إلى المحال لأنا لو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما أنه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة وإذا استويا في القدرة فالإلزام ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال ولو فرضنا إلهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي إلى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد وهو محال لأن إسناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لإمكانه فإذا كان كل واحد منهما مستقلا بالإيجاد بالفعل لكونه مع هذا أوجب الوقوع فيستحيل إسناده إلى هذا لكونه حاصل

معهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسالة التوحيد
فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان ذلك وجب ان لا
يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان
اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا
فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد
لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالات عرفت ان جميع ما في العالم
العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل السمعية
على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كل من طعن في الدلالة التمانع فسر الاية بان المراد لو كان في
السماء والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير
العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ثم
ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون
ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصف به المشركون من الشرك والولد لا يسأل عما يفعل اي لا يسال
الله عما يفعله ويقضيه في خلقه وهم يسالون اي والناس يسالون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسال
عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقا لانه الرب المالك للاعناق
والخلق يسالون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيمة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر
مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشيء فعله لم فعلته قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة
لما ابطل الله تعالى ان يكون اله سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذ
الالهة فقال ام اتخذوا من دونه الهة وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على
ذلك ثم قال الله تعالى مستانفا هذا يعني القران ذكر من معي اي فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني
الى يوم القيمة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اي خبر من قبلي اي من الامم
السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القران وذكر من قبلي
التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القران التوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ
ولدا او ان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي فوحدون وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم
بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اي عن التامل والتفكر والتذكر وما يجب عليهم من الايمان
بانه لا اله الا هو قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه نزه
نفسه عما قالوا بل عباد اي هم عباد يعني الملايكة مكرمون اي اكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه اي لا يتقدمونه
بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
قال ابن عباس اي لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضي الله عنه وهم من خشيته مشفقون اي خايفون
وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا
من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة
في غير موضعهما قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اي الم يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال

ابن

ابن عباس كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهوى قال كعب خلق الله السموات والارض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها
سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات
وجعلنا من الماء اي واحيينا من الماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي من الحيوان قد يدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه
سبب لحياة كل شيء وقال المفسرون معناه ان كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق
الله بعض ما هو حي من غير الماء كادم وعيسى والملايكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاقل في الاكثر يعني ان
اكثرها على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء افلا يؤمنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اي
جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء
فارساها الله واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع
بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اي الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا اي من
ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اي عما خلق
الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على
على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
كل في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال
لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب
كل شيء مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل يريد ان الذي يجري فيه النجوم مستدير
كاستدارة الرحى وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الافلاك
اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة
السموات الا بالاخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز
وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقاء في الدنيا افاين مت فهم الخالدون نزلت هذه
الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله قضى
ان لا يخلد في الدنيا بشر لا انت ولا هم فان مت انت افيبقى هؤلاء وفي معناه قول القايل

فقل للشامتين بنا افيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا
يجوز عليه الموت والذوق هاهنا عبارة عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم
بالشر والخير اي بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اي ابتلاء
لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اي للحساب والجزاء قوله عز وجل واذا
راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي سخريا قيل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك
وقال هذا نبي بني عبد مناف اهذا الذي يذكر الهتكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب الهتكم والذكر
يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا
رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها
طبع وقيل لما دخل الروح في راس ادم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل
ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة

وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لانه خلقه كان بعد كل شي في اخر النهار يوم الجمعة فاسرع في
خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح راسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل
على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق
الانسان من عجل اي من طين قال الشاعر ، والنبع في الصخرة الصما منبته ، والنخل منبته بين الما والعجل ،
اي بين الما والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله سأريكم اياتي فلا تستعجلون
وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث فمعنى سأريكم اياتي اي
مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيمة ولذلك قال تعالى
ويقولون يعني المشركين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا سو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل
الاستهزا فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهم من الهول المستهزئين فقال تعالى لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون
من العذاب والمعنى لو علموا لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بل تاتيهم يعني الساعة بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تحيرهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها عنهم ولا
هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزي برسل من قبلك اي يا محمد كما استهزا بك قومك
فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون اي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم اي فكذلك يحيق بهولا وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلوكم اي يحفظكم بالليل اي اذا نمتم والنهار
اي اذا انصرفتم في معايشكم من الرحمن قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم اي عن القران
ومواعظه معرضون اي لا يتاملون في شي منها ام لهم الهة تمنعهم من دوننا معناه الهم الهة من دوننا تمنعهم
ثم وصف الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اي لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون
من عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله
بخير بل متعنا هولا يعني الكفار واباهم اي في الدنيا بالنعما عليهم وامهلناهم حتى طال عليهم العمر اي امتد
بهم الزمان فاغتروا افلا يرون يعني هولا المشركين انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ينقص من
اطراف المشركين ويزيد في اطراف المومنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح ديار الشرك ارضا
فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرون هولا المشركين بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا في اتيان
الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وبدخلها في ملك محمد صلى الله
عليه وسلم ويميت روسا المشركين المتمتعين بالدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع واراد تنقيصهم ثم قال افهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل
نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم بالوحي اي اخوفكم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اذا ما
ينذرون اي يخوفون ولئن مستهم اي اصابتهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل شي قليل
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع
الموازين القسط اي ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين
ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها ليوم القيمة اي لاهل يوم القيمة قيل
المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته سياته فاز ونجا وبالعكس والصحيح
الذي عليه ايمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال

الحسن

الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه
كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات قال
يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة فعلى هذا في كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان
احدهما ان يوزن صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف السيات في كفة والثاني
ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع
بقوله ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قلت هذه في حق الكفار لانه ليس لهم اعمال توزن مع الكفر وقوله
فلا تظلم نفس شيا اي لا ينقص مما لها وما عليها من خير وشر وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه
انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساة مسي واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى اتينا بها اي
احضرناها للمجازاة بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص
رجلا من امتي على روس الخلايق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من
هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فقال لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان
لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال
فانك لا تظلم فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شي اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير واصله من السجل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة
صغيرة وهي ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحايف الاعمال
توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله اعلم وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا
عالمين حافظين لان من حسب شيا نقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم
بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شي فحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه
ويروى عن الشبلي اي روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال ،

، حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا ، فكذا الملك بالمماليك يرفق ،

قوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة
وقيل الفرقان النصر على الاعدا فعلى هذا يكون وضيا يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل
الواو زايدة في وضيا والمعنى اتينا موسى التوراة ضيا وذكرا للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون
بما فيه الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس
وهم من الساعة مشفقون اي خايفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي فكما اتينا موسى الفرقان فكذلك
انزلنا الفرقان ذكر مبارك اي هو ذكر لمن امن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون
اي جاحدون قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده اي صلاحه وهداه من قبل اي من قبل موسى وهارون
وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين اي انه اهل للهداية والنبوة اذ قال
لابيه وقومه ما هذه التماثيل يعني الصور والاصنام التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اي فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين
اي في خطا بين بعبادتكم اياها قالوا اجئتنا بالحق اي بالصدق ام انت من اللاعبين يعنون اجاد انت
فيما تقول ام لاعب قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين

اي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل على انه خالق السموات والارض وتالله لاكيدن اصنامكم
اي لامكرن بها بعد ان تولوا مدبرين اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه
فلم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القائل انما سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة
مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان
ذلك العيد قال ابو ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق
القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه ومضوا ونادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لاكيدن اصنامكم
فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر
منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه اصغر منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا
طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى
ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه
ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا الا كبيرا لهم اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في
عنقه وقيل ربطه على يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من
حديد ومن نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكلل بالجواهر في عينيه ياقوتتان
يتقدان وقوله لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم الى دينه وما يدعوهم اليه اذا اضعف
الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالونه ما لهؤلاء مكسرين وانت صحيح والفاس
في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين اي في تكسيرها واجترائه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يسبهم ويعيبهم يقال
له ابراهيم اي هو الذي يظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين
الناس اي جيئوا به ظاهرا بمراى من الناس قال نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه الذي فعل ذلك كرهوا
ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به قال له أانت فعلت
هذا بالهتنا يا ابراهيم قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبدوا معه الصغار وهو
اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون
اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن
النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختي
لفظ الترمذي قيل في قوله اني سقيم اي سا سقيم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم
هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة
هذه اختي اي في الدين والايمان قال الله انما المومنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها
ليس فيها كذب فان قلت فقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم
عليه السلام بمواخذته بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب من ابراهيم والاولى هو الاول

الحديث

الحديث ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر
مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين وهذا القول مرغوب عنه لان الدليل
القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل
الوثوق بالشرايع وتطرق التهمة الى كلها فالحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله
فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون يعني بعبادتكم
من لا يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فسلوها ثم نكسوا على رؤسهم
قال اهل التفسير اجرى الحق على السنتهم في القول الاول ثم اقروا على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة
فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا على الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي فكيف
نسالهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليه قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا اي ان عبدتموه ولا يضركم
اي ان تركتم عبادته اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم افلا تعقلون اي
اليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه
وانصروا الهتكم يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن عليها ان كنتم فاعلين اي ناصرين
الهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد وقيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة وقيل قاله نمرود بن كوش بن حام بن نوح ذكر القصة في ذلك فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم
حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثا ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر
حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تنذر في بعض ما يطلب لئن اصابته
لتحطبن في نار ابراهيم وكانت المراة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء
الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى
ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا
كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على راس البنيان
ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين
صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته
فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري فان استغاث باحد منكم او دعاه
فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه
في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهوى وقال ان شئت طيرت النار
في الهوى فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروي عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه
ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار
فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم
حسبي من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار
جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار (ق) عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم قلنا اي قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الاثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض

الا طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت
الملئكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ما وعذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت
النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو وقال
ابراهيم ما كنت اياما قط انعم مني من الايام التي كنت في النار قيل وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم
فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه
القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت
ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعدا
الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فنادى يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين
ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال له ابراهيم نعم ان قمت ان يضرك قال لا قال فقم فاخرج
منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رايته معك مثلك
في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الي ربي ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم
اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني
ذابح له اربعة الاف بقرة قال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع
الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فسوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن
ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل قوله عز وجل وارادوا به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم
الاخسرين وقيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل مرادهم قوله تعالى ونجيناه ولوطا يعني من نمرود
وقومه الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار
والثمار والانهار قال ابي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت
الصخرة التي ببيت المقدس وقيل ان اكثر الانبيا منها عن ابي قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب
الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم
مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال
لان الملئكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت
يا رسول الله اين تامرني قال ها هنا ونحى بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب
لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود
وملائهم وامنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران
وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فهؤلاء ثلاثتهم اولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثا
من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه
حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض
فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها
فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى ووهبنا له اسحاق

ويعقوب

ويعقوب نافلة اي عطية من عطاء الله وقال ابن عباس النافلة هو ولد الولد وكلا جعلنا صالحين
يعني ابراهيم واسحق ويعقوب وجعلناهم ائمة اي يقتدى بهم في الخير يهدون بامرنا اي يدعون الناس
الى ديننا بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرائع واقام الصلاة يعني المحافظة عليها وايتاء
الزكاة فيه ان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعها
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين اي موحدين قوله عز وجل ولوطا آتيناه حكما
اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
يعني قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم
مع اشياء اخر كانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا قيل اراد بالرحمة
النبوة وقيل انه الثواب انه من الصالحين يعني الانبيا قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل ابراهيم
ولوط فاستجبنا له اي فاجبنا دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب
قومه وقيل انه كان اطول الانبيا عمرا واشدهم بلاء والكرب اشد الغم ونصرناه اي منعناه من القوم الذين
كذبوا باياتنا من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قوله
عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت
عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف اذ نفشت فيه غنم القوم اي دخلته ليلا فافسدته وكانت
بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرأى لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل
الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود
احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت
فيه فافسدته فلم يبق منه شيا فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما
فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك
داود فدعاه وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين
قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب
الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود
القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة
ان ما افسدت الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدته بالليل ضمنه
ربها لان في عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح
ويدل على هذه المسئلة ما روي حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل
من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى
اهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود
مرسلا وذهب اهل الراي الى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان او نهارا
قوله تعالى ففهمناها سليمان اي علمناه والهمناه حكم القضية وكلا يعني داود وسليمان آتينا داود وسليمان
آتينا حكما وعلما اي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الاية لرايت الحكام قد هلكوا
ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف حكم العلماء في ان حكم داود كان باجتهاد
ام بنص ولذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبيا ليدركوا

ابواب المجتهدين والعلماء انهم لا اثم عليهم في الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نصا من كتاب او سنة واذا اخطاوا
فلا اثم عليهم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم
فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي
فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبيا الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون
عنهم بالوحي واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بهذه الاية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد
على الخطا وهو قول اصحاب الراي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد
المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله
عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد فاخطا فله اجر لم يرد به انه يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده
في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع اذا لم يال جهده ووجه الاجتهاد في هذا
الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك
الضرر بقيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة
الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الزوائد بالاصول فغير جائز لعل منافع الغنم في تلك السنة
كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان معهما ابناهما جاء الذيب فذهب بابن احديهما
فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك
الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير اي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه
بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه تسبيح
الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وكنا فاعلين يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير
وعلمناه صنعة لبوس لكم اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها
واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفايح قالوا ان الله الان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه
طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله لتحصنكم اي يمنعكم من باسكم اي حرب عدوكم وقيل من وقع
السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي يقول ذلك لداود واهل بيته قوله عز وجل ولسليمان
الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس حركته
ويخفى عن البصر بلطفه عاصفة اي شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة
قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان يشتد اشتدت وان اراد ان يلين لانت تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها يعني الشام وذلك لانها كانت تجري لسليمان واصحابه حيث يشا سليمان ثم يعود الى منزله
بالشام وكنا بكل شيء عالمين اي بصحة التدبير فيه وعلمنا انما يعطي سليمان من تسخير الريح وغيره
يدعوه الى الخضوع لديه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير
وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرا غازيا قل ما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من
الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم
نصب له على الخشب ثم حمل عليها الناس والدواب والة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح

فدخلت

فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته
الى حيث اراد وكان يمر بعسكره الريح الرخاء بالمزرعة فما يحركها ولا يثير ترابا ولا يوذي طايرا قال وهب ذكر
لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه
ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه ان شا الله فبايتون بالشام وقال مقاتل
نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب
وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب
والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها
حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما
شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا
منها واسرع الريح تجري بامره كيف شا فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها
بكابل وروي ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين
يغدوا على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف عينه عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض
القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال
بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها
له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك تقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له اي يدخلون تحت الماء فيخرجون
له من قعر البحر الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو اختراع الصنايع العجيبة كما
قال يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوزون في ذلك الى اعمال المدن والقصور ومن
الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين اي حتى لا يخرجوا
عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل
افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من
عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اي دعا ربه

ذكر قصة ايوب

عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص
بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه
ونباه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها
وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة
وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ومال ويحمل له كل فدان اتان لكل اتان من الولد
اثنين او ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا وكان
برا تقيا رحيما بالمساكين وكان شاكرا لانعم الله موديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب
منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه
ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال

لا احد مثلما ابلبد ذا لاخرهما فروكانوا لهو ولا وكان ابليس لا يحجب عن شي من السموات وكان يقف فيهن حيث
حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع
فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي
فصعد سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف وقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه
فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك وخرج من طاعتك قال
الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن
ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة
التي لا تصبر عليها الرجال فقال له عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا
من نار فاحرق كل شي اتي عليه قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت
فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاها حتى اتى على اخرها ثم جا عدو الله
ابليس في صورة قيمه عليها على قعود الى ايوب فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت
ابلك واحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانما مال الله اعارنيها
وهو اولى بها اذا شا فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعقل شيا وما كان الا
في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل
ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من
بطن امي وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك وتجزع
حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك
الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسيا ذليلا فقال ما عندكم
من القوة فاني لم اكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شيت اذا صحت صيحة لا يسمعه ذو روح
الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند
اخرها ومات رعاها فجا ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال
عفريت عندي من القوة ما اذا شيت تحولت ريحا عاصفا ينسف كل شي ياتي عليه قال فات الفدادين والحرث
فانطلق يومهم وذلك حين يشرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شي
من ذلك حتى انه لم يكن ثم جا ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد
عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصيب ماله مالا مالا حتى مر على اخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله
حمد الله واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر والبلا حتى لم يبق له مال فلما راى
ابليس انه قد افنى ماله فلم ينجح منه شي صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب يرى
انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا يقوم لها قلوب
الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بني ايوب وهم في قصرهم
فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة
فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه وصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو
جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وقلبوا وكانوا منكسين على روسهم

يسيل

يسيل دماوهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول
هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال يا ليت امي لم تلدني فاغتنم
ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فا وابصر واستغفر
فصعد قريناه من الملايكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسيا ذليلا وقال الهي
انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي
على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه
وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى
للعابدين في كل بلا نزل به ليتاسوا به في الصبر ورجا الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد
ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج من
قرنه الى قدمه ثاليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة
حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتغلق وتقطع وتغير وانتن واخرجه
اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امراته وهي رحمة بنت افراييم
ابن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى البلا به من اصحابه نفروا وتلددوا وقفا
ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به انطلق اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له
تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حدث السن قد امن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم
تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذي قلتم ومن
الراي اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل من الذي اتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل
من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم
الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه
سخط شيا من امره منذ اتاه الله ما اتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيا من الكرامة التي اكرمه الله
بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلا هو الذي ازرى
به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المومنين والصديقين والشهدا والصالحين
وليس بلاوه لاوليايه دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من
الله بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلا
ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه
ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله
وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم
وانهم لهم الفصحا البلغا النبلا الالبا العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم
واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك
استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطيين وانهم الابرار البرا مع المقصرين
المفرطين وانهم لاكياس اقويا قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير
فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول
التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبى لم تسقط منزلته عند الحكما وهم يرون من الله سبحانه وتعالى

عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان
تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله
ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم
لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وانا مسموع
كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد من مصيبتي ثم
اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يا رب لاي شي خلقتني اذكر هنتي لم تخلقني يا ليتني
عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقتني بابائي فالموت
كان اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبدك ان احسنت فالمن
لك وان اسات فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلاء ما لو سلطته على جبل
لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاك هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني واحل
جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملء فمي فادلي بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم
عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه
فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله يقول
ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك
وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب
امرا ما يبلغ بمثله قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل
علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شي وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء
غطاء اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من
حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم انبعت الانهار وسكرت
البحار اسلطانك حبس امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين كنت
مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها
ام هل لك من ذراع تطيق حملها ام هل تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شي
انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام من جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار
بالليل واين خزانة الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار
ومن دانت الملايكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كثير يدل على اثار قدرته ذكرها لايوب
فقال ايوب صغر شاني وكل لساني وعقلي ورايي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض علي الهي قد علمت ان
كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت عملت ولا يعجزك شي ولا يخفى
عليك خافية الهي اوثقني البلايا فتكلمت ولم املك فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت
فيها ولم اتكلم بشي يسخطك ربي وليتني مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت
حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب
خدي اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك
على امرك فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه
مني قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك

ومالك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك اية ويكون عبرة لاهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن اصحابك قربانا فاستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن انس
يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين
وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهر تختلف فيه الدواب لا يقربه احد
غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله
تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا
ما احزنك قال اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته
قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امراته فاستعنت بكم لتغيثوني عليه فقالوا له فاين مكرك الذي اهلكت
به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال
من قبل امراته قالوا فشانك بايوب من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها
قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة ايوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها اين بعلك
يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس
اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك
لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلمت ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجاءت
تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن
اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال
والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت
منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت لتصبري في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة
والله لين شفاني لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي اتيتيني به علي
حرام ان اذوق شيا مما تاتيني بعد اذ قلت لي هذا اعزبي عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب
وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق
عليه من درنه ودائه شي ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب
منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان له من اهل
ومال الا وقد اضعفه الله حتى والله ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب
فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها فخرج حتى جلس
على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت ان كان طردني الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع
لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف
حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال عن ايوب فدعاها وقال
ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل
فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى على احد راه ثم
جعلت تنظر وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انا ايوب الذي امرتني
ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد الله علي ما ترين قال وهب لبث

ايوب في البلا ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني
ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبها فقال لها انت صاحبة ايوب هذا
الرجل المبتلي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت
لانه عبد اله السما وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كلما كان لكما من
مال وولد فانه عندي ثم اراها اياه ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال
لها اسجدي لي سجدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال
لها وما اراها فقال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة جلدة
وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعايه اياها واياي الى الكفر ثم ان
الله تعالى رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه على البلا وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب
فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين
قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له
ثلاثة اشيا احدها ما قيل في حقه ولو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت
طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها فاتته بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول
انت شفيتني وقيل مسني الضر اي من شماتة الاعدا فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى
والجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعا
بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو
بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضا الله تعالى
لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف
تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا وقال لعايشة حين قالت وا راساه فقال بل انا وا راساه قوله
تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاه فكشفنا ما به من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله
فنبعت عين ما فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل دا كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب
برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبع عين ما بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل دا كان بباطنه
فصار كاصح ما كان واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه
اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القران وعن ابن عباس رواية اخرى
ان الله رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس
يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح
الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاضا وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال ان ربك
يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها
وردها الى اندره فقال له الملك ما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب
فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك
وقيل ان الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك في الاخرة فان شيت عجلناهم
لك في الدنيا وان شيت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الاخرة واتي

مثلهم

750

مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا واراد بالاهل
الاولاد رحمة من عندنا اي نعمة وذكرى للعابدين اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين اي على امر الله وهو اخ نوح صلى الله عليه وسلم وادريس ثواب ابراهيم صلى الله عليه وسلم
اي على ما ذكر الله امر ايوب وصبره على البلا اتبعه بذكر هولا الانبيا لانهم صبروا على المحن والشدايد والعبادة
ايضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم صبر على الانقياد الى الذبح واما ادريس فقد تقدم قصته واما
ذا الكفل فاختلفوا فيه فقيل انه كان نبيا من انبيا بني اسرايل وكان ملكا اوحى الله اليه اني اريد قبض روحه
فاعرض ملكك على بني اسرايل فمن يكفل انه يصلي بالليل ويصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا
يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له
ونباه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اني استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف
يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام
رجل يزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل
فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام من
الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب
فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القايلة
فقال اذا رحت فاتني حتى اخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام
يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القايلة واخذ
مضجعه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم اقل اذا قعدت فاتني
قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق
فاذا جلست فاتني وفاتته القايلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم
الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق علي النعاس فلما
كان تلك الساعة جا فلم ياذن له الرجل فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو
في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم امرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من
اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم
ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني ففعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله
فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل
انه كان عبدا صالحا فلم يكن نبيا وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم عليهم من النبوة وصيرهم اليه في
الجنة من الثواب انهم من الصالحين قوله عز وجل وذا النون اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى
الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس ابن متى اذ ذهب مغاضبا قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس
وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم سبطان ونصف
فاوحى الله الى شعيا النبي ان سر الى حزقيا الملك وقل له يتوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اوليك حتى
يرسلوا معه بني اسرايل فقال له من ترى وكان في مملكته خمسة انبيا قال يونس انه قوي امين فدعا الملك
يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا
غيري انبيا اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه واتى بحر الروم فركبه وقيل ذهب

عن قومه مغاضبا لربه فكشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف
فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف
وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا
عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق
الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب
ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل
الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم فقال لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي
عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه وظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه او ظن انه
يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان
له سلف وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين ما بين يوم وليلة
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع
نفسه في بطن الحوت فنادى في الظلمات اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين اي حيث عصيتك وما صنعت من شي فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من
بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر
عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى
الله اليه هذا تسبيح دواب الارض قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع
صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته
في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا
له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي من تلك الظلمات
وكذلك ننجي المؤمنين اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بهذا من منع من هذه العصمة
من اجاز من وقوع الذنب من الانبيا منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله اني
كنت من الظالمين قلت اما الجواب الكلي فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال ابن
عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي
بقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك اولي حال الا نبيا واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقدم
معناه اي لن نضيق عليه وذلك ان يونس ظن انه مخير ان شا اقام وان شا خرج وان الله تعالى لا يضيق
عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشي في غير موضعه
وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه اما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه
بالعذاب على قومه وفي هذه الاشيا ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته
قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب
عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل وزكريا اذ نادى ربه اي دعا ربه فقال رب
لا تذرني فردا اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني وارثا وانت خير الوارثين وهو ثنا على الله بانه الباقي

بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الوارثين فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى اي ولدا واصلحنا له زوجه اي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق
فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق انهم كانوا يسارعون في الخيرات يعني الانبيا المذكورين في هذه السورة
وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة في الخيرات من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم في طاعة الله
عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا يعني انهم ضموا الى فعل الطاعات امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة
في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى وكانوا لنا خاشعين وهو الخوف الملازم للقلب
فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الوقوع في الاثم قوله تعالى والتي احصنت فرجها
اي احصنته كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم بنت عمران فنفخنا فيها
من روحنا اي امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واضاف الروح اليه تشريفا
لعيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها وابنها اية اي دلالة للعالمين على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير
اب فان قلت هما ايتان فكيف قال اية قلت معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما اية واحدة ولادتها اياه
من غير اب اية قوله تعالى ان هذه امتكم اي ملتكم ودينكم امة واحدة اي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما
سوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها
على مقصد واحد وانا ربكم فاعبدون اي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري وتقطعوا امرهم بينهم اي اختلفوا
في الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض كل الينا راجعون فنجزيهم
باعمالهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه
وانا له كاتبون اي لعمله حافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قال ابن عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا
بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان يتقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه ايام خروج ياجوج وماجوج وهما قبيلتان
يقال انهما تسعة اعشار بني ادم وهم من كل حدب ينسلون اي يسرعون النزول من الاكام والتلاع وفي هذه
الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن النواس بن سمعان قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما
رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت
حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست
فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن
قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا
يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم
كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا
له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون
به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت درى واسبغه ضروعا
وامده خواصر ثم ياتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شي
من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتليا شبابا

فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك
اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه
على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا
مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى عليه السلام قوم
قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى
ابن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه
مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله
عيسى واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه
الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل
الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل
الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون
بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفيام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس
واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم
فيقبض روح كل مومن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم
شرح غريب الفاظه قوله حتى ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشي
قوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره وقيل انه حقر من امره بهوينا انه ورفع
من شدة فتنته والتخويف من امره انه شاب قطط اي جعد الشعر قوله طافية اي خارجة عن حدها **قوله** انه
خارج خلة اي استخرج قصدا وطريقا بين جهتين فالخلة الدخول في الشي **قوله** فعاث اي فسد قوله فاقدروا
له اي قدروا اليوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعاته **وقوله** فتروح عليهم سارحتهم اي
مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اي ممحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم وقوله كيعاسيب النحل
جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها **قوله** فيقطعه جزلتين رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي
يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المصبوغ
بالاصفر بالورس والزعفران **قوله** لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون
في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل **قوله** زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمراة وجمعها
زلف ويروي بالقاف واراد به استواءها ونظافتها **قوله** ياكل العصابة اي الجماعة قوله يستظلون بقحفها
وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفيام الجماعة
من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلطون والتهارج الاختلاف واصل القتل **الوجه
الثاني** في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلايق يعني انهم يخرجون من قبورهم الى موقف
الحساب م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع
الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله **واقترب الوعد الحق** اي

القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو
المهر **فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا** قيل معنى الاية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين
كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون **يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا**
يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كاين **بل كنا ظالمين** اي في وضعنا العبادة في غير موضعها
قوله عز وجل **انكم** الخطاب للمشركين **وما تعبدون من دون الله** يعني الاصنام **حصب جهنم** اي حطبها
ووقودها يرمون بهم في النار كما ترمى بالحصباء واصل الحصب الرمي **انتم لها واردون** اي فيها داخلون **لو كان
هولاء** يعني الاصنام **الهة** اي على الحقيقة **ما وردوها** اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها **وكل فيها
خالدون** يعني العابدون والمعبودين **لهم فيها زفير** قيل الزفير هو ان يملا الرجل صدره غما ثم يتنفس
وقيل شدة ما ينالهم من العذاب **وهم فيها لا يسمعون** قال ابن مسعود في هذه الاية اذا بقي في النار من يخلد
فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك في توابيت اخرى عليها مسامير من
نار فلا يسمعون شيا ولا يرى ان في النار احد يعذب غيره قوله عز وجل **ان الذين سبقت لهم منا الحسنى**
قال العلماء ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة **اوليك
عنها** اي عن النار **مبعدون** قيل الاية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين
عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما فعرض له
النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون الايات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد
ابن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال
نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح تعبد الملايكة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح
والملايكة اوليك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم
جماعة ان المراد من الاية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملايكة
والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل **لا يسمعون حسيسها** يعني صوتها وحركة
تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة **وهم فيما اشتهت انفسهم** اي من النعيم والكرامة **خالدون** اي مقيمون
قوله تعالى **لا يحزنهم الفزع الاكبر** قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل
الجنة خلود بلا موت وقيل هو ان تطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه **وتتلقاهم
الملايكة** اي تستقبلهم الملايكة على ابواب الجنة ويقولون **هذا يومكم الذي كنتم توعدون** اي في الدنيا
قوله عز وجل **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب** قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على
مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى
يطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم **كما بدانا
اول خلق نعيده** اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة وعن ابن عباس قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما

بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين قوله عز وجل وقوله تعالى انا كنا فاعلين اي الاعادة
والبعث بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبيا
والذكر هو ام الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر اي ما كتب في
اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب
داود والذكر هو القران وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة
محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبيا ان الجنة يرثها من كان صالحا
من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى
باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها ان في هذا اي
في القران لبلاغا اي وصولا الى البغية يعني من اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجوا من الثواب وقيل
البلاغ الكفاية اي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة زاد العباد الى الجنة
وهو قوله تعالى لقوم عابدين اي مومنين يعبدون من دون الله وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل
الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون قوله عز وجل
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة
من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام
وميز لهم الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المومنين خاصة فهو رحمة
لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم يومن فمن امن فهو رحمة له في الدنيا والاخرة ومن لم يومن فهو رحمة
له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اي منقادون لما يوحى
الي من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اي اسلموا فان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا
فقل اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا على سواء اي انذارا بينا نستوي في علمه لا استبد انا به دونكم فتتاهبوا
لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه نستوي نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان به واعلمتكم بما هو
الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان ادري اي وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون يعني القيمة لا يعلمها الا الله
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي لا يغيب عن علمه شي منكم في علانيتكم وسركم وان ادري لعله فتنة لكم
اي لعل تاخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضا اجالكم
قل رب احكم بالحق اي افصل بيني وبين من كذبني بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم
بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان ينصرني عليهم والله يحكم بالحق طلب ام لم يطلب
معنى الطلب ظهور الرغبة وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي من الشرك والكفر والكذب والاباطيل
كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بسر كتابه

تفسير سورة الحج وهي مكية غير ست ايات

قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية والف
ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ان زلزلة الساعة شي عظيم الزلزلة شدة

الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شي اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من اشراط الساعة
قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها يعني الساعة وقيل الزلزلة
تذهل قال ابن عباس تشتغل وقيل تنسى كل مرضعة عما ارضعت اي كل امراة معها ولد ترضعه وتضع
كل ذات حمل حملها اي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير
فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون
حبل ومن تكون الزلزلة في القيمة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على الحقيقة كما تقول اصابنا
امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته وترى الناس سكارى اي على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق
ولكن ما رهقهم من عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى
من الشراب ولكن عذاب الله شديد عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك
ان تخرج الى بعث النار من ذريتك قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ
تضع الحوامل حملها وتشيب الولدان وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على
الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد وانتم في الناس كالشعرة السودا في جنب الثور
الابيض او كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجوا ان تكونوا ربع اهل
الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن الحصين
وغيره ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي
حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي يوم ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث بعث
النار وذكر نحو حديث ابي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب وقال
عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث
واحيا من صار ترابا ويتبع اي في جداله في الله بغير علم كل شيطان مريد اي المتمرد المستمر في التمرد وفيه وجهان احدهما
انهم شياطين ومنهم رؤسا الكفر الذين يدعونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده كتب عليه اي قضي على الشيطان
انه من تولاه اي اتبعه فانه يعني الشيطان يضله اي يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه الى عذاب السعير
وفي الاية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل قوله فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكر البعث فقال تعالى يا ايها
الناس ان كنتم في ريب اي في شك من البعث اي بعد الموت فانا خلقناكم من تراب يعني اباكم ادم الذي هو اصل النسل
ثم من نطفة يعني ذريته من المني واصلها الما القليل ثم من علقة اي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة
تصير دما غليظا ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس اي تامة الخلق
وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تاتي به المراة لوقته وغير
مخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط
والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كلها روي عن علقمة بن مسعود مرفوعا عليه قال ان النطفة

اذا استقرت في الرحم اخذها الملك بكفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل وما العمل وما الرزق وباي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي على اخر صفته والذي اخرجاه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى **لنبين لكم** اي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولنستدل بقدرته في ابتدا الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان تعتبروا المضغة الى المخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشيا كيف يكون عاجزا عن الاعادة **ونقر في الارحام ما نشا** اي لا يسقط ولا يمحه **الى اجل مسمى** اي وقت خروجها من الرحم تام الخلق **ثم نخرجكم** اي وقت الولادة **طفلا** اي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس **ثم لتبلغوا اشدكم** اي كمال القوة والعقل والتمييز **ومنكم من يتوفى** اي قبل بلوغ الكبر **ومنكم من يرد الى ارذل العمر** اي الهرم والخرف **لكيلا يعلم من بعد علم شيا** اي تبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيا فيصير كما كان في اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال تعالى **وترى الارض هامدة** اي يابسة لا نبات فيها **فاذا انزلنا عليها الما اهتزت** اي تحركت بالنبات **وربت** اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات **وانبتت** هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت فاضيف الى الارض توسعا **من كل زوج بهيج** اي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشي المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب قال الله تعالى **ذلك** اي لتعلموا **بان الله هو الحق** وان حدوث هذه الاشيا وجود الصانع **وانه يحيي الموتى** اي انه لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات **وانه على كل شي قدير** اي من كان كذلك قادرا على جميع الممكنات **وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور** اي ذكرنا ذكر من الدلايل ان الساعة اتية لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله تعالى **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** يعني النضر بن الحرث **ولا هدى** اي ليس معه من الله بيان ولا رشاد **ولا كتاب منير** اي ولا كتاب من الله له نور **ثاني عطفه** اي لاوي جنبه وعنقه متجبرا متكبرا معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا **ليضل عن سبيل الله** اي عن دين الحق **له في الدنيا خزي** اي عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة ابن ابي معيط **ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك** اي يقال له ذلك **بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد** فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اي وجه تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل **ومن الناس من يعبد الله على حرف** الاية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت له امراته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله فقال ما اصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على شك واصله من حرف الشي وهو طرفه الذي قائم عليه غير مستقر

فقيل

فقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبد الله على الشكر على السرا والصبر على الضرا لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق بلسانه دون قلبه **فان اصابه خير** اي صحة في جسمه وسعة في معيشته **اطمان به** اي رضي به وسكن اليه **وان اصابته فتنة** اي بلا في جسده وضيق في معيشته **انقلب على وجهه** اي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر **خسر الدنيا والاخرة** اي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله محقونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يومل وفي الاخرة بذهاب الدين والخلود في النار **ذلك هو الخسران المبين** اي الظاهر **يدعوا من دون الله ما لا يضره** ان عصاه ولم يعبده **وما لا ينفعه** اي ان اطاعه وعبده **ذلك هو الضلال البعيد** اي عن الحق والرشد **يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه** فان قلت وهذا ايضا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاولى ما لا يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضر اليها وقيل ان الله سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به وقيل الاية في الروسا وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي ان يكون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الروسا بدليل قوله **لبيس المولى ولبيس العشير** اي الناصر والصاحب لصاحب المعاشر قوله عز وجل **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد** اي باوليايه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى **من كان يظن ان لن ينصره الله** يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم **في الدنيا** اي باعلا كلمته واظهار دينه **والاخرة** اي وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه **فليمدد بسبب** اي بحبل **الى السما** اي سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا في سقف بيته فليختنق به الى ان يموت **ثم ليقطع** اي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا **فلينظر هل يذهبن كيده** اي صنيعه وحيلته **ما يغيظ** اي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما السما المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيده في امره ليقطعه فليقطعه من اصله فان اصله في السما فليطلب سببا يصل به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما بحيلة وهل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفايدة وفي الاية زجر لكما رعن الغيظ فيما لا فايدة فيه روي ان الاية نزلت في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف قالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا ولا يووننا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فيبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يعطني اعطاه الله **وكذلك انزلناه** يعني القران **ايات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيين والنصارى والمجوس والذين اشركوا** يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الاسلام **ان الله يفصل بينهم** اي يحكم بينهم **يوم القيمة** وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن

جميعا فلا يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان الله على كل شي شهيد انه
عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه
الاية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل الم تر وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه الاشيا تحول ظلالها وقيل
ما في السما نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن له فياخذ ذات اليمين حتى
يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما
وصفهم بالخشية والتسبيح وهو مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض
التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بطاعتها اهل التكليف وهو السجود الذي
كل خضوع دونه فان قلت هذا التاويل يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكر
عام في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فايدة قلت المعنى الذي ذكرته وان
كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد
بظاهره واما المومن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى
الاية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد
والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظه عموم فيدخل فيه الناس
فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم اولا وهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس
يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير حق عليه العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب
بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود يسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم
اي من يذله الله فلا احد يكرمه احد ان الله يفعل ما يشا اي يكرم الله بالسعادة من يشا ويهين بالشقاوة
من يشا وقيل سوا الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب والعقاب فصل
هذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوتها وسماع تلاوتها
قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم اي جادلوا في دينه وامره والخصم في هذين الخصمين فريق
عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين
برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين
خ عن علي بن ابي طالب قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيمة قال قيس بن عباد وفيهم
نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة
ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار
عوف ومعوذ ابنا الحارث وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار فقالوا
حين انتسبوا اكفا كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفانا من قومنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من
انتم فذكروا انفسهم فقالوا نعم اكفا كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز
علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين
كلاهما اثبت صاحبه فكر علي وحمزة باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه

وقد

وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يا رسول
الله فقال بلى فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول ونسلمه حتى نصرع
حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل وقال ابن عباس نزلت الاية في المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب
نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله امنا بنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم
وقيل هم المومنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمومنون خصم والكفار خصم قيل الخصمان الجنة والنار
خ م عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفا الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله للجنة انت رحمتي
ارحم بك من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشا من عبادي ولكل واحدة منكما
ملوها فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيقول قط قط فهنالك تمتلي ويزوى
بعضها الى بعض فلا يظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا وللبخاري اختصمت الجنة
والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولية اولى لان حمل الكلام على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة
الى سبب تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين واهل معصية وذكر الخصمين
وقال تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من
الانية شي اذا احمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس اهل النار مقطعات
من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم اي الما الحار الذي انتهت حرارته يصهر به اي يذاب بالحميم الذي يصب
من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم والاحشا والجلود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه
وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولهم مقامع من حديد اي سياط
من حديد وهما الجرز من الحديد وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من
الارض كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذ
بانفاسهم اعيدوا فيها اي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج
منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق اي تقول لهم الملائكة ذوقوا
الحريق بمعنى المحرق وهذا وصف حال الخصمين وهم الكفار وقال الله تعالى في وصف الخصم الاخر ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا
ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية جد بهز بن حكيم عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي
وقال حسن صحيح وعن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما
وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة
عدن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لولوة منها لتضي ما
بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة قوله تعالى وهدوا من الهداية اي ارشدوا الى الطيب من القول قال ابن
عباس هي شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وقيل الى القران وقيل هو

قول اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا وغيره وهدوا الى صراط الحميد الى دين الله وهو الاسلام والحميد
هو الله المحمود في افعاله قوله عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن
سبيل الله اي بالمنع في الهجرة والجهاد والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس
اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا سواء العاكف فيه اي المقيم فيه قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور
واقام به ولزم التعبد فيه والبادي اي الطاري المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف
فيه والبادي في تعظيم حرمته وفضل النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه
نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى باية ساعة
شاء من ليل او نهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقيل المراد جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم
والبادي سواء في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الآخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل
وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن
سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا
ابوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم
تستو العاكف والبادي فلما استويا ثبت سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول
طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير
حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل
دار ابي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن باربعة آلاف
درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى ومن يرد فيه اي في المسجد الحرام بالحاد بظلم قيل
الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شي منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو
دخول الحرم بغير احرام وارتكاب شي من محظورات الاحرام من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان
تقتل فيه من لا يقتلك او تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف فيه الحسنات
وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روي يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم
الحاد فيه اخرجه ابو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال
لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن او ببلد آخر اذاقه الله
من عذاب اليم قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر
في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل
كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل وطانا وقيل
بينا وانما ذكر مكان الكعبة لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام
ببناء البيت وفيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنا عليه ان لا تشرك بي شيا اي عهدنا الى ابراهيم
وقلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي اي من الشرك والاوثان والاقذار للطائفين الذين يطوفون بالبيت يعني والقائمين
اي المقيمين به والركع السجود اي المصلين قوله عز وجل واذن اي اعلم وناد والاذان في اللغة الاعلام في
الناس قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة بالحج فقال ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله

عليك

عليك الاذان وعلي الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل
بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج فاجيبوا ربكم فاجابه
كل من يحج من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس
حجا وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن ان المامور بالتاذين هو محمد صلى الله عليه وسلم
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
قد فرض عليكم الحج فحجوا ياتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل المهزولة
من كثرة السير وبدا بذكر المشاة تشريفا ياتين اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد فمن اتى مكة حاجا
فكانه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداه قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن
عباس الاسواق وقيل ما يرضي الله من امر الدنيا والآخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة
في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من اجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر
وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا
تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة
الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام فكلوا منها امر اباحة ليس بواجب وذلك ان اهل الجاهلية كانوا
لا ياكلون من لحوم هداياهم شيا فامر الله بمخالفتهم اتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل
منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن
وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة ونحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بيده
ونحر علي ما غبر واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه
مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء
الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل منه شيا قال الشافعي لا ياكل منه شيا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال
ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر وياكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك ياكل من هدي التمتع
ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل من دم التمتع
والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى واطعموا البائس الفقير يعني الزمن الذي لا شي له قوله تعالى
ثم ليقضوا تفثهم اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط
وتقليم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس
قضاء التفث مناسك الحج كلها وليوفوا نذورهم اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شي يكون في الحج
اي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل اراد به الخروج عما وجب عليه نذره
او لم ينذره وليطوفوا بالبيت العتيق اراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد
الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا
من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شي على من تركه وعن عائشة ان اول شي بدا
به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا ثم طاف ثم لم يكن عمرة ثم حج ابو بكر وعمر مثله وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف
بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج او العمرة
اول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك

يوم النحر بعد الرمي والحلق وعن عائشة رضي الله عنها قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله اي اصابها بالعقر وتوجع بالعقر في عقرها وقيل معناه مشومة موذية فلم يرد به الدعا عليها وانما هو شي يجري على السنة العرب كقولهم لا ام لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له ان ينفر لطواف الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المراة الحايض يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي ابن عباس قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمراة الحايض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله اعتقه من ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل ان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل انه لم يملك قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الاخرة واحلت لكم الانعام اي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وقال ابن مسعود هي شهادة الزور وروي عن ايمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور اشراكا بالله ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا يعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قوله حنفاء لله اي مخلصين له غير مشركين به قيل ذلك ان المكلف سوى بما تاتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمون حنفا فنزلت حنفا لله غير مشركين به اي حجاجا لله مسلمين موحدين ومن اشرك لا يكون حنيفا ومن يشرك بالله فكانما خر اي سقط من السما الى الارض فتخطفه الطير اي تستلبه وتذهب به او تهوي به الريح اي تميل وتذهب به في مكان سحيق اي بعيد ومعنى الاية ان من يشرك بالله من الحق والايمان كبعد من سقط من السما فذهبت به الطير او هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السما لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث يسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه في المكان وقيل من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته الطير فتفرقت اجزاؤه في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسما في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السما والاهوا التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين الذي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي هوى بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعاير الله فانها من

تقوى

تقوى القلوب قال ابن عباس شعاير الله البدن والهدي واصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعاير الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم فيها اي في البدن منافع قبل ان تسميها للهدي وفي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهورها الى اجل مسمى اي ان تسميها وتوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شي هو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهو قول عطا واختلف العلما في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي واحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية والثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعاير المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع اي بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر والثواب في قضاء المناسك الى انقضاء ايام الحج ثم محلها الى البيت العتيق اي منحرها عند البيت العتيق يريد جميع ارض الحرم روي عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعاير المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق ان يطوفوا به طواف الزيارة قوله تعالى ولكل امة اي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرى بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله قوله عز وجل فالهكم اله واحد اي سموا على الذبح اسم الله وحده فالهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت من عقاب الله فيظهر عليهم الخشوع والتواضع لله تعالى والصابرين على ما اصابهم اي من البلا والمرض والمصايب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى ومما كان من غير الله تعالى فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلاة اي في اوقاتها والمحافظة عليها ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون قوله تعالى والبدن جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل الصحاح الاجسام والبقر فلا يسمى الغنم بدنة لصغرها جعلناها لكم من شعاير الله اي من اعلام دينه وقيل انها بشعار اي بطعن حديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدي لكم فيها خير اي نفع في الدنيا وثواب في العقبى فاذكروا اسم الله عليها اي عند نحرها صواف اي على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك ق عن زياد بن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنته ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض فكلوا منها امر اباحة فاطعموا القانع والمعتر وقيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسال والمعتر هو الذي يسال عن ابن عباس القانع هو الذي لا يتعرض ولا يسال والمعتر هو الذي يريد نفسه ويتعرض ولا يسال وقيل القانع هو الذي يسال والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسال وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض

لهم لاجل لحمهم كذلك اي مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم اي لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون
اي انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن
لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
اي لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة
والاخلاص وما اريد به وجه الله كذلك سخرها لكم يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم
وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقولوا الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر
المحسنين قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين امنوا اي يدفع غائلة المشركين
عن المومنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اي خوان في امانة الله كفور لنعمته
قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى عليها غير
الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اي اذن الله لهم بالجهاد
يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركوا اهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وهي اول اية اذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا
مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من
الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذا وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله
بنصر المومنين ثم وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم
اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع قيل معابد الرهبان
المتخذة في الصحرا وبيع وهي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابيين والبيع للنصارى
وصلوات يعني كنايس اليهود يسمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم
الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان
صلاتهم لهدم في زمن موسى الكنايس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم
المساجد ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ان الله لقوي اي على من ينصر دينه عزيز اي لا يضام ولا
يمنع مما يريده قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من بلادهم
اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح وقوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم
وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق ومصيرها اليه وذلك
انه يبطلها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية وتعزية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى
قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني
كانه قيل بعد ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
فامليت للكافرين اي امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم

ما فعلوا

ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز
وجل فكاين من قرية اهلكناها وقرئ اهلكناها على التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية اي ساقطة
على عروشها اي على سقوفها وبئر معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد اي رفيع طويل عالي وقيل
مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن فاما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد
منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت
في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف نفر ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب
اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا
وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام
وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم
الله وعطلت بيرهم وخرب قصرهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين
من الامم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما تذكر لهم من القرون
الماضية فيعتبرون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان عمى القلب هو الضار
في امر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة ونظر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب
نزلت في النضر بن الحارث ولن يخلف الله وعده اي انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما
من ايام الاخرة يدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معاشر
صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم مقداره
خمسماية سنة اخرجه ابو داود بن ناده فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون بالعذاب
وان يوما من عذابهم في الاخرة كالف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب في الثقل والاستطالة كالف
سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه عنده والف سنة في الامهال سوا لانه قادر متى شاء اخذهم لا يفوته
شي بالتاخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتاخيره وهذا معنى قول ابن عباس
وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي انزلت بهم
العذاب والي المصير يعني مصيرهم الى الاخرة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين امر الله رسوله ان يديم لهم التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت لكم منذر فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم لما امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما انا
نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعد من امن ووعيد من عصى فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة اي ستر لصغاير ذنوبهم وقيل للكباير ايضا مع التوبة ورزق كريم لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة
والذين سعوا في اياتنا اي عملوا في ابطال اياتنا معجزين اي مثبطين عن الايمان وقرئ معاجزين اي
معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا يقدر عليهم بزعمهم انه لا
بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه ان ياتيه
من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصهم على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة

النجم فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك عن جوابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرا السورة كلها وسجد وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مومن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر الهتهم ويقولون قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده اذ جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة ان الذي كانوا يحدثونه من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت قريش ندم محمد صلى الله عليه وسلم على ما ذكر من منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي ياتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى اي احب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يومر به القى الشيطان في امنيته اي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي الا تمنى ان يومن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال اكثر المفسرون معنى تمنى قرا وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته وقال حسان في عثمان حين قتل تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى حمام المقادر فان قلت قد قامت الدلايل على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلما على هذا الاشكال اجوبة احدها التوهين لاصل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصلة وانما رواها المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقايل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة واخر يقول قراها وهو في نادي قومه واخر يقول قراها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه واخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا

من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جا في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قراها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح الهة غير الله وان يتسور عليه الشيطان ويشبه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان يرصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسجد معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الاية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الاية لان الانبيا والرسل وان عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر والله اعلم قوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشا للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي في خلاف شديد وليعلم الذين اوتوا العلم اي التوحيد والقران والتصديق بنسخ الله ما يشا انه الحق من ربك اي الذي احكم الله من ايات القران هو الحق من ربك فيومنوا به اي يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اي يسكن اليه وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم اي الى طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القران وقيل هو من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة اي فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم عذاب يوم عقيم اي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيمة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تاتي بخير وقيل لانه لا مثل له لعظم امره اقتتال الملايكة فيه الملك يومئذ يعني يوم القيمة لله وحده من غير منازع ولا مشارك يحكم اي يفصل بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال الله تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم وعشايرهم في طاعة الله وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة

لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيها مكروه وان الله لعليم بنياتهم حليم عنهم قوله عز وجل ذلك اي الامر ذلك الذي قصصنا عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه اي ظلم باخراجه من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى احوجوهم الى مفارقة اوطانهم ثم نزلت في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله عليهم فذلك قوله لينصرنه الله ان الله لعفو اي عن مساوي المؤمنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك اي ذلك النصر بانه القادر على ما يشاء فمن قدرته بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل في معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضيا النهار ومكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثاني هو ما يزيد من احدهما ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق وان ما يدعون يعني المشركين من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي اي العالي على كل شي الكبير اي العظيم في قدرته وسلطانه قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اي بالنبات ان الله لطيف اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان خبير اي بما في قلوب العباد اذا تاخر المطر عنهم له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله لهو الغني الحميد يعني الغني عن عباده الحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الدواب التي تركب في البر والفلك اي وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني سخر لها الما والرياح ولولا ذلك لما جرت ويمسك السما ان تقع اي لكيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم اي انه روف رحيم بكم وهو الذي احياكم اي انشاكم ولم تكونوا شيا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي لجحود لنعم الله عز وجل قوله عز وجل لكل امة جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة فلا ينازعنك في الامر اي في امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا وبشر ابن سفيان ويزيد بن حيدس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا تاكلون مما تقتلون بايديكم ولا تاكلوا مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع الى ربك اي الى الايمان به والى دينه انك لعلى هدى مستقيم اي على دين واضح مستقيم وان جادلوك اي خاصموك في امر الذبح وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعلمون حينيذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيمة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وان قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب اي في اللوح المحفوظ ان ذلك اي علمه بجميعه على الله يسير وقيل ان كتبة الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي ظاهر من دليل سمعي وما ليس لهم به علم اي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي وما للظالمين اي المشركين من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران ووصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهة

بتبين

بتبين ذلك في وجوههم يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي بمحمد واصحابه من شدة الغيظ قل لهم يا محمد افانبيكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذي تستمعون النار اي هي النار وعدها الله الذين كفروا وبيس المصير قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فان قلت الذي جا به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال الكشاف قد سميت الصفة او القصة الرايعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة فاستمعوا له اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا عقل وتدبر لا ينفع ومعنى الاية جعل شبه وشبه بي الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي تعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اي واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له اي لخلقته والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جفت جات الذباب فاستلبت منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين ايدي الاصنام فيقع الذباب عليه وياكل ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم المطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي لا يقهر عزيز قوله عز وجل الله يصطفي من الملايكة اي يختار من الملايكة رسلا كجبريل وميكاييل واسرافيل وعزراييل وغيرهم ومن الناس اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبيا والرسل صلى الله عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون اانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان الاختيار اليه يختار من يشا من عباده لرسالته ان الله سميع اي لاقوالهم بصير اي لافعالهم لا يخفى عليه خافية وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم قال ابن عباس ما قدموا وما خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين ايدي ملايكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كاين بعد فنايهم والى الله ترجع الامور قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود واعبدوا ربكم اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف العلما في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابي الدردا وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن ابن الخطاب انه قرا سورة الحج فسجد فيها سجدتين قال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك في الموطا وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن

وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع
فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذهب الشافعي واحمد واكثر
اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال ابو حنيفة
في الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد في احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة
وذهب الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن ابي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون
سجود القران احدى عشرة سجدة يرد عليه ما روي عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في القران احدى
عشرة سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القران خمسة عشر ما روي عن عمرو بن العاص
قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج
سجدتان اخرجه ابو داود وصح حديث ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ
واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة
هو واجب قوله عز وجل **وجاهدوا في الله حق جهاده** اي جاهدوا في سبيل اعداء الله ومعنى حق جهاده
هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما جاهدوا
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله
هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجاه في
الصحيحين من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى حق الجهاد الاكبر وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوي بغير سند
قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس **هو اجتباكم** اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته
وطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا **وما جعل عليكم في الدين من حرج** اي ضيق وشدة وهو
ان المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص
وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا
الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر
ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة
والفطر في السفر والتيمم عند عدم الماء واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض
ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن احدا غيرهم جعلهم
شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصار التي كانت عليهم
وضعها الله عن هذه الامة **ملة ابيكم ابراهيم** لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابا للامة
كلها فكيف سماه ابا في قوله ملة ابيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب للكل
المسلمين وفي قوله عز وجل **هو سماكم المسلمين من قبل** قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله
تعالى سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القران القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان
ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك فاستجاب الله تعالى دعاءه فينا قوله وفي هذا اي وفي القران سماكم المسلمين **ليكون الرسول شهيدا عليكم**
يوم القيامة ان قد بلغكم **وتكونوا شهداء على الناس** اي تشهدوا يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم **فاقيموا**

الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس
سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك
بالكتاب والسنة **هو مولاكم** اي وليكم وناصركم وحافظكم **فنعم المولى ونعم النصير** اي الناصر لكم والله اعلم باسرار
كتابه

تفسير سورة المؤمنين وهي مكية

وهي مائة وثمان عشرة اية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة الاف وثمانمائة وحرفان **بسم الله الرحمن الرحيم**
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه
دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد افلح المؤمنون الى عشر ايات من اولها
وقال من اقام هذه العشر ايات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز
وجل **قد افلح المؤمنون** قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء
والنجاة **الذين هم في صلاتهم خاشعون** قال ابن عباس مخبتون اذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل
الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض
البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع
في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى
شيء سوى ذلك التعظيم وما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكتا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل
الخشوع هو ان لا يعرف من عن يمينه ولا من على شماله **ق** عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف
عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت
انصرف وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء **خ** عن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم
فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا
بابصارهم الى مواضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوي
بغير سند **عن** ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة
تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى
والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله تعالى **والذين هم عن اللغو معرضون** قال ابن عباس
عن الشرك وعن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم
والسب **والذين هم للزكاة فاعلون** اي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التادية بالفعل لانه فعل
وقيل الزكاة هاهنا هو العمل الصالح والاول اولى **والذين هم لفروجهم حافظون** الفرج اسم لسوءة الرجل
والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام **الا على ازواجهم** على بمعنى من **او ما ملكت ايمانهم** يعني الاماء والجواري والاية
في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها **فانهم غير ملومين** يعني يحفظ فرجه الا من امرأته
وامته فانه لا يلام على ذلك وانما يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتى وفي حال

الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم فمن ابتغى وراء ذلك اي التمس وطلب سوى الازواج
والولايد وهن الجوار المملوكة فاولئك هم العادون اي الظالمون المجاوزون من الحلال الى الحرام
وفيه دليل على ان الاستمناع باليد حرام وهو قول العلما سئل عطا عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون
وايديهم حبالى فاظن انهم هولا وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قوله عز وجل والذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي حافظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون
بالوفا بها والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة
وساير العبادات التي اوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفا بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودايع
والصنايع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفا بها ايضا والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يداومون
ويراعون اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وساير شروطها فان قلت كيف كرر الصلاة اولا واخرا قلت
هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة واخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى
اولئك يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل اهل النار من الجنة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل
النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله اولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو ان
يؤول امرهم الى الجنة وينالونها كما يؤول امر الميراث الى الوارث الذين يرثون الفردوس هو اعلى الجنة عن
عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة
كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش
فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون قوله
عز وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ولد ادم لان الانسان اسم جنس من سلالة من طين قال ابن عباس
السلالة صفوة الماء وقيل هو المني لان النطفة تسل من الظهر من طين يعني من طين ادم لان السلالة تولدت
من طين خلق منه ادم وقيل المراد من الانسان هو ادم وقوله من سلالة اي سل من كل تربة ثم جعلناه نطفة
يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة في قرار مكين اي حريز وهو الرحم مكن وهيئ لاستقرار النطفة
فيه الى وقت الولادة ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة
مضغة اي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له وقيل بين كل خلق وخلق اربعين يوما ثم انشاناه خلقا
اخر اي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا
وكان ابكما وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجايب صنعه وعجايب فطره
وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام
الى المشي الى الفطام الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله
اي استحق التعظيم والثنا بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين اي المصورين والمقدرين فان قلت
كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله الله خالق كل شي وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان
منها الايجاد والابداع ولا موجد ومبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر •
• ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري • معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل
ذلك فعلى هذا يكون معنى الاية الله احسن المقدرين وجواب اخر وهو ان عيسى عليه السلام خلق طيرا

وسمى

وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال تبارك الله احسن الخالقين ثم انكم
بعد ذلك اي بعد ما ذكر من تمام الخلق لميتون اي عند انقضاء اجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون اي
للحساب والجزا قوله عز وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق اي سبع سموات طرايق لان بعضها فوق بعض
وقيل لانها طرايق الملائكة في الصعود والهبوط وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا لهم حافظين من ان
يسقط السما عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم
سدى بغير امر ونهي وقيل معناه انما خلقنا السما فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما
كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم واقوالهم وضمايرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا من السما ما بقدر
اي بعلم الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة فاسكناه
في الارض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل
اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والابار فكل ما في الارض من السماء وانا على ذهاب به
لقادرون وصح من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات
والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله انزل من الجنة
خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل
درجة من درجاتها على جناح جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك
قوله وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فرفع من الارض القران والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه
الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت الاشيا
كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره قال روى هذا
الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن
سلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما اثبت بالماء فقال تعالى فانشانا لكم
به اي بالماء جنات اي بساتين من نخيل واعناب انما افردهما لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام
والادام والفواكه رطبا ويابسا لكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون اي شتاء وصيفا وشجرة
اي وانشانا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء اي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل بالنبطية
وقيل بالحبشية وقيل هو بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء
وسينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع وهو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وايليا وقيل هو من جبل
فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا
الجبل تنبت بالدهن اي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت وصبغ للاكلين الصبغ
الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيت ودهنا وهو
الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشا وقيل ان اول شجرة تنبت بعد الطوفان الزيتون
وقيل ان شجرة الزيتون تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة اي اية
يعتبرون بها نسقيكم مما في بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من
بين فرث ودم باذن الله ليس فيه منهما شي فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع
ويصير غذا وقد تقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في تفسير سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها

تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل وعليها اي وعلى الانعام وهي الابل
وعلى الفلك تحملون يعني على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم من معبود سواه افلا تتقون اي افلا تخافون عقوبته اذا
عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور
يريد ان يتفضل عليكم اي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة
يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة
اي جنون فتربصوا به حتى حين اي الموت فيستريحوا منه قال رب انصرني بما كذبون اي باهلاكهم بتكذيبهم
اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بمراى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض
له ولا يفسد عليه ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها فاذا جاء امرنا اي عذابنا
وفار التنور قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت
الما يفور من التنور فاسلك فيها اي فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان ذكر وانثى
واهلك اي وسائر من امن بك الا من سبق عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني الكفار وقيل اراد
باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
قوله فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك على الفلك اي في السفينة فقل الحمد لله الذي نجانا من
القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب
وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء وانت
خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانك
تحفظ من انزلته في سائر احواله وتدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ان في
ذلك اي الذي ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعدا الله لايات اي دلالات على قدرتنا وان كنا لمبتلين
اي لمختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم وقوله تعالى
ثم انشانا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا قاله
اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي هذه
الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة اي بالمصير اليها
واترفناهم اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما
تشربون اي من مشروبكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم احيا هيهات هيهات قال ابن عباس اي بعيد بعيد لما توعدون استبعد
القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في بدا امرهم وقدرة الله تعالى على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد
انه لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيى ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل نموت
الاباء ونحيا الابنا وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو يعنون رسولهم الا
رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن اي ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني صيحة العذاب
قيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل من حشيش
وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا كيبس الغثا من الارض فبعدا اي الزمنا بعدا من الرحمة للقوم الظالمين

قوله

قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها وما
يستاخرون اي عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترا اي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان
بين كل رسولين زمنا طويلا كلما جا امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالهلاك فاهلكنا
بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اي سمرا وقصصا يتحدث بعدهم بامرهم وشانهم فبعدا لقوم لا يؤمنون
قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين اي بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما
الى فرعون وملائه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم
فقالوا يعني فرعون وقومه انؤمن لبشرين مثلنا يعنون موسى وهارون وقومهما لنا عابدون متذللون
فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة لعلهم يهتدون اي لكي
يهتدي به قومه وجعلنا ابن مريم وامه اية اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد فان
قلت لم قال اية ولم يقل ايتين قلت معناه جعلنا شانهما اية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من
غير ذكر فاشتركا في هذه الاية فكانت اية واحدة واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل
هي الرملة وقيل ارض فلسطين قال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الايوا انها فرت بابنها اليها وقوله ذات قرار اي منبسطة واسعة يستقر
عليها ساكنوها ومعين اي الما الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد
بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل اراد به عيسى عليه السلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات
الحلالات واعملوا صالحا اي استقيموا على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة ما امر
به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام
فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم قوله عز وجل وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم اي انتم عليها امة واحدة
اي ملة واحدة وهي الاسلام وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم
فامركم واحد وانا ربكم فاتقون فتقطعوا اي تفرقوا فصاروا فرقا يهود ونصارى ومجوس وغير ذلك من الاديان
المختلفة امرهم اي دينهم بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا اي كتبا والمعنى تمسك كل قوم
بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون بما عندهم من
الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال ابن عباس في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم
وغفلتهم حتى حين اي الى ان يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اي ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من
المال والبنين في الدنيا نسارع لهم في الخيرات اي نجعل ذلك لهم في الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا
عنهم بل لا يشعرون اي ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون اي خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه
قال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا والذين هم بايات ربهم يؤمنون
اي يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات
وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال البر وقلوبهم وجلة اي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان
اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى ربهم راجعون اي موقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات
واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم

وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون
ويخافون ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات اخرجه الترمذي وقوله اولئك يسارعون في الخيرات
اي يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة
وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله عز وجل ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع
القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق
اي يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال
العباد التي تكتبها الحفظة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال
تعالى بل قلوبهم في غمرة اي غفلة وجهالة من هذا اي القرآن ولهم اعمال اي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي
والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعني من دون اعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم
من خشية ربهم مشفقون هم يعني هم الكفار لها يعني لتلك الاعمال الخبيثة عاملون اي لا بد لهم ان يعملوها
فيدخلوا بها النار لما سبقت لهم في الازل من الشقوة حتى اذا اخذنا مترفيهم رؤساءهم واغنياءهم بالعذاب
قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب
والجيف اذا هم يجارون اي يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجاروا اليوم اي لا تضجوا انكم منا
لا تنصرون اي لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم
تنكصون اي ترجعون القهقرى وتتاخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس اي بالبيت الحرام كناية
عن غير مذكور اي متعظمين بالبيت وذلك انهم يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا
احد ولا نخاف احدا فيامنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به اي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول
الاول اظهر سامرا يعني انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا تهجرون
من الاهجار وهو الافحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان
به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اي يهذون ويقولون ما لا يعلمون افلم يدبروا القول
يعني يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين يعني فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا
محمدا صلى الله عليه وسلم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا
وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما
عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون به جنة اي جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اي بالصدق
والقول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل واكثرهم للحق كارهون قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم
قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما تقولون
وقيل الحق هو القرآن اي لو نزل بما يحبون وما يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي لفسد
العالم بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن فهم عن ذكرهم اي شرفهم
معرضون ام تسالهم اي على ما جئتهم به خرجا اي اجرا وجعلا فخراج ربك خير اي ما يعطيك الله من رزقه
وثوابه خير وهو خير الرازقين تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام
وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اي عن دين الحق لناكبون لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم

وكشفنا

وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدوبة للجوا اي لتمادوا في طغيانهم يعمهون اي لم ينزعوا عنه ولقد
اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم
انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا القد والعظام وشكى اليه الضر فادع الله
ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الاية فما استكانوا لربهم اي ما
خضعوا وما ذلوا لربهم وما يتضرعون اي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة
اذا هم فيه مبلسون اي ايسون من كل خير قوله عز وجل وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة
اي لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون اي لم تشكروا هذه النعم وهو الذي ذراكم في الارض
اي خلقكم واليه تحشرون اي تبعثون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي تدبير
الليل والنهار في الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض
افلا تعقلون اي ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون اي كذبوا مثل ما كذب
الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار
والتعجب لقد وعدنا اي نحن هذا الوعد واباؤنا هذا من قبل لقد وعد اباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم
نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اي يا محمد لاهل مكة لمن
الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اي خالقها ومالكها سيقولون لله اي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون
انها مخلوقة لله فقل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اي فتعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها
ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا
تتقون اي عبادة غيره وقيل افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء اي ملك كل شيء وهو يجير اي
يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء ممن السوء ولا يمنع منه من اراده بسوء
ان كنتم تعلمون اي فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اي فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته
وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق اي بالصدق وانهم لكاذبون اي فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اي من شريك اذا لذهب كل اله بما خلق اي لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه
الذي خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الاخر عن الاستيلاء على ما خلق هو ولعلا بعضهم
على بعض اي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه الواحد بيده
ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه تعالى فقال سبحان الله عما يصفون اي من اثبات الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون اي تعظم من ان يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل قل رب اما تريني
ما يوعدون اي ما وعدتهم من العذاب رب اي يا رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي لا تهلكني باهلاكهم وانا على
ان نريك ما نعدهم اي من العذاب لقادرون ادفع بالتي هي احسن اي بالخلة التي هي احسن وهو الصفح
والاعراض والصبر السيئة يعني اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها باية السيف
نحن اعلم بما يصفون اي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل وقل رب اعوذ بك اي امتنع واعتصم
بك من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء
الى المعاصي واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من اموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره

يوسوس له عن جبير بن مطعم انه راي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي
قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه
وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقد جا تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث
ونزيده ايضا قوله نفثه الشعر لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله
ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة والموتة
الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم اخبر الله عز وجل ان هولا الكفار الذين ينكرون البعث يسالون
الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد
به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملكة
الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسئلة الملكة الرجوع الى
الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
اي ضيعت وقيل تركت وخلفت من التركة والمعنى اقول لا اله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية
والمالية قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى ان يرجع
الى الدنيا فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرا عمل فيما تمناه الكافر اذا راى العذاب كلا كلمة ردع وزجر اي لا يرجع
اليها انها يعني سوال الرجعة كلمة هو قايلها اي لا ينالها ومن ورايهم برزخ اي امامهم ومن بين ايديهم حاجز
الى يوم يبعثون يعني انه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم
البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا
انساب بينهم قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن
مسعود انها النفخة الثانية قال يوخذ بيد العبد والامة يوم القيمة فينصب على روس الاولين والاخرين
ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليات الى حقه فيفرح المرء ان يكون له حق على والده وولده
وزوجته واخيه فياخذ منه ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس
انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا
يتساءلون سوال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من انت ومن اي قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع
فان قلت قد قال ها هنا ولا يتساءلون وقال في موضع اخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال
ابن عباس ان للقيمة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساول فلا
يتساءلون وفي موطن يفيقون فيه افاقة فيتساءلون قوله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون ومن
خفت موازينه فاوليك الذين خسروا اي غبنوا انفسهم في جهنم خالدون تلفح اي تسفع وقيل تحرق وجوههم
النار وهم فيها كالحون اي عابسون وقيل قد بدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالراس المشوط على النار عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ
وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قوله
تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم يعني القران وزواجره تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا اي التي كتبت علينا فلم نهتد وكنا قوما ضالين اي عن الهدى ربنا اخرجنا منها اي من النار فان عدنا
اي لما انكره فانا ظالمون قال اخسوا فيها ولا تكلمون اي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك ايس

الساكنين

الساكنين من الفرج قال الحسن هو اخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق
وعوا كعوا الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن
جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم
بعد ذلك بكلمة الا ان كان الا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند واخرج الترمذي بمعناه عن ابي الدردا
قوله فما ييس القوم بعد ذلك بكلمة اي سكتوا فلم يتكلموا بكلمة وقوله اذ قال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون
انقطع رجاهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم انه كان فريق من عبادي يعني المومنين
يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي تسخرون منهم وتستهزون
بهم حتى انسوكم ذكري اي انساكم اشتغالكم بالاستهزا بهم ذكري وكنتم منهم تضحكون نزلت في كفار قريش
كانوا يستهزون بالفقرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال
الله تعالى اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي على اذاكم واستهزايكم في الدنيا انهم هم الفايزون اي اني جزيتهم بصبرهم
الفوز بالجنة قال يعني الله قال للكفار يوم البعث كم لبثتم في الارض اي في الدنيا وفي القبور عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فاسال
العادين يعني الملكة الذين يحفظون اعمال بني ادم ويحصونها عليهم قال ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا
الا قليلا سماه قليلا لان الواحد وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة لو انكم
كنتم تعلمون اي قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل
العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهايم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله
عز وجل وانكم الينا لا ترجعون اي في دار الاخرة للجزا روي البغوي بسنده عن حنش ان رجلا مصابا مر به
على ابن مسعود فرقاه في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل
فتعالى الله الملك الحق اي هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اي الحسن
وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له
به اي لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك فانما
حسابه عند ربه اي هو يجازيه بعمله انه لا يفلح الكافرون اي لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النور وهي مدنية

وهي ثنتان وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها وفرضناها اي اوجبنا ما
فيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من
بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها ايات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون اي تتعظون قوله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة الزنا هو من الكباير وموجب للحد وهو ايلاج فرج في
فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ وبشروط الاحصان في الرجم ويجب
على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا ينتصف وقوله فاجلدوا اي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب

جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد
مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة التغريب الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل ويغرب
وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة اي رحمة ورقة فتعطلوا
الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى
الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري قال
يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الزنا
والفرية في الشرب في دين الله اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب
ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد
ضربت فاوجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر معناه ان المؤمن لا تاخذه الرافة اذا جاء امر الله
هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود
وليشهد اي وليحضر عذابهما اي حدهما اذا اقيم عليهما طائفة من المؤمنين اي نفر من المؤمنين قيل اقله
رجل واحد فما فوقه وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اختلف العلما في معنى الاية
وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وبالمدينة نسا بغايا هن اخصب
اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك فنزلت هذه الاية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول
مجاهد وعطا وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نسا كن بمكة
والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السائب بن ابي السائب المخزومي وكان في الجاهلية
ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستاذن رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية وروي عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي مرثد الغنوي كان يحمل الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة
وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد
ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا قال فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فنزلت الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي
والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق اولئك دون سائر الناس
وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك
وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك
وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان
وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الاية منسوخ وكان نكاح الزانية حرام بهذه الاية ثم نسخت بقوله تعالى
وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال
استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا روى هذا الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي

رفعه

رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الاية ان الفاجر الخبيث لا يرغب
في نكاح الصوالح من النسا وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في
نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اي صرف
الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفاف فهذا محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة
هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى والذين يرمون اي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات
الحرائر العفائف ثم لم ياتوا باربعة شهدا اي يشهدون على الزنا فاجلدوهم ثمانين جلدة بيان حكم
الاية وذلك ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت يجب عليه جلد
ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا جلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف
التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنا في عمره
مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه
بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه
لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكناية مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او قال
امراتي لا ترد يد لامس فهذا او نحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما
انا فما زنيت او ليست امراتي بزانية فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد
وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك
هم الفاسقون فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وفي حكم هذا الاستثنا فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف فاذا تاب وندم على ما قال
وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سوا تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين
تابوا وقالوا هذا الاستثنا يرجع الى رد الشهادة والى الفسق فاذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه
اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا وطاوس وسعيد بن
المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي
وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثنا يرجع الى قوله واولئك
هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الراي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال
الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه وتقبلونها في شر
حاليه وذهب الشعبي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثنا يرجع الى الكل وعامة العلما على انه
لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة
فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا قلت معناه ابدا ما دام مصرا على القذف
لان ابد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا
اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون اي يقذفون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا اي يشهدون
على صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
سبب نزول هذه الاية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمر العجلاني جا الى عاصم بن عدي فقال

لزعاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فيقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسايل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تاتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسالة التي سالت عنها قال عويمر والله لا انتهي حتى اسال عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فيقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جات به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جات به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجات به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه قوله اسحم اي اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين اي ممتلي الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعضاة تلصق بالارض واراد بها في الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبري ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجا فقام هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فان جات به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحما فجات به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهدا فوالله ما كنت لاتي باربعة شهدا حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط ولا طلق امراة له واجترا رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله لا اعرف انها من الله ولكن عجبت من ذلك لما اخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله فقال لم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه

فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشا فوجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لكذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال لقد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجات فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جات به كذا وكذا فهو لزوجها وان جات به كذا وكذا فهو للذي قيل فجات به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لا يدرى من ابوه وروي ابن عباس ان عويمر العجلاني زوج خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود وقال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها راي ثم قال تحينوا الولادة فان جات به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحما وان جات به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجات به باشبه خلق بشريك بيان حكم الاية وذلك ان الرجل اذا قذف امراته فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقام عليه الحد الا ان ياتي باربعة يشهدون بالزنا او يقر

المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد احد هذين او لاعن سقط عنه الحد فاللعان في
قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على
العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك
ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات
اللعان فيقول قل اشهد بالله انني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قد رماها برجل بعينه
سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد او حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد او
هذا الحمل من الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به
فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان
وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد
ووجب على المراة حد الزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج وقوله عز وجل ويدرؤا اي
يدفع عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة حد الزنا فان ارادت
اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به
ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد
عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس
حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المراة عن اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان حجة
صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبي اذا قعد عن
اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان
الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة
متابدة حتى لو اكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابيد
التحريم وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات
اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه
حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة
ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري اللعان الا
بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما
وظاهر القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر
والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد
الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز
الاخلال بشيء منها واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام
وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي ساير البلاد في الجامع عند المنبر واما
الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم

بينهما

بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب اي يعود على من رجع
عن المعاصي بالرحمة حكيم اي فيما فرض من الحدود قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم
الايات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة
ابن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين
قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض
واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عايشة وبعض حديثهم يصدق
بعضا قالوا قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين
ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فاقرع بيننا في غزوة
غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل في
هودجي وانزل فيه فسرنا حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة
قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت
الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه
قالت واقبل الرهط الذي كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه
وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام
فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت
عقدي بعد ما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت به وظننت
انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي
ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان نايم فاتاني فعرفني حين
راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا
سمعت منه كلمة غير استرجاعه فهوى حتى اناخ راحلته فوطي على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا
الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى
كبر الافك عبد الله بن ابي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب
الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اري من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت
ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى
نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر
خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح
في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي
ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان آتي ابوي قالت وانا اريد ان
استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه
ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيية عند

رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت
تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما
اسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك
يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنسا
سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل
رايت فيها شيا يريبك قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من
انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن فتاكله قالت فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله ما
علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام
سعد بن معاذ احد بني الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه
وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت
ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت
لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال
لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس
والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم
حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت تلك الليلة المقبلة
لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتان ويوما حتى اظن ان البكا فالق كبدي
قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي
ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله
وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
لامي اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما
تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لا تصدقوني بذلك
ولين اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه لبريئة لتصدقني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله
مبريي ببراتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله
في بامر يتلى ولكني كنت ارجوا ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رويا يبريني الله بها فوالله ما رام
مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحا

حتى انه

حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله وفي رواية قال
ابشري يا عايشة اما والله فقد براك فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله
لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم العشر
الايات فلما انزل الله هذا في براتي قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله
لا انفق على مسطح شيا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور
رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله اني احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال
والله لا انزعها منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش عن امري
فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا
قالت عايشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت
اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث
هولا الرهط زاد في رواية قالت عايشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله والذي
نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قالت ثم قتل بعد في سبيل الله هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين قف
زاد البخاري في رواية عن عروة عن عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي قال عروة اخبرت انه كان
يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من اهل الافك ايضا الا حسان
ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة
وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم
وقا واخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان ينشد شعرا يشبب من ابيات
فقال

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *

فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم شرح غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طايفة اي قطعة من حديثها
قوله او عي اي احفظ له قوله اذن اي اعلم بالرحيل قولها فقدت عقدا لي من جزع اظفار هو نوع من الخرز
وهو الجزع اليماني المعروف قولها لم يهبلن اي لم يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها انما ياكلن العلقة من الطعام
هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس بها
احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها فتيممت اي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس
نزول المسافر في اخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها
باسترجاعه هو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها
موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة اي اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون
ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشي يريبني اي شككت فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم
اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت اي افقت من المرض
والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله المكان الواسع الخالي والمرط كسا من صوف
او خز قولها تعس مسطح اي عثر في الدعا على الانسان اي سقط بوجهه قولها يا هنتاه اي بلها كانها نسبها

الى ابيه وقلة المعرفة قولها لا يرقى اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت بمعنى النفي اي ما رايت منها امرا اغمصه
عليها بالصاد المهملة اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم
من يعذرني اي من يقوم بعذري ان انا كافاته على سوء صنيعه ان عاتبته او عاقبته فلا يلومني على ذلك
قولها وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حمله الغضب والانفة
والتعصب على الجهل للقرابة قولها فتثاور الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم
اي يهون عليهم ويسكن قوله ان كنت الممت قيل هو من اللمم وهو صغاير الذنوب وقيل معناه مقارفة
الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب
والجمان الدرة وجمعها جمان فسري عنه اي كشف عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما
لم اسمع ولم ابصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من
الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف انثى اي سترها قوله ونستوشيه اي نستخرجه بالبحث عنه
والاستقصا فيه وقول حسان في عايشة حصان بفتح الحا يعني امراة حصان اي متعففة حيية رزان
اي ثابتة ما تزن اي ترمي ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتصبح غرثى اي جايعة والغرث الجوع من لحوم
الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا من نسوة غوافل عن مثل الفعل وقول عايشة في حسان انه كان
ينافح اي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك اي بالكذب
والافك اسوء الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عايشة كانت تستحق الثنا والمدح بما كانت عليه
من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك
عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي بن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش
زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابي بن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت
كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت وحمنة كانوا من
المومنين المخلصين لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعايشة وصفوان وقيل لعايشة وابويها وللنبي
صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله ياجركم على ذلك ويظهر براتكم ويشهد بكذب
العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لهم لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة
ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم اي تحمل معظمه
وبدا بالخوض فيه واقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب
النار في الاخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عايشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين
قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المومنون والمومنات بانفسهم اي
باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المومنين اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا
الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة المومنين وقالوا هذا افك
مبين اي كذب بين لا حقيقة له لولا اي هلا جاءوا عليه اي على ما زعموا باربعة شهدا اي يشهدون بذلك
فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف
يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا بالشهدا ومن كذب فهو عند الله كاذب سوا اتى بالشهدا او لم يات
قلت قيل هذا في حق الذين رموا عايشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه
فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم ياتوا بالشهود يجب زجره

قوله تعالى

قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم
معناه لولا اني قضيت ان افضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة واني اترحم
عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة
ومعنى الفضل هو تاخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض
وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون انه سهل لا اثم
فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمه روي ان ام
ايوب قالت لابي ايوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عايشة فقال سبحانك هذا بهتان
عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات اي في الامر والنهي والله عليم اي بامر عايشة وصفوان
حكيم اي حكم ببراتهما قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنا ويذيع في
الذين امنوا قيل الاية مخصوصة بمن قذف عايشة والمراد بالذين امنوا عايشة وصفوان وقيل
الاية على العموم فكل من احب ان يشيع فاحشة او يظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الاية والمراد
بالذين امنوا جميع المومنين لهم عذاب في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والاخرة اي وفي الاخرة لهم النار
والله يعلم اي كذبهم وبراة عايشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما
في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم
ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة
وان الله رءوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ومسالكه
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر اي بالقبايح من الافعال والاقوال وكل ما يكره
الله عز وجل والاية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا
فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما ظهر من
هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا
ولكن الله يزكي اي يطهر من يشاء من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم
قوله عز وجل ولا ياتل اي ولا يحلف من الالية وهو القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنى ابا بكر
الصديق ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا
بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الاية وليعفوا وليصفحوا
اي عن خوض مسطح في امر عايشة الا تحبون خطاب لابي بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان
ينفق عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل على فضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان
الفضل المذكور في الاية ذكره الله تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولوا الفضل وقوله
الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى

ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من اشد الجهاد لانه من جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل على ان ابا بكر
كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على ان من حلف على يمين
فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومن الحديث الصحيح من حلف على يمين وراى
منها خيرا فليات خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف الغافلات
اي عن الفواحش وعن الفاحشة ان لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وذلك كانت عايشة رضي الله عنها ثم
وصفهن بالمؤمنات لعنوا في الدنيا يعني بالحد والاخرة اي ولهم في الاخرة النار ولهم عذاب عظيم نزلت
في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن حصيف انه قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه
الله في الدنيا والاخرة قال ذلك لعايشة خاصة وقال ابن عباس هذه الاية في شان عايشة وازواج
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون ساير المؤمنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مؤمنة فقد جعل
الله توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الى قوله الا الذين تابوا فجعل لهولاء توبة ولم يجعل لاوليك توبة وقيل
بل لهم توبة ايضا للاية يوم تشهد عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم وايديهم وارجلهم
يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله بما كانوا يعملون يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين
اي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شي وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا
قال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيمة ان الله هو
الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول
للخبيثين من الناس ومثله والخبيثون اي من الناس للخبيثات من القول والطيبات اي من القول
ومعنى الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب
من الناس وعايشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب
القول من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنسا
وهذا ذم للذين قذفوا عايشة رضي الله عنها ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال
والنسا وهذا مدح للذين برووها بالطهارة والمدح لها وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين
من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافقين والشاكين
في الدين والطيبات من النسا للطيبين والطيبون للطيبات يريد عايشة رضي الله عنها
طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اوليك مبرؤون يعني عايشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع
منزهون مما يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة يعني عفو لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة روي ان
عايشة رضي الله عنها كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها
في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي انه اتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج
بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي
وهو معها في اللحاف ونزلت براءتها من السما وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني
الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله تعالى يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي تستانسوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا ويقول
تستانسوا خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة الاستيذان
وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيوذنه اني داخل وقيل هو من انست اي ابصرت
وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او تنحنح حتى يعرف اهل البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل بيت
الغير الا بعد الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستيذان فيقول ادخل سلام
عليكم لما في الاية من تقديم الاستيذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول السلام عليكم ادخل
وتقدير الاية حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام
عليكم ادخل اخرجه ابو داود والترمذي وعن ربعي بن حراش قال جا رجل من بني عامر فاستاذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخادم اخرج الى هذا
فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم ادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليكم ادخل فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد وابي بن كعب وابي
موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جا ابو موسى كانه مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا
فلم يوذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استاذنت ثلاثا فلم يوذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم الا اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني موامرة والثالث استيذان بالرجوع وعن عبد الله بن بشر
قال كان رسول الله اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول
السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجا مع الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابو داود
وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة
يستاذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطا بن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال استاذن على امي فقال نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم استاذن عليها
فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا مرسلا وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي فعل الاستيذان خير لكم واولى
بكم من التهجم بغير اذن لعلكم تذكرون اي هذه الاداب فتعملوا بها قوله عز وجل فان لم تجدوا فيها اي
في البيوت احدا اي ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم اي في الدخول وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب
ملازما هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للانسان احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في
تلك الاحوال فاذا حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور
الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج وراه قال يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على
الباب فلا ينظر من شق اذا كان الباب مردودا وعن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر في باب النبي صلى الله

عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل به وفي رواية يحك به راسه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من اجل البصر وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا
عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فخذفته ففقات عينه ما كان عليك حرج
وقال مرة اخرى جناح والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وبغير الاذن ولما نزلت اية الاستيذان
قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس
عليكم جناح اي اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قيل ان
هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية لسابلة ليأووا اليها ويؤووا امتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير
استيذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الاسواق
يدخلها للبيع والشرا وهو المنفعة فليس فيها استيذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن بها لان
الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا
ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا ان يغضوا عما لا يحل النظر
اليه م عن جرير رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فقال اصرف
بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى
وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي م عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المراة الى عورة المراة ولا يفضي الرجل
الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل
قال ابو العالية كل ما في القران من حفظ الفرج فهو من الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر
الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر النظر اوسع
الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج فضيق وكفاك
ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ
الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس منه
ذلك ازكى لهم واطهر اي غض البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون اي انه خبير باحوالهم
وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن اي عما لا يحل لهن روي عن ام سلمة رضي الله عنها
قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام مكتوم
فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول
الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما
تبصرانه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها اي لا يظهرن
اي لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط
في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة

مواضعها

مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اي من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه
والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان
من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات
ان لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمراة
ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن
اي ليلقين مقانعهن على جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر والصدر اي ليسترن بذلك شعورهن
واعناقهن واقراطهن وصدورهن خ عن عائشة رضي الله عنها قالت يرحم الله نسا المهاجرات
الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كسا من صوف
او خز او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها
في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن
الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الا ما بين السرة
والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نسائهن اي
المؤمنات من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمراة ان تنظر الى بدن المراة الا ما بين السرة والركبة ولا
يجوز للمراة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية والكافرة لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية
والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب
الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نسا اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز
ان تنكشف للمراة المسلمة لانها من جملة النسا او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول
عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى
ذلك عن عائشة رضي الله عنها وام سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد
وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي
معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاما دون العبيد او التابعين غير اولي الاربة من
الرجال قرئ غير بنصب الرا وقيل هو بمعنى الاستثنا ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم
فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة هو الارب الحاجة والمراد
بالتابعين غير اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة
لهم في النسا وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن
وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عائشة رضي
الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت
باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخلن
عليكن فحجبوه زاد ابو داود وفي رواية واخرجوه الى البيدا يدخل في كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع
ان لها في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك

صفة لها بالسمن أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل ان الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لأجله نهي عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا أي من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة في هذه السورة وقيل ان أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون م عن الأغر المزنية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لأتوب الى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة أخرجه عبد بن حميد الكشي ق عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الأيامى منكم جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى وهو من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم أي من عبيدكم وامائكم بيان حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد أهبته أن يتزوج وان لم يجد أهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو وهو رض الأنثيين نوع من الخصا شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم أخرجه أبو داود والنسائي م عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وتوقا در عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحصورا والحصور الذي لا يأتي النساء ذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل ان تزويج الأيامى الى الأولياء لأن الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله

قيل الغنا

قيل الغنا هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والله واسع أي انه ذو الافضال والجود عليم أي بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله أي يوسع عليهم من رزقه والذين يبتغون الكتاب أي يطلبون المكاتبة مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه ان يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فاذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له وتتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن أداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روي ان ابن سيرين سأل أنس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لأنه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تريد ان تطعمني أوساخ الناس فلم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة فأحب ان لا يمتنع من المكاتبة اذا كان هكذا عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فأما الصبي والمجنون فلا يصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد ابن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم

الذي جعل الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد
ابن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف العلما فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب
كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سوا ترك مالا او لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه
قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفا بما بقي عليه
من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطا وطاوس والنخعي والحسن
وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق
بالاداء وقد وجد ويتبعه اولاده واكتسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك
المولي فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم على البغا اي الزنا
ان اردن تحصنا الاية عن جابر رضي الله عنه قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول لجارية اذهبي
فابغينا شيا قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد
الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يردهما على الزنا فشكيا ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت الاية
في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق كانت له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة
ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يواجرون اماهم فلما جا الاسلام قالت معاذة لمسيكة
ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن
لنا ان ندعه فانزل الله هذه الاية وروي ان احدى الجاريتين جات ببرد وجات الاخرى بدينار فقال
لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جا الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكيا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف العلما في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها
ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي صلى الله عليه وسلم على صفة السبب
وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما
اذا لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا الثالث ان ان بمعنى اذ اي اذا اردن وليس معناه الشرط
لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا لقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين
القول الرابع ان في الاية تقديم وتاخير تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء لتبتغوا اي لتطلبوا عرض الحياة الدنيا اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن
يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا
هذه الاية قال لهن والله لهن والله قوله تعالى لقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي من الحلال والحرام ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان
قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين اي المومنين الذين يتقون الشرك والكباير قوله عز وجل الله نور
السموات والارض قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة
الضلال ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقيل معناه
مزين السموات والارض زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين ويقال
زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال
الشاعر • اذا سار عبد الله عن مرو ليلة فقد سار عنها نورها وجمالها • مثل نوره اي مثل نور الله

عز وجل

عز وجل في قلب المومن وهو النور الذي يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية
عايدة الى المومن اي مثل نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هو الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة هي الكوة
التي لا منفذ لها وقيل هي بلغة الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضو المصباح في زجاجة يعني
القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضو النار فيها ابين من كل شي وضوه يزيد في الزجاج ثم وصف
الزجاجة فقال تعالى الزجاجة كانها كوكب دري من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره
في ذلك الحال والوقت وقيل هو من درا النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر
في صفاته وحسنه وان كان الكوكب اضوا من الدر لكنه يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب الذي
احد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبه بالكواكب
ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكوكب توقد اي اتقد المصباح من شجرة مباركة
زيتونة اي من شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو
اصفا الادهان واضواها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها
هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذي وقوله لا شرقية ولا
غربية اي ليست شرقية وحدها لا يصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس
بالغداة اذا طلعت بل هي صاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون
شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست
في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاه لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها
معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض
لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او
غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد زيتها يضي اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تمسه
النار نور على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة فصل في بيان التمثيل المذكور في الاية
اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل ان المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت
في الظهور والجلا الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكوة التي فيها زجاجة وفي تلك الزجاجة مصباح
يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفايه صلح ان يجعل مثلا
لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن
قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم يتبين
للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي ولو لم تمسسه نار وروي ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة
جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي
ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
وسمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبيا من صلبه

لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى المغرب والنصارى تصلي الى المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور يعني من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن قال ابي بن كعب هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضرا ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شي من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو القران فكما تستضيء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة يشرق في قلب المومن ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشا قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الله الاشياه للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شي عليم قوله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع اي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السما كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه يسبح له فيها اي يصلى له فيها بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلوات المفروضة فالتي تودى بالغداة صلاة الفجر والتي تودى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشايين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة اراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه ابو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لانه ليس على النساء حضور المساجد لجمعة ولا جماعة لا تلهيهم اي لا تشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل الانسان بها عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة

يقع على

يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه ولا بيع اي ولا يشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد لاقامة الصلوات واقام الصلاة يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكاة لم يحبسوها يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يعني ان هولا الرجال وان بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجا فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية يوخذ بهم امن ذات اليمين ام من ذات الشمال ومن اين يوتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترتفع الى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتتقلب البصر فتشخص من هول الامر وشدته ليجزيهم الله احسن ما عملوا يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة ليجزيهم الله على احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزا الاحسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعماية ضعف ويزيدهم من فضله يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن اعمالهم ولا يقتصر لهم على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير حساب فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما ضرب مثلا لحال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهها بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من راه ما فاذا اقترب منه انفش فلم ير شيا والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب يحسبه اي يتوهمه الظمان اي العطشان ما حتى اذا جاءه اي جا ما قدر انه ما وقيل جا الى موضع السراب لم يجده شيا اي لم يجده على ما قدر وظن ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد ان لها ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصة القيمة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الما فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيا فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيا ولا نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اي جزا عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا اخر فقال تعالى او كظلمات اعلم ان الله سبحانه وتعالى ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات في بحر لجي اي عميق كثير الما ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من فوقه موج اي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الما فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يراها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب

ثم تراه الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة
الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل
شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع قال ابي بن
كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم
القيامة الى النار ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا
فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس
الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جا الاسلام كفر فيعقا نحو والاصح ان الاية عامة في حق جميع الكفار
قوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتهن
في الهوى قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السما والارض فتكون خارجة عن حكم من
في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه قيل الصلاة لبني ادم والتسبيح لساير الخلق وقيل ان ضرب
اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل
مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض
اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشات ومنه بدات فهو واجد الوجود وقيل معناه ان
خزاين المطر والرزق بيده لا يملكها احد سواه والى الله المصير اي والى الله مرجع العباد بعد الموت
قوله تعالى الم تر ان الله يزجي اي يسوق سحابا بامره الى حيث يشا من ارضه وبلاده ثم يؤلف بينه
اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل من السما من جبال فيها من برد
قيل معناه وينزل من جبال من السما تلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد
فان قلت ما الفرق بين الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانزال
من السما والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السما والثالثة للتجنيس
لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به اي بالبرد من يشا فيهلكه واموالهم ويصرفه عمن يشا فلا
يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار اي من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله
الليل والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فياتي بالليل ويذهب بالنهار وياتي بالنهار
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يوذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند
النوازل والشدايد اصابنا الدهر وينسبونه في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله
عز وجل والدهر مصرف يقع فيه التاثيرات كما يقع بكم وقوله تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرت من هذه الاشيا
لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول والبصاير على قدرة الله وتوحيده قوله عز وجل والله
خلق كل دابة من ماء اي من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة والجن لانا
لا نشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الما وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه
الملايكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه ادم فمنهم من يمشي على بطنه
اي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني ادم والطير ومنهم
من يمشي على اربع يعني كالبهايم والسباع فان قلت كيف خلق كل دابة من ماء وكثير من الحيوان

يتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شي وذلك ان الشي اصله من
الما فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلا فلم استعمل في غير العقلا قلت ذكر الله تعالى في
ما لا يعقل ومن يعقل فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى فان
قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوق قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي
بغير اله المشي وهو الارجل والقوايم ثم ذكر ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما
له اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات
اعتمادها على اربع في المشي والباقي تبعا لها يخلق الله ما يشا اي مما لا يعقل ولا يعلم ان الله على كل
شي قدير اي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشا كما يشا لا يمنعه مانع ولا
دافع لقد انزلنا ايات مبينات يعني القران هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام والله يهدي
من يشا الى صراط مستقيم يعني الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته قوله تعالى
ويقولون يعني المنافقين امنا بالله وبالرسول واطعنا اي يقولون بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى
فريق منهم اي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك اي من بعد قولهم امنا ويدعوا الى غير حكم الله
قال الله تعالى وما اولئك بالمومنين نزلت هذه الاية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة
في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان
محمدا يحيف علينا فانزل الله هذه الاية واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول يحكم بحكم الله
بينهم اذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي
مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم
لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا اي شكوا وهذا الاستفهام ذم وتوبيخ والمعنى
هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اولئك هم الظالمون اي لانفسهم
باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله
ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المومنين كذا ينبغي ان يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا
واطعنا اي بالاجابة واولئك اي من هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال
ابن عباس فيما ساه وسره ويخش الله على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاولئك هم الفايزون اي
الناجون قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيا
لين امرتهم ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن
معك لين خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله
ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى
بحكمك فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدا فقال طاعة معروفة اي هذه طاعة
القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون
وقيل معناه طاعة معروفة بينة خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ان الله
خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم
وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فانما عليه اي على الرسول ما حمل اي ما كلفه وامر
به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا

الحق والرشد في طاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح البين قوله عز وجل وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
بعد الوحي عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا
بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما ياتي علينا يوم
نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم
فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي كما استخلف داود وسليمن وغيرهما
من الانبياء وكما استخلف بني اسرايل اذ اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على ساير الاديان
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم
بعد الخوف امنا وبسطا في الارض خ عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتاه
رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد
انبيت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف
احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولين طالت بك حياة لتفتحن
كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولين طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملا كفه من ذهب
او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيمة وليس بينه وبينه
ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك
فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرايت
الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولين
طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملا كفه وفي الاية دليل على صحة خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه والخلفا الراشدين بعده لان في ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز
كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الخلافة تكون ثلثين سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر
سنين وخلافة عثمان اثني عشر سنة وعلي ستة قال علي قلت لحماد القايل لسعيد امسك سفينة قال
نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال
وتفصيله ان خلافة ابي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة
عثمان كانت اثني عشر سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا جا في بعض روايات
الحديث وعلي كذا ولم يبين تعين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الايمة الاربعة تسع وعشرين
سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين بخلافة الحسن فكانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم وقوله تعالى
ومن كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله فاوليك هم الفاسقون اي العاصون قال
اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحدها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل
عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان
جا عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جا بك قال جيت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك

قف على هذا الحديث وما فيه من خلافة الايمة

خارج

خارج خير لي منك داخل فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملايكة قد
جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه
فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملايكة وليسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيمة قالوا
اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا
خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم
ترحمون اي افعلوا هذه الاشيا على رجا الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فايتين عنها
وماواهم النار ولبيس المصير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن
عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب
وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في
اسما بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
اللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى
الذين ملكت ايمانكم يعني العبيد والاما والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا
على عورات النسا بل المراد الذين عرفوا امر النسا ولكن لم يبلغوا او تقاربوا التمييز والعقل واتفق العلما
على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ
ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية
خمس عشرة سنة يصير مكلفا ويجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اي ليستاذنوا في ثلاثة اوقات
من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشا وانما خص هذه
الثلاثة اوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يحوز ان يراه احد من
العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستاذن في جميع الاوقات
ثلاث عورات لكم سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم
ولا عليهم يعني العبيد والخدم والصبيان جناح اي حرج في الدخول عليكم بغير استيذان بعدهن اي بعد هذه
الاوقات الثلاثة طوافون عليكم اي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن
بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلما
في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا
يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم
ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك
العورات فجاهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فراى
ان ذلك اغنى عن الاستيذان وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن ابي عايشة
قال سالت الشعبي عن هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس
لا يعملون بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت
ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث ايات ترك العمل بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس

يقولون اعظكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي
الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اي يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استاذن
الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اي دلالته وقيل احكامه والله عليم اي بامور خلقه
حكيم اي بما دبر لهم وشرع قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما انزلت الاية في ذلك وسئل
حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال ان لم تفعل رايت منها ما يكره قوله تعالى والقواعد من النساء
يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يردن
الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال
وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال
والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار
فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج
هو ان تظهر المراة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اي فلا يلقين الجلباب والرداء خير
لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلماء في هذه الاية فقال ابن عباس
لما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى
والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عن اكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر
موضع الطعام والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن
التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل تكون على بمعنى في اي
ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مواكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى
يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقول الاعمى ربما اكل اكثر ويقول
الاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في
باقي الاية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت
ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير
بيته فانزل الله هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم
قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل
الله هذه الاية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند ولا على
المريض حرج وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل
لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا
من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم
نسب بيوت الاولاد الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم
مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل
عبده والمفاتح الخزائن ويجوز ان يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس
ان ياكل الشيء اليسير وقيل او ما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم الصديق

سو الذي

سو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من
طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها
وان لم يحضروا من غير ان يتزودوا او يحملوا ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني
ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه فربما قعد الرجل والطعام
بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا
امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى
طعامه فيقول والله اني لاجنح اي اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل نزلت
في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاؤوا جميعا
اي مجتمعين او اشتاتا اي متفرقين فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض
هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك
فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين
حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية
من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من
الثواب والاجر كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اي عن الله امره ونهيه وادبه قوله عز وجل
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر
جامع اي يجمعهم من حرب حضرت او صلاة او جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا اي
يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن
الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه
ولا يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فالامام ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن وهذا اذا لم يكن سبب
يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض امراة منهم او يجنب رجل
او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم اي في الانصراف والمعنى ان
شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله ان رايت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة ان الله
غفور رحيم قوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس يقول احذروا
دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو
بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون منكم لواذا اي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب
قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال

ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة
واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار
وقد يعلم الله فيه التهديد بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره ويتصرفون
عنه بغير اذنه ان تصيبهم اي لئلا تصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في
الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه
اي من الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه يعني يوم البعث فينبئهم بما عملوا اي من الخير والشر والله
بكل شي عليم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف
ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله من البيع في صحيحه والله اعلم
بمراده واسرار كتابه •

تفسير سورة الفرقان وهي مكية

وهي سبع وسبعون اية وثمانماية واثنان وتسعون كلمة وثلاثة الاف وسبعماية وثلاثة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة كان معناه جا بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم
الذي نزل الفرقان اي القران سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل
مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا انزل بالتشديد للتكثير التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون
للعالمين اي للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي له ملك
السموات والارض اي هو المتصرف فيهما كيف شا ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى
ولم يكن له شريك في الملك اي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الوثنية وعباد الاصنام وخلق كل شي اي مما
يطلق عليه صفة المخلوق فقدره تقديرا اي سواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل
شي تقديرا من الاجال والارزاق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى واتخذوا يعني عبدة الاوثان من دونه
الهة يعني الاصنام لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي دفع ضر ولا
جر نفع ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة اي احيا ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني
النضر بن الحرث واصحابه ان هذا اي ما هذا القران الا افك اي كذب افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه
وسلم واعانه عليه قوم اخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار
وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا ياخذ منهم قال الله تعالى فقد جاوا يعني
قايلي هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم وزور وهو نسبتهم كلام الله الى الافك وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القران ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل
حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب
ان يكتب له لانه كان لا يكتب فهي تملى عليه اي تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني غدوة وعشيا
قال الله تعالى ردا عليهم قل يا محمد انزله يعني القران الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض انه
كان غفورا رحيما اي لولا ذلك لعاجلكم بعذابه وقالوا ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم ياكل الطعام اي كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي نحن واذا كان
كذلك فمن اين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر
مثلنا والملك لا ياكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لانه اكله
للطعام لكونه ادميا ولم يدع انه ملك ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم

يكن

يكن سحابا في الاسواق وليس شي من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك لولا انزل عليه
ملك اي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز من السماء
ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش او تكون له جنة اي بستان ياكل منها اي هو فلا اقل من
ذلك ان لم يكن له كنز وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق
انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اي الاشياء التي لا فايدة فيها فقالوا مسحور محتاج فضلوا اي
عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اي الى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله عز وجل تبارك الذي
ان شا جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي قالوا وافضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس
يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا اي بيوتا مشيدة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل
لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما وقال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو شيت لسارت معي جبال الذهب جاني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة
فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل
فاشار الي ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل
متكيا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى
بل كذبوا بالساعة اي القيمة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مسعرة اذا راتهم من
مكان بعيد قيل من مسيرة عام وقيل مسيرة ماية عام فان قلت كيف يتصور الروية من النار وهو
قوله اذا راتهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا وروية وقيل معناه راتهم زبانيتها سمعوا لها
تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا اي صوتا فان قلت كيف يسمع
التغيظ قلت معناه راوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر •
• ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا • اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت المتغيظ من
التلهب والتوقد قال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيمة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل
الا خر لوجهه واذا القوا منها مكانا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين
اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل دعوا
هنالك ثبورا قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث ان اول ما يكسى حلة من النار ابليس فيضعها
على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوره وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا
على النار فينادي يا ثبوره وينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا هكذا ذكره البغوي بغير سند فقيل معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية
كثيرة قوله عز وجل قل اذلك خير اي الذي ذكرت من صفة النار واهلها خير ام جنة الخلد التي
وعد المتقون كانت لهم جزا اي ثوابا ومصيرا اي مرجعا لهم فيها ما يشاون اي ان جميع المرادات
لا تحصل الا في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيا ولا يحصل في الجنة كما انه يشتهي الولد
ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر من اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة
مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره خالدين اي في نعيم الجنة ومن تمام

النعيم ان يكون دايمًا اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشد في المعنى

اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا

كان على ربك وعدا مسئولا اي مطلوبا وذلك ان المومنين سالوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطا الله المومنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسالتهم
اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملئكة للمومنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله
عز وجل ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله يعني من الملئكة والجن والانس مثل عيسى والعزير وقيل
يعني الاصنام ثم يخاطبهم فيقول ءانتم اضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل اي اخطاوا الطريق قالوا
يعني المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون معه الهة ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
يعني ما كان ينبغي لنا ان نوالي اعداك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن
نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم واباءهم بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر اي تركوا
المواعظ والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا قوما بورا اي هلكى غلب عليهم الشقاوة والخذلان
فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اي كذبكم المعبودون بما تقولون اي انهم الهة فما يستطيعون يعني
الالهة صرفا اي صرف العذاب عن انفسهم ولا نصرا اي ولا نصر انفسهم وقيل ولا نصركم اي العابدون
بدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اي يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك اي يا محمد
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق انزل الله هذه الاية والمعنى ان هذه
عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم
كانوا بشرا مثلي ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية قال ابن عباس
اي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت في
ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم راى الوضيع قد اسلم قبله انف وقال اسلم بعده فيكون
له السابقة والفضل علي فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في ابي جهل
والوليد بن عقبة والعاص بن وايل السهمي والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر
وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم فقالوا انسلم فنكون مثل هولاء وقيل نزلت في ابتلاء
فقرا المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هولاء الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه
وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى لهولاء المومنين اتصبرون اي على هذه الحالة من الفقر والشدة
والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان
ربك بصيرا اي بمن يصبر وبمن يجزع ق عن ابي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم
انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله عز وجل
وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون البعث والرجا بمعنى الخوف لغة تهامة لولا انزل علينا الملئكة
فتخبرنا ان محمدا صادق او نرى ربنا اي فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة
وعتوا عتوا اي طغوا وقيل علوا في القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم روية الله حتى يومنوا به
كبيرا يوم يرون الملئكة اي عند الموت وقيل يوم القيمة لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك ان الملئكة يبشرون

المومنين

المومنين يوم القيمة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المومنون ويقولون
حجرا محجورا قال ابن عباس تقول الملئكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل اذا خرج الكفار
من قبورهم تقول لهم الملئكة حرام محرم عليكم ان يكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملئكة وذلك ان العرب
كانت اذا نزل بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملئكة وقدمنا الى
ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي عملوها في حال الكفر فجعلناه هباء منثورا اي باطلا لا ثواب له لانهم
لم يعملوه لله عز وجل ومن الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوى كالغبار اذا
وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه
من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى اصحاب الجنة
يومئذ اي يوم القيمة خير مستقرا اي من هولاء المشركين المستكبرين واحسن مقيلا اي موضع القايلة وذلك
ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيمة الا قدر من اول النهار الى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال
ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة
الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها
وقال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله ويروى ان يوم القيمة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين
العصر الى غروب الشمس قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اي عن الغمام وهو غمام ابيض رقيق مثل
الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم ونزل الملئكة تنزيلا قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا
فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تنشق الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في
السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل
السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش الملك يومئذ الحق للرحمن لا ملك يقضي غيره وكان
يوما على الكافرين عسيرا اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المومنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون
يوم القيمة على المومنين حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم يعض
الظالم على يديه اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا
اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا
الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا
باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما
اخبر ابي بن خلف فقال له يا عقبة صبات قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي
الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت فطعم فقال ما انا بالذي ارضى عنك ابدا
الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم
احد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك
حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام
ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني عقبة بن ابي معيط بن عبد شمس بن عبد
مناف على يديه اي ندما واسفا على ما فرط في جنب الله واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي

صدّه عن سبيل ربه قال عطا يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسرًا
على ما فعل يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم
واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتى دعا على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني ابي بن خلف
لقد اضلني عن الذكر اي عن الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس للانسان خذولا اي كثير الخذلان
يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله
ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء
كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة
ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل
طعامك الا تقي قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي اتخذوا
هذا القران مهجورا اي متروكا فاعرضوا عنه فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو
السيء من القول فزعموا انه شعر وسحر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا فعزاه الله عز وجل فقال وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا لك اعدا
من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان
الانبيا قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وقوله وكفى
بربك هاديا ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي كما انزلت
التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم الصلاة والسلام قال الله عز وجل فعلنا
ذلك كذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة
نزلت على انبيا يكتبون ويقرؤون وانزلنا القران على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ ولان من القران الناسخ والمنسوخ
ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور حدثت في اوقات مختلفة ففرقناه ليكون اوعى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وايسر على العامل ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل
وتثبت وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا يأتونك يا محمد يعني هولا المشركين بمثل اي يضربونه لك في ابطال
امرك الا جئناك بالحق اي بما ترد به ما جاءوا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون به من الشبه مثلا وسمى
ما يدفع به الشبه حقا واحسن تفسيرا اي واحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهولا المشركين فقال
تعالى الذين اي هم الذين يحشرون على وجوههم اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر
مكانا اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطا طريقا قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط
فدمرناهم فيه اضمار اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم هلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اي رسولهم
ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية
اي عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين اي في الاخرة عذابا اليما اي واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس
قال وهب بن منبه كانوا اهل بير قعودا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا

يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم واذى شعيب فبينما هم حول البير في منازلهم انهارت البير وخسفت
بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بير بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير
كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار
وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا بين ذلك
كثيرا اي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة
الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكناهم اهلاكا ولقد اتوا على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا
ونجت واحدة وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا مروا بهم في
اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون
نشورا اي لا يخافون بعثا قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا نزلت في ابي جهل كان اذا مر
مع اصحابه قال مستهزيا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن
عبادة الهتنا لولا ان صبرنا عليها اي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب اي في الاخرة عيانا من اضل سبيلا اي اخطا طريقا ارايت من اتخذ الهه
هواه وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا راى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن وعبده
قال ابن عباس ارايت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد
افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله والمعنى
لست كذلك قال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اي ما تقول سماع
طالب الافهام او يعقلون اي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم
لشدة عنادهم لا يستمعون القول وان استمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند
ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى ان هم اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم
اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى بل هم اضل سبيلا لان البهايم تهتدي لمراعيها ومشاربها
وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها وهولا الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم
ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل
يعني ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شا لجعله ساكنا اي دايما
ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا معنى دلالتها انه لو لم تكن الشمس لما
عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشيا تعرف باضدادها ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا
يسيرا اي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس
قبض الله الظل جزا فجزا قبضا خفيا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي سترا تستترون به والمعنى
ان ظلمة الليل تغشى كل شي كاللباس الذي يشتمل على لابسه والنوم سباتا اي راحة لابدانكم وقطعا
لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغا الرزق وطلب الاشغال وهو الذي
ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من السما ما طهورا الطهور هو الطاهر في نفسه
المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماوه
الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطهر والما مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث

والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالما وذهب اصحاب الراي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمايعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوزوا الوضو بالما الذي توضا به مرة وان وقع في الما شي غير طعمه او لونه او ريحه هل يزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيا لا يمكن صون الما عنه كالطين والتراب واوراق الشجر فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصيب فيه فيتروح الما برايحته تجوز الطهارة به لان تغييره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شي يمكن صون الما عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما يزول طهوريته فلا يجوز الوضو فان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيا طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضو به سوا كان الما قليلا او كثيرا وان كان الواقع شيا نجسا نظر فيه فان كان الما اقل من قلتين تنجس الما وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضو به والقلتان خمس ماية رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الما يكون في الفلاة يرده من السباع والدواب فقال اذا كان الما قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحق وجماعة من اهل الحديث ان الما اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الما القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطا والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الما طهور لا ينجسه شي وفي رواية قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجسه شي اخرجه ابو داود وقوله تعالى **لنحيي به** اي بالمطر **بلدة ميتا** قيل اراد به موضع البلدة **ونسقيه مما خلقنا انعاما** اي نسقي من ذلك الما انعاما **واناسي كثيرا** اي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان قوله تعالى **ولقد صرفناه بينهم** يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلد اخر وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث يشا وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح **ليذكروا** اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى **فابى اكثر الناس الا كفورا** اي جحودهم وكفرهم هو انهم اذا مطروا قالوا امطرنا بنو كذا عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب قوله عز وجل **ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا** اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما عندنا من الكرامة والدرجة والرفيعة **فلا تطع**

الكافرين اي فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم **وجاهدهم به** اي بالقران **جهادا كبيرا** اي شديدا **وهو الذي مرج البحرين** اي خلطهما وافاض احدهما على الاخر وقيل ارسلهما في مجاريهما وخلاهما **هذا عذب فرات** اي شديد العذوبة تميل الى الحلاوة **وهذا ملح اجاج** اي شديد الملوحة وقيل مر **وجعل بينهما برزخا** اي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب **وحجرا محجورا** اي سترا ممنوعا فلا يبغي احدهما على الاخر ولا يفسد الملح العذب قوله عز وجل **وهو الذي خلق من الما** اي من النطفة **بشرا فجعله نسبا وصهرا** اي جعله ذات نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد حرم الله تعالى بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها في قوله حرمت عليكم امهاتكم الاية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النسا **وكان ربك قديرا** اي على ما اراد حيث خلق من نطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى **ويعبدون من دون الله** يعني هولا المشركين **ما لا ينفعهم** اي ان عبدوه **ولا يضرهم** اي ان تركوه **وكان الكافر على ربه ظهيرا** اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته ورا ظهرك ولم تلتفت اليه قيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى **وما ارسلناك الا مبشرا** اي بالثواب على الايمان والطاعة **ونذيرا** اي منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية **قل لا اسالكم عليه** اي على تبليغ الوحي **من اجر** اي فيقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه **الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا** معناه لكن من شا ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعل هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته **وتوكل على الحي الذي لا يموت** معناه انه سبحانه وتعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكل من توكل عليه بموته وان الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة **وسبح بحمده** اي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله **وكفى به بذنوب عباده خبيرا** يعني انه تعالى بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة قوله عز وجل **الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا** اي فاسال الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسال عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** اي ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمن اليمامة **انسجد لما تامرنا** انت يا محمد **وزادهم** اي قول القايل **نفورا** اي عن الايمان والسجود فصل هذه السجدة من عزايم السجدات فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراتها قوله تعالى **تبارك الذي جعل في السما بروجا** قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنى عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب

كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
قال ابن عباس خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال
شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان
الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود
وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة
والزيادة والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا يعني شكر نعمة ربه عليه
فيهما عليه قوله عز وجل وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم
عباد الله الذين يمشون على الارض هونا اي بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين
ولا متكبرين بل علماء حلماء اصحاب وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء بما يكرهونه قالوا
سلاما اي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا فلم يجهلوا وليس المراد منه
السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخها اية القتال وروي عن الحسن البصري
انه كان اذا قرا هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرا والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم
وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا او قائما عن عثمان
ابن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام
نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا جهنم
ان عذابها كان غراما اي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي
سال الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقيل كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام
الشر اللازم والهلاك الدائم انها يعني جهنم ساءت اي بئست مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار
منع حق الله وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار
التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وكان بين ذلك
قواما اي قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين قيل هذه الاية في صفة محمد صلى الله
عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من
الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر العورة ويكنهم من الحر والبرد قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي شيا الا اشتراه فاكله قوله عز وجل والذين لا يدعون مع
الله الها اخر الاية ق عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا
فاكثروا واتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا
كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان
تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا
يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق

اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام
واد في جهنم ويروى في الحديث ان الغي والاثام بئران يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له العذاب
يوم القيمة قيل سبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العقوبة
على شركه ومعاصيه ويخلد فيه مهانا اي ذليلا قوله تعالى الا من تاب اي من ذنبه وامن بربه وعمل عملا صالحا
اي فيما بينه وبين ربه روي عن ابن عباس قال قراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشي قط
فرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن
الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله
سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيمة وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار يوتى به يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه
كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا
فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول
يا رب قد عملت شيا لا اراها هاهنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وقيل انه يمحوا بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب وعمل صالحا قيل هذا في التوبة
عن غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا ومعناه من تاب من الشرك وعمل صالحا يعني ادى الفرائض
ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله اي يعود اليه بعد الموت متابا اي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا
فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الاية
ايضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله
خبر بمعنى الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله قوله تعالى والذين لا يشهدون
الزور يعني الشرك وقيل يعني شهادة الزور ق عن ابي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس
فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد
الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني اعياد المشركين
وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن
مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور تحسين الشي ووصفه
بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو هو كل ما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما
يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الاية منسوخة باية القتال
وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين عنه وهو ان
ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا
قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور وانما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها
باذان واعية واقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة واعية وقيل معنى لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقفوا عليها
صما وعميانا كانهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قوله عز وجل

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اي ابرارا اتقيا صالحين فتقر اعيننا بذلك قيل ليس شيء اقر لعين المومن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يجعلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فيقر عينه عن النظر الي غيره واجعلنا للمتقين اماما اي ايمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة وقيل معناه انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مومتين بهم اوليك يجزون الغرفة اي يثابون الغرفة اي الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللولو والياقوت في الجنة بما صبروا اي على طاعة الله واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية اي ملكا وقيل بقا دايما وسلاما اي يسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم السلام وقيل سلاما اي سلامة من الافات خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قوله تعالى قل ما يعبو بكم ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم بوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه اي وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاوكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل معناه لولا دعاوكم اياه اي الى الاسلام فاذا امنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبو بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لعبادته وطاعته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبو اي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم فقد كذبتم يعني ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان فسوف يكون لزاما هذا تهديد لهم اي يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دايما وهلاكا لازما مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام.

تفسير سورة الشعرا مكية

الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون وهي مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واربعون حرفا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وفي رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسما الله وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسناه وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فثبت بذلك ان ايات القران كافية مبينة لجميع الاحكام لعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك ان لا يكونوا مومنين اي ان لم يومنوا وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها

خاضعين اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية الله وقيل معناه لو شا الله لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلا قيل خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اي فظلت كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جا عنق من الناس اي جماعة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن اي وعظ وتذكير محدث اي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القران بعد شيء فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين اي عن الايمان به فقد كذبوا فسياتيهم اي فسوف ياتيهم انبا اي اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزون اولم يروا يعني المشركين الى الارض كم انبتنا فيها اي بعد ان لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل الناس والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لييم ان في ذلك اي الذي ذكرت لاية اي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وما كان اكثرهم مومنين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يومنون ولا يصدقون وان ربك لهو العزيز اي المنتقم من اعدايه الرحيم اي ذو الرحمة لاوليايه قوله تعالى واذ نادى اي واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى اي حين راى الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سو العذاب قوم فرعون يعني القبط الا يتقون اي يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به قال يعني موسى رب اي يا رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اي بتكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني اي للعقدة التي كانت على لسانه فارسل الى هارون اي ليوازرني وليعينني على تبليغ الرسالة ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب وهو قتله القبطي فاخاف ان يقتلون اي به قال الله عز وجل كلا اي لن يقتلوك فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون ما يقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهما بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وذلك جايز في لغة العرب فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله فاتيا وقوله انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوو رسالة كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعماية سنة وكانوا في ذلك الوقت ستماية وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكتل معلق في راس العصاه وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون بان الله قد ارسلني الى فرعون وارسل اليك حتى ندعو فرعون يطلبك ليقتلك فاذهبت اليه قتلك فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يوذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ان هاهنا انسانا

يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن لهم لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى
فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته فقال الم نربك فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك سنين يعني ثلاثين
سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وانت من الكافرين قال اكثر المفسرين اي من الجاحدين
لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا فكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وبعده رواية عن ابن عباس
لان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه
وانت من الكافرين بفرعون والهيبة قال يعني موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين
بان ذلك يودي الى قتله لانه فعل الوكزة على وجه التاديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق
الصواب وقيل من المخطئين ففررت منكم لما خفتكم اي الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم
والفهم وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها
موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل فلم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل فيكون معنى
الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الاية
او تلك نعمة على طريق الاستفهام بحذف الالف كما قال عبد الله بن ربيعة لم انس يوم الرحيل وقفتها وطرفها
في دموعها غرق وقولها والركاب واقفة تتركني هكذا وتنطلق اي اتتركني والمعنى اتمن علي ان ربيتني وتنسى
جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت
قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيد بني اسرائيل قد احبط حسناتك الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم
لم ارفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين
يقول اي شي رب العالمين الذي تزعم انك رسوله الي فاستوصفه الهه الذي ارسله اليه وهو سؤال عن جنس
الشي والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا اعدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله واثار
قدرته التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثله فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خالقهما
فاعرفوه انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب عن ذلك السوال
الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني اي كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينوها فايقنوا ان اله الخلق هو
الله تعالى الذي خلقهما واوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى فقال لمن حوله
اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة الا تستمعون وانما قال فرعون
ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انما طلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله
واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان فقال ربكم ورب ابايكم الاولين
يعني ان موسى ذكر ما كانوا اقرب اليهم فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق ابايكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السوال طلب الماهية وهو يجيب بالاثار الخارجية وهذا لا يفيد
البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يعقل ولا
يعرف معناه وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان فقال رب المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون فقد عرفتم انه
لا جواب عن سوالكم الا ما ذكرت قال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في
مكان يهوي يبقى في الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك بشي

مبين

مبين اي باية بينة والمعنى انفعل ان جيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى
الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فات به اي انا لن اسجنك حينيذ ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون فقال بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها موسى فعادت عصى كما كانت فقال وهل غيرها قال
نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله
ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين فعند ذلك قال فرعون للملا حوله ان هذا يعني موسى لساحر
عليم وكان زمان السحرة فلهذا اروج فرعون هذا القول على قومه ثم قال يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى فماذا تامرون يعني ما رايكم فيه وما
الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل
سحار عليم قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره
ولكن اخره واجمع له السحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة قوله عز وجل فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل
للناس هل انتم مجتمعون اي لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة قالوا لعلنا نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين لموسى وقيل ارادوا بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك على طريق الاستهزا فلما
جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون الجزا وهو اما بذل المال
او الجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصى موسى صارت حية وابتلعت
كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة ساجدين قيل انهم لما
راوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهارون وانما قالوا رب موسى وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال امنتم
له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين
ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا
منقلبون اي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مومنين عفوه وهو قوله
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان كنا اول المومنين اي من اهل زماننا وقيل اول
المومنين اي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون
اي يتبعكم فرعون وقومه ليحيلوا بينكم وبين الخروج وقيل اوحي الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمايها على ابوابكم فاني سامر الملائكة بقتل ابكار آل فرعون من انفسهم
واموالهم وامرهم ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي البحر
فياتيك امري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا
منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه
قتلوا ابكارنا من انفسنا واموالنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط يحشرون
الجيش قيل كانت المداين الف مدينة واثني عشر الف قرية وارسل فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخمسماية

الف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مايتا الف ملك مسوّمين مع كل ملك الف فلذلك قال ان هولا لشرذمة
قليلون قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدوا ابن العشرين
وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانوا ستمائة الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون
وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا لمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا
التي استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خايفون من شرهم وقري اي
حاذرون اي ذو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الان والحذر الذي لا يلقاه
الا خايفا فاخرجناهم من جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون وانهار
جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لم يودوا حق الله منها وكل
مال لم يعط ولم يود حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمان مائة الف غلام كل غلام على
فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من الذهب ومقام كريم اي مجلس حسن قيل اراد المجالس للامرا والروسا التي
كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثماية كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من
قومه والامرا وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون
واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك اي كما وصفنا واورثناها بني اسرائيل وذلك ان الله عز وجل
رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال
والمساكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو
اضاءتها فلما ترا الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي
سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى ثقة بوعد الله اياه كلا اي لن يدركونا ان معي ربي
سيهدين اي يدلني على طريق النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب
فانشق فكان كل فرق اي قطعة من الما كالطود اي الجبل العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت
الريح وصار البحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر
امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع البحر لا يواري حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت
قال هاهنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر فارتسب في الما وذهب القوم يصنعون
مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله ان اضرب بعصاك فضربه فانفلق فاذا
الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم
الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم ويقول
للقبط رويدا ليلحق اخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم
فرعون يقولون ما راينا احسن وزعة من هذا وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني انه تعالى
جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فاغرقهم
ان في ذلك لاية يعني ما حدث في البحر من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى
عليه السلام وما كان اكثرهم مومنين يعني اهل مصر قيل لم يومن منهم الا اسية امراة فرعون وحزقيل
مومن ال فرعون ومريم بنت ماموسا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر وان ربك لهو
العزيز الرحيم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي
تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام ليريهم انما يعبدونه ليس من استحقاق

العبادة في شي قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاكم اذ تدعون او ينفعونكم
قيل بالرزق او يضرون اي ان تركتم عبادتها واذا كانوا كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم
الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا
تدفع ضرا لكن اقتدينا باباينا في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح
الاخذ بالاستدلال قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون اي الاولون فانهم عدو
لي اي اعداي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا
تعقل قلت معناه فانهم عدو لي يوم القيمة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها
منزلة الاحيا العقلا اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب اراد فاني عدو لهم لان
من عاديته فقد عاداك الا رب العالمين اي لكن رب العالمين فانه ربي ووليي وقيل انهم كانوا يعبدون
الاصنام مع الله فقال ابراهيم كل من تعبدون اعداي الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق
العبادة فقال الذي خلقني فهو يهدين الى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذيني
بالطعام والشراب واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفا من الله
فهو يشفين اي يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني ثم يحيين اي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الاخرة
والذي اطمع اي ارجو ان يغفر لي خطيتي يوم الدين اي يوم الجزا والحساب قيل خطيته كذباته الثلاث
وتقدم الكلام عليها م عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيتي يوم الدين
وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالاهية الا من يفعل هذه الافعال رب هب لي حكما
قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم والحقني بالصالحين اي بمن سلف قبلي من
الانبيا في المنزلة والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ثنا حسنا وذكرا جميلا وقبولا
عاما في الامم التي تجي بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني
من ورثة جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى واغفر لابي انه كان من الضالين
قيل دعا لابيه رجا ان يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ولا تخزني اي لا تفضحني يوم يبعثون
يعني يوم القيمة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما
الذنوب فلم يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر
والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمين الى السنة وازلفت الجنة اي قربت الجنة
للمتقين وبرزت اي ظهرت الجحيم للغاوين اي للكافرين وقيل لهم يعني يوم القيمة اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون اي لانفسهم فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا
وقيل قذفوا وطرح بعضهم على بعض وقيل القوا على روسهم فيها اي في الجحيم هم والغاوون يعني الالهة والعابدين
وقيل الجن والكفار وجنود ابليس اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته قالوا وهم
فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين والمعنى انهم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي نعدلكم برب
العالمين فنعبدكم وما اضلنا يعني دعانا الى الضلال الا المجرمون يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس
وقيل الا اولونا الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم وهو قابيل وهو من اول من سن القتل وانواع المعاصي

فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا يعني كما للمؤمنين شافعين من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم اي قريب
يشفع لنا يقولون ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق في المودة
مع موافقة الدين عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة
فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا
من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيمة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين
اي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين اي مع هذه الدلائل
والايات وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وتنوين وصف عزته رحيم قوله عز وجل
كذبت قوم نوح المرسلين اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف
قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم
جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبيا فقد كذب جميعهم اذ قال لهم اخوهم نوح يعني اخوهم في النسب
لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان مشهورا
عندهم بالامانة فاتقوا الله اي بطاعته وعبادته واطيعون اي فيما امركم به من الايمان والتوحيد
وما اسئلكم عليه من اجر اي جعل وجزا ان اجري اي ثوابي الا على رب العالمين قيل كرره ليوكده عليهم ويقرره في
نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الثاني الا تتقون
الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس
الغاغة وقيل هم الحاكة والاساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا يعملون اي ما اعلم اعمالهم
وصنايعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شي انما كلفت ان ادعوهم الى الله ومالي الا ظواهر امورهم
قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم
ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المؤمنين
اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير مبين اي اخوف من كذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو
البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين بالحجارة وهو اسوء
القتل وقيل من المشتومين قال رب ان قومي كذبون فافتح اي فاحكم بيني وبينهم فتحا اي حكما ونجني ومن معي
من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا
بعد الباقين اي بعد انجاء نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين اي امين على
الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين
وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهو العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع
المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم
هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا
مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماخذ الما يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم تبقون فيها خالدين
لا تموتون واذا بطشتم اي اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار

الذي

الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر
عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر
ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعمة الله عليهم اني اخاف عليكم
قال ابن عباس اي ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من الوعظ كلام يلين القلب
بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين قرئ بفتح الخا اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم
الخا واللام اي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم وما
نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا اي في الدنيا امنين من العذاب في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين
الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل
هو المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال
ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعتكم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا
امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة الذين يفسدون
في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم به قالوا انما انت من المسحرين
اي من المسحورين المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا
بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك فات باية على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين
يعني انك رسول الله الينا قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الما ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء اي بعقرها فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما راوا العذاب
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال
من بني آدم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني تتركون العضو المباح من النسا وتميلون الى ادبار
الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي مما
يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالى ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت
والنار فسا مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل
كذب اصحاب الايكة المرسلين اي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم
لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وهو مرسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كانت دعوة كل هولا الانبيا فيما حكى الله عنهم
على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ

الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس
اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة الاولين يعني الامم المتقدمين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا
وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا اي قطعا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي
اعلم بما تعملون يعني من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة
والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب
فيجدونها اشد حرا من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا انه
كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله
اعلم قوله عز وجل وانه يعني القرآن لتنزيل رب العالمين يعني انه فيه من اخبار الامم الماضية ما
يدل على انه من رب العالمين نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق
من الروح وسماه امينا لانه مؤتمن على وحيه الى انبيائه على قلبك يعني حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه
وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة
له يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب
واذا فرح القلب وحزن تتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب
على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل
والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين اي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
وانه يعني ذكر القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر اي كتب الاولين اولم يكن لهم اية ان يعلمه
يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني اسرائيل قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن
محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه صلى الله
عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن
على بعض الاعجمين جمع الاعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب ومعنى الاية لو انزلنا
القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين اي قالوا لا نفقه قولك وقيل معناه
لما امنوا به انفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس يعني ادخلنا الشرك والتكذيب في
قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي بالقرآن حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون اي لنؤمن ونصدق تمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله
عليه وسلم بالعذاب قالوا متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون افرأيت
ان متعناهم سنين اي لكفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون اي بتلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول
التمتع عنهم شيئا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي رسل ينذرونهم ذكرى
اي تذكرة وما كنا ظالمين اي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين يعني المشركين كانوا
يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك وما ينبغي لهم اي ان

ينزلوا

ينزلوا به القرآن وما يستطيعون اي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال انهم عن السمع لمعزولون
اي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم
الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين روى محمد بن اسحق بسنده
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك
الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين
فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت حتى جاءني جبريل فقال
يا محمد ان لا تفعل يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد
المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه
فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به فلما تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله
فاكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم
فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل
ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه
فايكم يوازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا نبي
الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون
ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع ق عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان
يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم
مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم
الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري
لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا
فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه ق عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله
شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك
من الله شيئا م عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق نبي الله
صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل
رجل رأى العدو فانطلق يربأ اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الاية ان الانسان اذا بدأ
بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع واخفض

اي لين جانبك لمن اتبعك من المومنين فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من المومنين قلت معناه لمن اتبعك من المومنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المومنين بالسنتهم وهم المنافقون فان عصوك اي فيما تامرهم به فقل اني بري مما تعملون اي من الكفر والمعاصي وتوكل على العزيز الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وفوض الى الله تعالى العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته الذي يراك حين تقوم اي الى صلاتك وقيل يراك اين ما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك وتقلبك في الساجدين قال ابن عباس اي ويرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه صلى الله عليه وسلم كان يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المومنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبيا من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبيا من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة انه هو السميع اي لقولك ودعائك العليم اي بنيتك وعملك هل انبيكم اي هل اخبركم على من تنزل الشياطين هذا جواب قولهم تنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى تنزل على كل افاك اي كذاب اثيم فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله يلقون السمع اي ما يسمعونه من الملائكة فيلقونه الى الكهنة واكثرهم كاذبون لانهم يخلطونه كذبا كثيرا قوله عز وجل والشعرا يتبعهم الغاوون قال اهل التفسير اراد شعرا الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يستمعون اشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون هجا المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفها الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفها فنزلت هذه الاية الم تر انهم في كل واد اي من اودية الكلام يهيمون يعني حائرين وعن طريق الحق جائرين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشي ثم يذمونه لانهم لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص على المعاني والقوافي وانهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شي صدر منهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا ثم استثنى شعرا المسلمين الذين كانوا يجيبون شعرا الكفار ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب ابن مالك فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد انزل في الشعرا ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذي والنسائي قال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضا وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم موتة وكانت عمرة القضا بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضا كانت سنة سبع ويوم موتة كانت سنة ثمان والله اعلم ق عن البرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك خ عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قايما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد ان لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عايشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يويدك بروح القدس لا يزال يويدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزا
هجوت محمدا برا تقيا ... رسول الله شيمته الوفا
فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقا
ثكلت بنيتي ان لم تروها ... تثير النقع من طرفي كدا
مبادين الاعنة مصعدات ... على اكتافها الاسل الظما
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النسا
فان اعرضتم عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطا
والا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشا
وقال الله قد ارسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفا
وقال الله قد يسرت جندا ... هم الانصار عرضتها اللقا
تلاقي كل يوم من معد ... سباب او قتال او هجا
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سوا
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفا

فصل

في مدح الشعر عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة عن ابن عباس قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود م عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون

اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها • امن ال نعم انت غاد • فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر • فانشده القصيدة الى اخرها وهي قريب من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجا ثم اوعد شعرا المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجا اي منقلب ينقلبون اي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير والله اعلم •

تفسير سورة النمل مكية

وهي ثلاث وقيل اربع وتسعون اية والف ومائة وتسعون واربعون كلمة واربعة الاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طس تلك ايات القران اي هذه ايات القران وكتاب مبين اي وايات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين اي هو هدى من الضلال وبشرى لهم بالجنة الذين يقيمون الصلاة اي الخمس بشرائطها ويؤتون الزكاة اي اذا وجب عليهم طيبة بها انفسهم وهم بالاخرة هم يوقنون يعني ان هولا الذين يعملون الصالحات هم المؤمنون بالاخرة ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم اي القبيحة حتى راوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله في القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق فيه العلم بما فيه من المضار والافات فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين اوليك الذين لهم سو العذاب اي اشده وهو القتل والاسر وهم في الاخرة هم الاخسرون اي انهم خسروا انفسهم واهليهم وصاروا الى النار وانك لتلقى القران اي تؤتاه وتلقنه وحيا من لدن حكيم اي حكيم عليم اي عليم فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف قوله عز وجل اذ قال اي اذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله اي امراته انكم سآتيكم بخبر عن الطريق وكان قد ترك الطريق او اتيكم بشهاب قبس الشهاب شعلة النار والقبس النار المقتبسة منها وقيل القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار لعلكم تصطلون اي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتا فلما جاها نودي ان بورك من في النار اي بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملايكة والمعنى بورك من في طلب النار وهو موسى ومن حولها وهم الملايكة الذين حول النار وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملايكة وذلك ان النور الذي راه موسى كان فيه ملايكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار وقال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك في النار ومن حولها وهم الملايكة وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار قال هو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في التوراة جا الله من سينا واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيه من سينا بعثه موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح منه ومن جبال فاران بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب

الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سو وعيب فقال تعالى وسبحان الله رب العالمين ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله والق عصاك تقديره فالقاها فصارت حية فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها ولى مدبرا اي هرب من الخوف ولم يعقب اي يرجع ولم يلتفت قال الله عز وجل يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو فاني غفور رحيم قيل هو ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الاية لا يخيف الله الانبيا الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التاويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة وفي الاية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثنا من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثنا من المتروك معناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو من الاستثنا المنقطع معناه لكن من ظلم من ساير الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سو فاني غفور رحيم اي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سو يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالى اراه اية اخرى فقال عز وجل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع الشمس او البرق من غير سو اي من غير برص في تسع ايات اي هذه اية من تسع ايات انت مرسل بهن فعلى هذا تكون الايات احدى عشر العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من اي تسع ايات فتكون اليد والعصا من التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الطاعة فلما جاتهم اياتنا مبصرة اي بينة واضحة يبصر بها قالوا هذا اي الذي نراه سحر مبين اي ظاهر وجحدوا بها اي انكروا الايات ولم يقروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم اي علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمايرهم ظلما وعلوا اي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جا به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني الغرق قوله عز وجل ولقد اتينا داود وسليمان علما اي علم القضا والسياسة وعلم داود تسبيح الجبال والطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب وقالا الحمد لله الذي فضلنا اي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على كثير من عباده المؤمنين اي اراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يوت علما او لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وعلمه وملكه دون ساير اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطي سليمان ما اعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان

وكان سليمان شاكرًا لنعم الله **وقال** يعني سليمان **يا ايها الناس علمنا منطق الطير** سمي صوت الطير منطقا
لحصول الفهم منه روي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا
لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح
صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بالي وصاح خطاف فقال اتدرون ما
يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال
فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملأ سماواته وارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه
يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعوا على العشار والحداة يقول كل شي هالك الا الله والقطا
يقول من سكت سلم والببغا يقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والباز
يقول سبحان ربي وبحمده والضفدع تقول سبحان المذكور بكل لسان **وعن** مكحول قال صاح دراج عند
سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر
سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله
ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشيا فان اخبرتنا امنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره
والديك في صعيقه والضفدع في نقيعه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج
قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع
فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار واما الفرس فانه يقول اذا
التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم
يا رازق واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم اولئك اليهود وحسن اسلامهم وروي عن
جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن علي رضي الله عنه قال اذا صاح النسر قال ابن ادم عش ما شئت
اخره الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي ال محمد واذا صاح
الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القاري وقوله **واوتينا من كل شي** اي مما اوتي
الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين
ان هذا لهو الفضل المبين اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي مشارق الارض
ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الانس والجن والشياطين والطير والدواب
والسباع واعطي مع هذا منطق كل شي وفي زمنه صنعت الصنايع العجيبة قوله تعالى **وحشر** اي وجمع **لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير** من الاماكن المختلفة في مسيره له **فهم يوزعون** اي يحبسون حتى يرد اولهم
على اخرهم قيل كان على جنوده وزعة وهم النقبا ترد اولها على اخرها لئلا يتقدموا في المسير قال محمد
ابن كعب القرظي كان عسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان
يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي
الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه
شمس

شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيامر الريح العاصف
فترفعه ثم يامر الرخا فتسير به واوحى الله اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد
من الخلايق بشي الا جاءت الريح فاخبرتك به قوله عز وجل **حتى اتوا على واد النمل** اي اشرفوا على واد النمل روي عن
كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور
عظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السما والارض واتخذ ميادين للدواب
فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل
اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي تكون في اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة راى حول البيت
اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك قال يا رب ابكاني ان هذا نبي من انبيائك
ومعه قوم من اوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني
سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر الزمان احب انبيائي الي واجعل فيك
عمارا من خلقي يعبدونني وافرض عليهم فريضة يزفون اليك كما تزف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى
ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بواد الدير واد
من الطايف فاتى على واد النمل كذا قال كعب وقيل انه بالشام وقيل بواد تسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل
ان ذلك النمل امثال الذباب وقيل كالنجاتي والمشهور انه النمل الصغير **قالت نملة** قيل كانت عرجا وقيل ذات
جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمي **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالادميين
فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك **لا يحطمنكم**
اي يكسرنكم **سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** قال اهل التفسير علم النمل ان سليمان نبي ليس فيه جبروت ولا
ظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا وطيوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لا يتكلم احد الا حملته
الريح حتى تلقيه في مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم فان قلت كيف يتصور
الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك
قالت النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم **فتبسم ضاحكا من قولها**
قيل اكثر ضحك الانبيا التبسم ومعنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله التبسم واخره الضحك **وعن** عايشة قالت ما
رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى لهواته انما كان يتبسم **عن** عبد الله بن الحارث بن جزء
قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك
سليمان قلت شان احدهما بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون
يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله ما لم يوت احدا من ادراكه سمعه ما قالته النملة وقيل ان
الانسان اذا راى او سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه **وقال رب
اوزعني** اي الهمني **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين** اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل **وتفقد
الطير** اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير **فقال ما لي لا ارى الهدهد** وكان سبب تفقده
الهدهد وسواله عنه لاخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فاصابته
الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه خاليا وروي عن ابن عباس ان الهدهد كان دليل سليمان على الما وكان

يعرف موضع الما ويرى الما تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر الارض ثم تجي الشياطين فيحفرونه
ويستخرجون قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما يقول ان الصبي منا
يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجي الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جا
حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الما
فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الما فقال ما لي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده
وهو لا يراه ثم ادركه الشك فقال **ام كان من الغايبين** اي الان وقيل بل كان من الغايبين ثم اوعده على غيبته
فقال **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من
غيره وقيل لاودعنه القفص ولاجمعنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه **او لاذبحنه او لياتيني بسلطان
مبين** اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما ان سليمان لما فرغ من بنا بيت المقدس
عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما
وافى الحرم اقام ما شا الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين
الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع
من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله لومة لايم قالوا فباي
دين ندين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار
الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا
وسار نحو اليمن فوافا صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا تزهر خضرتها فاحب النزول بها
ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السما انظر الى طول الدنيا وعرضها
ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا اذ راى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان اسم هدهد
سليمان يعفور وهدهد اليمن يعفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام
مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح
فمن انت قال عفير انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما
ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعماية ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة
الاف مقاتل ولها ثلثماية وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قايدا مع كل قايد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق
معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد اليماني
ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه
نزل على غير ما فسال عن الما الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعى بعريف الطير وهو النسر
فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه
الاية ثم دعى العقاب وهو اشد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فوقع العقاب في الهوى حتى نظر الى الدنيا
كالقصعة بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فراى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده
وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسو فقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي
بسو فتركه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين
نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك
نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال او لياتيني بسلطان مبين

قال بحوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به
يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا
منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا قال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي
الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم ساله ما الذي ابطاك عني فقال الهدهد ما اخبر الله
عنه في قوله **فمكث غير بعيد** اي غير طويل **فقال احطت بما لم تحط به** اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه
انت ولا جنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى خلقه قد احاط علما بما
لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشي علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم
وجيتك من سبا قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وقد جا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن سبا فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم
ستة وتشام اربعة **بنبا** اي بخبر **يقين** فقال سليمان وما ذاك قال **اني وجدت امراة تملكهم** هي بلقيس بنت
شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم وكان يملك
ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فخطب الى الجن فزوجوه
امراة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد
فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظبا فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب
ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فراى حيتين تقتتلان بيضا وسودا وقد ظهرت السودا على البيضا
فقتل السودا وحمل البيضا وصب عليها الما فافاقت فاطلقها فلما رجع الى داره جلس وحده منفردا فاذا معه
شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف انا الحية البيضا التي احييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا
وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته
فولدت له بلقيس وجا في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت
من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا اخر يقال انه ابن اخ الملك وكان
خبيثا اسا السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه
فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان
ابتديك بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال اهلي واخطبني فجمعهم وخطبها
فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت في فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في
اناس كثير من حشمها وخدمها فلما خلت سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت راسه وانصرفت الى منزلها من الليل
فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف لكريمته او كرايم عشيرته
ثم اريتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح
كان مكرا وخديعة منها ح عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم
بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة وقوله **واوتيت من كل شي** يعني ما يحتاج اليه الملوك من الالة والعدة
ولها عرش عظيم اي سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما راى من عظم ملك سليمان
قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله كما يتفق ان يكون لبعض
الامرا شي لا يكون للملك مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
وقوايمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين

ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان
طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وذلك انهم كانوا مجوسا يعبدون الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم المزين هو الله
لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب لاغوا فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق الذي هو دين
الاسلام فهم لا يهتدون اي الى الصواب الا يسجدوا قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس اسجدوا وتوافر
من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا
يعني الخفي المخبى في السموات والارض قيل خبا السموات المطر وخب الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون
والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو
قادر على ما في السموات والارض عالم بجميع المعلومات الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي هو المستحق للعبادة
والسجود لا غيره **فصل** وهذه السجدة من عزايم السجود يستحب للقاري والمستمع ان
يسجد عند قراتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف
عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا واما وصف عرش الله تبارك وتعالى فهو بالنسبة
الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر اصدقت
اي فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الما فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب
ثم ان سليمان كتب كتابا من سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع
الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين قيل لم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبيا كانوا
يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جواب لقول الهدهد وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا منهم فانظر ماذا
يرجعون اي يردون من الجواب وقيل تقديره الاية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف
الي فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا
فوجدها نايمة مستلقية على قفاها فقال وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك
كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة
وحولها القادة والوزرا والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب
في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت
لها فجا الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمي بالصحيفة
اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في
خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجات حتى
قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم الاشراف قال ابن عباس كان مع بلقيس ماية قيل مع كل قيل
ماية الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلثماية وثلاثة عشر رجلا كل رجل
منهم على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم قيل سمته
كريما لانه كان مختوما روي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس كريم
اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان وتبينت المكتوب فيه فقال وانه بسم

الله الرحمن الرحيم فان قلت لم تقدم اسم سليمان على الله تعالى قلت ليس هو كذلك بل ابتدا سليمان ببسم الله
الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم
ان لا تعلوا علي قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني
مسلمين اي طايعين مومنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني في امري اي اشيروا علي
فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون اي تحضرون قالوا يعني الملا مجيبين لها نحن
اولوا قوة اي في الجسم على القتال واولوا باس شديد اي عند الحرب وقيل ارادوا بالقوة كثرة العدد والباس
الشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال وتركه فانظري
ماذا تامرين اي تجدينا مطيعين لامرك قالت بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول اليه امره ان الملوك
اذا دخلوا قرية اي عنوة افسدوها اي خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبراها كي يستقيم
لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهي الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى
وكذلك يفعلون اي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو كالتاكيد لما قالت ثم قالت واني مرسلة اليهم بهدية
اي الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي واختبره بها املك هو ام نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان
كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وذلك ان بلقيس
كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفا ووصايف قال ابن عباس ماية وصيف وماية
وصيفة وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية غلام وخمسماية جارية فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية
والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم
اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسماية رمكة والغلمان على خمسماية برذون على كل
فرس سرج من الذهب مرصع بالجوهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت وارسلت بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة
وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب
عقل وراي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفا والوصايف واخبرنا بما
في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس
الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجواري ان يكلموه
بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب
فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب
فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب
والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا قدر تلك
اللبنات التي معهم وان يعملوا حول الميدان حايطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي دواب البر والبحر
احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب في البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي
قال علي بها الساعة فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق
كثير فاقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع اربعة الاف كرسي على يمينه وعلى شماله
وامر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان
ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التي لم يرى مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم وخبوا ما

معهم من الهدايا وقيل ان سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من
اللبنات فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما نظروا
الى الشياطين هالهم ما راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الجن والانس
والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقا حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره
رئيس القوم بما جاوا به واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتي بها فحركها فجاءه جبريل فاخبره بما فيها فقال
لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال
سليمان من لي بثقبها وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما
جاءت الارضة اخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يصير
رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط
في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك
ثم ميز بين الغلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء بيدها فتضرب بها الاخرى
وتغسل وجهها والغلام ياخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره
فميز بذلك بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله فقال تعالى **فلما جاء سليمان قال اتمدونني**
بمال فما اتاني الله اي ما اعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك **خير** اي افضل **مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون**
معناه لكم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا
من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد
ارجع اليهم اي بالهدية **فلناتينهم بجنود لا قبل** اي لا طاقة **لهم بها ولنخرجنهم منها** اي من ارض سبا **اذلة وهم صاغرون**
اي ان لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ما قال
قالت والله قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر
ما امرك وما الذي تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في اخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه
سبعة الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص
اليه احد ثم امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها توذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل
من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثير قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو
يسال عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان
وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده و**قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان**
ياتوني مسلمين قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مومنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة
الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان
سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه
صفته لما وصفه الهدهد وقيل اراد ان يعلم قدر ملكها لان قدر السرير على قدر المملكة **قال عفريت من الجن**
وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان وقيل هو صخر
المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه **انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك** اي مجلسك الذي تقضي فيه
قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى متسع النهار وقيل نصفه **واني عليه** اي على حمله
لقوي امين اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك **قال الذي عنده علم**

من

من الكتاب قيل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه اعلم بني اسرائيل
بالكتاب وكان الله قد اتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان
اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان ما لا يتاتى للعفريت قيل كان الدعاء
الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال
دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها قال ابن
عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو
اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدي سليمان
وقيل خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان
وقيل لما قال **انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك** قال سليمان هات قال انت النبي ابن النبي وليس
احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت
فلما راه يعني راى سليمان العرش **مستقرا عنده** اي محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف
قال هذا من فضل ربي يعني التمكن من حصول المراد **ليبلوني ااشكر** اي نعمته علي **ام اكفر** اي فلا اشكرها
ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر
قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة **ومن كفر فان ربي غني** اي عن شكره لا يضره ذلك الكفران **كريم**
اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة **قال نكروا لها عرشها** يعني غيروا
سريرها الى حال تنكره اذا راته قيل هو ان يزاد فيه وينقص منه وقيل انه جعل اسفله اعلاه وجعل مكان
الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر **ننظر اتهتدي** اي الى معرفة عرشها **ام تكون من الذين لا يهتدون**
اي الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان
يتزوجها سليمان فتفشي اليه اسرار الجن لان امها كانت جنية فاذا اولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان
وذريته من بعده فاساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار وانها
شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح **فلما جاءت قيل لها**
اهكذا عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل كانت حكيمة فلم
تقل نعم خوفا من الكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب ايضا فقالت كانه هو فعرف سليمان بذلك كمال عقلها
حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر العرش لانها تركته في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها
قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت **واوتينا العلم** اي بالله وبصحة نبوة سليمان
بالايات المتقدمة من امر الهدهد والرسل **من قبلها** اي من قبل الاية في العرش **وكنا مسلمين** اي منقادين طائعين
لامر سليمان وقيل قوله واوتينا العلم من قبلها هو من قول سليمان ومعناه واوتينا العلم بالله وبقدرته
على ما يشاء من قبل هذه المراة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا اشكر نعمة الله ان خصه بمزية العلم والتقدم
في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة وكنا مسلمين طائعين لله قوله عز وجل
وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه
وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه **انها كانت من قوم كافرين** اخبر الله انها
كانت من قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس **قيل لها ادخلي الصرح** وذلك ان

سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش اراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسالها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعراء الساقين فامر الشياطين فعملوا الصرح من زجاج ابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفا والوصايف فلما جلس على السرير دعى بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اي ماء عظيما وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره عنها وقال انه صرح ممرد اي مملس من قوارير اي زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح فظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم انه تزوجها وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المراة اني لم يمسني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ ولما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيها ولوا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك قالت ان كان لا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع اليمن ودعى زوبعة ملك جن اليمن وقال اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وتبينت الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معاشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا به شيا فاذا هم فريقان اي مومن وكافر يختصمون اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا قال يعني صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون الله اي بالتوبة اي من الكفر لعلكم ترحمون اي لا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لانه امسك المطر عنهم فقالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شومك وشوم اصحابك قال طائركم عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر فامر الله وهو مكتوب عليكم سمي طائرا لانه لا شي اسرع من نزول القضا المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم اي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السماء

بل انتم

بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط يعني من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة وراسهم قدار بن سالف قالوا تقاسموا بالله يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه اي لنقتلنه ليلا واهله اي وقومه الذين امنوا به ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اهله اي لا ندري من قتله ولا اهلاك اهله وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا اي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وقتله ومكرنا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم يعني التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية اي لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يقال ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون بانها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يعني من ادبار الرجال فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي قضينا عليها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا اي حجارة فسا اي فبئس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبيا والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقيل هم جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المومنين من السابقين واللاحقين آلله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله آمن من عبده وامن به من الهلاك والاصنام لم تغن شيا عن عابديها عند نزول العذاب ثم ان الله سبحانه وتعالى ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات والارض ذكر اعظم الاشيا المشاهدة الدالة على عظم قدرته والمعنى الله خير ام الذي خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال وانزل لكم من السما ما يعني المطر فانبتنا به حدائق اي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحاط عليها فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول انا المنبت للشجرة بان اغرسها واسقيها الما فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح تسقى بما واحد لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ولا يتاتى لاحد وان تاتى ذلك لغيره محال أاله مع الله يعني هل معه معبود اعانه على صنعه بل يعني ليس معه اله ولا له شريك هم قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى

الباطلا النوع الثاني قوله عزوجل امن جعل الارض قرارا اي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد
باهلها وجعل خلالها اي وسطها انهارا تطرد بالمياه وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين
يعني العذب والمالح حاجزا اي مانعا لئلا يختلط احدهما بالاخر االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اي توحيد
ربهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى امن يجيب المضطر اي المكروب المجهود وقيل الضرورة الحاجة
المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر اذا نزلت باحد بادر الى الالتجا والتضرع الى الله وقيل هو المذنب
اذا استغفر اذا دعاه يعني فيكشف ضره ويكشف السوء اي الضر لانه لا يقدر على تغير حال من فقر الى غنا ومن
مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ويجعلكم خلفا
الارض اي سكانها وذلك انه ورثهم سكانها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفا لكم وقيل
جعلكم خلفا الجن في الارض االه مع الله قليلا ما يذكرون اي يتعظون النوع الرابع قوله عزوجل امن
يهديكم في ظلمات البر والبحر اي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون النوع الخامس
قوله تعالى امن يبدوا الخلق اي نطفا في الارحام ثم يعيده اي بعد الموت ومن يرزقكم من السما يعني
بالمطر والارض يعني النبات االه مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم
صادقين قوله عزوجل قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله نزلت في المشركين حيث سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة والمعنى ان الله تعالى هو الذي يعلم الغيب وحده
ويعلم متى تقوم الساعة وما يشعرون ايان يبعثون يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض
وهم بنو ادم لا يعلمون متى يبعثون وان الله تفرد بعلم ذلك بل ادارك علمهم اي بلغ ولحق علمهم في الاخرة
ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الاخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا
وهو قوله بل هم في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو اعمى القلب قيل
معنى الاية ان الله اخبر انهم اذا بعثوا يوم القيمة يستوي علمهم في الاخرة وما وعدوا فيها من الثواب
والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ايذا
كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون اي من قبورنا احيا لقد وعدنا هذا اي هذا البعث نحن واباؤنا
من قبل اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشي ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن
عليهم اي على تكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين
اقتسموا اعقاب مكة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم اي
دنا وقرب لكم وقيل معناه ردفكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله تعالى
وان ربك لذو فضل على الناس يعني على اهل مكة حيث لم يعجل بهم العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون
اي ذلك وان ربك ليعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي من عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما من غايبة اي جملة غايبة من مكتوم سر وخفي امر وشي غايب في السما والارض الا في كتاب
مبين يعني في اللوح المحفوظ ان هذا القران يقص على بني اسرايل اي يبين لهم اكثر الذي هم فيه
يختلفون اي من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم على
بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا فيه وانه يعني القران لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي

بينهم

بينهم اي يفصل ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيمة بحكمه اي الحق وهو العزيز اي المنيع الذي
لا يرد له امر العليم اي باحوالهم فلا يخفى عليه شي منها فتوكل على الله اي ثق به انك على الحق المبين اي
البين انك لا تسمع الموتى يعني موتى القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين اي
معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع سوا اقبل او ادبر قلت هو تاكيد ومبالغة للاصم وقيل
ان الاصم اذا كان حاضرا فقد يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الاية
انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم وما
انت بهادي العمي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان
تسمع الا من يومن باياتنا اي الا من يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون اي مخلصون لله
قوله عزوجل واذا وقع القول عليهم يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم
وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم
وذلك في اخر الزمان قبل قيام الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة
احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها
فالاخرى على اثرها قريبا م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم
سليمان وعصى موسى فتجلوا وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا
يا مومن ويقول لهذا يا كافر ويقول هذا يا كافر ويقول هذا يا مومن اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر
فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا
طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشوا ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا
الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية
المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط
من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها
من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان
تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون
في الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن ويقال للكافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة
ابن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم
المساجد حرمة على الله بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وتنشق
الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدوا منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها
طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين
عينيه مومن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين
عينيه كافر وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي

هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال بيس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة
فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس
الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها
خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو
قال تخرج الدابة من شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليس بدابة لها
ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وساير خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة
كانوا يجحدون القران لا يوقنون وقوله تعالى **تكلمهم** اي بكلام عربي فصيح قيل تقول هذا مومن وتقول هذا
كافر وقيل تقول ما اخبر الله **ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** تخبر الناس ان اهل مكة لم يومنوا
بالقران والبعث وقرى تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح قال ابن الجوزا سالت ابن عباس عن هذه
الاية تكلمهم او تكلمهم قال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر قوله عز وجل **ويوم نحشر من كل امة فوجا**
اي يحشر كل فرق جماعة **ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون
الى النار **حتى اذا جاوا** يعني يوم القيمة قال الله تعالى لهم **اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما** اي
ولم تعرفوها حق معرفتها **امّاذا كنتم تعملون** اي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الاية اكذبتم باياتي غير
عالمين بها فلم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين **ووقع القول** اي وجب العذاب **عليهم بما ظلموا**
اي بما اشركوا **فهم لا ينطقون** اي بحجة وقيل لان افواههم مختومة **الم يروا انا جعلنا** اي خلقنا **الليل
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا** اي مضيا يبصر فيه وفي الاية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على
تقليب الضيا ظلمة والظلمة ضيا قادر على الاعادة بعد الموت **ان في ذلك لايات لقوم يومنون**
اي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور
هو الصور ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى بها
الاجساد **ففزع** اي فصعق **من في السموات ومن في الارض** اي ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا
وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام الى رب العالمين
وقوله الا من شا الله روي ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن قوله الا من شا الله قال
هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم لا يصل اليهم
الفزع وقيل يعني جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هولا الاربعة ويروى ان
الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك
ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكاييل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكاييل فياخذ
نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت
فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام
وجهك الباقي الدايم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق جناحه فيروى
ان فضل خلقه على ميكاييل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هولا الاربعة حملة
العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكاييل ثم ارواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق
احد الا الله سبحانه وتعالى طوى السموات كطي السجل للكتاب ثم يقول انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد

فيقول

فيقول تبارك وتعالى لله الواحد القهار **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ بقايمة
من قوايم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عز وجل ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله **وكل** اي الذين احيوا بعد الموت **اتوه** جاءوه
داخرين اي صاغرين قوله عز وجل **وترى الجبال تحسبها جامدة** اي قايمة واقفة **وهي تمر مر السحاب** اي تسير
سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شي عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته
وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو ساير كذلك سير الجبال يوم القيمة لا يرى لعظمها
كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه **صنع الله الذي اتقن كل شي** يعني انه تعالى لما قدم كل هذه الاشيا التي لا يقدر عليها
غيره جعل ذلك الصنع من الاشيا التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب **انه خبير بما يفعلون** قوله
تعالى **من جا بالحسنة** يعني بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة
عملها لله تعالى **فله خير منها** قال ابن عباس فمنها يصل الخير يعني انه له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو
الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا لانه لا شي خير من لا اله الا الله وقيل جزا الاعمال
والطاعات الثواب والجنة وجزا الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله اكبر
وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف
من تفضيل الرب تبارك وتعالى **وهم من فزع يوميذ امنون** فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع
من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا
من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب
فهم امنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد **ومن جا بالسيية**
يعني الشرك **فكبت وجوههم في النار** عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا او طرحوا جميعهم في النار **هل
تجزون الا ما كنتم تعملون** اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك قوله عز
وجل **انما امرت** يعني يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل انما امرت **ان اعبد رب هذه البلدة** يعني
امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين ساير البلاد
بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها لانها موطن نبيه ومهبط وحيه
الذي حرمها اي جعلها الله حرما امنا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيدها ولا يختلا خلاها ولا
يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من
الاصنام **وله كل شي** اي خلقا وملكا **وامرت ان اكون من المسلمين** لله المطيعين له **وان اتلو القران** اي وامرت
ان اتلو القران ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام على ما امر به **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه**
اي نفع اهتدايه يرجع اليه **ومن ضل** اي عن الايمان واخطا طريق الهدى **فقل انما انا من المنذرين** اي من المخوفين
وما علي الا البلاغ نسختها اية القتال **وقل الحمد لله** اي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة
والانذار **سيريكم اياته** اي الباهرة ودلايله القاهرة قيل هو يوم بدر وما اراهم من القتل والسبي وضرب الملايكة
وجوههم وادبارهم وقيل اياته في السموات والارض وفي انفسكم **فتعرفونها** اي تعرفون الايات والدلالات **وما
ربك بغافل عما تعملون** فيه وعيد لهم بالجزا على اعمالهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القصص وهي مكية

الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي
فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية واربعمائة واحد واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانمائة
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم تلك ايات اشارة الى ايات السورة الكتاب المبين قيل هو
اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال
والحرام والحدود والاحكام نتلوا عليك من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق لقوم يومنون
اي يصدقون بالقران ان فرعون علا اي تكبر وتجبر في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا
في انواع الخدمة والتسخير يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سماهم
استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفع الظلم عن انفسهم انه كان من المفسدين اي بالقتل والتجبر في الارض ونريد
ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني بني اسرائيل ونجعلهم ايمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل
ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين يعني املاك فرعون وقومه بان يخلفوهم في مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي
نوطئ لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
اي يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب
ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فاذا
خفت عليه اي الذبح فالقيه في اليم اي البحر واراد به نيل مصر ولا تخافي اي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا
تحزني اي على فراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا
على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر سلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان
نجاهم الله على يد نبيه موسى ذكر القصة في ذلك قال ابن عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت
قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت
لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور بين عيني
موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جيت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل
مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت
القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاوا الى بابها ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس
بالباب فلفت موسى بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا
التنور مسجور وراوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخل عليك القابلة قالت هي مصافية
لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فاين الصبي فقالت لا ادري
فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام
موسى لما رات الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف
التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين
بهذا التابوت فقالت ابن لي اخباه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل اخشى عليه كيد فرعون فلما
اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام
امسك الله لسانه فلم يطلق الكلام وجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم
اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم

ليخبرهم

ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فبقي حيران فجعل لله عليه ان رد
لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه ويحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فامن به وصدقه وقال وهب لما
حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله وذلك شيء ستره الله
تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن
ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت موسى فلم يتغير لونها ولم ينبو بطنها فكانت القوابل
لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم
واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم وهو البحر النيل قال ابن عباس وغيره كان لفرعون
يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان
بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا الا من قبل
البحر يوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرى من ذلك وذلك يوم كذا في ساعة كذا
حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امراته اسية بنت مزاحم واقبلت
بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ اقبل النيل
بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية
حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت اسية فرات في
جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا بصبي صغير في التابوت واذا النور بين عينيه
وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله محبته في قلب اسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت
فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فقبلته وضمته الى
صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا
رمي به في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله قالت اسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا اي فنصيب
منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي
فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لاسية سميه
قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل
فرعون الالتقاط وجود الشيء من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا اي عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي اثمين وقيل من الخطا ومعناه انهم
لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم وقالت امرات فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف اخطا
هذا الغلام الذبح وكانت اسية امراة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق
عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان يذبح الولدان هذه السنة
فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحياه فرعون والقى الله
محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت اسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابى
للشقا الذي كتبه الله عليه قوله عز وجل واصبح فواد ام موسى فارغا اي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى
وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي اوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان يلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني والعهد

الذي عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون
لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيته في البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه
وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلا ما كان من عهد الله اليها ان كادت لتبدي به اي لتصرح
بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وابناه وقيل لما رات التابوت ترفعه موج وتضعه اخر
خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى
ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي اوحي الله اليها ان يرده عليها
لولا ان ربطنا على قلبها اي بالعصمة والصبر والتثبيت لتكون من المومنين اي المصدقين بوعد الله اياها
وقالت لاخته اي لمريم اخت موسى قصيه اي اتبعي اثره حتى تعلمي خبره فبصرت به عن جنب اي عن بعد قيل كانت تمشي
جانبا وتنظر اختلاسا ترى انها لا تنظره وهم لا يشعرون اي انها اخته وانها ترقبه وحرمنا عليه المراضع المراد
به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه
كلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم من قبل اي من قبل مجي ام موسى وذلك لما رات اخت موسى
التي ارسلتها امه في طلبه ذلك فقالت يعني اخت موسى هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه
وهي امراة قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه وهم له ناصحون اي لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذائه
والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا
على اهله قالت ما اعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا
به وقيل قالوا لها من هم قالت امي قالوا ولامك ولد قالت نعم هارون وكان هارون ولد في السنة التي لا يقتل
فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت الى امها واخبرتها بحال ابنها وجات بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه
قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه
كي تقر عينها اي برد موسى اليها ولا تحزن اي لئلا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق اي برده اليها ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله وعدها ان يرده اليها ولما بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلاثين سنة
وقيل الاشد ثلاثة وثلاثون سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل اتيناه
حكما وعلما اي عقلا وفهما في الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين قوله عز وجل ودخل
المدينة يعني موسى والمدينة قيل هي منف من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها خانين على راس فرسخين من مصر
وقيل هي مدينة عين الشمس على حين غفلة من اهلها قيل هو نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل
دخلها ما بين المغرب والعشا قيل سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب
مراكب فرعون فقد ركب فرعون فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها وليس في طرقها احد وقيل كان لموسى
شيعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه فخالفهم في
دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خايفا مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما
ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته فخرج
منها فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره
لبعد عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يختصمان
ويتنازعان هذا من شيعته يعني من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط وقيل هذا مومن وهذا كافر وقيل الذي
كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فليثون وكان القبطي يريد ان يسخر الاسرائيلي

لحمل الحطب قال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من ال فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى
امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين
يقتتلان احدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني الاسرائيلي على الذي من
عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سال ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب
موسى واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من
قبيل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال
الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة فوكزه موسى اي
ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع فقضى عليه اي قتله وفرغ من
امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه في الرمل قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين
اي بين الضلالة في قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى عمل هذا المقتول من عمل الشيطان
والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان
وحزبه قال رب اني ظلمت نفسي اي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله والاعتراف
بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله فاغفر لي اي اترك هذا المندوب وقيل يحتمل
ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون ان عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي
اي استره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي فستره عن الوصول الى فرعون انه هو الغفور الرحيم
قال رب بما انعمت علي اي بالمغفرة والستر فلن اكون ظهيرا للمجرمين معناه فاني لا اكون معاونا لاحد من
المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس
لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي لم يقل فلن اكون ان شا الله فاصبح في المدينة التي قتل فيها القبطي
خايفا يترقب اي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يوخذ به فاذا الذي استنصره
بالامس يستصرخه اي يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا
فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر بموسى من
الغد فراى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه
بالامس من قتل القبطي قال له موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قاتلت بالامس رجلا فقتلته
بسببك وتقاتل اليوم اخر وتستغيثني عليه فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وذلك ان
موسى ادركته الرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالفرعوني فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به لما راى
من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس معناه
انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي بالامس حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك
وسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار
هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون
من المصلحين ولما افشى ان موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة
موسى يقال انه مومن ال فرعون واسمه حزبيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى وجاء رجل من اقصى
المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى يسبق الى موسى واخبره وانذره بما سمع قال يا موسى
ان الملا ياتمرون بك اي يتشاورون فيك وقيل يامر بعضهم بعضا بقتلك ليقتلوك فاخرج اي من المدينة اني لك

من الناصحين اي في الامر بالخروج فخرج منها يعني موسى خائفا اي على نفسه من آل فرعون يترقب اي ينتظر الطلب هل يلحقه فياخذه ثم لجا الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجا الا اليه فقال رب نجني من القوم الظالمين اي الكافرين قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وبنو مدين بن ابراهيم سميت البلدة باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا حذا ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى روي خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلا من الله تعالى لموسى قال يعني موسى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعى موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وهو بير كانوا يسقون منها مواشيهم وجد عليه اي على الماء امة اي جماعة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم اي سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة امراتين تذودان اي تحبسان وتمنعان اغنامهما عن الماء حتى تفرغ الناس ويخلو لهما البير وقيل يكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس وقيل يمنعان اغنامهما عن ان تشذ وتذهب والقول الاول اصح لما بعده وهو قوله قال يعني موسى للمراتين ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقي اي اغنامنا حتى يصدر الرعاء اي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امراتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض وابونا شيخ كبير اي لا يقدر ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه السلام وقيل يثرون بن اخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن امن لشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على راس بير اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البير وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا راس البير بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرووا فذلك قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل اي عدل الى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جايع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس سال الله فلقة خبز يقيم به صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سال الا الخبز فلما رجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فقال الله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرا وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحيا وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافيه وقيل لانها رسول ابيها قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جايعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المراة وموسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق اذا اخطات ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجايع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس

واكل

واكل فذلك قوله عز وجل فلما جاءه وقص عليه القصص اي اخبره بامره اجمع من خبره ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين قالت احداهما يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على راس البير ولا يرفعه الا عشرة وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك فقال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك اي ازوجك احدى ابنتي هاتين قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان تاجرني ثماني حجج اي تكون لي اجيرا الى ثمان سنين فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان اتممت الى عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك وما اريد ان اشق عليك اي الزمك بتمام العشر الا ان تتبرع قال ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي في حسن الصحبة والوفا بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته قال يعني موسى ذلك بيني وبينك اي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلي والامر على ذلك ايما الاجلين قضيت اي اي الاجلين اتممت وفرغت منه الثمان او العشر فلا عدوان علي اي لا ظلم علي بان اطالب باكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس شهيد بيني وبينك ح عن سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سيلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروي شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال الله ما هذا البكا اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقايك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيا لك لقايي يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته قال لها موسى اطلبي من ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كلما ولدت من هذا العام على غير شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال له اني قد وهبت لك من والدات اغنامي كل ابلق وبلقا في هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما اخطات منها واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقا فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامراته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام قوله عز وجل فلما قضى موسى الاجل اي اتمه وفرغ منه سار باهله وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم استاذنه في العود الى مصر فاذن له وسار باهله اي قاصدا الى مصر آنس اي ابصر من جانب الطور نارا وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي عن الطريق لانه كان قد اخطا

الطريق او جذوة من النار اي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه لعلكم تصطلون اي تستدفئون
فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى في البقعة المباركة جعلها
مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة من الشجرة اي من ناحية الشجرة قال
ابن مسعود كانت سمرة خضراء تبرق وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين قيل ان موسى لما راى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين
النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علما ضروريا
بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته
بجميع اجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وان الق عصاك
اي فالقاها فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية
السريعة الحركة ولى مدبرا اي هاربا منها ولم يعقب اي لم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا بلعتها
حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الامنين قوله تعالى اسلك يدك اي ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اي برص
والمعنى انه ادخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس واضمم اليك جناحك من الرهب اي من الخوف والمعنى
اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس امر الله
موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا
وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك واخفض عليك جاشك
لان من شان الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها
من كمك لانه تناول العصا ويده في كمه فذانك يعني العصا واليد البيضاء برهانان اي ايتان من ربك الى فرعون
وملايه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الحق قال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي فاخاف ان
يقتلون به واخي هارون هو افصح مني لسانا اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من
وضع الجمرة في فيه فارسله معي ردا اي عونا يصدقني يعني فرعون وقيل تصديق هارون هو ان يلخص لهم ذلك
ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه قال
سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به وكان هارون بمصر ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا
يصلون اليكما اي بقتل ولا سوء باياتنا وقيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما انتما ومن اتبعكما
الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي واضحات قالوا ما
هذا الا سحر مفترى اي مختلق وما سمعنا بهذا اي بالذي تدعونا اليه في اباينا الاولين وقال موسى ربي اعلم
بمن جا بالهدى من عنده اي يعلم المحق من المبطل ومن تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في الدار الاخرة
انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى ان يكون ما جاء به موسى من
توحيد الله وعبادته فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ لي الاجر وقيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به فاجعل
لي صرحا اي قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان
العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان
يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد

قتلت

قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه
فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة منها في البحر
وقطعة في المغرب فلم يبق احد عمل فيه شيئا الا هلك فذلك قوله لعلي اطلع الى اله موسى اي انظر اليه واقف على
حاله واني لاظنه يعني موسى من الكاذبين اي في زعمه ان للارض وللخلق الها غيري وانه ارسله واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا
لا يرجعون اي للحساب والجزاء فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم في البحر وهو بحر القلزم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني حين صاروا الى الهلاك وجعلناهم ايمة اي قادة ورؤساء يدعون الى
النار اي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيمة لا ينصرون
اي لا يمنعون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي خزيا وبعدا وعذابا ويوم القيمة هم من
المقبوحين اي المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله
عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعني قوم نوح وعاد و
ثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصاير للناس اي ليبصروا بذلك ويهتدوا به وهدى اي من الضلالة لمن عمل
به ورحمة اي لمن امن به لعلهم يتذكرون اي بما فيه من المواعظ وما كنت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي وما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه اذ قضينا
الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وما كنت من الشاهدين اي الحاضرين
ذلك المقام الذي اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا بعد موسى
امما فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الى موسى
وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون ونسوا تلك العهود
وتركوا الوفا بها وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين اي كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم اياتنا
تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين يعني
ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم
بها وما كنت بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا يعني موسى خذ الكتاب بقوة
وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شيت ناديت امته
واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم وقال ابن عباس قال
الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك
والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان
تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيمة بشهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة من ربك
اي رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغايبة عنك لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون واعلم ان الله تعالى لما بين قصة موسى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فجمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر
انزال التوراة حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اول امر موسى والمراد
بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه اعظم احوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال الدالة

على نبوته ومعجزة كانه قال في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك
قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم يعني من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا
لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين ومعنى الاية انهم يحتجون بترك الارسال
اليهم لما جعلنا لهم العقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار مكة لولا اي
هلا اوتي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى يعني من الايات كالعصا واليد البيضا وقيل اوتي كتابا جملة
واحدة كما اوتي موسى التوراة قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وذلك ان اليهود ارسلوا الى قريش
ليسالوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اليهود
الذين استخرجوا هذا السوال قالوا ساحران تظاهرا يعني التوراة والقران يقوي كل واحد الاخر وقيل يعني
محمدا وموسى وذلك ان مشركي مكة بعثوا الى روسا اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم
ان نعته في كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون يعني
التوراة والقران وقيل محمد وموسى قل يا محمد فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعني من التوراة والقران
اتبعه يعني الكتاب الذي تاتوا به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم صادقين فان لم
يستجيبوا لك اي ان لم ياتوا بما طلبت فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما
اثروا فيه اتباع ما هم عليه من الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا الايات القران يتبع بعضها بعضا
وقيل بينا لكفار مكة بما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر
الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون اي يتعظون الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القران هم به يومنون نزلت في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل بل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون
رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا
فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا
بها المسلمين فنزلت فيهم هذه الايات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل
الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال واذا
يتلى عليهم يعني القران قالوا امنا به انه الحق من ربنا وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل انا كنا من قبله مسلمين اي من قبل القران مخلصين لله التوحيد ومومنين بمحمد
صلى الله عليه وسلم انه نبي حق اولئك يوتون اجرهم مرتين يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الاخر بما
صبروا اي على دينهم وعلى اذى المشركين ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله
وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها
فله اجران ويدرءون بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل
يدفعون ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالعفو والصفح ومما رزقناهم ينفقون اي في الطاعة واذا
سمعوا اللغو اي القول القبيح اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون

تبا لكم

تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم
سلام عليكم ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم لا نبتغي
الجاهلين يعني لا نحب دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يومر
المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى انك لا تهدي من احببت اي هدايته وقيل احببته لقرابته
ولكن الله يهدي من يشا وكذلك الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان وهو
اعلم بالمهتدين اي بمن قدر له الهدى م عن ابي هريرة انك لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث يراود عمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون
انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ يعني عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الاية وقالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا يعني مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان
تخرجنا العرب من ارضنا مكة قال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا وذلك ان العرب كانت في الجاهلية تغير
بعضهم على بعض وتقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان امنا من
خطف الذياب والحمام من الحداة يجبى اليه اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر
والعراق واليمن ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك قوله
عز وجل وكم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر
فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين
يعني لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم وصار امرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فنا الخلق وما كان ربك
مهلك القرى يعني الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص
الاعظم ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في ام القرى وهي مكة رسولا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا يتلوا عليهم اياتنا يعني انه يودي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم
ان العذاب نازل بهم ان لم يومنوا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما
اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضا وما
عند الله خير وابقى لان منافع الاخرة خالصة عن الشوايب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة
بالقياس الى البحر العظيم افلا تعقلون اي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل
ولهذا قال الشافعي من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله
لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى افمن وعدناه وعدا
حسنا يعني الجنة فهو لاقيه اي مصيبه وصائر اليه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي ويزول عن
قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين اي النار وقيل هذا في المومن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله

عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وفي الوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاي قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة ربنا هولاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون معناه بري بعضهم من بعض وصاروا اعداء وقيل يعني الكفار ادعوا شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون معناه لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة ويوم يناديهم اي ينادي الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت عليهم الانباء يعني الاخبار والاعذار والحجج يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون اي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يتساءل بعضهم بعضا فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل القران على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله ان يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان لهم الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله نفسه فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة اي يحمده اولياوه في الدنيا ويحمدونه في الجنة وله الحكم اي فصل القضا بين الخلق وقال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة واليه ترجعون قوله عز وجل قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دايما الى يوم القيمة لا نهار فيه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة اي لا ليل معه من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه من الخطا وقيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الراحة والسكون لهما الا بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل فلذلك يدوم لهم الضيا ابدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اي يتعاقبان بالظلمة والضيا لتسكنوا فيه اي الليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار ولعلكم تشكرون اي نعم الله فيهما ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم المكذبة هاتوا برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد لله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل اقرا منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا عن ابن عمر ان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثيابه خيلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزاينه لتنوء بالعصبة اولي القوة معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اين ما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح اي لا تبطر ولا تاشر ولا تمرح ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن صاحبه عنه انتقالا وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه في رضا الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للاخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله اليك اي احسن بطاعة الله كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس ولا تبغ اي ولا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال يعني قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله عندي فراني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب انواع امواله وقيل كان علم حسن التصرف في التجارات والزراعات وانواع المكاسب قال الله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي للاموال ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسالون سؤال استعلام وانما يسالون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسال الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل فخرج على قومه في زينته قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة الاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي من المال وقال الذين اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون ويلكم ثواب الله اي ما عند الله من الثواب والجزاء خير لمن امن اي صدق بتوحيد الله وعمل صالحا اي ذلك خير مما اوتي قارون في الدنيا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ذكر قصة قارون قال اهل العلم بالاخبار والسير كان قارون اعلم

بني اسرايل بعد موسى وهارون واقراهم للتوراة واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول
طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيطا
اخضر كلون السما يذكرون به اذا نظروا الى السما ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب افلا تامرهم ان
يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بني اسرايل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير
فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله يامركم ان تعلقوا في
ارديتكم خيوطا خضرا كلون السما لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعلت بنو اسرايل ما امرهم به موسى واستكبر
قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدو عصيانه وبغيه
فلما قطع موسى بني اسرايل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة المذبح فكان بنو اسرايل ياتون بقربانهم
الى هارون فيضعه على المذبح فينزل نار من السما فتاكله فوجد قارون من ذلك في نفسه واتى الى موسى وقال
يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شي من ذلك فانا اقرا للتوراة لا صبر لي على هذا فقال
موسى ما انا جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى
روسا بني اسرايل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم
حتى اصبحوا فاصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى يا قارون
ترى هذا فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى
يداريه للقرابة التي بينهما وهو يوذيه في كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل
بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفايح الذهب وكان الملا من بني اسرايل يغدون اليه ويروحون
فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه
عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة على شاة وكذلك ساير الاشيا
ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرايل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل
شي فاطعتموه وهو يريد ان ياخذ اموالكم قالوا انت كبيرنا فمرنا بما شيت قال امركم ان تجيوا بفلانة البغي
فتجعلوا لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج اليه بنو اسرايل ورفضوه فدعوها فجعل
لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون امولك واخلطك بنساي
على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرايل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرايل ثم اتى الى موسى
فقال ان بني اسرايل ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فقال يا بني
اسرايل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امراة جلدناه مائة ومن زنا وله
امراة رجمناه حتى يموت فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرايل يزعمون انك
فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جات قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هولا وعظم عليها
وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرايل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها
احدث توبة افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي
فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك
فمرها بما شيت فقال موسى يا بني اسرايل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت
مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم
الارض باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم

الى الركب

الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق واصحابه في
كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك
لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك
استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته وفي بعض الاثار لا اجعل
الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم
القيمة واصبحت بنو اسرايل يتحدثون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه
واموله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه واموله الارض فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره
الارض فما كان له من فية اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين اي
الممتنعين مما نزل به من الخسف واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صاروا اوليك الذين تمنوا ما رزق
من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمني يقولون ويك اي الم تعلم وقيل الم تر وقيل هي كلمة تقرير كقولك
اما ترى الى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك ومعناه ويلك اعلم ان الله وقيل وي منفصلة
من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكان معناها اظن ذلك واقدره
ان الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر اي يوسع لمن يشا ويضيق على من يشا لولا ان من
الله علينا اي بالايمان لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان وقيل علوا اي استطالة على الناس وتهاونا
بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي انها نزلت في اهل التواضع من الولاة واهل القدرة
ولا فسادا قيل الدعا الى غير عبادة الله وقيل اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي والعاقبة
للمتقين اي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من
جا بالحسنة فله خير منها ومن جا بالسيية فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون تقدم
تفسيره قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران اي انزل عليك القران وقيل معناه اوجب عليك العمل
بالقران لرادك الى معاد قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف
فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق
مخافة الطلب فلما امن ورجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها
فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك
القران لرادك الى معاد وهذه الاية نزلت في الجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس في رواية
اخرى لرادك الى معاد الى الموت وقيل الى القيمة وقيل الى الجنة قل ربي اعلم من جا بالهدى هذا جواب لكفار مكة
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي اعلم من جا بالهدى يعني نفسه
ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب اي يوحى اليك القران الا رحمة من ربك اي لكن رحمك ربك فاعطاك القران فلا تكونن
ظهيرا اي معينا للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابايه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم
على ما هم عليه ولا يصدنك عن ايات الله يعني القران بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك اي الى معرفته
وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الاها اخر معناه انه واجب على الكل الا انه

حاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من ان يدع مع الله الها
اخر فما فايدة هذا النهي قلت الخطاب معه والمراد غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا في امورك كلها ولا تعتمد
على غيره لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه اي فان الا وجهه اي الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا
ما اريد به وجهه لان كل عمل اريد به غير الله فهو هالك له الحكم اي فصل القضا بين الخلق واليه ترجعون
اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم والله اعلم

تفسير سورة العنكبوت مكية

وهي اخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس وهي تسع وستون اية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة واربعة
الاف وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم احسب اي اظن الناس ان يتركوا
اي بغير اختبار ولا ابتلا ان اي بان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم
ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الاية في اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام
فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى
المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الايتين وقال ابن عباس اراد
بالناس الذين امنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل
في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعا الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته
فانزل الله هذه وقيل معنى لا يفتنون اي بالاوامر والنواهي وذلك ان الله عز وجل امرهم في الابتدا بمجرد الايمان
ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير الشرايع فشق ذلك على بعض الناس فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم
فقال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبيا والمومنين فمنهم من نشر بالميشار ومنهم من قتل وابتلي بنو ا
سرايل بفرعون فكان يسومهم سو العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم وليعلمن الكاذبين
والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوما وقيل
فليرين وقيل فليميزن الله وقيل ان علم الله صفته يظهر فيها كل ما هو واقع قوله تعالى ام حسب الذين يعملون
السيات يعني الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم سا ما يحكمون اي بيس ما حكموا حين
ظنوا ذلك من كان يرجوا لقا الله قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب
الله فان اجل الله لات يعني ما وعد من الثواب والعقاب وقيل يوم القيمة لكاين والمعنى ان من يخشى الله او
يامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم وهو السميع العليم اي بما يعمله العباد من الطاعة والمعصية
فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له ثوابه وهذا الحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق
فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس
ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف اما البشارة لانه اذا كان غنيا
عن الاشيا فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عباده لا شي عليه لاستغنايه عنه وهذا يوجب الرجا التام واما
التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شي عليه لاستغنايه عنهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة من لم يعملها والتكفير اذهاب السيئة
بالحسنة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم اكثر مما عملوا

قوله

قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان
بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الاية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن ابي
وقاص وهو ابو اسحق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان
من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا اكل ولا اشرب
حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة
لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر وليلة فجاها ابنها سعد وقال
يا اماه لو كانت لك ماية نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شيت وان شيت فلا تاكلي فلما ايست
منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فلذلك
قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وجا في الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد
بالمصير اليه فقال تعالى الي مرجعكم فانبيكم اي فاخبركم بما كنتم تعملون اي بصالح اعمالكم وسييها فاجازيكم عليها
والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل
في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي اصابه
بلا من الناس افتتن جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة والمعنى
انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله
رجع عن الدين وكفر ولين جا نصر من ربك اي فتح ودولة للمومنين ليقولن يعني هولا المنافقين انا كنا معكم اي على
عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله فقال تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين اي من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلا وليعلمن
المنافقين اي بترك الاسلام عند البلا قيل نزلت هذه الاية في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا
من الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين
نزلت فيهم الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الايات العشر من اول السورة الى ها هنا مدنية وباقي
السورة مكية وقال الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان للذين امنوا اي من قريش اتبعوا سبيلنا
يعني ديننا وملة ابائنا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ولنحمل خطاياكم اي اوزاركم والمعنى ان
اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون
اي في قولهم نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم اي اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزار
من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي
وقال ها هنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطية بل كل
واحد خطيه نفسه ورؤسا الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب ضلال غيرهم فهو كقوله صلى
الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيية كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص
من اوزارهم شي رواه مسلم وليسيلن يوم القيمة عما كانوا يفترون اي سوال تقريع وتوبيخ لانه تعالى عالم
باحوالهم وافتراهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم اي اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله
وتوحيده الف سنة الا خمسين عاما فان قلت ما فايدة هذا الاستثنا وهلا قال تسع ماية وخمسين سنة
قلت فيه فايدتان احدهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه وقد يطلق به التقريب فهو كقول القايل عاش
فلان ماية سنة فقد يتوهم السامع انه يقول ماية سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال ماية سنة الا شهرا

او الاسنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي البيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا
كبيرا او اعلى مراتب العدد الف وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم وافخم وهذه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبيا قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعوا قومه فصبر في
الدعا ولم يومن من قومه الا القليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من امن من امتك قال ابن عباس بعث
نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر
الناس فكان عمره الفا وخمسين سنة وقيل في عمره غير ذلك وقوله فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم ظالمون
قال ابن عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة
للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله عز وجل وابراهيم اي وارسلنا
ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير
لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا وقيل
تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون
ان يرزقوكم فابتغوا عند الله الرزق اي اطلبوا عند الله الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحدوه
واشكروا له اي لانه المنعم عليكم بالرزق اليه ترجعون اي في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي مثل قوم
نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكوا وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى اولم يروا قيل هذه الايات
الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان يكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة
ابراهيم وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم اولم يروا اي يعلموا كيف يبدي الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم
مضغة ثم يعيده اي في الاخرة عند البعث ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في
الارض فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم ثم الله ينشي النشاة الاخرة
اي ثم الله الذي خلقهم ينشيهم نشاة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبديا كذلك لا يتعذر
عليه انشاوهم معيدا بعد الموت ثانيا ان الله على كل شي قدير اي من البدو والاعادة يعذب من يشا عدلا منه
ويرحم من يشا تفضلا واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما قيل معناه ولا من
في السما بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السما في السما وقيل معنى قوله ولا في السما اي لو كنتم
وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين كفروا بايات الله يعني القران
ولقايه اي البعث اوليك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واوليك لهم عذاب اليم فهذا اخر الايات في تذكير اهل مكة
ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
اي قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الروسا للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها
عليه بردا وسلاما قيل ان في ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لايات لقوم يومنون اي يصدقون
وقال يعني ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي ثم تنقطع ولا
تنفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي تتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة
وماواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين من عذابه فامن له لوط اي
صدقه برسالته لما راى معجزته وهو اول من صدق ابراهيم واتا في اصل التوحيد فانه كان مومنا لان الانبيا لا
يتصور منهم الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي اي حيث امرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة

الي حران

الي حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله ونزل بلده وسار الى حيث امره الله
بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو العزيز اي الذي يمنعني من اعداي الحكيم اي الذي
لا يامرني الا بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يقال
ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا هو الثنا الحسن فكل اهل الاديان
يتولونه ويحبونه ويصلون عليه والذرية الطيبة والنبوة في نسله هذا له في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه انكم
لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر
الفاحشة فقال ايكم لتاتون الرجال يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك
انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون
سبيل النسل بايثار الرجال على النسا وتاتون في ناديكم اي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم المنكر
عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل
الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الحذف رمي الحصاة بين الاصابع وقيل انهم كانوا
يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به
وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل كانوا
يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان من اخلاق قوم لوط مضغ
العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازرار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية فما كان جواب
قومه اي لما انكر عليهم لوط ما ياتونه من القبائح الا ان قالوا يعني استهزا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم قوله
تعالى ولما جات رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني بن الله باسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله
ان فيها لوطا قالوا يعني قالت الملايكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي من
الباقين في العذاب ولما ان جات رسلنا لوطا سي بهم اي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاه ما ساه
وضاق بهم ذرعا اي عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك
واهلك اي انا مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا اي عذابا من السما قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اي من قريات قوم لوط اية
بينة اي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون اي يتدبرون الايات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الاية البينة اثار
منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوايل هذه الامة وقيل هي ظهور الما الاسود
على وجه الارض قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين ومدين هو اسم رجل وقيل هو اسم للمدينة فعلى القول
الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول الثاني يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين اخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر وقيل معناه اخشوا
اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل
صاح فرجفت الارض فاصبحوا في دارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا
وثمودا وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادتهم

لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلا ذوي بصاير وقيل كانوا معجبين
في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون
وفرعون وهامان اي واهلكنا هولا ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في
الارض وما كانوا سابقين اي فايتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم
لوط رموا بالحصبا وهي الحصبا الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض
يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بالهلاك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بالاشراك قوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا يعني الاصنام يرجون
نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوها لا يدفع
عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد
بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص
او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا
استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى
ضعفه فان الريح اذا هبت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله
يعلم ما يدعون من دونه من شي هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين يدعون من دونه ليس بشي وهو
العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة العزيز الحكيم القادر على كل شي ويشتغل بعبادة ما ليس
بشي اصلا وتلك الامثال اي الاشباه يعني امثال القران التي شبه بها احوال الكفار وهذه الامة باحوال كفار
الامم المتقدمة نضربها اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال الا العلما
الذين يعقلون عن الله عز وجل روي البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
تلى هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتناب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية اي دلالة للمومنين
على قدرته وتوحيده قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران واقم الصلاة فان قلت لم امر بهذين الشيين
تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق
ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان
يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية ممكنا التكرار فلذلك امره بهما ان الصلاة
تنهى عن الفحشا اي ما قبح من الاعمال والمنكر اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومز
دجر عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال
الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة
جره ذلك الى ترك السيات كما روي عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته
تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الاية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشا والمنكر
ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القران وفيه ضعف لتقدم ذكر القران وعلى هذا يكون
معناه ان القران ينهاه عن الفحشا والمنكر كما روي عن جابر قال قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرا

القران الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراته وفي رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار
ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كلا الحالين فان المراعي للصلاة لا بد وان يكون ابعد عن الفحشا
والمنكر ممن لا يراعيها وقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي انه افضل الطاعات عن ابي الدردا قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطا الذهب
والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله
اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل اي العباد افضل درجة
عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب
بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال
الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروي المفردون بتشديد الراو وتخفيفها والتشديد اشهر يقال فرد
الرجل بتشديد الرا اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر
الله لا يخلطون به غيره م عن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملايكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده
وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله تعالى
وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون
اي لا يخفى عليه شي من امركم قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي لا تخاصموهم الا بالتي هي احسن اي
بالقران والدعا الى الله باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية منهم وقوله الا الذين ظلموا منهم
اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين
ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الاية منسوخة باية السيف وقولوا اي
للذين قبلوا الجزية اذا اخبروكم بشي مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله
وما انزل اليكم الاية قوله عز وجل وكذلك اي كما انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم
الكتاب يومنون به يعني مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن هولا يعني اهل مكة من يومن
به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم والقران حق فجحدوا
والجحود انما يكون بعد المعرفة وما كنت تتلوا يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك
الكتاب ولا تخطه بيمينك اي لا تكتبه والمعنى لم تكن تقرا ولا تكتب قبل الوحي اذا لارتاب المبطلون معناه
لو كنت تقرا قبل الوحي لشك المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقراه من كتب الاولين وينسخه منها وقيل
المبطلون هم اليهود ومعناه اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرا ولا يكتب
وليس هذا على ذلك النعت بل هو ايات بينات يعني القران في صدور الذين اوتوا العلم يعني المومنين
الذين حملوا القران وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذوا ايات بينات في صدور الذين اوتوا
العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود

وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه آيات من ربه اي كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد بالآيات معجزات
الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك قل انما الآيات عند الله اي هو القادر على انزالها
اذا شاء انزلها وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا
هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه آية من ربه قال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه
ان القرآن معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الازمان والدهور ثابتة لا
تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها ان في ذلك يعني انزال القرآن لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون اي تذكير
وعظة لمن آمن به وعمل به قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه
عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض اي هو المطلع
على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه خافية والذين آمنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل
بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل وكفروا بالله فان قلت من آمن بالباطل فقد
كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول
القائل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي المغبونون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث حين قال
فامطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم
واوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم
العذاب وليأتينهم يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون اي باتيانه يستعجلونك بالعذاب
اعاده تأكيدا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها يوم يغشاهم العذاب
اي يصيبهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى
يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى
ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها فاخرجوا منها ان ارضي يعني المدينة واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم
تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك
الخروج وقيل معنى فهاجروا فيها اي فجاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاهربوا منها فان
ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي
ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيأ له العبادة وقيل معنى ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا
كل نفس ذائقة الموت اي كل احد ميت خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت
ثم الينا ترجعون فنجزيكم باعمالكم قوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
اي علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين اي لله بطاعته الذين
صبروا اي على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى
المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على الله في
جميع امورهم قوله عز وجل وكأين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين
الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا
مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة اي ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها
معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير الله يرزقها واياكم اي حيث كنتم وهو السميع اي لاقوالكم

العليم

العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول
النهار جياعا ضامرة البطون وترجع آخر النهار شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس
شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفارة والنملة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها
الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من
الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته
قوله تعالى ولئن سألتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ذكر امرين احدهما اشارة الى
ايجاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون
عن عبادة الله مع اقرارهم بانه خلق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما ذكر الخلق ذكر
الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل
والاحسان والطول والامتنان ويقدر له اي يضيق له اذا شاء ان الله بكل شيء عليم اي يعلم مقادير الحاجات
ومقادير الارزاق ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ذكر سبب
الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى قل الحمد لله اي على ان الفاعل لهذه الاشياء
هو الله وقيل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة لهم بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم
بانه خالق هذه الاشياء قوله عز وجل وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات
الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه ولا يهمه واللعب العبث وفي هذا تصغير الدنيا وازدراؤها ومعنى الآية
ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وموتهم وتقلبهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار
الآخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها لو كانوا يعلمون فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما
آثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا
ركبوا في الفلك وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجأوا الى الله تعالى بالدعاء
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد قيل كان اهل الجاهلية اذا
ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتد الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما آتيناهم اي
ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم ومعناه التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع
بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد
لهم قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا واهل
مكة آمنون افبالباطل يعني الشيطان والاصنام يؤمنون وبنعمة الله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فزعم ان له شريكا وانه منزه عن الشركاء او كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه اما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم قوله عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا اي لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل
لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضى الله تعالى قال سفيان بن عيينة
اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل
المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم

سئل العمل قال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين
جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا **وان الله لمع المحسنين** اي بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب في عقباهم
والله اعلم

تفسير سورة الروم وهي مكية

وهي ستون اية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة واربع وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الم غلبت الروم في ادنى الارض** سبب نزول هذه الاية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس
والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون
غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربراز وبعث
قيصر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت
فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى
اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن
عليكم فانزل الله هذه الايات فخرج ابو بكر الصديق الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا ولا يقر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب
يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة على
عشر قلايص وعشر قلايص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل
ثلاث سنين فجا ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي
ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال ازايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين
وقيل الى سبع فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابا بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج
من مكة فاقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي
بكر فلزمه وقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة
ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك على راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق
مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة
وغيره ان شهربراز لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مداينهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان جالس
ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهربراز اذا
اتاك كتابي هذا فابعث الي براس فرخان فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو
فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا
الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع الى البريد صحيفة صغيرة وامره
فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى
شهربراز عرض عليه كتاب كسرى فلما قراه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان
فدفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما قراها استدعى باخيه شهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل

حتى اكتب

حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه منه ثلاث صحايف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت
تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه شهربراز فكتب الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة
لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة
الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه فاخبروه
انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة ديباج فدخلاها ومع كل واحد منهما سكين ودعا
بترجمان بينهما فقال شهربراز ان الذي خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا
واراد ان اقتل اخي فابيت عليه ثم امر اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك قال قد اصبتما
ثم اشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت
الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية ففرح من كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض
يعني اقرب ارض الشام الى فارس قيل بين اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة **وهم من بعد غلبهم** اي فارس
عليهم **سيغلبون** اي الروم الفارس **في بضع سنين** البضع ما بين الثلاث الى السبع وقيل الى التسع وقيل
ما دون العشرة **لله الامر من قبل ومن بعد** اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله
وقضائه وقدره **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** اي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك **ينصر من يشاء** اي
بيده النصر ينصر من يشا **وهو العزيز** اي الغالب **الرحيم** اي بالمؤمنين قوله تعالى **وعد الله** اي وعد الله وعدا
بظهور الروم على فارس **لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي ان الله لا يخلف وعده ثم قال
تعالى **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** يعني امر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون
ويحصدون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون
الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل
يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناها **وهم عن الاخرة هم غافلون** اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا
يعملون بها قوله عز وجل **اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق** يعني لاقامة
الحق **واجل مسمى** اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيمة **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون**
اولم يسيروا في الارض اي يسافروا فيها **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** اي ينظروا الى مصارع الامم
قبلهم فيعتبروا **كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها** اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني الامم
الخالية **اكثر مما عمروها** يعني اهل مكة **وجاتهم رسلهم بالبينات** اي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله **فما كان الله ليظلمهم**
اي ينقص حقوقهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** اي ببخس حقوقهم **ثم كان عاقبة الذين اساءوا** اي اساءوا العمل
السوءى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوءى اسم لجهنم ومعنى الاية ان عاقبة الذين عملوا **النار ان**
كذبوا اي لان كذبوا وقيل معنى الاية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا **بايات الله**
وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى **الله يبدؤا الخلق ثم يعيده** اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء **ثم**
اليه ترجعون اي فيجازيهم باعمالهم **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** معناه انه يياس من كل خير وقيل
ينقطع كلامهم وحجتهم وقيل يفتضحون **ولم يكن لهم من شركائهم** يعني اصنامهم التي عبدوها **شفعاء** اي يشفعون لهم **وكانوا**
بشركائهم كافرين اي جاحدين متبرئين يتبرءون منها وتتبرا منهم **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** بينهم

اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا
قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اي في جنة وقيل الروضة البستان الذي في غاية
النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع
في الجنة قال الاوزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع
سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وسئل رجل ابا هريرة هل لاهل
الجنة من سماع قال نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمرها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث
الله ريحا فيحاوب بعضها بعضا فما سمع احد احسن منه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اي البعث يوم القيمة فاولئك في العذاب محضرون قوله تعالى فسبحان الله اي فسبحوا الله ومعناه صلوا
لله حين تمسون اي تدخلوا في المسا وهو صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة
الصبح وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له وعشيا اي وصلوا
لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق
لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس
ومواقيتها واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك ان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر
ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه يحتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه
العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد
ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة فاذا صلى الانسان
الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما سبح السبع عشرة ساعة من الليل والنهار وبقي عليه سبع ساعات من جميع الليل
والنهار وهي تعدل النوم والنايم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة فصل
في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة
مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي
سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال وزاد عليه اخرجهما
الترمذي وقال فيهما حسن صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث
اخر حديث في صحيح البخاري م عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها ثم رجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا
منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكل ما قلت لوزنتهن سبحان الله
وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكسب في كل يوم الف حسنة فسال سايل من جلسايه كيف يكسب الف
حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ذلك حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفي غير رواية مسلم ويحط بغير
الف قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي يخرج النطفة ويخرج البيضة من الدجاجة وقيل يخرج
المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض بعد موتها اي بالمطر واخراج النبات منها وكذلك تخرجون
اي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور احيا للبعث والحساب ومن اياته ان خلقكم من تراب اي خلق
اصلكم وهو ادم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا

اي من جنسكم من بني ادم وقيل خلق حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها اي لتميلوا الى الازواج وتالفوهن وجعل بينكم
مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة تعرفه ولا قرابة ولا
سبب يوجب التعاطف وما شي احب الى احدهما من الاخر من غير رحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون اي في عظمة الله وقدرته ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم يعني اختلاف
اللغات من العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا يكاد يسمع منطقين
متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حايط يعرف كل واحد منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت احد صوت الاخر والوانكم
اي ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو ادم
والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الصور
والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب
الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي
ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اي لعموم العلم فيهم ومن اياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاوكم من فضله اي منامكم بالليل للراحة وابتغاوكم من فضله وهو طلب اسباب
للعيشة بالنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي سماع تدبروا اعتبار ومن اياته يريكم البرق خوفا
اي للمسافر لينتفع للمطر وطمعا اي للمقيم لينتفع المحتاج اليه من اجل الزرع وتسويه طرف الصانع وينزل
من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي قدرة الله وانه القادر عليه
ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره قال ابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل بدوم قيامهما بامره
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض قال ابن عباس من القبور اذا انتم تخرجون اي منها وقيل معنى الاية ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون من الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون اي مطيعون قال
ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدو الخلق
ثم يعيده اي يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو اهون عليه اي هو هين عليه وما من شي عليه بعزيز
وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشا وقيل هو اهون
على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان
يصيروا رجالا ونسا وهو رواية عن ابن عباس وله المثل الاعلى اي الصفة العليا قال ابن عباس هي ليس كمثله شي
وقيل هو انه لا اله الا هو في السموات والارض وهو العزيز اي في ملكه الحكيم اي في خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا اي
بين لكم شبها يحاكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اي عبيدكم واماكم من
شركا فيما رزقناكم اي من المال فانتم فيه سوا اي يشارككم عبيدكم في اموالكم التي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم
اي تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامر دون شريكه
وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا
فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان يكون الهتكم التي تعبدونها شركاي وهم
عبيدي كذلك نفصل الايات اي الدلالات والبراهين والامثال لقوم يعقلون اي ينظرون في هذه الدلايل
والامثال بعقولهم بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا بالله اهواهم اي في الشرك بغير علم جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي
من اضل الله اي عن طريق الهدى وما لهم من ناصرين اي ما نعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى فاقم وجهك
للدين اي اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده

حنيفا اي مائلا اليه مستقيما عليه فطرة الله اي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها
قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم يقول اقروا فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين
القيم زاد البخاري فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا
ثم يقول ابو هريرة اقروا فطرة الله التي فطر الناس عليها الاية وفي رواية قالوا يا رسول الله افرايت من يموت
صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم
بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان
عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في
احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه
فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
اخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال
معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلق عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة
فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان
يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا الخلقة
على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا
الدين موجود حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لافة من افات النشو والتقليد
فلو سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لابائهم والميل الى اديانهم فتزول
بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا اي كما تلد البهيمة بهيمة
مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله هل تحسون فيها من جدعا اي هل تشعرون وتعلمون فيها من جدعاء هي
المقطوعة الاذن او الانف وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الاية الزموا
فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق الله وهو ما جبل عليه الانسان من السعادة
والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الاية في تحريم اخصاء البهائم ذلك الدين القيم
اي المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه اي فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه
لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم تدخل فيه الامة والمعنى راجعين اليه بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة واتقوه
اي ومع ذلك فخافوه واقيموا الصلاة اي داوموا على ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة
كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما عندهم قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا
ربهم منيبين اليه اي مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خصبا ونعمة اذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف
تعلمون اي حالكم في الاخرة ام انزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم اي
ينطق بما كانوا به يشركون اي بشركهم ويامرهم به واذا اذقنا الناس رحمة اي الخصب وكثرة المطر فرحوا
بها اي فرح بطر وان تصبهم سيئة اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء بما قدمت ايديهم اي من السيئات
اذا هم يقنطون اي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند

الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون تقدم تفسيره
قوله عز وجل فات ذا القربى حقه اي من البر والصلة والمسكين اي حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل اي
اي المسافر وقيل هو الضيف ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واولئك
هم المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اي اعطيتم من ربا ليربوا في اموال الناس اي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها
قيل في معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه اكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة
وهو المراد بقوله تعالى فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن
تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله
وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله فلا يربوا
عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله وما اتيتم من زكاة اي اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله اي بتلك
الصدقة فاولئك هم المضعفون اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف ذو
الاضعاف من الحسنات الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
سبحانه وتعالى عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اي بسبب الشرك والمعاصي ظهر
قحط المطر وقلة النبات في البر اي البوادي والمفاوز وقلة الثمار في البحر قيل المداين والقرى التي على المياه الجارية
والعرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو
المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء
المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا بما كسبت ايدي الناس اي بسبب شوم ذنوبهم قال
ابن عباس الفساد في البر قتل ابن ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة
مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل
قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا
وقيل ان الارض امتلات ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس
وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض الذي عملوا اي عقوبة الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون
اي عن الكفر واعمالهم الخبيثة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي لتروا منازلهم
ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل فاقم وجهك للدين القيم اي لدين
الاسلام من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الخلق يومئذ يصدعون
اي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس
ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم انه لا يحب الكافرين فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى ومن اياته ان يرسل
الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر وليذيقكم من رحمته اي بالمطر وهي الخصب ولتجري الفلك في البحر بهذه الرياح
بامره ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون اي هذه النعم قوله عز وجل
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا
من الذين اجرموا اي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي مع انجائهم من العذاب فيه
تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة

ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا أي تزعجه فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء ويجعله كسفا أي قطعا متفرقة فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من وسطه فإذا أصاب به أي بالودق من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون أي يفرحون بالمطر وإن كانوا أي وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي آيسين فانظر إلى آثار رحمة الله أي المطر والمعنى انظر إلى حسن تأثيره في الأرض وهو قوله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى يعني إن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا أي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده أي من بعد اصفرار الزرع يكفرون أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف أي مبدؤكم ومبناكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو إشارة إلى أحوال الإنسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه أحوال في غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة أي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا أي هرما وشيبة وهو تمام النقصان يخلق ما يشاء أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون أي يحلف المشركون ما لبثوا أي في الدنيا غير ساعة معناه أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك أنهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معناه في كتاب الله أي في حكم الله وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم إلى يوم البعث أي في قبوركم فهذا يوم البعث أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم أي عذرهم ولا هم يستعتبون أي لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة وقيل لا يطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لأنها لا تقبل منهم قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فيه إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون يعني ما أنتم إلا على باطل وذلك على سبيل العناد فإن قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله إن أنتم إلا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي أن الله قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه أنتم كلكم أيها الرسل مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون أي توحيد الله فاصبر إن وعد الله حق أي في نصرك وإظهارك على عدوك ولا يستخفنك أي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستفزنك رأيك وحلمك الذين لا يوقنون أي بالبعث والحساب والله أعلم.

تفسير سورة لقمان وهي مكية

وهي أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

قوله عز وجل الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية قيل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنيين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون الذي يسكت وأخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة قال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وقيل الغناء رقية الزنا وقيل لهو الحديث هو الطبل وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله أي دين الإسلام وسماع القرآن بغير علم أي يفعله عن جهل وحسبه من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا أي يتخذ آيات الله مزحا أولئك يعني الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا أي لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا كأن لم يسمعها أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا ولا وقر فيهما فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله تعالى خلق السموات بغير عمد قيل إن السماء خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك إلا بقدرة قادر مختار وإليه الإشارة بقوله بغير عمد ترونها أي ليس شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك إلا بقدرة الله وفي قوله ترونها وجهان أحدهما أنه راجع إلى السموات أي ليست بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني أنه راجع إلى العمد ومعناه بغير عمد مرئية وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم أي لئلا تتحرك بكم وبث فيها أي في الأرض من كل دابة أي يسكنون فيها وأنزلنا من السماء ماء يعني المطر وهو من إنعام الله على عباده فأنبتنا فيها من كل زوج كريم أي من كل صنف حسن هذا يعني الذي ذكرت مما تعاينون خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه أي من آلهتكم التي تعبدونها بل الظالمون اليوم في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد آتينا لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل ابن خالته وقيل إنه عاش ألف سنة حتى أدرك

داود وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل
خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله
خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي
فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال
لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاها الظلم من كل مكان ان عدل فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق
الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الاخرة
فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها
ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته
وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا او قيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال
الست فلان الراعي قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل
عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان
والنجاشي تابعهم والحكمة العقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة
والاصابة في الامور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر قوله ان اشكر لله
وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك
كفران ومن كفر عليه يعود وبال كفره فان الله غني اي غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اي هو حقيق بالحمد
وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان قيل اسمه انعم وقيل مشكم وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان
ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال
لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى تكميل غيره وبدا بالاقرب اليه وهو ابنه وبدا في وعظه بالاهم وهو المنع من
الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين
من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته
امه وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المراة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة
وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين ان اشكر
لي ولوالديك الي المصير لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجود المربي في
الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال ان اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا
ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل لما امره بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الي قال سفيان
ابن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد
شكر للوالدين وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما واجبة فان
افضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا
معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع دين من اقبل الى طاعتي
وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الي يعني ابا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه
حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا
الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة
الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل وذلك

ان ابن

ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها اي الخطيئة
ان تك مثقال حبة من خردل اي في الصغر فتكن اي مع صغرها في صخرة قال ابن عباس هي صخرة تحت الارضين
السبع وهي التي تكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون الذي
في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهو الذي ذكر لقمان ليست
في الارض ولا في السماء فلذلك قال او في السموات او في الارض والصخرة على متن الريح والريح على القدرة يات
بها الله معناه ان الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله ان الله لطيف اي باستخراجها خبير اي بمكانها
ومعنى الاية هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته
من هيبتها وعظمها فمات يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك يعني من
الاذى ان ذلك من عزم الامور يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى
من الامور الواجبة التي امر الله بها ولا تصاعر وقرئ تصعر خدك للناس قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس
وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا
سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء ليكن الفقير والغني عندك سواء ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء
ان الله لا يحب كل مختال اي في مشيه فخور اي على الناس واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين الاسراع
فهو من الخيلاء واما الثاني وهو ان يرى من نفسه الضعف تزهدا فكلا الطرفين مذموم بل يكون مشيك بالسكينة
والوقار واغضض اي اخفض وقيل انقص من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير لان اوله زفير واخره
شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثوري في هذه الاية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في معنى الاية
هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم
ومن حكمه قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان
والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال
كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله عز وجل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ اي اتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن
عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقران والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل
الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة
حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على
الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والباطنة محبته ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا
يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم
معناه فيتبعونه وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله
اي يخلص دينه له ويفوض امره اليه وهو محسن اي في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالعهد
الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه الى اعلى الغايات والى الله عاقبة الامور اي مصير جميع الاشياء
اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى
عليه سرهم وعلانيتهم نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء اجالهم ثم نضطرهم اي نلجئهم

ونودهم الى عذاب غليظ الى النار في الاخرة ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره قوله تعالى
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قال المفسرون لما نزل بمكة ويسالونك عن الروح الاية وهاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من
العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال عليه السلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلوا فيما جاءك انا اوتينا
التوراة فيها علم كل شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله ما ان علمتم
به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل
مع خير كثير فانزل الله هذه الاية فعلى هذا يكون هذه الاية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان
يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القران وما
ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي فبريت اقلاما وقيل بعدد
كل شجرة قلما والبحر يمده اي يزيده وينصب اليه من بعده سبعة ابحر اي مدادا والخلايق يكتبون بها كلام
الله ما نفدت كلمات الله لانه لا نهاية لها ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شي ان الله سميع اي لاقوالكم بصير اي لاعمالكم الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما
تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشيا الذي ذكر هو الحق المستحق للعبادة
وان ما يدعون من دونه الباطل لانه لا يستحق العبادة وان الله هو العلي اي في صفاته له الصفات العليا
والاسما الحسنى الكبير اي في ذاته لانه اكبر من كل كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن والمراكب تجري
في البحر بنعمت الله اي ذلك من نعمة الله عليكم ليريكم من اياته اي من عجايب صنايعه ان في ذلك لايات لكل
صبار اي على ما امر الله شكور اي لانعام الله واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه
بها الموج في كثرتها وارتفاعها دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل
الى الله بالدعا وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجاه من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك
الحالة وهو المقتصد وهو قوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه في البحر من
التوحيد له والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاهم ريح عاصف
فقال عكرمة لين انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع
عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار
اي غدار كفور اي جحود لانعامنا عليه قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اي خافوا ربكم واخشوا اي خافوا يوما
لا يجزي اي لا يغني ولا يقضي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا وقيل معنى الاية ان الله ذكر
شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد
يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم
القيمة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرى تهمه نفسه ان وعد الله
حق قيل انه تحقيق لليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه وهو كاين لوعد الله به ووعده حق وقيل لانه تحقيق
لعدم الجزا يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول احسن واظهر فلا تغرنكم الحياة الدنيا
اي لانها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة قوله تعالى

ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من اهل البادية اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فساله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي
حبلى فما تلد وقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما
تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الاية ان الله عنده
علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة في اي سنة او اي شهر او يوم ليلا او نهارا وينزل
الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا او نهارا الا الله ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود تام
الخلقة او ناقصه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا اي من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت
اي ليس احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل او جبل ان الله عليم اي بهذه الاشيا
وبغيرها خبير اي ببواطن الاشيا كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل بالظاهر والباطن قال ابن عباس
هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه فقد كفر بالقران لانه خالفه
والله اعلم

تفسير سورة السجدة مكية

قال عطا الا ثلاث ايات من قوله افمن كان مومنا وهي تسع وعشرون وقيل ثلاثون اية وثلثماية وثمانون
كلمة والف وخمس ماية وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
اي لا شك فيه انه من رب العالمين ام يقولون افتراه اي بل يقولون يعني المشركين افتراه اي اختلقه محمد
من تلقا نفسه بل هو الحق يعني القران من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب كانوا
امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم فان قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك
علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم ادلة العقل الموصلة
الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني لتنذرهم راجيا اهتداءهم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى يدبر
الامر اي يحكم الامر وينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الى الارض ثم يعرج اي يصعد
اليه جبريل بالامر في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون يعني مسافة ما بين السما والارض خمسماية
سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السما في مقدار الف سنة لو سارة احد من بني ادم وجبريل
ينزل ويصعد في مقدار يوم من ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملايكة كلهم وقيل في معنى الاية انه يدبر
الامر من السما الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع
امر الامرا وحكم الحكام في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة فان قلت قد قال في موضع اخر تعرج الملايكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت قيل اراد بقوله خمسين الف سنة مدة
المسافة بين الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملايكة الذين
معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها في القيمة فيكون على بعضهم
كالف سنة وعلى بعضهم كخمسين الف سنة وهذا في حال الكفار واما على المومنين فدون ذلك كما جا في الحديث
انه يكون على المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المومن الا كما بين الظهر والعصر

وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبار عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز
مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها
الله لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر
من خلق السموات والارض هو عالم الغيب اي ما غاب عن خلقه لا يخفى عليه خافية والشهادة يعني ما حضر وظهر العزيز
اي المنيع المنتقم من اعدائه الرحيم اي باوليائه واهل طاعته قوله عز وجل الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن عباس
اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان
كامل في خلقه حسن في شكله وكل عضو من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه الهم خلقه ما يحتاجون اليه
وعلمهم اياه واحسنهم ذلك وقيل معناه احسن الى كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله يعني
ذريته من سلالة اي نطفة تنسل من الانسان من ماء مهين اي ضعيف ثم سواه اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه اضاف
اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال وجعل لكم اي بعد ان
كنتم نطفا امواتا السمع والابصار والافئدة قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه
ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من اي جهة كان قليلا ما تشكرون
يعني انهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه قوله تعالى وقالوا يعني منكري البعث ائذا ضللنا اي هلكنا في الارض والمعنى
اي صرنا ترابا ائنا لفي خلق جديد استفهام انكار قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت قل
يتوفاكم اي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى ممن كتب عليه الموت ملك الموت وهو عزرائيل عليه السلام الذي وكل بكم اي انه لا يغفل
عنكم واذا جاء اجل احدكم لا يؤخره ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها
ما احب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فينزع اعوانه روح الانسان فاذا
بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس
فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة
وقال له الان يزار بك عسكر الموت وقوله ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل
ولو ترى اذ المجرمون اي المشركون ناكسوا رؤوسهم اي مطاطئوها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم ربنا اي يقولون
ربنا ابصرنا اي ما كنا به مكذبين وسمعنا يعني منك تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل
فيها فارجعنا اي فارددنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي انا في الحال ولكن لا ينفع ذلك الايمان ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها اي رشدها وتوفيقها للايمان ولكن حق القول مني اي وجب القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم
الايمان به في الدنيا انا نسيناكم اي تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما تفعله الناس قطعا لرجائكم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب قوله عز وجل انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها خروا سجدا
اي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون
اي عن الايمان به والسجود له ق عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد
ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت

فلي النار

فلي النار وسجدة من عزائم سجود القران فيسن للقارئ والمستمع قوله تعالى تتجافى اي ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع
جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة قال انس
نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح وفي رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول ابي حازم ومحمد بن
المنكدر وقالا هي صلاة الاوابين روي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة
الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلون العشاء الاخرة وعن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت وابي ذر
هم الذين يصلون العشاء الاخرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام
نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد
منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة **فصل** في فضل قيام الليل والحث
عليه عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير
فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره
الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك
على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع
حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك
ذلك كله قلت بلى يا نبي الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون
بما نتكلم فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم
اخرجه الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثام ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه واهله
فيقول الله للملائكة انظروا الى عبدي ثار من فراشه ووطائه من بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا
مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى هريق
دمه فيقول الله للملائكة انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى هريق دمه اخرجه
الترمذي بمعناه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر
رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ق عن عائشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما
تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام
وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه الترمذي عن الهيثم بن ابي سنان انه سمع ابا هريرة في قصصه
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال وفينا رسول
الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي

هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر به اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم جزاء بما كانوا يعملون اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الاية وقوله لا يستوون اراد جنس المومنين وجنس الفاسقين ولم يرد مومنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اي التي ياوي اليها المومنون نزلا تهيئة لهم كما يهيا للضيف عند نزوله بما كانوا يعملون يعني من الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم لعلهم يرجعون يعني الى الايمان من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بدلايل وحدانيته وانعامه عليه ثم اعرض عنها اي ترك الايمان بها انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون معناه انه لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فلا تكن في مرية اي في شك من لقائه اي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره فان قلت قد صح في حديث المعراج انه راه في السماء السادسة ومراجعته في امر الصلاة فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل ان تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف يصح الصلاة منه في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الاخرة وليست دار عمل وكذلك راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت عنه اجوبة احدها ان الانبياء كالشهداء بل هم افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى ان تفنى وتنقضي الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وبحمدك وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون

ذلك

ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من لقائه اي من تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم اي من بني اسرائيل ايمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى طاعتنا لما صبروا اي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر وكانوا باياتنا يوقنون اي انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل هم الانبياء وامتهم وقيل هم المومنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم اي يتبين لهم كم اهلكنا اي كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لايات افلا يسمعون اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الماء زرعا تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن وانفسهم اي من الحبوب والاقوات افلا يبصرون اي فيعتبرون قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد به يوم القيمة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قل يوم الفتح يعني يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها اية السيف وانتظر اي موعدي لك بالنصر عليهم انهم منتظرون اي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال طاوس تفضلان كل سورة في القران بستين حسنة اخرجه الترمذي

تفسير سورة الاحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون اية والف ومايتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعمائة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن ابي سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ايذن لي في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع الكافرين

يعني من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والاعور والمنافقين يعني من اهل المدينة عبد الله بن ابي وعبد الله بن
سعد وطعمة ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اي فيما دبره لهم واتبع ما يوحى اليك من ربك اي
من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله كان بما يعملون خبيرا وتوكل على الله اي ثق بالله
وكل امرك اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
نزلت في ابي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله
قلبان وكان هو يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم
ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا
قال له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان
له قلبان لما نسي نعله في يده وعن ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون
معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قوله فخطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الاية انه لما
قال تعالى يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان
المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله للمتظاهر من امراته وللمتبني ولد
غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فالاخر فضلة
غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا ما لا يفعل بذاك فذاك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما
جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى تكون
له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وهو قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم وهو
المظاهر اذا يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول الله تعالى ما جعل نساكم اللاتي تقولون لهن هذا في
التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شا الله تعالى في سورة المجادلة وما جعل ادعياكم
يعني من تتبنونه ابناكم وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه
اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي
واخا بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن
حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ونسخ بها التبني
ذلكم قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعى نسب لا حقيقة له والله يقول الحق اي قوله
الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم اي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله
الاية فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين ومواليكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي كانوا محررين وليسوا
بنيكم اي تسموهم باسما اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم اولياكم في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
اي قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعاهم الى غير ابائهم بعد النهي وقيل فيما اخطاتم
به ان يدعوه لغير ابيه وهو يظن انه كذلك وكان الله غفورا رحيما وعن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل النبي اولى
بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس يعني اذا دعاهم النبي

هو اقسط عند الله اي اعدل عند الله وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة صح

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شي كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا
صحيح فان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل
هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم
نذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا فنزلت الاية وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقروا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما
مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه
سوى من له فرض مقدر وقوله او ضياعا اي عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد
كان جمع ضائع قوله تعالى وازواجه امهاتهم يعني هن امهات المومنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن
على التابيد لا في النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن اخوات
المومنين ولا لاخوانهن واخواتهن اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسما
بنت ابي بكر وهي اخت عايشة ام المومنين والمومنات الرجال والنسا جميعا وقيل كن امهات الرجال دون
النسا بدليل ما روي عن مسروق ان امراة قالت لعايشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم
فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو في تحريم نكاحهن واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث
قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي
بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي في حكم الله من
المومنين الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين والمعنى ذوي القرابات بعضهم اولى
بميراث بعض فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة الا ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف
والاخا والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة
بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا الى ذوي قراباتكم بشي وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة
كان ذلك الذي ذكرت من اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في الكتاب اي اللوح المحفوظ وقيل في التوراة
مسطورا اي مكتوبا مثبتا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي على الوفا بما حملوا وان يصدق
بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته ولا ينصحوا لقومهم
ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خص هولا الخمسة بالذكر من بين النبيين
لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر لتشريفه
ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين
في الخلق واخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
فبدا بي صلى الله عليه وسلم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا على الوفا بما حملوا من تبليغ
الرسالة ليسال الصادقين عن صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم
الرسالة والحكمة في سوالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقين تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين
عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم في قلوبهم واعد للكافرين عذابا اليما
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالمدينة ايام الخندق **اذ جاءتكم جنود** يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير **فارسلنا عليهم ريحا** يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا **وجنودا لم تروها** يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب **وكان الله بما تعملون بصيرا**

ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع روى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش فدعوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر ابن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجنب ذوباب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح

وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم فاضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رايتم فاضاءت لي قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية **وعن** انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا **وعن** البرا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ❊ ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ❊ وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا ❊ اذا ارادوا فتنة ابينا

ويرفع بها صوته وفي رواية ولقد وارى التراب بياض بطنه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على جشيشتك ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما انا عليه فاني لم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش لم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ احد بني الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد
الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة اخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا
حتى تنظروا ما بلغنا عن هولاء القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان
كانوا على الوفا فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم ونالوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة
ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقاره لغدر عضل
والقاره باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب بن عدي واصحابه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد واتاهم عدوهم من فوقهم
ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو
ابن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر على ان يذهب الى الغايط ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك
على ملا من رجال قومه فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم واقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى
فلما اشتد البلا على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف
وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشي امرك الله به لا بد لنا من
العمل به ام امر تحبه فنصنعه ام شي تصنعه لنا قال بل شي اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد
رمتكم عن قوس واحده وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله
قد كنا نحن وهولا القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان ياكلوا منا تمرة
واحدة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا
نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد
الصحيفة فمحى ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وعدوهم يحاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي
جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا
للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهيوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم
اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من
الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين
حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته
الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت
تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احدهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك الى الله ورسوله
والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال

علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا
وتجاولا فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد
ابن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط
فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه وشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عايشة ام المومنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز
حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ
وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول لبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا باس
بالموت اذا حان الاجل فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عايشة فقلت يا ام سعد والله لوددت
ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه
الاكحل رماه حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق
الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم
من قوم اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وكانوا احلافه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية
ابنة عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النسا والصبيان قالت
صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا ات قالت فقلت يا حسان
ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما امنه ان يدل على عورتنا من ورانا من يهود وقد شغل عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد
عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن
اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني
من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن
مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم
يعلموا باسلامي فمرني بما شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان
فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم
ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاوا لحرب محمد
وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساكم لا تقدرون
على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناوهم ونساوهم بغيره وان راوا نهزة وغنيمة اصابوها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا
مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا
لقد اشرت براي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي
اياكم وفراقي محمدا فقد بلغني امر رايت حقا علي ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر
يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك

عنا ان نا خذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكم فيضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل
اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى
غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي
قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان
مما صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسلوا ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة
ابن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال
حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان
احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم
يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم
وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت
قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم
رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل
بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان
كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله
لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا وابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية
شديدة البرد تكفأ قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم
دعا حذيفة بن اليماني فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا روى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب
القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليماني يا ابا عبد الله ارأيتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد
قال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا فخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال
حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يقوم فيذهب
الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا
من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من
شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة فلم
يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان فمسح راسي ووجهي
ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت امشي نحوهم كانما
امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر
لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه
ولو رميته لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما
راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ
كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان
رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا

بنو قريظة

بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول
فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين
الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته
فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء فادناني النبي صلى الله
عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما
اصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل اذ جاوكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان
وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي
في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود بني قريظة ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش
وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي
جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني نضير من ديارهم واذ زاغت الابصار اي مالت
وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شي فلم تنظر الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها
حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم
جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال
للجبان انتفخ سحره وتظنون بالله الظنونا اي اختلف الظنون فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه
وظن المومنون النصر والظفر لهم هنالك ابتلي المومنون اي عند ذلك اختبر المومنون بالحصر والقتال ليتبين
المخلصون من المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة شديدة واذ يقول المنافقون يعني معتب
ابن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اي وهو قولهم قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله
هذا هو الغرور وقوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني
يا اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من
العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال
هي طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لا مقام لكم اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون
فيه فارجعوا الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم النبي يعني بني
حارثة وبني سلمة يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو وتخشى عليها السراق فكذبهم الله
تعالى فقال وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا اي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ولو دخلت
عليهم من اقطارها يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها ثم
سئلوا الفتنة اي الشرك لاتوها اي لجاوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن الفتنة
الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى
يهلكوا وقوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون
قيل هم حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل
هم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا
لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وكان عهد الله مسئولا اي عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل يعني الذي كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل ولا بد من ذلك واذا لا تمتعون اي بعد الفرار الا قليلا اي

مدة اجالكم وهي قليل قل من ذا الذي يعصمكم اي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوا اي هزيمة او اراد بكم رحمة
اي نصرا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعهم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي
مثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان
واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على
انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا
وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المومنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا
لين قدروا اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا اما ترجون من محمد ما عنده خيرا ما هو الا ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا الى اخواننا
يعني اليهود فلم يزدد المومنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله ولا ياتون الباس يعني الحرب الا قليلا
اي ريا وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اي بخلا بالنفقة في سبيل الله
والنصرة وصفهم بالبخل والجبن فاذا جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم اي في رووسهم من الخوف والجبن
كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره
فلا يطرف فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حالة الامن بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل
الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة
يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم
اشحة على الخير اي يشاحون المومنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال اوليك لم يومنوا اي لم
يومنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم اي التي كانوا اتوا بها مع المسلمين قيل هو
الجهاد وغيره وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان كل شي على الله يسير قوله تعالى يحسبون يعني هولا
المنافقين الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا
عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنون لو
كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسالون عن انبايكم اي اخباركم وما ال اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني هولا
المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني يقاتلون قليلا ليقيموا به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة
وقيل ريا من غير احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتدا
حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته
وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته
لمن كان يرجوا الله يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس يرجوا ثواب
الله واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزا وذكر الله كثيرا اي في جميع المواطن على السرا والضرا
ثم وصف حال المومنين عند لقا الاحزاب فقال تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
اي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا لوعده وصدق الله ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول المنافقين
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق
الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس
وقيل انهم وعدوا ان يلحقهم شدة وبلا فلما راوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله

وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا اي تصديقا وتسليما اي لامره قوله تعالى من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره
ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني اجله فقتل على الوفا يعني حمزة واصحابه وقيل
قضى نحبه اي بذل جهده في الوفا بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي
بعد هولا من المومنين ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعدا وما بدلوا يعني عهدهم تبديلا ق عن
انس قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لين الله
اشهدني قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما
صنع هولا يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هولا يعني المشركين ثم تقدم واستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ
الجنة ورب النضر اني اجد ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا
به بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد
الا اخته ببنانه قال كنا نرى او نظن هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الى اخر الاية ق عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع
اجرنا على الله فمنا من مات ولم ياكل من اجره شيا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة فكنا اذا غطينا بها
راسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدا راسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه
ونجعل على رجليه شيا من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كسا ملون من صوف وقوله ومنا من
اينعت اي ادركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله من الدنيا وقوله يهدبها اي يجتنيها ويقطفها
عن ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب خ عن قيس بن ابي حازم قال رايت يد طلحة
شلا وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم وقاها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله عز وجل ليجزي الله الصادقين
بصدقهم اي جزا صدقهم وصدقهم هو الوفا بالعهد ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم اي فيهديهم
الى الايمان ويشرح له صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا اي من قريش وغطفان
بغيظهم يعني لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا اي ظفرا وكفى الله المومنين القتال اي بالملايكة
والريح وكان الله قويا اي في ملكه عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة من
صياصيهم اي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصيه وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف فريقا تقتلون يعني
الرجال يقال كانوا ستماية وتاسرون فريقا يعني النسا والذراري يقال كانوا سبعماية وقيل وخمسين
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها يعني بعد قيل هي خيبر يقال انها كانت مكة وقيل فارس
والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيمة وكان الله على كل شي قديرا ذكر غزوة
بني قريظة قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن
عقبة انها في سنة اربع قال العلما بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي
انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون عن الخندق الى
المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضا عليها رحال عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه

وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم
قال جبريل عفى الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم وروي انه
كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله
تعالى يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم
في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر
الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار علي
حتى اذا دنى من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هولاء الاجانب قال اظنك سمعت لي منهم اذى قال
نعم يا رسول الله قال لو قد روني لم يقولوا من ذلك شيا فلما دنى رسول الله صلى الله عليه من حصونهم قال يا اخوان
القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضا
عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم
ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من ابارها في ناحية اموالهم
وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشا الاخرة ولم يصلوا العصر بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشا الاخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اهل العلم وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في
قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفا لكعب بن اسد
بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر
يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شيتم قالوا وما هن قال نتابع هذا
الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم وابنايكم ونسايكم
قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابنانا ونسانا ثم نخرج الى محمد
واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك
وراءنا شيا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النسا والابنا قالوا نقتل هولا المساكين فما في العيش بعدهم خير قال
فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد
واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيكم ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم
يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفا الاوس يستشيره في امرنا فارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش النسا والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا
لبابة الا ترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى
عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد
الى عمود من عمده وقال والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله
في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عليه قال اما لو قد جاءني لاستغفرت
له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مما ضحكت
يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شيت
قال فقمت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك
قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده
فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من
بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنوا عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها
قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما راه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد
ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا
تحرمني عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة
ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه
وبعض الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة والله اعلم قال
فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج
وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع
وكانوا حلفا الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم اياه عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان
سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امراة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي
الجرحى وتحبس نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه
حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطا وا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما اقبلوا معه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك
لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تاخذه في الله لومة لايم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار
بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
وتسبى الذراري والنسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امراة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بهم خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق
يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم
يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ارسالا يا كعب ما ترى ما نصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وان من ذهب به منكم لا يرجع
هو والله القتل فلم تزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم واتي حيي بن اخطب عدو الله عليه حلة
تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما
نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على
الناس فقال يا ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي
عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا
وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت
انا والله قلت ويلك ما لك قالت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته قالت فانطلق بها
فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل قال
الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان
اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروي محمد بن اسحق عن الزهري ان الزبير بن
باطا القرظي ويكنى ابا عبد الرحمن وقال قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته
ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال
اني اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله فقال
هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز
لا مال لهم فما بقاؤنا وهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله فقال
هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي
كان وجهه مراة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا
اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا
قال فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر لله
حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله حتى القى الاحبة قال يلقاهم والله
في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال
بني قريظة ونساءهم على المسلمين واعلم انه في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال واخرج الخمس فكان للفارس
ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم فكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان
اول في وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا
من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه
من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احد نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها
وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول
الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينا هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه
فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك

فلما انقضى

فلما انقضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد
علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك
شيئا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بيننا وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي
نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله رحماء بينهم وعن سليمان بن
صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن
نسير اليهم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن اي متعة الطلاق واسرحكن سراحا جميلا اي من غير ضرار وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما سبب نزول هذه الآيات ان
نساء النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن
على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه
وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد
فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر وانزل الله آية التخيير وكانت تحت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت
عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع غير قرشيات وهن زينب بنت
جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية
فلما نزلت آية التخيير بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك
فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد وعن جابر بن عبد
الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم
قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما
ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة
فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر
الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس
عنده قلنا والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين
ثم نزلت هذه الآية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة
اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها
الآية قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة واسالك ان لا تخبر
امراة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن

يعني معلما مبشرا قوله واجما اي مهتما والواجم الذي اشتد حزنه وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجاه عنقها اي دفعه وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري اخبرني عروة عن عايشة لما مضت تسع وعشرين ليلة اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرين فصل في حكم الاية اختلف العلما في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا فالتفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شي ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب الراي الا عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فطلقة باينة واكثر العلما على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شي ق عن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سالت عايشة فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك علينا قوله تعالى يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لين اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة لان الله تعالى صان ازواج الانبيا عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسو الخلق يضاعف لها العذاب ضعفين اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بالمومنين من انفسهم فكذلك ازواجه الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة وكان ذلك على الله يسيرا اي عذابها ومن يقنت منكن لله ورسوله اي تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين اي مثل اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نسا العالمين واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا نسا النبي لستن كاحد من النسا قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن يعني الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله الاتقى فلا تخضعن بالقول اي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن لان المراة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن قولا معروفا اي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن وقيل هو من الوقار اي كن اهل وقار وسكون ولا تبرجن قيل هو التكثر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى قيل الجاهلية الاولى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المراة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان ذلك زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع من اللولو فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين

نوح وادريس وكانت الف سنة وان بطنين من ولد ادم عليه السلام كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفي النسا دمامة وكان النسا السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيا مثل الذي يزمر به الرعاة فجا بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النسا للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فراى النسا وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل قد يذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى واقمن الصلاة اي الواجبة واتين الزكاة اي المفروضة واطعن الله ورسوله اي فيما امر وفيما نهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اي الاثم الذي نهى الله النسا عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقيل الرجس الشك وقيل السو اهل البيت قيل هم نسا النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلى قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روي عن عايشة ام المومنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جا علي فادخله فيه ثم جا حسن فادخله فيه ثم جا حسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكسا والمرحل بالحا المنقوش صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير انت من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكسا وقال اللهم هولا اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله يعني القران والحكمة قيل هي السنة وقيل احكام القران ومواعظه ان الله كان لطيفا خبيرا اي باوليايه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكر النسا بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية وعن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما ارى كل شي الا للرجال وما ارى النسا يذكرن بشي فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه ونخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نسا النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شي من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النسا لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به امر الله وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله والمو

والمؤمنات الثالثة الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله
والصادقين والصادقات الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما ساء وسر وهو قوله والصابرين والصابرات
السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله والخاشعين والخاشعات السابعة
الصدقة مما رزق الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله والصائمين
والصائمات التاسعة العفة وهو قوله والحافظين فروجهم يعني عما لا يحل والحافظات العاشرة كثرة الذكر
وهو قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن
اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب
فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله
والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات
ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر ايام البيض
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل
له فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة اي لمحو ذنوبهم واجرا عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا
مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش الاسدية
واخيها عبد الله بن جحش وامهما اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا
في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها
لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة
وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني اخته
زينب اذا قضى الله ورسوله يعني نكاح زيد لزينب ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى والمعنى ان
يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اي اخطأ
طريقا ظاهرا فلما سمعت ذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها
زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة
وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك الاية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات
خلق من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت
له ذلك ففطن زيد والقي في نفسه كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك اراك بك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها
وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك
قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام وانعمت عليه اي بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه

امسك

امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك
ما الله مبديه اي مظهره وقيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها وقيل وداده طلقها وتخشى الناس
قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال
عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن
عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل فان قلت ما ذكروه في تفسير
هذه الاية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما راها وارادته طلاق زيد لها
فيه لعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا
اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت
عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا تشك
في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا الباب ما روى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سالني زين العابدين علي بن
الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك
وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون
من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه
الله تعالى وقال له لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى
والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها
منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها
لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله
انها ستكون زوجته وانما اخفى ذلك استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا
قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال
مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في
الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فان قلت فما
الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي
صلى الله عليه وسلم عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره
الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا
جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال
الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه راها فجاة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه من البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ما لم يقصد فيها مأثما لان الود وميل النفس
من طبع البشر والله اعلم وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية لا اثم فيه وقوله والله
احق ان تخشاه لم يرد انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه

لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشيا قوله عز وجل **فلما قضى زيد**
منها وطرا اي حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
وقد كرقضا الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها **زوجناكها** قال انس كانت زينب تفخر على ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب
تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني
انكحنيك الله في السما وان السفير جبريل عليه السلام **م عن** انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما
رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها
ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى
اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد
رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال
يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن
ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيري قال فانطلق
حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب **ق عن** انس قال ما اولم النبي صلى الله
عليه وسلم على شي من نسايه ما اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا
ولحما حتى تركوه وقوله عز وجل **لكي لا يكون على المومنين حرج** اي اثم **في ازواج ادعيايهم** جمع الداعي وهو المتبنى
اذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني
وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب فانها لا تحل للاب **وكان امر الله مفعولا** اي كان قضا ماضيا
وحكما نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **ما كان على النبي من حرج**
فيما فرض الله له اي فيما احل الله له من النكاح وغيره **سنة الله في الذين خلوا من قبل** معناه سن الله سنة في
الانبيا وهو انه لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحراير والسراري
فقد كان لداود ماية امراة ولسليمان سبعماية امراة وثلثماية سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة
عليه كما سن لهم ووسع عليهم **وكان امر الله قدرا مقدورا** اي قضا مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل الله ثم اثنى
الله تعالى على الانبيا بقوله **الذين يبلغون رسالات الله** اي فرايض الله وسننه واوامره ونواهيه الى من ارسلوا
اليهم **ويخشونه** اي يخافونه **ولا يخشون احدا الا الله** اي لا يخافون قالة الناس ولا لومهم فيما احل الله لهم وفرض
عليهم **وكفى بالله حسيبا** اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل **ما كان محمد ابا احد من رجالكم** وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا
احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابنا القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد
قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهولا لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلده **ولكن**
رسول الله اي ان كل رسول هو ابو امته فيما يرجع الى وجوب توقيره وتعظيمه ووجوب الشفقة والنصيحة لهم
عليه **وخاتم النبيين** ختم الله به النبوة فلا نبي بعده قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا
يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا **وكان الله بكل شي عليما**

اي دخل

اي دخل في علمه ان لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان بعده وهو نبي قلت ان
عيسى عليه السلام ممن نبي قبله وحين ينزل في اخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا
الى قبلته كانه بعض امته **ق عن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبيا من قبلي كمثل
رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون
هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جيت فختمت الانبيا **وعن**
جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحوا
الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه روفا
رحيما **م عن** ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة
ونبي الرحمة المقفي هو المولي الذاهب يعني اخر الانبيا المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا**
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها
حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا
على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله
ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا
وسبحوه معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سو بكرة واصيلا فيه
اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح واصيلا
يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشا وقيل معنى وسبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخوته
والمراد يقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحايض والمحدث **هو الذي يصلي عليكم وملايكته**
فالصلاة من الله رحمة ومن الملايكة الاستغفار للمومنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر
الجميل له في عباده والثنا عليه قال انس لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله
يا رسول الله بشرف الا وقد اشتركنا فيه فانزل الله هذه الاية **ليخرجكم من الظلمات الى النور** يعني برحمته
وهدايته ودعا الملايكة لكم اخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان **وكان بالمومنين رحيما** فيه بشارة بجميع المسلمين
واشارة الى قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين **تحيتهم** يعني المومنين **يوم**
يلقونه سلام اي يرون الله يوم القيمة سلام اي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي
عن البرا بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مومن الا يسلم عليه وعن
ابن مسعود قال اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملايكة حين
يخرجون من قبورهم تبشرهم **واعد لهم اجرا كريما** يعني الجنة قوله عز وجل **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا**
اي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيمة **ومبشرا** اي لمن امن بالجنة **ونذيرا** اي لمن كذب
بالنار **وداعيا الى الله** اي الى توحيده وطاعته **باذنه** اي بامره **وسراجا منيرا** سماه الله سراجا منيرا لانه جلي به
ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى الظلام بالليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور
البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضي فان قلت لم سماه سراجا ولم
يسمه شمسا والشمس اشد اضاة من السراج وانور قلت لان نور الشمس لا يمكن ان يوخذ منه شي بخلاف نور السراج
فانه يوخذ منه انوار كثيرة **وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب

وقيل المحتمل سوء الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم
قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية القتال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن في
الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا
نكحتك فانت طالق او قال كل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ
وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا وسليمان
ابن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو
قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة
عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي
طالق والله يقول اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك
اخرجه ابو داود والترمذي بمعناه خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب
بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
اي تحصونها بالاقراء والاشهر اجمع العلما انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى
ان الخلوة توجب العدة والصداق فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها
صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية
منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق
المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك اي من السبي
فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وبنات عمك وبنات عماتك
يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة فمن لم
يهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه
فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
خالصة لك من دون المومنين اي احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المومنة فلا تحل
له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى انه لا تحل له لقوله وامراة مومنة فدل ذلك على
انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصايصه صلى الله عليه وسلم النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي
ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المومنين والزيادة على اربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد
النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وهو قول سعيد بن المسيب
والزهري ومجاهد وعطا وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي واهل الكوفة ينعقد بلفظ
التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد
في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين وذهب اخرون الى انه لا ينعقد
الا بلفظ الانكاح او التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة وكان اختصاصه

في ترك

في ترك المهر لا في لفظ الانكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امراة
منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا
بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الشرط والجزا وقال اخرون بل كانت موهوبة واختلفوا
فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال
علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم
من بني سليم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي اوجبنا على المومنين في ازواجهم اي من الاحكام وهو انه لا
يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر وما ملكت ايمانهم اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين لكيلا يكون عليك
حرج وهذا يرجع الى اول الاية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون
عليك ضيق وكان الله غفورا اي للمواقع في الحرج رحيما اي بالتوسعة على عباده قوله تعالى ترجي اي تؤخر
من تشاء منهن وتؤوي اليك اي تضم اليك من تشاء قيل القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم
كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن
وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة
النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك
من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يووي اليه من يشاء منهن ويرجي من
يشاء فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون
الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في
انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل
الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة
وقيل اخرج بعضهن وروي عن ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا
من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن
فكان ممن اوى اليه عايشة وحفصة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم بينهن سوا وارجى منهن
خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشا وقال ابن عباس تطلق من تشا
منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من
تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتوويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها ق عن عروة قال كانت
خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما ان تستحي المراة
ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك
ومن ابتغيت ممن عزلت اي طلبت ان تووي اليك امراة ممن عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك اي لا اثم
عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليوخر من يشا منهن في نوبتها ويطا من يشا منهن في غير نوبتها
ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن اي ذلك
التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لنفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من
الله تعالى ويرضين بما اتيتهن اي اعطيتهن كلهن اي من تقريب وارجا وعزل وايوا والله يعلم ما في قلوبكم
اي من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله عليما اي بما في ضمايركم حليما اي عنكم قوله تعالى لا يحل لك

النسا من بعد اي من بعد هولا التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه لما خيرهن فاخترن الله ورسوله
شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قال ابن عباس ولعله
هل ابيح له النسا بعد ذلك وروي عن عايشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله
النسا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وللنساي عنها حتى احل له ان يتزوج من النسا ما شا وقال انس مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له
ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد قال انما احل الله ضربا من النسا
فقال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النسا من بعد وقيل معنى الاية لا يحل
لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن من ازواج اي بالمسلمات غيرهن من الكتا
لانه لا يكون امهات المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك اي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل
في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي
عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك
بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته ثم رد لك الا ما ملكت يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك ما شيت
فاما الحراير فلا ولو اعجبك حسنهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من نسايك وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك
جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد جعفر اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي ذلك الا ما ملكت يمينك قال ابن عباس ملك بعد هولا مارية وكان
الله على كل شي رقيبا اي حافظا وفي الاية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النسا ويدل عليه ما روي
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى
نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيا قال الحميدي يعني الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يدوم بينكما اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الاية قال اكثر
المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن انس
قال انا لك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكان امهاتي يواظبنني على خدمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة
وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت
جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند
النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي
صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جا عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على
زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عايشة وظن انهم خرجوا
فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية
قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يوذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن
بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساك فلم يكن

رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي
عشا وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع
المواضع الخالية لقضا الحاجة من البول والغايط والصعيد وجه الارض والافيح ق عن انس وابن عمر ان عمر
قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسايك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع
نسا النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك
وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون
عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت
الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم يعني الا ان تدعوا الى طعام فيوذن لكم فتاكلونه
غير ناظرين اناه يعني غير منتظرين نضجه ووقت ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم
الطعام فانتشروا اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث اي لا تطلبوا الجلوس ليستانس بعضكم
بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي
منكم اي فيستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حيا ولما كان الحيا مما يمنع الحي
من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق يعني لا يمتنع منه ولا يترككم ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله الثقلا وقيل
حسبك في الثقلا ان الله لم يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم نسا النبي صلى الله عليه وسلم
حاجة فاسالوهن من ورا حجاب اي من ورا ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نسا رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت او غير منتقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريب وما كان لكم ان
توذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه في شي من الاشيا ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكحن عايشة قيل هو طلحة
ابن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام
تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر
شكره فان من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيا اي من امر
نكاحهن على السنتكم او تخفوه اي في صدوركم فان الله كان بكل شي عليما اي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر
نكاح عايشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول
على بنات اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والاقارب يا رسول الله
ونحن ايضا نكلمهن من ورا حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن
ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن اي لا اثم عليهن في ترك الحجاب عن هولا الاصناف من الاقارب ولا نسايهن
قيل اراد به النسا المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسايهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت ايمانهن اختلفوا
في ان عبد المراة هل يكون محرما لها لقوله تعالى وما ملكت ايمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد
من الاية الاما دون العبيد واتقين الله اي ان يراكن احد غير هولا ان الله كان على كل شي اي من اعمال
العباد شهيدا قوله عز وجل ان الله وملايكته يصلون على النبي قال ابن عباس اراد ان يرحم النبي
والملايكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة الاستغفار

فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملايكته وصلاة الملايكة الدعا يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ادعوا له بالرحمة وسلموا
تسليما اي حيوه بتحية الاسلام فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها
اتفق العلما على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب
في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحد الروايتين عن احمد وقيل تجب في كل ما ذكر واختاره الطحاوي
من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني
كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ق عن ابي حميد الساعدي قال قولوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك
على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد م عن ابي مسعود البدري قال اتانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول
الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات اخرجه النساي وله عن
ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك
قال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك
احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملايكة سياحين
في الارض يبلغوني من امتي السلام عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس بي يوم
القيمة اكثرهم علي صلاة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن ابي طالب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على
ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير
ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما
المشركون فقالوا الملايكة بنات الله والاصنام شركاوه خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله
لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز
وجل يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة
العرب في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من افعال الدهر

فقال

فقال الله تعالى انا الدهر انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذي تنسبوه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى
يوذون الله يلحدون في اسمايه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير خ عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يوذون
الله اي يوذون اولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته
بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب
معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول
فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون والذين يوذون المومنين
والمومنات بغير ما اكتسبوا اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا قيل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يوذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شان عايشة وقيل نزلت
في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضاء حوايجهن فيتبعون المراة
فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان
زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت والذين يوذون المومنين والمومنات الاية ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين اي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن
جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكلما يستتر به من كساء وغيره
قال ابن عباس امر نساء المومنين ان يغطين رووسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حراير وهو
قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين اي لا يتعرض لهن وكان الله غفورا رحيما اي لما سلف منهن قال انس
مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحراير القي القناع لكان كلمة تقال
لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس قوله تعالى لين لم ينته المنافقون اي
عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض اي فجور وهم الزناة والمرجفون في المدينة اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم
كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد
اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا ويفشوا الاخبار
لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي لا يساكنونك في المدينة
الا قليلا اي حتى يخرجوا منها وقيل نسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ملعونين اي مطرودين اينما ثقفوا
اي وجدوا وادركوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم هذا على الامر به سنة الله اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل
اي في المنافقين والذين فعلوا مثل فعل هولاء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل
يسالك الناس عن الساعة قيل ان المشركين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة
استعجالا على سبيل الهزو وكان اليهود يسالونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى علمها عليهم وفي التوراة
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما علمها عند الله يعني ان الله تعالى قد استاثر به لم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك اي اي شي يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها لعل الساعة تكون قريبا اي انها
قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار اي تنقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اي في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعني روساء الكفر

الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فاضلونا السبيلا يعني عن سبيل الهدى ربنا آتهم يعنون السادة والكبراء ضعفين
من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم لعنا كثيرا اي لعنا متتابعا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي فطهره الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اي كريما ذا جاه
وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسال الله شيا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا
مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل
يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع
موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه
قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخاري
ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيا من جسده استحيا
منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة وان
الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها
وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فراوه
عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان
بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه
الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي
يا حجر فنوله وطفق اي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاثر واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن
الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر والحديث يقولونه ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الاية ان اذاهم اياه انه لما مات هارون
في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملايكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتل فبراه الله مما
قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على راس الملا فعصمها الله وبرا موسى من ذلك واهلك
قارون وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى
الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم في القسمة
فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله
ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به
الاديم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل
صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال الاية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرايض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات
والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد
من هذا كله الودايع وقيل هي في جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرايع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج

امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس
هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مومن ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير
فعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف
فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فقلن
لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان
لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها
والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن
العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات
والارض هو العرض على اهلها من الملايكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء فابين ان يحملنها
واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يودينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني ادم قال الله عز
وجل لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما
فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى اما اذ
تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك
لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان
بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر وقيل انما كلف الانسان حملها بلغ من عظم
وثقل حملها انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحمله ويستقل به فابى حمله واشفق
منه وحملها الانسان على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر
ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما
جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الاية قول اخر وهو ان الله ايتمن السموات
والارض والجبال على شيء وايتمن ادم واولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة
لما خلقن له وقوله فابين ان يحملنها اي ادين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بني ادم فهو ما ذكر من
الطاعة والقيام بالفرايض وقوله وحملها الانسان اي خان فيها وعلى هذا القول حكي عن الحسن انه قال
الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى فصل
الامانة وعن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت احدهما وانا
انتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القران فعلموا من القران وعلموا من السنة
ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام
الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس
فيه شيء ثم اخذ حصاة فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال ان
في بني فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد
اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لين كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه علي
ساعيه واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال الجذر الشيء اصله
والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هي النفاطات
في الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مجلس يحدث القوم فجا اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض
القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا
يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر
الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات اي بما خانوا الامانة ونقضوا الامانة ويتوب الله على المومنين والمومنات اي يهديهم ويرحمهم
بما ادوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المومن
فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات وكان الله غفورا رحيما
والله اعلم

تفسير سورة سبا وهي مكية

وهي اربع وخمسون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة والف وخمسماية واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض معناه ان كل نعمة فمن الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه
من اجله ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا وله الحمد في الاخرة
اي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الاخرة وقيل الحمد
في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اي الذي احكم امور الدارين
الخبير اي بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الارض اي من المطر والكنوز والاموات وما يخرج منها اي من النبات
والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا وما ينزل من السما اي من المطر والثلج والبرد وانواع البركات
والملايكة وما يعرج فيها اي في السما من الملايكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اي للمفرطين في اداما وجب عليهم
من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطوا ما وعدوه من
قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية قل بلى وربي لتاتينكم يعني الساعة عالم الغيب اي لا يفوت علمه شي من الخفيات
واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها اتية لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه مثقال ذرة اي وزن ذرة
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك اي من الذرة ولا اكبر الا في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات اوليك لهم مغفرة اي لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في اياتنا اي في ابطال
ادلتنا معجزين اي يحسبون انهم يفوتوننا اوليك لهم عذاب من رجز اليم قيل الرجز اسوا العذاب ويرى
الذين اوتوا العلم يعني مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الذي انزل اليك من ربك يعني القران هو الحق يعني انه من عند الله ويهدي يعني القران الى صراط العزيز الحميد اي
الى دين الاسلام وقال الذين كفروا يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه هل ندلكم اي قال بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل ينبيكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهي انكم اذا مزقتم كل ممزق
اي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد اي يقول انكم تبعثون وتنشوون خلقا جديدا
بعد ان تكونوا رفاتا وترابا افترى على الله كذبا اي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة اي
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد من الافترا والجنون في شي وهو مبرا منهما
بل الذين لا يومنون بالاخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد اي من الحق في الدنيا افلم يروا الى
ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض اي فيعلموا انهم حيث كانوا فان سماي وارضي محيطة بهم لا يخرجون من

اقطارها وانا قادر عليهم ان نشا نخسف بهم الارض اي كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السما
كما فعلنا باصحاب الايكة ان في ذلك اي فيما ترون من السما والارض لاية اي تدل على قدرتنا على البعث بعد
الموت لكل عبد منيب اي تايب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة
والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال اوبي معه اي وقلنا
يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل ارجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح والطير اي وامرنا الطير ان تسبح معه
فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان
داود اذا تخلل اوفتر اسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له والنا له الحديد يعني كان الحديد في
يده كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشا من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما
ملك بني اسرايل كان من عادته ان يخرج للناس متنكرا فاذا راى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول
له ما تقول في ذلك والبكم هذا اي رجل فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فلما
راه داود تقدم اليه على عادته وساله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه السلام ذلك
وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى ان يسبب
له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدرع
وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفايح ويقال انه كان يبيع كل درع باربعة الاف فياكل منها ويطعم عياله
ويتصدق منها على الفقرا والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل
الا من عمل يده ان اعمل سابغات اي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا وقدر
في السرد اي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير دقاقا فيتقلقل ولا يثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل في السرد اي
اجعله على القصد وقدر الحاجة واعملوا صالحا يريد داود واله اني بما تعملون بصير قوله تعالى ولسليمان الريح
اي وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر معناه سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير
رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيسير باصطخر وبينهما
مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى
بسمرقند واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام
بلياليهن كجري الما وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد ومن الجن من يعمل
بين يديه باذن ربه اي بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ
اي يعدل منهم اي من الجن عن امرنا اي الذي امرنا به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير قيل هذا في الاخرة
وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك
السوط ضربة احرقته قوله عز وجل يعملون له ما يشا من محاريب اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور
والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة
رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي تمامه على يديه فلما
توفي داود واستخلف سليمان احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل
طايفة بعمل فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببنا المدينة بالرخام والصفاح
وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بنا المدينة ابتدا في بنا المسجد فوجه
الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي

من اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتي من ذلك بشي كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر
الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي فبنى المسجد
بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص
سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن على الارض يومئذ
بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرائيل
واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شي فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال
الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل حين فرغ من بنا المسجد لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة
فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائي ولغير النسائي سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا
ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه اي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على
ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وساير انواع
الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله عز
وجل وتماثيل اي ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغير
ذلك وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبيا والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل
ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل
كالقتل والظلم والكذب ونحوه مما يقبح في كل الشرايع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد
ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان
والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه وجفان اي قصاع كالجواب اي كالحياض التي
يجبى فيها الماء قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها وقدور راسيات اي ثابتات قيل كان اثافيها
منها لا يتحرك ولا ينزلن عن اماكنها لعظمهن ولا يعطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن اعملوا آل داود
شكرا اي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان
واهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه السلام قد جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي
ساعة من ليل او نهار الا وانسان من آل داود قايم يصلي وقليل من عبادي الشكور اي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي
قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال العلما كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة
والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان
سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول
ولاي شي خلقت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت لغرس امر بها فغرست وان كانت لدوا كتب ذلك حتى
نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت الخروبة قال ولاي شي نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله
ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم عم على الجن
موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيا ويعلمون ما في غد ثم دخل
المحراب وقام يصلي على عادته متكيا على عصاه فمات قايما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون
تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياة سليمان وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن
الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصى سليمان

فخربتا

فخربتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالما والطين في جوف الخشب فذلك قوله ما دلهم
على موته الا دابة الارض يعني الارضة تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقا مسخرين لسليمان
وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم
وقيل في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك
ذكر اهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة اربعين سنة وشرع في بنا
بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم
اية عن فروة بن مسيك المرادي قال وانزل في سبا ما انزل قال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال
ليس بارض ولا امراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة فاما الذين تشاموا
فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال
رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب
وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب من ارض اليمن اية اي دلالة على وحدانيتنا
وقدرتنا ثم فسر الاية فقال تعالى جنتان اي هي بستانان عن يمين وشمال اي عن يمين الوادي وشماله
وقيل عن يمينه من اتاهما وشماله قيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان كلوا اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم اي من
ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين فيمتلي المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها
شيا واشكروا له اي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته بلدة طيبة اي ارض مارب وهي سبا بلدة طيبة ليست
بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي
ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهوا ورب غفور اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله تعالى
فاعرضوا قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه
فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم
فارسلنا عليهم سيل العرم اي الذي لا يطاق قيل كان ما احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شا وقيل العرم السكر
الذي يحبس الما وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا
يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض
وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الما واذا استغنوا
عنه سدوها فاذا جا المطر اجتمع اليه ما اودية اليمن فاحتبس السيل من ورا السد فامرت بالباب الاعلى ففتح
فجرى ماوه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما
من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى
الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الما جنانهم وخرب ارضهم قال وهب فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان يخرب سدهم
فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جا زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت
فيما يذكرون فارة حمرا كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت
عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جا السيل وجد خللا فدخل فيه حتى
اقتلع السد وفاض الما على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب
يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم

جنتين ذواتي اكل خمط قيل هو شجر الاراك وثمرته البرير وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل
هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به واثل قيل هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرفا
الا انه اعظم منه وشيء من سدر قليل قيل هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمرته النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه
مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله
تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم وهل نجازي الا الكفور اي هل يكافي بعمله الا الكفور
لله في نعمه فقيل المومن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافى بسيئاته وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
اي بالماء والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة اي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من
اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقدرنا
فيها السير اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف
يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك سيروا اي وقلنا لهم سيروا فيها
ليالي واياما اي في اي وقت شئتم امنين اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة فطغوا
ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه وطلبوا الكد والتعب في الاسفار
وقرئ باعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فتمنوا ذلك [٣ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا]
فعجل الله لهم الاجابة وظلموا انفسهم اي بالبطر والطغيان فجعلناهم احاديث اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم
ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا
بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم المدينة عمرو بن عامر وهو جد
الاوس والخزرج ولحق آل جذيمة بالعراق ان في ذلك لايات اي لعبرا ودلالات لكل صبار عن المعاصي شكور اي لله على
نعمه قيل هو المومن صبور على البلاء شاكر للنعماء وقيل المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال ابن عباس يعني المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه
في اصل الدين وقيل هو خاص بالمومنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال الله النظرة
فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه
واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم ومناهم فاغتروا
وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان تسليطنا اياه عليهم الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك اي لنعلم
ونميز المومن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب وربك على كل شيء حفيظ اي
رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى قل اي يا محمد لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دون الله والمعنى
ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من سني الجوع ثم وصف عجز الالهة فقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض يعني من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي للالهة فيهما اي في السموات والارض من شرك اي شركة وما له اي لله منهم اي
من الالهة من ظهير اي عون ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار
حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له حتى اذا فزع عن قلوبهم
معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله (خ) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير وللترمذي اذا قضى الله امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي

حديث

حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد والمطمئن الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا
تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل
فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقولون الحق اخرجه ابو داود الصلصلة صوت الاجراس
الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
خمسمائة سنة او ستمائة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد
صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة
فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رووسهم ويقول
بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك
اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق
فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير اي ذو العلو والكبرياء قوله عز وجل قل من يرزقكم من السموات والارض
يعني المطر والنبات قل الله يعني ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل انت ان رازقكم هو الله وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين معناه انا نحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر ضال وهذا ليس هو على طريق الشك
بل على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القائل لاحد ما كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى
الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالكذب ومنه بيت حسان

اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفدا

وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية انا لعلى هدى وانتم لفي ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا اي لا تواخذون
به ولا نسئل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مومن
وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا يعني يوم القيامة ثم يفتح اي يقضي ويحكم بيننا بالحق وهو الفتاح
العليم قل اروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركاء يعني الاصنام معه في العبادة هل يخلقون وهل
يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركاء بالله كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا
فانهم لا يخلقون ولا يرزقون بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي في تدبير خلقه فانى يكون له شريك
في ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربهم وعجمهم وقيل
ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم فلم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي خص بها نبينا صلى الله عليه
وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة
العامة الى كافة الخلق الانس والجن وكان النبي يبعث الى قومه قبله او الى اهل بلده فعمت رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء وقيل في معنى كافة اي كافا يكفهم عما هم عليه من
الكفر فتكون الهاء للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيامة قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون عنه بان يزاد في اجالكم او ينقص منه وقال الذين
كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل ولو ترى اي يا محمد اذ الظالمون موقوفون

عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادلون اطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرأيت العجب يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم
لكنا مؤمنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر
للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي عن الايمان وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل
والنهار وهو طول السلامة وطول الامل فيهما اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي هو قول القادة
للاتباع ان ديننا حق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار اذ تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب
عداوتهم في الآخرة واسروا الندامة اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما رأوا العذاب وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي من الكفر
والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اي رؤساؤها واغنياؤها انا بما
ارسلتم به كافرون وقالوا يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم يكن
الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اي ان الله قد
احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه
تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضى الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اي انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي بالتي تقربكم عندنا تقريبا
الا اي لكن من امن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضعف
الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة الى عشر الى سبعمائة وهم في الغرفات امنون والذين يسعون في
اياتنا اي يعملون في ابطال حججنا معاجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا اولئك في العذاب
محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال
او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم
من الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل
ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
فان هذا في الآخرة ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تعالى انفق ينفق ولمسلم يا ابن آدم انفق انفق عليك ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح
العباد فيه الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا م عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
احد لله الا رفعه الله وهو خير الرازقين اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد
يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق
سواه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني هؤلاء الكفار ثم يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اي في الدنيا
وهذا استفهام تقرير وتقريع للكفار فتبرأ منهم الملئكة من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت
ولينا من دونهم انهم من الرضا بعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون يعني الشياطين فان قلت
قد عبدوا الملئكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور

الملئكة

الملئكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون اي مصدقون
للشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اي بالشفاعة ولا ضرا اي بالعذاب يريد انهم
عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد
اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر
مبين وما اتيناهم يعني هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها اي يقرؤونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي
لم يأت العرب قبلك نبي ولا انزل اليهم كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة رسلنا وما بلغوا يعني هؤلاء
المشركين معشار اي عشر ما اتيناهم اي اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير اي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية قوله عز وجل قل انما اعظكم
اي آمركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال ان تقوموا لله اي لاجل الله مثنى اي اثنين
اثنين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا اي تجتمعون جميعا فتنظرون وتتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى
الله عليه وسلم فتعلمون ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه
الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه لينظر فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه ايضا بعدل
ونصفة هل رأينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة
بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واحدهم ذهنا واثقبهم رأيا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد
عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه باية فاذا جاءها تبين انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل
تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من
جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل فهو لكم اي لم اسألكم
شيئا ان اجري اي ثوابي الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي بالوحي من السماء فيقذفه
الى الانبياء علام الغيوب اي خفيات الامور قل جاء الحق اي القرآن والاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي ذهب
الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدئ شيئا او يعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى ما يخلق ابليس احدا ابتداء ولا يبعثه
اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت
حتى تركت دين ابائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اي من الحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل ولو ترى اي يا محمد اذ فزعوا اي عند البعث
حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا فوت اي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم واخذوا من مكان قريب قيل من تحت
اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من
مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل خسف بالبيداء ولو ترى اذ فزعوا لرأيت امرا تعتبر به وقالوا
امنا به اي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث وانى لهم التناوش من مكان بعيد اي التناول
والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس
يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل اي بالقرآن وقيل بمحمد
صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال يوم القيامة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قيل هو الظن

لان علم غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرجمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون
ويقولون انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم وبين
ما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها كما فعل باشياعهم اي بنظرائهم ومن كان على
مثل حالهم من الكفار من قبل اي لم يقبل منهم التوبة والايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك اي من البعث ونزول العذاب
بهم مريب اي موقع الريبة والتهمة والله سبحانه وتعالى اعلم •

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة مكية

وهي خمس واربعون اية وتسعماية وسبعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق جاعل الملائكة رسلا اي الى الانبيا
اولي اجنحة اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له اربعة يزيد في الخلق ما يشا اي يزيد في خلق الاجنحة
ما يشا قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل على صورته له ستماية جناح وقيل
في قوله يزيد في الخلق ما يشا هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل الملاحة في العينين وقيل هو العقل
والتمييز ان الله على كل شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة قيل هو المطر وقيل
من خير ورزق فلا ممسك لها اي لا يستطيع احد على حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي لا يقدر احد على
فتح ما امسك وهو العزيز اي فيما امسك الحكيم فيما ارسل (ق) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع
لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والحظ لا ينفع المحظوظ والغني حظه وغناه
لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم قيل الخطاب
لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو استفهام
تقرير وتوبيخ يرزقكم من السما يعني المطر والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون اي من اين يقع لكم الافك
والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور اي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان
وعد الله حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها من عمل الاخرة وطلب ما عند
الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي لا يقول اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يامركم به من الكفر والمعاصي انما
يدعو حزبه اي اشياعه واولياه ليكونوا من اصحاب السعير ثم بين حال موافقته ومخالفته فقال تعالى الذين كفروا
بايات الله لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير قوله عز وجل افمن زين له
سو عمله قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهوا والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون
دما المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكباير من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها
ومعنى زين له شبه وموه عليه قبيح عمله فراه حسنا وفي الاية حذف مجازه افمن زين له سو عمله فراى الباطل حقا كمن
هداه الله فراى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا وقيل مجاز الاية افمن زين له سو
عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم
ان لم يومنوا ان الله عليم بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سو صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا

اي تزعجه

اي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه فتجي به فسقناه اي نسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور
اي مثل احيا الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف
يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال كذلك
يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قيل معناه من كان يريد العزة
فليتعزز بطاعة الله وهو دعا الى طاعة الله من له العزة اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان
الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المومنين اليه اي الى
الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا
حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملايكة الا
استغفروا لقايلهن حتى يجي بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث
موقوف على ابن وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلام الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اي
يقبل الله الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس اي يرفع العمل الصالح الكلام الطيب وقيل الكلام
الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرايض فمن ذكر الله ولم يود فرايضه رد كلامه على عمله وليس الايمان
بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن
قال حسنا وعمل صالحا يرفعه ذلك العمل لان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفي
الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلام الطيب
يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن التوحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل
الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيات
اي يعملون السيات يعني الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم
اصحاب الربا لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو يبور اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من
تراب يعني ادم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي عمر احد وقيل ينصرف
الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب
يومان حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة
والله لو دعا الله عمر ان يوخر اجله لفعل فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال
هذا اذا حضر الاجل واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وقرا هذه الاية ان ذلك في كتاب يعني اللوح المحفوظ ان ذلك
على الله يسير اي كتابة الاجال والاعمال على الله هين قوله تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والملح
ثم وصفهما فقال هذا عذب فرات اي طيب يكسر العطش سايغ شرابه اي سهل في الحلق هني مري وهذا ملح اجاج
اي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تاكلون لحما طريا يعني السمك وتستخرجون
اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني اللولو والمرجان وقيل نسب اللولو اليهما لانه يكون في البحر الملح عيون
عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللولو منهما وترى الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من
فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكرون الله على نعمته يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه اي الاصنام ما يملكون من

فطمير هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاكم يعني انهم
جماد ولو سمعوا اي على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبيك مثل خبير
يعني نفسه اي لا ينبيك احد مثلي لاني عالم بالاشيا قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي الى فضله واحسانه
والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم يحتاجون الى الله فهم فقرا والله هو الغني اي عن خلقه لا يحتاج الحميد اي
المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمد ان يشا يذهبكم اي لاتخاذكم اندادا وكفركم باياته ويات بخلق
جديد اي يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيا وما ذلك على الله بعزيز اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخرى
يعني كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تواخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية
وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون اثقال
من اضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله في كسبهم وان تدع مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة
بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى اي لو كان المدعو ذا قرابة له كالاب والام والابن
والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقول يا ابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما
تنذر الذين يخشون اي يخافون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى اي اصلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه
اي لها ثوابه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك
والبصير بالهدى وهو المومن ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار
وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوي الاحيا ولا الاموات يعني المومنين
والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا يعني حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار
شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اي ما انت الا منذر تخوفهم بالنار انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اي جماعة كبيرة فيما مضى الا خلا
اي سلف فيها نذير اي نبي منذر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت
اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست اثار رسالة عيسى عليه السلام بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم واثار نذارته باقية الى يوم القيمة لانه لا نبي بعده وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزة الدالة على نبوتهم وبالزبر وبالكتاب المنير اي الواضح قيل اراد
بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
يعني المطر الم تر ان الله انزل من السما ما قوله عز وجل فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها من
الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب والعنب وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما
لا يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرق في الجبال مختلف الوانها يعني منها ما هو ابيض
ومنها ما هو احمر ومنها ما هو وغرابيب سود اي شديد السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمر والجبال وتم الكلام ها هنا ثم ابتدا فقال
انما يخشى الله من عباده العلما قال ابن عباس انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظمه
وقدره وانذره والخشوع حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية ق عن عايشة قالت صنع رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم اثنى فقال
ما بال اقوام يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اي لم يشدد
فيه قولها فتنزه اي تباعد عنه وكرهه قوم ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت

مثلها

مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم
لهم خنين الخنين بالخا المعجمة هو البكا مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما
وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل
وقال مقاتل اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم ان الله عزيز
اي في ملكه غفور اي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق
ان يخشى ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله يعني يداومون على قراته ويعلمون ما فيه ويعملون به
واقاموا الصلاة اي ويقيموا الصلاة في اوقاتها وانفقوا مما رزقناهم اي في سبيل الله سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور اي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله عن ابن عباس يعني الثواب ما لم تر عين ولم تسمع اذن انه غفور شكور قال ابن عباس
يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران هو الحق
مصدقا لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا اليك
الكتاب وهو القران ثم اورثنا يعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى نورثه الذين اصطفينا من عبادنا
قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على ساير الامم واختصهم بكرامته بان
جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى فيهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وروي عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الاية
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله قال سوا كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن عمر بن الخطاب
انه قرا هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا مقتصد وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل
يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس
وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لان كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا
واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخل الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا هذه الاية الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سالت عايشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم
فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المومن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله
غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم اصحاب المشامة والمقتصد
اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سياته
والمقتصد من استوت حسناته وسياته والظالم من رجحت سياته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره
خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي

لعله فيحبس

للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا لانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الرجاء والخوف ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم على هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال الناس ثلاثة معصية ثم غفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير يعني ارثهم الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل هو الخبز والمعيشة في الدنيا وقيل اذهب عن اهل الجنة كل حزن كان منها لمعاش او معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية ان ربنا لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي لا باعمالنا لا يمسنا فيها نصب اي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اي اعياء من التعب قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اي فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم من عذابها اي من عذاب النار كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون فيها ربنا اخرجنا اي من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله تعالى الى ابن ادم (خ) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى كل امرئ اخر اجله حتى يبلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا اي يقال للظالمين ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور يعني انه علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي جحد هذه النعمة وعظمها فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا وقيل المقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الاخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم اروني ماذا خلقوا

من الارض

من الارض اي جزءا استبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في السموات اي في خلق السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينت منه اي على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بل ان يعد الظالمون بعضهم يعني الرؤساء بعضا الا غرورا يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا لعظم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ليس يمسكهما احد سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله لئن جاءنا رسول لنكونن اهدى منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير يعني محمدا ما زادهم اي مجيئه الا نفورا اي تباعدا عن الهدى استكبارا في الارض اي تكبرا وعتوا عن الايمان به ومكر السيء يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس لا يحل الا بمن اشرك فهل ينظرون اي ينتظرون الا سنة الاولين يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه اي ليفوت عنه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اي من الجرائم ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض من دابة اي نسمة تدب عليها يريد بني ادم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى يعني يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يس وهي مكية

وهي ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس اخرجه ابو داود وغيره قوله عز وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمدا وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن والقرآن الحكيم اي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين اي اقسم بالقرآن ان محمدا لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وانه على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم اي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم يعني لم ينذر اباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب فهم غافلون اي عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد حق القول اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون فيه اشارة

الي ارادة الله تعالى لشقاوتهم فيهم انهم لا يؤمنون بما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل **انا جعلنا في اعناقهم اغلالا** نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه بالحجارة فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه اثبتت يده الي عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الي اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الي اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت قال ما رايته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قيل هذا وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله بهم في النار **فهي** يعني الايدي **الى الاذقان** جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الي العنق **فهم مقمحون** اي رافعوا رؤوسهم عن غض البصر وقيل اراد بالاغلال رفعة رؤوسهم فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الاغلال لها **وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا** معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الي الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله **فاغشيناهم** اي فاعميناهم **فهم لا يبصرون** يعني سبيل الهدى **وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار **انما تنذر من اتبع الذكر** انما ينفع انذارك من اتبع القران فعمل بما فيه **وخشي الرحمن بالغيب** اي خافه في السر والعلن **فبشره بمغفرة** اي لذنوبه **واجر كريم** يعني الجنة قوله تعالى **انا نحن نحيي الموتى** اي للبعث **ونكتب ما قدموا** اي من الاعمال من خير وشر **واثارهم** اي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة في الاسلام حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الي المسجد عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الي قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب خ عن انس قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الي قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدوا ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا قوله بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم اي الزموا دياركم ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام وقوله تعالى **وكل شيء احصيناه** اي حفظناه وعددناه واثبتناه **في امام مبين** يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل **واضرب لهم مثلا** اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة **اصحاب القرية** يعني انطاكية **اذ جاءها المرسلون** يعني رسل عيسى عليه السلام ذكر القصة قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الي اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى

ندعوكم

ندعوكم من عبادة الاوثان الي عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الي منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشى الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام يسمى ابطيحس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى قال وفيما جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الي عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم الذي اوجدك والهتك قال لهما قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين الي انطاكية فاتياها فلم يصلا الي ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الي الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الي غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الي ههنا قالوا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما ايتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاء بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سالت الهك حتى يصنع مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ههنا ميت قد مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجيء بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده الي صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن معه قوم وكفر اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الي طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى **اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما** قال وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق ومصدوق **فعززنا بثالث** اي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم باذن الله عز وجل **فقالوا** يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية **انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء** اي لم يرسل رسولا **ان انتم الا تكذبون** ايه فيما تزعمون **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** اي وان كذبتمونا **وما علينا الا البلاغ المبين** اي بالايات الدالة على صدقنا **قالوا انا تطيرنا بكم** اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم** اي لنقتلنكم وقيل بالحجارة **وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم** اي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم

من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر ائن ذكرتم معناه اطيرتم لئن ذكرتم ووعظتم بل انتم قوم مسرفون
اي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وقيل كان
قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان
مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ونصفا يتصدق به فلما بلغه ان قومه كذبوا
الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم
واظهر دينه وقال لهم اتسالون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون معهم شيا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا
والاخرة فلما قال ذلك قالوا وانت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باآلهتهم فقال وما لي لا اعبد
الذي فطرني واليه ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر
وفي الرجوع فيه معنى الزجر فكان اليق بهم وقيل معناه واي شي لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث
فيجزيكم باعمالكم أاتخذ من دونه الهة اي لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسوء ومكروه لا تغن عني
اي لا تدفع عني شفاعتهم شيا اي لا شفاعة لها فتغني عني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من العذاب
اني اذا لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل
وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى هلكوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله
قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة وراى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة فامر
جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده
من جند من السما يعني الملائكة وما كنا منزلين اي ما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر مما تظنون ثم بين
عقوبتهم فقال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة
فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان
يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا حيث
لا يومنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيمة حين لم يومنوا بالرسل ثم بين سبب تلك
الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون قوله تعالى الم يروا اي الم يخبروا اخطاب لاهل
مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون اي من الامم الخالية اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم
لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون
يوم القيمة وآية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احيا الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا
منها حبا اي من الارض يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي في الارض
جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره اي من الثمر الحاصل بالماء وما
عملته ايديهم اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرى عملت بغير ها وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم
وليس من صنعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد بالعيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات
ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت
الارض اي من الاشجار والثمار ومن انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون يعني مما خلق الله من

الاشيا

الاشيا في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل وآية لهم يعني تدل على قدرتنا الليل نسلخ اي ننزع منه ونكشط منه النهار
فاذا هم مظلمون يعني بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار
من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي الى مستقر لها قيل الى انتها سيرها عند انقضا الدنيا
وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وقيل انها
تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السما في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتا وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية ابدا الى
يوم القيمة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه ابو ذر قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين
غربت الشمس اتدري اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن
فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع
من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ
محيي الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا
غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها
انتها سيرها عند انقضا الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك
اي الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه
تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم اي المحيط بكل شي قوله تعالى والقمر قدرناه منازل
اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير من الليلة المستهل الى
الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان اخر منازله دق وتقوس فذلك قوله تعالى حتى
عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول
فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتها اخر منازله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضايه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضايه وهو قوله تعالى ولا الليل سابق
النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع
الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضو فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيمة وقيل معناه
ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون
اي والشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل وآية لهم انا حملنا ذريتهم يعني اولادهم في الفلك المشحون
اي المملوء وخلقنا لهم من مثله اي مثل الفلك ما يركبون اي من الابل وهي سفاين البر وقيل اراد بالفلك
المشحون سفينة نوح ومعنى الاية ان الله حمل اباهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية
لهم ومنه قول العباس • بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق •
وانما ذكر ذراريهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله
اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار وان نشا نغرقهم فلا
صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا
الى حين يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضا اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن
عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم

يعني وقائع الله بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا الرحمة وجواب
اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم
اي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين
مما زعمتم ان لله من اموالكم نصيبا وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
اي انرزق من لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وائل السهمي اذا ساله المسكين قال له اذهب
الى ربك فهو اولى بك مني ويقول قد منعه الله اطعمه انا ومعنى الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم فنحن نوافق
مشية الله فيهم فلا نطعم من يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون
باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا
وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد
على مشية الله تعالى وحكمه في خلقه والمومن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء
ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين معناه ما انتم الا في خطا بين باتباعكم محمدا وترك
ما نحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لما ردوا من جواب المومنين ويقولون متى هذا الوعد يعني
يوم القيمة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة واحدة
قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم وهم يخصمون اي في امور الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في
في الاسواق والمجالس في متصرفاتهم فتاتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث
ولمسلم من حديث عمرو بن عبد الله بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا
يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام
وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض
ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه يسمع وقوله فلا يستطيعون
توصية اي لا يستطيعون الايصا اي اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على
الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لشي ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين
النفختين اربعون سنة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون
قيل اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس
من الانسان شي الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة فاذا هم من الاجداث
اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احيا قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس انما
يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين يرقدون فاذا بعثوا في الثانية وعاينوا اهوال
القيمة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها وعذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من
بعثنا من مرقدنا فيقول المومنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة يعني
النفخة الاخرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم

تعملون

تعملون قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة
بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل وقيل في السماع وقيل بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب
الاليم فاكهون قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال يعني
اكنان القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذووا اتكا تحت تلك الظلال لهم فيها فاكهة
اي في الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعو اهل الجنة ياتيهم سلام
قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم فاذا الرب عز وجل قد
اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر
اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته
عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملئكة من ربهم وقيل تدخل الملئكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم
من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا
وانفردوا وتميزوا اليوم من المومنين الصالحين وكانوا على حدة وقيل ان لكل واحد في النار بيتا يدخل ذلك البيت
ويردم بابه فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض الم اعهد اليكم
يا بني ادم يعني الم امركم واوصيكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين
لكم من معصية الله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط
مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
يعني ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون معنى الاية ان الكفار ينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل
ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاهم التي كانت عونا
لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة
في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على
غيره شهادة بما راى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل م عن ابي هريرة قال سال الناس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضارون في روية القمر ليلة البدر
ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في روية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب
قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم الا كما تضارون في رويتهما قال فيلقى العبد
ربه فيقول اي الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول بلى
يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول الم اكرمك
واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول واني اليوم انساك
كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول اي الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك تراس
وتربع فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول اي رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت
وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر
في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك

لبعد من نفسه وذلك للمنافق الذي يسخط الله عليه قوله يعني قل يا فلان قوله اسودك اي جعلتك سيدا
قوله واذرك اي واتيك ترأس اي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع تاخذ المرباع وهو ما ياخذ رئيس
الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي ترتع بتائين اي تتنعم وتنبسط من الربع وذلك لبعد من نفسه اي
ليقيم الحجة عليها بشهادة اعضائه عليه م عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم يجرني من الظلم
قال يقول بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام
الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا اي هلاكا قوله
فعنكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة
بحيث لا تبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم فاستبقوا الصراط
اي فبادروا الى الطريق فانى يبصرون اي كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى
وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معنى لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم
فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك
بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني ولو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة
لا روح فيها فما استطاعوا مضيا اي لا يقدرون ان يبرحوا ولا يرجعون اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون
على الذهاب ولا الرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نرده الى ارذل العمر كشبه الصبي في اول الخلق وقيل نضعف
جوارحهم بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف جسده وخلوه من عقل
وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته وعقله ويعلم ما له وعليه
فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك تنكيسه في الخلق افلا يعقلون
على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله
شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر
لم يتات له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت
شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه متكسرا كما روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا
البيت • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا • فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر •
• كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا • اشهد انك رسول الله هذا حديث مرسل وروي عن عائشة وقيل
لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول •
• ويأتيك بالاخبار من لم تزود • اخرجه الترمذي وفي رواية لغيره ان عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفة •
• ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويأتيك بالاخبار من لم تزود •
فجعل يقول ويأتيك بالاخبار فقال ابو بكر هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت
قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فعثر فدميت
اصبعه فقال • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •
اخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

من لم تزود

اللهم

اللهم • اللهم لا عيش الا عيش الاخرة • فاكرم الانصار والمهاجرة •
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب •
قلت ما هو الا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه
وان جاء موزونا كما يتفق من كثير في انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا يدخل في وزن
البحر ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى
ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر
ولا يدخل في بحوره وقرآن مبين اي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب
والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين
واقاويل الشعراء الكاذبين لينذر اي يا محمد وقرئ بالتاء اي القرآن من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر
كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول اي يجب حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا اي تولينا خلقه بابداعنا في غير اعانة احد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي
اذا انفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر
عليها الا هو انعاما انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان النعم اكثر اموال
العرب والنفع بها فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه
فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط
راس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة
لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون اي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب
اي من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها ومشارب من البانها افلا يشكرون اي رب هذه
النعم واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك
قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون
اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل
هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار فلا
يحزنك قولهم يعني كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمائرهم من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة
الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة
قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم
مع مهانة اصله لانه يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز للجدال في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدء خلقه وانه
من نطفة ويدع الخصومة نزلت في ابي خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد
رم وبلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعدما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
النار فانزل الله هذه الايات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يعني بدء امره قال من يحيي العظام وهي رميم
اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه
ونسي اول خلقه وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشاها اي خلقها اول مرة وابتدأ خلقها وهو بكل خلق
اي من الابتداء والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ والمعاد الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة

فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار يخرج
منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر واذ لك ان هذين الشجرتين
من اكثر الشجر نارا وقال الحكما في كل شجر نار الا العاب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون فتوقدون النار
من ذلك الشي ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو القادر على ذلك وهو الخلاق العليم يعني يخلق خلقا بعد خلق العليم
بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيا اي احداث شي وتكوينه ان يقول له كن اي يكونه من غير توقف فيكون اي
فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي اي هو مالك كل شي والمتصرف فيه واليه
ترجعون اي تردون بعد الموت والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه .

تفسير سورة الصافات وهي مكية

وهي مائة واثنان وثمانون اية وثمانماية وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانماية وستة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس الملائكة يصفون كصفوف الخلق
في الدنيا للصلاة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة
عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود
وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهوا واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير تصف
اجنحتها في الهوا فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهى وتزجر
عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قرا القران وهذا كله قسم اقسم
الله بهذه الاشيا وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله
تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشيا تنبيها
على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق قيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثماية وستون
مشرقا وكذلك المغارب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب
فكيف وجه الجمع بين الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين
مشرق الصيف ومشرق الشتا ومغرب الصيف ومغرب الشتا وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل
كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى
انا زينا السما الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب قال ابن عباس بضو
الكواكب في السما لا انها شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة
في الشكل كشكل الجوزا وبنات نعش وغيرها وقيل الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السما وراى هذه
الكواكب الزواهر مشرقة متلالية على سطح ازرق فهو فاية الزينة وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظنا
السما من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى يعني الى الملائكة والكتبة لانهم
سكان السما وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السما فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياهم
من الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وقوله ويقذفون اي يرمون
بها من كل جانب اي من افاق السما دحورا اي يبعدونهم عن مجالس الملائكة ولهم عذاب واصب اي دايم يخرجون

ويخلفون

ويخلفون الا من خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب اي كوكب
مضي قوي لا يخطيه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت
كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون
الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجا نيل
كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وتوفق له عز وجل فاستفتهم يعني سل اهل مكة اهم اشد خلقا
ام من خلقنا يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقدير اي هذه الاشيا اشد خلقا وقيل
ام من خلق يعني من الامم الخالية والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما
الذي يومن هولا من العذاب ثم ذكر مم خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني ادم من طين جيد حر لاصق
لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن بل عجبت قرئ بالضم على اسناد التعجب من الناس محمول على انكار الشي وتعظيمه
والتعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب
عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضي كما جا في الحديث
عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم
الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكا وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي
ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقرئ بفتح التا على انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله
عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من
يسمع القران يومن به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يومنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا وعظوا لا يتعظون
واذا راوا اية قال ابن عباس يعني انشقاق القمر يستسخرون اي يستهزون وقيل يدعو بعضهم بعضا
الى ان يسخر وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي بين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباونا
الاولون قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث
فاذا هم ينظرون يعني احيا وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يوم الحساب والجزا هذا يوم الفصل
اي القضا وقيل بين المحسن والمسي الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا احشروا اي اجمعوا الذين ظلموا
اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وازواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل طايفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل
الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي قرناوهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة
وقيل ازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل
ابليس وجنوده فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقفوهم اي احبسوهم انهم
مسيولون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسوال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي
عنه عن لا اله الا الله وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد
يوم القيمة حتى يسيل عن اربع عن عمره فيما افناه وعلمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه لا خرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شي الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا
وقفوهم انهم مسيولون ما لكم لا تناصرون اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا

ومعنى الجواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس
خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع
يتساءلون اي يتخاصمون قالوا يعني الرؤسا للاتباع انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتضلونا
وتردوننا عن الدين كما تضلوننا به وقيل كان الرؤسا يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى
انكم تحلفون لنا فنثق بايمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاول اصح قالوا يعني الرؤسا
للاتباع بل لم تكونوا مومنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر وما كان لنا عليكم من سلطان
اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول
ربنا يعني كلمة العذاب وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين انا لذائقون يعني ان الضال والمضل
في النار جميعا فاغويناكم اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين
قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤسا والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين
قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد
فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها
ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم بل جاء
بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب الا اي لكن استثنا منقطع
عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون يؤتون به
وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي
الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يوكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون
عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل
مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين
يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكاس من معين كل اناء فيه شراب يسمى كاسا واذا
لم يكن فيه شراب قال الشاعر وكاس شربت على لذة • ومعنى معين اي من خمر جارية في الانهار تراها العيون بيضا
يعني ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فتذهب
بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد
ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والقي والبول والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد
شي من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم
ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات العيون قصرن اعينهن على ازواجهن
فلا ينظرن الى غيرهم عين اي حسان الاعين عظامها كانهن بيض مكنون اي مصون اي مستور شبههن ببيض
النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النسا وهو
ان يكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب تشبه النسا ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدور وقوله عز
وجل فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا
قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من
الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وهما اللذان قص

الله

الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين اي بالبعث ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكاري قال الله تعالى لاهل
الجنة هل انتم مطلعون اي الى النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون اي لننظر
كيف منزلة اخي في النار فيقولون اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع اي المومن قال ابن عباس ان في الجنة
كوى ينظر منها اهل النار فراه في سواء الجحيم اي فراى قرينه في وسط النار سمي وسط الشي سواء لاستوا
الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا
فقد ارداه واهلكه ولولا نعمة ربي اي رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اي معك في
النار افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى اي في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملايكة
حين يذبح الموت فتقول الملايكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم وانما يقولونه على جهة التحدث
بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا
انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقول المومن لقرينه على
جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى لمثل هذا اي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق
معلوم فليعمل العاملون هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده بطاعته قوله تعالى اذلك اي الذي ذكره
لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اي رزقا ام شجرة الزقوم اي التي نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة
مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض
تهامة من اخبث الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار
شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد
والتمر وقيل بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر
فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر
النار واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رؤوس الشياطين قال ابن
عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت شبهها بشي لم يشاهد فكيف
وجه التشبيه قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشيا
في الوهم والخيال رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت
كانه راس شيطان قال امرؤ القيس بيت

• اتقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال •

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين
فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا فانهم لاكلون
منها اي من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلي بطونهم ثم ان لهم عليها
لشوبا اي خلطا ومزاجا من حميم اي من ما الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب
الحميم الزقوم فصار شوبا لهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شرب
الحميم انهم الفوا اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم
ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي وارسلنا فيهم رسلا منذرين
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين

ينجوا من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد نادانا نوح اي دعا ربه على قومه وقيل دعا ان ينجيه من الغرق فلنعم المجيبون اي نحن دعانا فانجيناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وتركنا عليه في الآخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا والامم الى يوم القيمة سلام على نوح في العالمين اي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا في الآخرين ان يصلى عليه الى يوم القيمة انا كذلك نجزي المحسنين اي جزاه الله باحسانه الجزاء الحسن في العالمين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين يعني الكفار قوله عز وجل وان من شيعته اي من شيعة نوح لابراهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتأفكون افكا وهو اسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لها القربان ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه سأسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبيا وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتولوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ اي مال الى آلهتهم ميلة في خفية فقال اي للاصنام استهزاء بها الا تأكلون يعني الطعام الذي بين ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ اي مال عليهم ضربا باليمين اي ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم يزفون يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه قال لهم ابراهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون اي بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه من الاصنام وفي الآية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب واوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله فارادوا به كيدا اي شرا وهو ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم وقال يعني ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين الى حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما راى الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش ويبلغ في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ

معه

معه السعي قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم والمعنى انه بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل انه لم يره في منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل راى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا راوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي كان امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحق والى ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطا ومقاتل والزهري والسدي واختلف الرواية عن ابن عباس فروي عنه انه اسحق وروي انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام وروي عن سعيد بن جبير راى ابراهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسمعيل والى ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطا بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج الى من ذهب ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود وبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين عقب البشارة بعد قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية واخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اي ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب ان يكون اباكم هو الذي امره الله بذبحه ويدعون انه اسحق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يا اصمع اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان بمكة اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة الى قصة الذبح قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة

ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسمعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه راى ليلة التروية كان قايلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى نفسه اي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي بذلك ذلك اليوم يوم عرفة وقيل راى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى اي من الراي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر قد علم انه حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلا الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه ويصبره الى ان جزع وليراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلا وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام ولم يكن في اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطية له ثم تاكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلالة ورويا الانبيا وحي وحق قال يا ابت افعل ما تومر اي قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وننطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امره الله تعالى قال افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين انما علق ذلك بمشية الله على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله تعالى الا بتوفيق الله تعالى فلما اسلما يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي كيلا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع من السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقري عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يحك شيا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيا قيل ضرب الله صفيحة من نحاس على الاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت لوجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا فلا انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم عليه السلام السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما راى ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لين لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين يذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت كلا هو ارحم ان كان امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين ذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم

فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم واله شيا مما اراد وامتنعوا عنه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض عليه الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا اي حصل المقصود من تلك الرويا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرويا وكان قد راى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال لقد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه الله باحسانه في طاعتنا العفو عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلا المبين اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فدا ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن اسحق الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن ادم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدي اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا له ثنا حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي بوجود اسحق وهذا اعلى قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزا الطاعة وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روي عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق اي بكون اكثر الانبيا من نسله ومن ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرايل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل انجاهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين اي على القبط واتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين اي المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الاخرين اي الثنا الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذا هو في مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبي من انبيا بني اسرايل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشير ابن فنحاص بن العيزار بن عمران بن هارون

ذكر الاشارة الى قصته

قال محمد بن اسحق وعلما السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبيا يبعثون من بعد موسى في بني اسرايل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرايل

وان سبطا منهم حصل في بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه اجب
وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان لهم صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه
وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل
في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس
يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه
فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب
فغصبت من رجل مؤمن له جنينة كان يعيش منها فاخذها وقتله فبعث الله تعالى الياس الى الملك وقومه وامره
ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآل على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة
على ورثة المقتول ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا
فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحي اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه
عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر
رفضه وخرج هاربا عنه ورجع الملك الى عبادة بعل والياس يشتوا في الجبال فكان ياوي الى الشعاب والكهوف
فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه
العيون والله يستره عنهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق
بذلك ذرعا فاوحى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست
اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال
يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي
اعري منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك
قال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل واي شي تريد ان اعطيك قال تملكني
خزاين السما سبع سنين فلا تنشي عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم
الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال
انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين
اجعل خزاين المطر بيدك قال الياس فباي شي اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك
وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية
والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالته مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان
وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك
طعام قالت نعم شي من دقيق وزيت قليل قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا خوابيها
زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه
وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امراة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له
اليسع بن اخطوب به ضر فاوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس
وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث ما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلاما شابا
ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهايم والدواب والطير والهوام
بحبس المطر فيزعمون ان الياس قد قال دعني اكون انا الذي ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه من البلا

لعلهم

لعلهم يرجعوا عما هم فيه وينزعوا من عبادة غيرك فقيل له نعم فجا الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا
وجهدا واهلكت الدواب والبهايم والطير والهوام خطاياكم وانتم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك
فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت
الله ففرج عنكم ما انتم فيه من البلا فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من
البلا فقالوا للياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس
على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم
فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك
الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاك
من شي فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه
كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه
الياس بكسايه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك اخر العهد به ورفع
الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا
وسلط الله على اجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اجب وامراته
ازبيل في الجنينة التي غصبتها فبليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل
واوحى اليه وايده فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قايم الى ان فارقهم اليسع روى السري
عن يحيى بن عبد العزيز عن ابي داود قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في
كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ
قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا يعني اتدعون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم
بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن وتذرون اي وتتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله
ربكم ورب اباكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون اي في النار الا عباد الله المخلصين اي من قومه الذين امنوا
به فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين قرى الياسين بالقطع قيل اراد محمد
وقيل آل القران لان يس من اسما القران وفيه بعد وقرى الياسين بالوصل معناه الياس واتباعه من المومنين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون عليهم اي
على اثارهم ومنازلهم مصبحين اي في وقت الصباح وبالليل اي وبالليل في اسفاركم افلا تعقلون اي فتعتبرون
بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل الله اذ ابق اي هرب الى الفلك المشحون اي المملو قال
ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة
فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا
فوقعت على يونس فقال انا الابق وزج نفسه في الما وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امراته وابنان له فجا
مركب فجا ليركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجا ذيب فاخذ
الابن الاصغر فبقي فريدا فجا مركب فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر فقال الملاحون
ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فانا نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان
يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى فساهم اي فقارع فكان من المدحضين

يعني من المقترعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو
مليم اي اتى بما يلام عليه فلولا انه كان من المسبحين اي الذاكرين لله قبل ذلك وكان كثير الذكر في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا وقيل شكر الله طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخا يذكركم في الشدة فان
يونس كان عبدا صالحا فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن
الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت
قبرا له الى يوم القيمة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ
لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى بالعرا اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل وهو
سقيم اي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت
ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه
شجرة من يقطين يعني القرع كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثا والبطيخ ونحوه فهو يقطين
قيل انبتها الله له ولم تكن قبل ذلك وكانت مفترشة ليحصل له الظل وفي شجرة القرع فايدة وهو ان الذباب
لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية
حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا
شديدا وجعل يبكي فارسل الله اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على ماية الف من امتك قد اسلموا وتابوا
وارسلناه الى ماية الف قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلنا
الى ماية الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل
يجوز ان يكون ارساله الى قوم اخرين غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه بل يزيدون وقيل
او على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير الرائي اذا راهم قال هولاء ماية الف او يزيدون على ذلك فالشك
على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا يعضده
ما روي عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون
قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل
سبعين الفا فامنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فمتعناهم الى حين اي الى انقضا اجالهم
قوله عز وجل فاستفتهم اي فاسال يا محمد اهل مكة وهو سوال توبيخ الربك البنات ولهم البنون وذلك ان
جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملايكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك
باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشي الذي يستنكف منه المخلوق فكيف ينسبونه للخالق ام خلقنا
الملايكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون خلقنا اياهم الا انهم من افكهم من كذبهم ليقولون ولد الله اي في
زعمهم وانهم لكاذبون اي فيما زعموا اصطفى البنات اي في زعمهم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع
ما لكم كيف تحكمون اي بالبنات لله ولكم البنين افلا تذكرون اي فلا تتعظون ام لكم سلطان مبين اي برهان
بين على ان لله ولدا فاتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين اي في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا قيل اراد بالجنة الملايكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملايكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس
قالوا هم بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين
في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ولقد علمت الجنة انهم يعني
قايلي هذا القول لمحضرون في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عما يقولون الا عباد الله المخلصين

هذا

هذا استثنا من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يعني يا اهل مكة وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم
عليه اي على ما تعبدون بفاتنين اي بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق في علم الله الشقاوة
انه سيدخل النار قوله عز وجل اخبارا عن حال الملايكة وما منا الا له مقام معلوم يعني قال جبريل للنبي
صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملايكة الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر
الا وعليه ملك يصلي ويسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السما وحق لها ان تيط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي وهو طرف من حديث
قيل الاطيط اصوات الابل وقيل اصوات الاقتاب وحنينها وفي الحديث ما في السما من الملايكة قد اثقلها حتى اطت
وهذا مثل وايذان بكثرة الملايكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل
يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجا والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني الملايكة صفوا اقدامهم
في عبادة الله كصفوف الناس في الصلاة في الارض وانا لنحن المسبحون اي المصلون وقيل المنزهون لله
عن كل سوء يخبر جبريل صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا المعبودين
كما زعمت الكفار قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله
فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا
المومنين لهم الغالبون اي لهم النصرة في العاقبة فتول اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى
يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه الاية منسوخة باية القتال وقيل الى ان ياتيهم العذاب وابصرهم اي اذا نزل
بهم العذاب فسوف يبصرون اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اي بحضرتهم وقيل بفنايهم وبعقرهم فسا صباح المنذرين يعني فبيس صباح
الكافرين الذين انذروا العذاب (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تاكيدا لوعيد
العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل المراد من الاية الاولى اخر الهم في الدنيا وبهذه ذكر احوالهم في الاخرة
فعلى هذا القول يزول التكرار وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان
ربك رب العزة اي الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث عما يصفون عن
اتخاذ الشركا والاولاد وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرايع لان اعلى مراتب البشر ان
يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبيا عليهم السلام فلاجرم يجب على كل احد الاقتدا بهم والاهتدا بهداهم
والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا وقيل الغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوه ولا يخلوا
به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن ابي طالب قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر
كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود وهي مكية

وهي ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعماية واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبع وستون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور

وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم **والقرآن ذي الذكر** قال ابن عباس اي ذي
البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى بالقرآن ان محمدا لصادق
وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى
بل الذين كفروا قيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره بل الذين كفروا **في عزة وشقاق**
والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل
النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر
ومجاز الآية ان الله تعالى اقسم بص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة اي حمية وجاهلية وتكبر
عن الحق وشقاق اي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم **كم اهلكنا من قبلهم من قرن** يعني من الامم الخالية
فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة **ولات حين مناص** اي ليس حين فرار وتاخر قال ابن عباس كان
كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل العذاب ببدر
قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول **وعجبوا** اي كفار مكة **ان جاءهم منذر منهم**
يعني رسولا من انفسهم ينذرهم **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** قوله عز وجل **اجعل الآلهة الها واحدا**
وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم
الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا الى
ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فارسل اليه ابو طالب فدعاه فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السواء
فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسالون قالوا ارفض ذكر الهتنا وندعك
والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال
ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرة امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك
وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد **ان هذا لشيء عجاب** اي عجيب **وانطلق الملا منهم**
اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب **ان امشوا** اي يقول بعضهم لبعض امشوا **واصبروا على آلهتكم** اي اثبتوا
على آلهتكم **ان هذا لشيء يراد** اي لامر يراد بنا وذلك ان عمر بن الخطاب لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا هذا
الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه
وسلم **ما سمعنا بهذا** اي من التوحيد **في الملة الآخرة** قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون
بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه **ان هذا الا اختلاق** اي كذب وافتعال
أانزل عليه الذكر اي القرآن **من بيننا** اي يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى **بل هم في شك
من ذكري** اي وحيي وما انزلت **بل لما يذوقوا عذاب** اي لو ذاقوا لما قالوا هذا القول **ام عندهم خزائن رحمة ربك**
يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا **العزيز** في ملكه **الوهاب** الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم **ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما** اي ليس لهم ذلك **فليرتقوا في الاسباب** يعني ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا
في الاسباب التي توصلهم الى السماء وليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وارادوا وقيل اراد بالاسباب ابواب
السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا امر توبيخ وتعجيز **جند ما هنالك** اي هولاء الذين يقولون هذا القول جند
ما هنالك **مهزوم** اي مغلوب **من الاحزاب** يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء
بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تاويلها

يوم

يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم **كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد** قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد
الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر
بيت ۞ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد ۞
واصل هذا ان بيوتهم ثبتت بالاوتاد وقيل ذو القوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد ذو البطش
وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد
وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وقيل الاوتاد
جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة
اوتاد وشد منه كل طرف الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد
وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه **وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب** الذين
تحزبوا على الانبياء فاعلم ان مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب **ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب**
يعني ان اولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هولاء الضعفاء
المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين **وما ينظر** اي ينتظر **هولاء** يعني كفار مكة
الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع والمعنى تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت
لم ترد ولم تصرف **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا** اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من
العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي
احصت كل شيء قيل لما نزل في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء
عجل لنا كتابنا في الدنيا **قبل يوم الحساب** وقيل قطنا اي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط
الكتاب بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم **اصبر على ما يقولون** اي على ما يقولوا لك
من تكذيبك **واذكر عبدنا داود ذا الايد** قال ابن عباس ذا القوة في العبادة وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة
الى الله صلاة داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
وقيل معناه ذو القوة في الملك **انه اواب** اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع
لله وقيل مسبح بلغة الحبش **انا سخرنا الجبال معه يسبحن** اي بتسبيحه اذا سبح **بالعشي والاشراق** اي غدوة
وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت امر بهذه الآية لا ادري ما هي حتى حدثتني
ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال
يا ام هاني هذه صلاة الاشراق قلت والذي اخرجاه في الصحيحين من حديث ام هاني في صلاة الضحى قالت
ام هاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب
فسلمت عليه فقال من هذه قالت انا ام هاني بنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من غسله قام
فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب قالت ام هاني وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ما حدثنا
احد انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هاني فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود

قوله عز وجل والطير اي وسخرنا له الطير محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه كل له اواب اي رجاع الي طاعته
مطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا
كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروي عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرايل استعدى على رجل
من عظمايهم عند داود فقال ان هذا اغتصبني بقرا فسال داود الرجل فجحد فسال الاخر البينة فلم يكن له بينة
فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله الي داود في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه فقال له
هذه رويا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فاوحي اليه مرة اخرى فلم يفعل فاوحي اليه الثالثة ان يقتله او
تاتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال اوحى الله الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم
والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال له لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا
الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فكذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتد هيبته
بني اسرايل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه واتيناه الحكمة يعني النبوة
والاصابة في الامور وفصل الخطاب قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم
والبصر بالقضا وقال علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم
ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل فصل الخطاب هو قول
الانسان بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من قاله داود عليه
السلام قوله عز وجل وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد نبو الخصم اي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك
وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الي استماعه والخصم
الخصما يقع على الواحد والجمع اذ تسوروا المحراب اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل
فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهما اتوا المحراب من سوره ونزلوا اعلاه وفي الاية
قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلما باخبار الانبيا وسا ذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه
بفصل فيه تنزيه داود عما لا يليق بمنصبه لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها
الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة ابايه ابراهيم
واسحق ويعقوب وذلك انه قد كان قسم الدهر ثلاثة يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة
ربه ويوم لنسايه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب
ارى الخير كله قد ذهب به ابايي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ابتلايا لم تبتل بها فصبروا عليها
ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف
فقال داود ابتليني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله انك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما
كان في اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك
اذ جا الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها
من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها ويريها بني اسرايل لينظروا
الي قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان يويسه من نفسها فامتد اليها لياخذها
فتنحت عنه فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من
يصيدها له فابصر امراة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل راها تغتسل على سطح لها فراى امراة
من اجمل النسا خلقا فعجب داود من حسنها وحانت التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها

فزاده ذلك اعجابا بها فسال عنها فقيل هي تشايع امراة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا مع
ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الي ابن اخته ان ابعث اوريا الي موضع كذا وقدمه قبل التابوت
وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الي ورايه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح
له فكتب الي داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الي عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة
فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود وهي ام سليمان عليه السلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا
فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته
وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله لم يرض له ذلك لانه رغبة في الدنيا وازديادا من النسا وقد اغناه
الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان قد جزا الدهر اجزا يوما لنسايه ويوما للعبادة
ويوما يقضي بين بني اسرايل ويوما يذاكرهم فيه ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرايل ذكروا فقالوا
هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته
اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراة التوراة فبينما هو يقرا اذ دخلت حمامة
وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله الملكين اليه وقيل ان داود ما زال يجتهد
في العبادة حتى برز له حافظاه من الملايكة فكانوا يصلون معه فلما استانس بهم قال اخبروني باي شي انتم موكلون
قالوا نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السو فقال في نفسه ليت شعري لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك
ليعلم كيف يكون فاوحى الله الي الملكين يعني ليعلم انه لا غنى به عن الله فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الي
ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طايرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل
قال داود لبني اسرايل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته
فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي يقال
كانا جبريل وميكايل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبو الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع
منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما علي قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان
بغى بعضنا على بعض اي تعدى وخرج عن الحد جيناك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور
البغي منهما والملايكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى
ارايت خصمين بغى احدهما فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في حكمك واهدنا الي سوا الصراط ارشدنا
الي طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب
له تسع وتسعون نعجة يعني امراة ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المراة وهذا
على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها
وقيل معناه انزل عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها وعزني في الخطاب يعني وقهرني
في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان ابطش مني بقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له علي لضعفي
في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داود حيث كان لداود
تسع وتسعون امراة ولاوريا امراة واحدة فضمها داود الي نسايه قال داود لقد ظلمك بسوال نعجتك الي
نعاجه اي بضمها الي نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الاخر قلت معناه ان
كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطا اي
الشركا ليبغي بعضهم على بعض اي يظلم بعضهم بعضا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون

لحدا وقليل ما هم اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لم يظلموا قليل قال فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السما فعلم داود ان الله ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود اي ايقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما عني به داود وروى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المراة فاهتم ما هم فقطع على بني اسرائيل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او يهزم عنه الجيش فقتل زوج المراة ونزل الملكان يقصان قصته عليه ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الرب قادر على ان يغفر لك الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جا يوم القيمة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سالت ربي عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شا الله ثم نزل جبريل فقال سالت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا فهذه اقاويل السلف من اهل التفسير في قصة امتحان داود

فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما لا ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه جعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب الى احاد الناس لاستنكف منه او يتحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامنا لذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبيا وقال القاضي عياض لا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شي من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وما اخبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلام لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذمه في اثنا مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم فان قلت في الاية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شي مما يدل على ذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الاية قلت ذهب المحققون من علما التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود عليه السلام ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله في الدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امراة اوريا له ٣ اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود

قتله

قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبيا وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المراة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امراة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص على تزويجها مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمراة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما نسب اليه والله اعلم قوله عز وجل فاستغفر ربه اي سال ربه المغفرة وخر راكعا اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحنا وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا

فصل اختلف العلما في سجدة ص هل هي من عزايم السجود فذهب الشافعي انها ليست من عزايم سجود التلاوة وقال لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي من عزايم سجود التلاوة واستدل بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن احمد في سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزايم السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قراها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود وقوله تشزن الناس يعني تاهبوا اي تهيئوا واستعدوا للسجود عن ابن عباس قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نايم كاني اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ص ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة وكان من دعايه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشا سبحان خالق النور الهي خليت بيني وكان في سابق علمك ما انا اليه صاير سبحان خالق النور الويل لداود يوم يكشف عنه الغطا فيقال هذا داود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيمة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيمة يوم تزل اقدام الخاطيين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الويل لداود من الذنب العظيم

الذي اصاب سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخطاؤون بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا
سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني
من رحمتك لهواي سبحان خالق النور الهي اعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور الهي
فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور
قيل بكى داود اربعين يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه فنودي يا داود
اجايع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنتصر فاجيب في غير ما طلب ولم يجبه في
ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله له التوبة والمغفرة قال
وهب ان داود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا اذهب الى قبر اوريا فناده وانا
أسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس على قبره ثم نادى يا اوريا فقال من
هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جابك يا نبي الله قال اسالك ان تجعلني في حل
مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله
يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه
فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود قال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما
فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوجتها فسكت ولم يجبه فدعاه مرة اخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه
فقام عند قبره وجعل التراب على راسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور
الويل لداود اذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق
النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت ذنبك ورحمت بكاك واستجبت دعاك واقلت عثرتك قال
يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه من الثواب يوم القيمة ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه
فاقول له ارض عبدي فيقول يا رب من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبه
منك فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا واناب اي رجع
فغفرنا له ذلك اي الذنب وان له عندنا اي يوم القيمة بعد المغفرة لزلفى اي لقربى ومكانة وحسن
مآب اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة
لا ترقى دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على
اربعة ايام يوم للقضا بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم
يخلو في دار له فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك
فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى
يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجي الى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير حتى يسيل
من بكايهم الاودية ثم يجي الى الساحل فيرفع صوته ويبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الما فاذا امسى رجع فاذا
كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار
التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجي اربعة آلاف راهب
عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه
ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش في دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب

فيجي

فيجي ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى
فلو عدل بكاء داود ببكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني
داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض قال وهب لما تاب الله
على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيمة
قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاما ولا شرابا الا بكى اذ اراها ولا قام خطيبا في الناس
الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدو اذا دعا استغفر للخاطئين لا
يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطي ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل
خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فياكل
ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما
كان من خطيئته ما كان صام الدهر وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت
اوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة ربه تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تسمع قراته
وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض اي لتدبر امر الناس بامرنا فذ الحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل ولا تتبع الهوى
اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله تعالى فيضلك عن سبيل الله اي عن دين الله وطريقه
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا الايمان
بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضا قوله تعالى وما خلقنا
السما والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ما خلقناهما
عبثا لا لشي ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقتا لغير شي وانه لا بعث
ولا حساب فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية
ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار
والمعنى لا نجعل الفريقين سوا في الاخرة كتاب انزلناه اليك مبارك اي كثير خيره ونفعه ليدبروا
آياته اي ليدبروا ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في اوامره ونواهيه
وليتذكر اي وليتعظ اولوا الالباب اي ذوو العقول والبصاير قوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزا اهل دمشق
ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان
الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعماية فرس فتنبه لصلاة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي
فاقبل فضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا لله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته
وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها
من نسل تلك الماية فلما عقرها الله ابدله الله خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شا وقوله تعالى
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القايمة على ثلاث واقامة الرابعة على طرف الحافر
من رجل او يد وقيل الصافن القايم وجا في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوا مقعده

من الناراي قيامًا الجياد او الخيار التراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق **وقال**
اني احببت حب الخير اي اثرت حب الخير وارادالخير ههنا الخيل سميت به لان يعقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة
وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه **عن ذكر ربي** يعني صلاة العصر **حتى توارت** اي استترت
الشمس **بالحجاب** اي ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من
ورائه **ردوها علي** اي ردوا الخيل علي **فطفق مسحًا بالسوق** جمع ساق **والاعناق** اي جعل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحًا لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم
على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال ابن اسحق لم يعنفه الله على
عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه
انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي يقول سليمان بامر الله للملائكة
الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق
لالفاظ القران ان يقول ان رباط الخيل كان مندوبًا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه
السلام احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس
واني انما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها
وتسييرها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل عليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه
طفق يمسح بسوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفًا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع
العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه ضبط السياسة والمملكة يبلغ انه يباشر الامور بنفسه الثالث
انه كان يعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره وكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم
هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا شيء من تلك
المنكرات والمحذورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل الجمهور قد فسروا الاية
بتلك الوجوه فما قولك فيه لنا ههنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان لفظ الاية يدل على شيء من تلك
الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورًا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان
يقال هب ان لفظ الاية يدل عليه الا انه كلام ذكرنا ان الدلايل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبيا
ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل **ولقد فتنا سليمان** اي اختبرناه وابتليناه بسلب
ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها
صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وقد اتى سليمان في ملكه سلطانا
لا يمتنع عليه شيء في بر ولا في بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها
بجنوده من الجن فقتل ملكها وسبا ما فيها واصاب فيمن اصاب بنتًا لذلك الملك يقال لها جرادة لم
ير مثلها حسنًا وجمالًا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها
حبًا لم يحبه شيًا من نسائه وكانت على منزلتها عنده حزنها لا يذهب والدمع الذي لا يرقى قالت اني اذكره
واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني فقال سليمان فقد ابدلك الله تعالى ملكًا هو اعظم من
ملكه وسلطانًا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني
اذا ذكرته اصابني ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي انا فيها
اراها بكرة وعشيًا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان ليسلي عني بعض ما انا فيه وما اجد في نفسي

فامر سليمان الشياطين فقال امثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا ينكر منه شيء فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها
بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابًا مثل ثيابه الذي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان
من دارها تغدو اليه في ولايدها فتسجد له كما كانت تصنع في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم
بشيء من ذلك اربعين صباحًا وبلغ ذلك اصف بن برخيا وكان صديقًا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي
ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرًا سليمان او غايبًا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد
عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان اقوم مقامًا قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبيا الله واثني عليهم بعلمي
فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال اجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبًا فذكر من
مضى من انبيا الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه مما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك
في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملا غضبًا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا اصف
ذكرت من مضى من انبيا الله فاثنيت عليهم خيرًا في كل زمانهم وفي كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرًا
في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر عمري فقال اصف ان غير الله يعبد في دارك
منذ اربعين صباحًا في هوى امراة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت
انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولايدها
ثم امر بثياب الطهيرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار
ولا يمسها يد امراة قد رات الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبًا
الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللًا لله تعالى وتضرعًا اليه يبكي ويدعو ويستغفر
مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا
دخل الخلا واراد اصابة امراة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه حتى يتطهر الا وهو طاهر
وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان
لا تنكر منه شيًا فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه
الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حاله وهيئته عند كل من راه فقال يا امينة
خاتمي قالت من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جا سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه
فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثو
عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر
فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي
الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحًا عدة ما كان يعبد الصنم في داره ثم ان اصف وعظما بني اسرائيل
انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال اصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود
ما رايت قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسالهن هل تكون في خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس
وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا في دمها
ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله يسلط الشيطان على نسائه
عليه السلام قال وهب ثم ان اصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون
صباحًا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد
عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى يشويها

فاستقبله حاتم فى جوفها فاخذه وجعله فى يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه لما
كان لحدث فى داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه فامر الشياطين ان ياتوا بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتى
به فادخل فى جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف فى البحر وقيل سبب فتنة
سليمان ان الجرادة كانت اثر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة
فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم
من يده فاعاده اليه فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال لسليمان انك مفتون
بذلك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففر الى الله تائبا فانى اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك
ففر سليمان الى الله هاربا واعطى اصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فقام اصف فى ملك سليمان
يسير بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد
الخاتم فى يده وثبت فهو الجسد الذى القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان
عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر فى امور عبادي فابتلاه
الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين
لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى ملكه بالجور فى حكمه وان
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب
فتنته ما اخرجاه فى الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم
يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة فجاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعين وفى رواية لاطوفن بمائة امراة قال له الملك قل ان
شاء الله فلم يقل شيئا قال العلماء والشق هو الجسد الذى القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته
لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح فى الحديث لينفذ امر
الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم
لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب
فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا
على كرسيه فعاتبه الله تعالى على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه لخطائه فاستغفر ربه فذلك
قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار
ومنه قوله قال رب اغفر لي اي سال ربه المغفرة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل لا يكون لاحد من بعدي
وقيل لا تسلبنيه فى باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول
سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يكن ذلك حرصا على طلب الدنيا
ولا نفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان
الشيطان استولى على ملكه وقيل سال ذلك ليكون علما واية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة
على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاه ورد ملكه اليه وزيد فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكن سال
ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسال شيئا يختص
به كما روي فى الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي

البارحة

البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه فى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا قوله
تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة ليست بعاصفة حيث اصاب اي حيث اراد والشياطين
اي وسخرنا له الشياطين كل بناء اي يبنون له ما يشاء وغواص يعني يستخرجون له اللآلي من البحر وهو اول من
استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين اي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين مقرنين فى الاصفاد اي مشدودين
فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد هذا عطاؤنا اي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن اي احسن
الى من شئت او امسك اي عمن شئت بغير حساب اي لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن
ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت
منهم فخل عنه وامسك اي احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تعاطاه وان
له عندنا لزلفى وحسن مآب لما ذكر الله ما انعم عليه به فى الدنيا اتبعه بما انعم عليه به فى الآخرة قوله
عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسني الشيطان بنصب اي بمشقة وعذاب اي
ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب اركض يعني انه لما انقضت مدة الاية قيل له اركض
اي اضرب برجلك يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب هذا مغتسل بارد فامره ان يغتسل منه ففعل فذهب
كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه
فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله تعالى وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما
فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلاء عليه
فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك ضغثا اي
ملء كفك من حشيش او عيدان او ريحان فاضرب به ولا تحنث وكان قد حلف ان يضرب امراته مائة سوط
فشكر الله صبرها فافتاه فى ضربها وسهل له الامر بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها
واحدة ففعل ذلك فلم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال
ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والثاني انه خاص لايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب
عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حده فجمعه وضربه بها واحدة فقال
مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على
حدته فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية انا وجدناه صابرا اي على البلاء الذى ابتليناه به نعم العبد انه
اواب قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي فى النار فصبر
واسحق ذهب بصره واضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي
قال ابن عباس اولي القوة فى طاعة الله والابصار اي فى المعرفة وقيل باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى
الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوى عاملية وعالمية فاشرف ما يمكن
عن القوة العالمية معرفة الله واشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين
بالايدي والابصار انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار
قيل معناه اخلصناهم بذكر الآخرة فليس لهم ذكر غيرها واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون
الى الآخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل اخلصناهم بافضل
ما فى الآخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم

من الادناس ومن الاكدار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم
وكل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر اي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وان للمتقين
لحسن مآب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات
عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح بيد بل بالامر يقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها
بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات
ثلاث وثلاثين سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون ليوم الحساب
اي قل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعدون به المتقون ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي
دائم ما له من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شيء عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه
وان للطاغين يعني للكافرين لشر مآب يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها
اي يدخلونها فبئس المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق
قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وبردها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد
من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا
حميم وغساق فليذوقوه وآخر من شكله اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب هذا فوج
مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة
الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم
خوفا من تلك المقامع قالت القادة لا مرحبا بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن
قالوا اي قال الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا
اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا يعني يقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا
وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر فبئس القرار فبئس دار القرار جهنم قالوا
يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب
في النار قال ابن عباس حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصناديدهم واشرافهم وهم في النار ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم اي في الدنيا من الاشرار يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال
وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان
الكفار اذا دخلوا النار فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا
لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا
عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك
الذي ذكرت لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة
للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل اي يا محمد لمشركي
مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا الله الواحد اي الذي لا شريك له في ملكه القهار اي الغالب وفيه
اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان
عظمت ويرحم قل هو نبأ عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة انتم عنه معرضون ما كان لي
من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون يعني في شأن آدم حين قال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل

فيها

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هنالك سؤال
وجواب يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة الجواز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ان
يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي الا انما انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي
انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن
صورة تعالى احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات
المكث في المساجد بعد الصلاة والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك
عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسألك
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال
والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك
وسعديك في المرتين فيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فصل
في الكلام على معنى هذا الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب السلف
امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله
مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو تأويل الحديث وقبل
الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد
عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير
عن زيد بن سلام عن عبد الله بن عايش الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية
قال البيهقي وقد روي من اوجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية
موسى بن خلف وفيها ما يدل على ان ذلك كان في المنام واما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو
المركب ولا يجوز ان يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيئات
متضادة ولا يجوز اتصافه بذلك لانه محال ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله تعالى
في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته
لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك
الى الله تعالى والمعنى انه رأى ربه في احسن صفاته من الانعام عليه والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام
والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى
صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعزة والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى
الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزه
وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله
صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة
وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور
قلبه وعرفه ما لم يكن يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما شرح صدره ونور قلبه فعلم
ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز

على الله تعالي ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا سؤال يليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه
واذا حمل الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة لنا
الي التاويل لان روية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة يدل على البشارة والخير والرحمة
للراي وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملايكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في انها
افضل وتسمية هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشي باسم لازمه
وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلذلك التشبه
حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين
يعني ادم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي اضاف الروح الي نفسه اضافة ملك على سبيل
التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضا
وكسريان النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر اي تعظم وكان
من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي توليت خلقه استكبرت اي تعظمت بنفسك
عن السجود له ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس
بقوله قال انا خير منه يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين قوله
خير منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطا ابليس في القياس
لان مآل النار الي الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل ما هو نام ثابت كالانسان والشجر المثمرة ومعلوم
ان الانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير
بخاصية فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب
رجحانه بوجه واحد ورجل نسيب به رجحانات كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود
وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الي يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم
بمعني الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السما ويحمل
اللعنة على معني الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الي لانتهاء الغاية وقوله الي
يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عند مجي يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان
يوم القيمة زيد له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسي به تلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب فانظرني
الي يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولى قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم
اي فبالحق وهو الله اقسم بنفسه لاملان جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني
من بني ادم قل ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي من المتقولين القران
من تلقا نفسي وكل من قال شيا من تلقا نفسه فقد تقوله ق عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها
الناس من علم شيا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القران الا ذكر اي موعظة
للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نباه اي خبر صدقه بعد حين قال ابن عباس بعد الموت
وقيل يوم القيمة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن ادم بعد الموت
ياتيك الخبر اليقين والله تعالي اعلم بمراده واسرار كتابه ٥

تفسير سورة الزمر مكية

نزلت بمكة الا قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله نزل احسن الحديث وقيل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات مدنيات من قوله قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الي قوله لا يشعرون وهي اثنان وقيل خمس وسبعون اية والف ومايه واثنا
وسبعون كلمة واربعة الاف وتسعماية وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب
اي هذا الكتاب وهو القران تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم
ننزله باطلا لغير شي فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله
الا الله وقيل معني الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص
في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اوليا يعني الاصنام
ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي يعني قربي وذلك انهم
كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فيقال لهم ما معني عبادتكم الاصنام فقالوا
ليقربونا الي الله زلفي وتشفع لنا عنده ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا
يهدي اي يرشد لدينه من هو كاذب كفار اي قال ان الالهة تشفع لنا اي باتخاذه الالهة دون الله لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفي اي لاختار مما يخلق ما يشا يعني الملايكة ثم نزه نفسه فقال تعالي سبحانه اي تنزيها
له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي
الغالب الكامل القدرة قوله تعالي خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يعني يغشي هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الاخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد
في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الاخر وذلك بقدرة
قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الي يوم القيمة الا هو العزيز الغفار
معناه ان خلق هذه الاشيا العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالي عزيزا كامل القدرة مع انه غفار
عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم جعل منها زوجها يعني حوى ولما ذكر الله
تعالي ايات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ثم اعقبه بذكر
خلق الحيوان فقال تعالي وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز واراد بالازواج
الذكر والانثي من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه وقيل ان الانزال هنا بمعني الاحداث والانشا
وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما فكان التقدير انزل الما الذي يعيش به الانعام
وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم انزلت الي الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله اصل
خلق الانسان ثم اتبعه بذكر خلق الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الحيوان والانسان وهي كونها مخلوقة
في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على ساير الخلق خلقا من بعد
خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
وقيل ظلمة القلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم له الملك اي لا لغيره
لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فاني تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان
قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالي ما كلف المكلفين ليجر الي نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه
ضررا وذلك لانه تعالي غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك

نقصًا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غني عن جميع العالمين ولا يرضى لعباده
الكفر يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى
لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون
عامًا في اللفظ خاصًا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم
وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر
الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى
لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى ولا يمدح عليه وقد بان الفرق وان تشكروا
اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم ليثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم
اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا
مس الانسان ضر اي شدة وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة
منه نسي اي ترك ما كان يدعوا اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا
يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا
الى انقضاء اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر
امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه لمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير امن هو قانت
وقيل معنى الاية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار ويا من هو قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت
في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت
وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القران وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي
ساعات الليل اوله واخره واوسطه ساجدا وقائما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على
النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد من الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن
النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال باحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع
في الصلاة ومعرفة من يصلي وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب
فيه اكثر يحذر اي يخاف الاخرة ويرجوا رحمة ربه يعني المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهو انه قال في مقام الخوف
يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجاء ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى
ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت
فقال له كيف تجدك فقال ارجوا الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجوا منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي
الذين يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه
والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم فالعمل من باب المجاهدات والعلم
من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للانسان دل ذلك على كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب
قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في
هذه الدنيا حسنة يعني للذين امنوا واحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في الدنيا
وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر منه المعاصي
وقيل من امر بالمعاصي فليهرب منه وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلا

وهاجروا

وهاجروا وصبروا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا
ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا روي انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم
ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا لو ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي
مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا وامرت لان اكون اول المسلمين اي من هذه الامة وقيل امره اولا
بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح ولان شرايع الله لا تستفاد الا من الرسول صلى الله
عليه وسلم وهو المبلغ فكان اول الناس شروعا فيه وانما خص الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر
لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك
ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك
وقومك فتاخذ بها فانزل الله هذه الايات ومعنى الاية زجر الغير عن المعاصي فغيرها اولى بذلك قل الله
اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له ديني قلت ليس هذا بتكرار لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله
بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثاني بانه امر ان يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا
له دينه لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد
احدا سواه ثم اتبعه بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ
ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يعني ازواجهم وخدمهم يوم القيمة
قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل
والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى
فخسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين اهله
الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادقات ومن تحتهم ظلل اي فراش
ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات من جميع الجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف
سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم الضدين على الاخر الثاني ان الذي تحته من
النار يكون ظلة لاخر تحته في النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية لما كانت متشابهة بالظلة
الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ذلك يخوف الله به عباده اي
المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الاخرة خافوا واخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو قوله يا عبادي
فاتقون اي خافون قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت اي الاوثان ان يعبدوها وانابوا الى
الله اي رجعوا الى عبادة الله بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره لهم البشرى اي في الدنيا وفي الاخرة
اما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج
من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة وفي كل موقف من هذه المواقف
تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عبادي الذين يستمعون القول
يعني القران فيتبعون احسنه اي احسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القران الانتصار
من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم
وقيل يستمعون القران وغيره من الكلام فيتبعون القران لانه كله حسن وقال ابن عباس لما اسلم ابو بكر

الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله اي الى عبادته وتوحيده واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار وقوله كلمة العذاب قوله لاملان جهنم وقيل قوله هولاء في النار ولا ابالي افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلف عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي الباقي في الافق اي في ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما اي ادخل ذلك الما فسلكه ينابيع اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم يخرج به زرعا اي بالما مختلفا الوانه احمر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه اي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله عز وجل افمن شرح الله صدره اي وسعه للاسلام وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلي عليهم ذكر الله يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدرة كحر الشمس تلين الشمع وتعقد الملح فكذلك القران يلين قلوب المومنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث يعني القران وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان القران من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسايل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القران من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا مثاني اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والاحكام تقشعر اي تضطرب وتشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث

في جلد

في جلد الانسان عند ذكر الوعد والوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي لذكر الله قيل اذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجا روي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السايرين في ميدان جلال الله تعالى اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم اثر من عالم الجلال عاشوا قال قتادة هذا نعت اوليا الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم لذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر الصديق كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قري عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قري عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط قال ما بال هذا قال انه اذا قري عليه القران واسمع ذكر الله تعالى يسقط قال ابن عمر انا لنخشى الله ولا نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قري عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود بعدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ايات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك اي القران الذي هو احسن الحديث هدى الله يهدي به من يشا اي هو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا مظلما بليدا لقبول الهداية فما له من هاد اي مهد يهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته يوم القيامة قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شي تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يده وعنقه ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا اي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي وهم غافلون امنون من العذاب فاذاقهم الله الخزي اي العذاب والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا اي فصيحا اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته غير ذي عوج اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن انس بن مالك وحكي عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق ولا مخلوق لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقدم التذكرة في الاية الاولى على التقوى في هذه الاية قلت سبب تقدم التذكرة

ان الانسان اذا تذكره عرف ووقف على فحوى الشي واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس
لا يرضى بالانصاف ورجلا سالما لرجل اي خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل
لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه
في مهن شتى فاذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته
وفي رجل اخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فاي
هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد الهة شتى وهو قوله
هل يستويان مثلا وهذا استفهام انكار لا يستويان في الحال والصفة فقال تعالى الحمد لله اي لله الحمد
كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة
والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات بل اكثرهم لا يعلمون
ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له لا غيره قوله تعالى انك ميت اي ستموت وانهم ميتون
اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت
يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك
وانهم ميتون وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس يعني
المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال
الزبير يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا لشديد
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وقال ابن عمر مكثنا برهة من الدهر وكنا لا ندري ان هذه الاية نزلت فينا
وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد
حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انه فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه الاية قال كنا
نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على
بعض قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم
ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده
مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته
وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة
وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب
على الله اي فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران وقيل بالرسالة اليس في
جهنم مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي والذي صدق به
قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران وصدق به محمد
رسول الله وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق
به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل القران يجيئون

به يوم

به يوم القيمة وقد ادوا فيهم الذين اتقوا الشرك اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم اي من الجزاء
والكرامة ذلك جزاء المحسنين اي في اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم
باحسن الذي كانوا يعملون اي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم بمحاسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله
عز وجل اليس الله بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم السلام
قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله
معرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز اي منيع في ملكه ذي انتقام اي منتقم من اعدائه ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني ان هولاء المشركين مقرون ان الاله القادر العالم الخبير
وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل عجائب
السموات والارض وما فيهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امر الله تعالى
ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير او دفع ضر وهو قوله تعالى قل افرايتم
ما تدعون من دون الله يعني الاصنام ان ارادني الله بضر يعني بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره
او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة هل هن ممسكات رحمته فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فسكتوا فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل
المتوكلون اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهو
تهديد وتقريع اني عامل اي فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه اي انا
وانتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم وهو تهديد وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القران للناس
بالحق اي يهتدى به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه اي يرجع فائدة هدايته عليه ومن ضل فانما يضل
عليها اي يرجع وبال ضلالته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولم تؤخذ بهم قيل هذا منسوخ باية القتال
قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها اي عند فناء اجلها وانقضاء اجالها وتتوفى الاجساد
والتي لم تمت في منامها والانفس التي تتوفاها عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان
نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها
التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها
الى جسدها ويرسل الاخرى اي ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان
ياتي وقت موتها وقيل للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب تخرج
الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه عادت الروح الى الجسد باسرع من
لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تتلاقى في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها
امسك الله ارواح الاموات وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى انقضاء مدة اجالها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول
باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للارواح
باذن الله ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها

تلك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في البعث وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي
دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليل على قدرته حيث لا تغلط في امساك ما يمسك من الارواح وارسال
ما يرسل منها قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء يعني الاصنام قل يا محمد او لو كانوا يعني الالهة
لا يملكون شيئا اي من الشفاعة ولا يعقلون اي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة
جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وقيل لا اذن
في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك السموات والارض اي لا ملك فيهما لاحد سواه ثم اليه ترجعون
اي في الاخرة قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت قال ابن عباس انقبضت عن التوحيد
وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة قيل اذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح
الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم
يستبشرون اي يفرحون والاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال سالت عائشة باي
شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته قالت اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من
الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم
حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الاخرة وقيل ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا
يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وروي ان محمد بن المنكدر جزع
عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخشى ان يبدو لي ما لم احتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي
اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر
اي شدة دعانا ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من عند الله اني له اهل
وقيل على خير علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم
لا يعلمون يعني انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيئا فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء مساويهم
العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين
اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر
اي يقتر ويقبض على من يشاء ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس ان سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك
قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول
وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم ان من قتل او اشرك

او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر لي ام لا فانزل
الله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن
ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الايات في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين
كانوا اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم
تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الاية وكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش
بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما الذي يبطل اعمالنا فقال الكبائر
والفواحش فقال فكنا اذا راينا من اصاب منها شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له
وقوله اسرفوا على انفسهم اي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش
لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تياسوا من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الاية على ظاهرها اغراء بالمعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك
لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقاد ذلك
فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله
ان الله يغفر الذنوب جميعا اي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى
مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته
فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب قائم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك
والله اعلم فصل في ذكر احاديث تتعلق بالاية روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا
قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
في بني اسرائيل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له الي توبة فقال لا فقتله
وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الله الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما
بينهما فوجد اقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا
قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على
رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا
فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا كان
نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي والى
هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين

تالى انهما كان ادنى فهو لها فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التى اتى فقبضته ملائكة الرحمة ق وعن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل
حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على
ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فاذا
هو قايم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب وقال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر فى العبادة مجتهد
فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال خلنى وربى ابعثت على
رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال
الرب للمجتهد اكنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للاخر اذهبوا به الى
النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود وعن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت
لك ولا ابالى يا ابن ادم لو اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه
الترمذى قوله عنان السما العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها اى ظهر وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب
ملوها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم اى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اى اخلصوا له التوحيد من
قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اى لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعنى القران
لانه احسن ومعنى الاية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل فى القران ذكر القبيح
ليجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتوثره وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك
العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اى وانتم غافلون عنه ان تقول نفس اى
لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوفا ان تصير الى حال ان تقول نفس يا حسرتى اى
يا ندما ويا حزنا والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت فى جنب الله اى على ما قصرت فى طاعة وقيل
فى امر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يودى الى
مرضات الله وان كنت لمن الساخرين اى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمومنين قيل لم يكفه
ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله هدانى اى ارشدنى الى دينه وطاعته لكنت من المتقين
اى الشرك او تقول حين ترى العذاب اى عيانا لو ان لى كرة اى رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اى الموحدين
ثم اجاب الله هذا القايل بان الاعذار زايلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتى يعنى القران
فكذبت بها اى قلت ليست من الله واستكبرت اى تكبرت عن الايمان به وكنت من الكافرين ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله اى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون ان الاشيا الينا ان شينا
فعلنا وان شينا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لساير انواع السواد اليس فى جهنم مثوى
للمتكبرين اى عن الايمان قوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا اى الشرك بمفازتهم اى بالطرق التى تؤديهم الى
الفوز والنجاة وقرى بمفازاتهم اى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اى لا يصيبهم المكروه
ولا هم يحزنون الله خالق كل شى اى مما هو كاين ويكون فى الاخرة وهو على كل شى وكيل اى ان الاشيا كلها
موكولة اليه فى القيام بحفظها له مقاليد السموات والارض اى مفاتيح خزاين السموات والارض واحده مقلاد
مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس وقيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يوذها

لم يوذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا باقليد والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها
وهو من باب الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات والارض
الرزق المطر ومقاليد الارض النبات والذين كفروا بايات الله اى جحدوا بايات الله الظاهرة اوليك هم
الخاسرون قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون وذلك ان قريشا دعوه الى دين ابايه ولذلك
وصفهم الله بالجهل لان الدليل القاطع قد قام انه المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد اوحى
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اى الذى قد عملته قبل الشرك وهذا الخطاب مع
الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من
الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اى لانعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر تعالى عن عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن عبد الله بن مسعود قال جا جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السما على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع
والشجر والانهار على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال وما قدروا الله حق قدره وفى رواية والما والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره
الاية ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده
اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين
الجبارون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من
اسفل شى منه حتى انى اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله
يقبض يوم القيمة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض
قال ابو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص
والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف
فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهو
مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عليه قوله عز وجل ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا من الفزع
وهى النفخة الاولى الا من شا الله تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثنا وقال الحسن الا من شا الله
يعنى الله وحده ثم نفخ فيه اى فى الصور اخرى مرة اخرى وهى النفخة الثانية فاذا هم قيام اى من قبورهم ينظرون
اى ينتظرون امر الله فيهم ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون
قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال
ابيت ثم ينزل الله من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شى الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب
الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها حتى يتجلى الرب تعالى لفصل القضا
بين خلقه فلا يتضارون فى نوره كما لا يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض
عرصات القيمة ووضع الكتاب اى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدا الى المنتهى

وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على اممهم والشهداء قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد في حسناتهم ولا ينقص من سياتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى شاهد ولا كاتب قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم يعني سوقا عنيفا زمرا اي افواجا بعضها على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاوها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب اي وجبت على الكافرين وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد الواو فما بيانه قلت لانها كانت مفتحة قبل مجيهم اليها وحذف الواو في الاية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاوها ووجدوا ابوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا راوها مغلقة كان نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول ستة سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاوها شرط فاين الجواب قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره والثاني ان الجواب هو قوله قال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين حذف دخولها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ابشروا بالسلامة من كل الافات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المومن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملايكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي بالجنة واورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كما نشا تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوا اي ننزل من الجنة اي من الجنة حيث نشا فان قلت ما معنى قوله حيث نشا وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشا ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاوا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملايكة حافين من حول العرش اي محدقين مطيعين بحافته وهو جوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا التسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق اي قضي بين اهل الجنة والنار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا الله ذكر

الخلق

الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة غافر وهي مكية

غير ايتين وهما قوله الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية والف ومايه وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف وتسعماية وتسعون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب فقيل له ان مثل غيث الاول مثل عظم القران وان مثل هولا الروضات الدمثات مثل ال حم في القران وعن ابن عباس قال لكل شي لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات الجنة انا تونقهن وقال ابن سعد كنا ال حم نسمين العرايس بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحا افتتاح اسمايه حكيم وحميد وحي وحليم وحنان والميم افتتاح اسمايه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحا اي قضي ما هو كاين تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القادر وقيل لا مثل له العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم واصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير اي مصير العباد اليه في الاخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاجج في ايات الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القران كفر اخرجه ابو داود وقال المرا في القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما انزل الكتاب يصدق بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع اصوات رجلين اختلفا في اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيايهم بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم لياخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل لياسروه وجادلوا اي خاصموا بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي جاء به فاخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت بهم الهلاك ما هموا بهم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم اليس كان مستاصلا لهم مهلكا وكذلك حقت اي وجبت كلمت ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله عز وجل باربعة اخر كما قال ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية وهم اشرف الملايكة وافضلهم لقربهم من الله

عز وجل ولكل واحد من حملة العرش وجوه اربع وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر ولكل
واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفوا بهما
في الهوى ليس لهم كلام غير التسبيح والتمجيد والتكبير والتحميد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى سما
وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسماية عام ويروى ان اقدامهم في
تخوم الارضين والارضون والسموات في حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبوح قدوس
رب الملايكة والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورووسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد
خوفا من اهل السما السابعة واهل السما السابعة اشد خوفا من التي تليها والتي تليها اشد خوفا من
التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة
العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل انه جوهرة
خضرا وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القايمة من قوايم
العرش والقايمة الثالثة خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا
يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشيا كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السما السابعة
وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السما
كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله تعالى ومن حوله يعني الطايفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملايكة
صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هولا ويدبر هولا فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولا وكبر هولا
ومن ورايهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم وقد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اوليك
وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله الا انت الاكبر والخلق
اليك كلهم راجعون ومن وراهم ماية الف صف من الملايكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح
بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلاث ماية عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه اربع ماية عام
واحتجب الله من الملايكة الذين حول العرش سبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در
ابيض وسبعين حجابا من ما وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون
الله عما لا يليق بجلاله والتسبيح هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ويومنون به اي يصدقون بانه
لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ولا يكون التسبيح الا بعد
الايمان قلت فايدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم
بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربع منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك
بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون الله طلب المغفرة
قبل منه الا استغفار من الملايكة منا بل القول اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فلما ظهر هذا
منهم اولا تداركوا بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتشبيه لغيرهم فيجب على من تكلم في احد بشي ان يستغفر
له ربنا اي ويقولون ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شي وفيه تنبيه على تقديم
الثنا على الله بما هو اهله قبل المطلوب بالدعا فلما قدموا الثنا على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف انصح عباد الله للمومنين الملايكة واغش الخلق
للمومنين هم الشياطين ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم

انك انت العزيز الحكيم قيل اذا دخل المومن الجنة قال اين ابي واين امي واين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته
وقهم السيات اي عقوبات السيات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ومن تق السيات
يوميذ اي تقه في الدنيا فقد رحمته اي في القيمة وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع
في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون اي يوم القيمة
وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سياتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اي اياكم في
الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله في الدنيا ثم
اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا في
الدنيا ثم احيوا في القبر للسوال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الاخرة وذلك بانهم عددوا في اوقات
البلا والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة
الاولى التي هي في الدنيا لم يعدوها لانها ليست من اقسام البلا وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة
القيمة وموتتين وهي الموتة الدنيا في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر ثم حياة السوال ولم يعدوا حياة السوال
لقصر مدتها فاعترفنا بذنوبنا يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم
سالوا الرجعة بقولهم فهل الى خروج اي من النار من سبيل والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح
اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا الكلام من غلب عليه الياس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا
والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جا الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم
يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك وان يشرك به اي غيره تومنوا اي تصدقوا ذلك الشرك فالحكم لله
العلي الكبير اي الذي لا اعلى منه الكبير اي لا اكبر منه قوله عز وجل هو الذي يريكم اياته اي عجايب مصنوعاته
التي تدل على كمال قدرته وينزل لكم من السما رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتذكر اي يتعظ بهذه
الايات الا من ينيب اي يرجع الى الله في جميع اموره فادعوا الله مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة ولو
كره الكافرون قوله تعالى رفيع الدرجات اي رافع درجات الانبيا والاوليا والعلما في الجنة وقيل معناه المرتفع
اي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عمن سواه وكل الخلق فقرا اليه
ذو العرش اي خالقه ومالكه والفايدة في تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال
التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى يلقي الروح يعني ينزل الوحي
سماه روحا لان به تحيى الارواح كما تحيى الابدان بالارواح من امره قال ابن عباس من قضايه وقيل بامره وقيل
من قوله على من يشا من عباده يعني الانبيا لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي
يوم التلاق وهو يوم القيمة والمعنى يلتقي اهل السما واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي
العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم يوم هم بارزون اي خارجون
من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شي لا يخفى على الله منهم شي اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا
يخفى على الله منهم شي في ساير الايام فما وجه التخصيص بذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم صايرون من البروز والانكشاف الى حال

لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا لمن الملك اليوم اي يقول الله في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن
الملك اليوم فلا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل
اذا حضر الاولون والآخرون في يوم القيمة نادى منادٍ لمن الملك فيجيبه جميع الخلايق في يوم القيمة لله الواحد
القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار
يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولونه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
يعني يجزى المحسنون باحسانهم والمسيئون باساءتهم لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك اليوم من الظلم
لان الله ليس بظلام للعبيد ان الله سريع الحساب اي ان الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق
كلهم في وقت واحد قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة يعني يوم القيمة سميت ازفة لقرب وقتها وكل ما هو آت
قريب اذ القلوب لدى الحناجر وذلك لانها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى
اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا كاظمين اي مكروبين ممتلين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب
عنه ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفعهم ولا شفيع اي يشفع لهم يطاع اي فيهم يعلم خائنة الاعين اي خيانتها
وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وما تخفي الصدور اي يعلم مضمرات القلوب
والله يقضي بالحق اي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الاصنام لا يقضون بشيء لانها لا تعلم
شيئا ولا تقدر على شيء ان الله هو السميع لاقوال الخلق البصير لافعالهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره
فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من
الله من واق اي يدفع عنهم العذاب ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون
وقومه واحبادهم اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال اي
يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريد الله تعالى وقال فرعون اي لملائه ذروني اقتل موسى وانما قال فرعون
هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوا عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا
وقيل قالوا لا تقتله لانه ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب على سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا
وعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا اني اخاف
ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه وان يظهر في الارض الفساد يعني بذلك
تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره وقال موسى لما تواعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني
يعني ان موسى لم يات في دفع شره الا ان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه الله من كل بلية من كل
متكبر اي متعظم عن الايمان لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال
رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا الرجل حزقيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق
كان اسمه جبريل وقيل حبيب اتقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة
الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد
جاءكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه وان

يك صادقا فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق
وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في صدقه ان يصبكم بعض الذي يعدكم
وفيه هلاككم ذكر بعض ليوجب الكل ان الله لا يهدي الى دينه من هو مسرف كذاب اي على الله خ عن
عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط
فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ
بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا
اي يمنعنا من باس الله ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فلا
مانع لكم من عذاب الله ان حل بكم قال فرعون ما اريكم يعني من الراي والنصيحة الا ما ارى لنفسي وما اهديكم
الا سبيل الرشاد اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا
الكلام وخوفه ان يحل بهم ما حل بالامم قبله بقوله وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب
حتى اتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد يعني يوم القيمة سمي يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا
فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة وينادي بالسعادة والشقاوة
الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وينادى حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي
المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه ويقول الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد من ند
البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا
الملئكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن موقف
الحساب الى النار ما لكم من الله من عاصم اي يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد اي مهد
ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف يعني ابن يعقوب من قبل اي من قبل موسى بالبينات يعني قوله ارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو
فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده
لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته فلم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى اذا هلك
يعني مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة
وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا
في تكذيب الانبياء الذين ياتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف
وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو
مسرف مرتاب اي في شركه وعصيانه مرتاب اي في دينه الذين يجادلون في آيات الله قيل هذا تفسير للمسرف
المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان اتاهم
من الله كبر مقتا اي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر

جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا اي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وان
بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وابوابها من سما الى
سما فاطلع الى اله موسى واني لاظنه يعني موسى كاذبا فيما يدعي ويقول ان لي ربا غيري وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل قال ابن عباس رضي الله عنه عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اي وصد فرعون
الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي وما كيده في ابطال ايات موسى الا في خسار قوله تعالى
وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا
متاع يتمتعون بها مدة وتنقطع وان الاخرة هي دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية
منقرضة ولا منفعة فيها وان الاخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا
ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق
من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي
فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار معناه انا ادعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من
النار وانتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس
لي به علم اي لا اعلم ان الذي تدعونني اليه بالله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه
الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله وانا ادعوكم الى العزيز اي في انتقامه ممن كفر الغفار
اي لذنوب اهل التوحيد لا جرم يعني حقا ان ما تدعونني اليه يعني الصنم ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة
يعني ليس له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الاخرة لان الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها
وفي الاخرة تتبرأ من عابديها وان مردنا الى الله اي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه وان المسرفين يعني
المشركين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم اي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وافوض امري
الى الله اي ارد امري الى الله وذلك انهم توعدوه بمخالفته دينهم ان الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل
ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا اي ما ارادوا به من الشر
قيل انه نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق اي نزل بال فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا والنار في
الاخرة وذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح
ال فرعون في اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا ال فرعون
هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا يستدل
بهذه الاية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه ق عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل
الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة فقال تعالى ويوم
تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اي يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب قال ابن عباس الوان
العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ اغرقوا قوله تعالى واذ يتحاجون اي اذكر يا محمد لقومك اذ
يتخاصمون يعني اهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اي في الدنيا
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء والقادة انا كل فيها

يعني

يعني نحن وانتم ان الله قد حكم بين العباد اي فقضى علينا وعليكم وقال الذين في النار يعني حين اشتد
عليهم العذاب لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل قالوا بلى اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو
لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال يعني يبطل ويضل
ولا ينفعهم قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر
وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على
من خالفهم تارة وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا
لما قتل فانه قتل به سبعين الفا ويوم يقوم الاشهاد يعني وننصرهم يوم القيمة يوم تقوم الاشهاد وهم
الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
اي اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد اتينا موسى
الهدى يعني النبوة وقيل التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة
على انبيائهم هدى وذكرى لاولي الالباب قوله تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اي في
اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر
وهذا على قول من يجوزها على الانبياء وقيل على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوة
وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة
وليصير سنة لغيره من بعده وذلك لانه مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال
بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح بحمد ربك اي
نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال
ابن عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش
ان في صدورهم اي ما في قلوبهم الا كبر قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر العظيم
ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم
وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان
صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا
قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم البصير اي لافعالهم قوله تعالى
لخلق السموات والارض اي مع عظمها اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان
الله خلق السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ولكن
اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر
من خلق الناس اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في امر الدجال
فصل في ذكر الدجال م عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما بين خلق ادم الى قيام الساعة اكبر من الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه
قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه
وما من نبي الا انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكن ما اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان

الله ليس باعور ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور
الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجا
ك ف ر يقروه كل مسلم عن اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر
الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السما ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك
السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السما قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف
ولا ضرس من البهايم الا هلك ومن اشد فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول ارايت ان احييت لك ابلك الست
تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا واعظمه اسنمة وياتي الرجل قد
مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل
له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والناس
في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسما فقلت يا رسول الله لقد خلعت افيدتنا
بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مومن قالت اسما يا رسول الله
انا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح والتقديس
وفي رواية عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا لحديث اخرجه البغوي
بسنده والذي جا في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون يوما كسنة ويوم
كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة
يوم قال اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية
ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه
السلام عند المنارة البيضا شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ما ونارا فاما الذي يرى انه نار فما بارد واما الذي
يرى الناس انه ما فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ما عذب بارد ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجي
بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة
قال ما سالته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله
من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينا منه فوالله
ان الرجل لياتيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه
ابو داود ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من بلد الا سيطوه الدجال الا مكة
والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملايكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها
ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي
المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملايكة وجهه قبل الشام وهنالك
يهلك عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال
يخرج بارض المشرق بارض يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان

سبعون الفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الشيخ محيي الدين
النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده
وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشيا من مقدور الله من احيا الميت والخصب معه وجنته وناره
واتباع كنوز الارض له وامره السما ان تمطر فتمطر والارض فتنبت ويقع كل على ذلك بقدرة الله وفتنته
ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام
ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها خلافا لمن
انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة رحمهم الله وخلافا للجبايي المعتزلي وموافقيه من
الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الذي ياتي به زعموا انها خوارق وخيالات لا حقايق لها وزعموا
انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبيا وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق
له وانما يدعي الربوبية وهي في نفس دعواه مكذبة لها بصورة حاله ووجود دلايل الحدث فيه ونقص صورته
وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلايل يغتر
به الا رعاع من الناس لشدة الحاجة والفاقة في سد الرمق او خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش
فيها العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبيا من فتنته واما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون
بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله
قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك معناه هذا
اهون على الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمومنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله
ليزداد الذين امنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شي من ذلك
لانه ثبت في الحديث ان معه ما ونارا فماوه نار وناره ما بارد والله اعلم قوله عز وجل وما يستوي الاعمى
والبصير اي الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي اي لا يستوون قليلا ما تتذكرون
ان الساعة يعني القيمة لاتية لا ريب فيها اي لا شك في قيامها ومجيها ولكن اكثر الناس لا يومنون اي
لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم
واثيبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعا جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ان الدعا هو العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي وعنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت
كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعا له شروط منها الاخلاص
في الدعا وان لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعا وان يكون المطلوب من الدعا مصلحة للانسان وان لا
يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعا بهذه الشروط كان حقيق الاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يدخرها
له يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعا الا
استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يوخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع
باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي

اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعا الذكر والسؤال ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي لتحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار مبصرا اي ليحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المتميز بالافعال الخاصة الذي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشيا كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن الحق كذلك اي كما افكتم عن الحق باقامة الدلايل يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسما بنا اي سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن ادم قايما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم ياكل بفيه ورزقكم من الطيبات قيل ما خلق الله لعباده من الماكل والمشرب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي هذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين اي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب يعني اصلكم ادم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان تصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا يجاوزونه يعني اجل الحياة الى الموت ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته من الاحيا والاماتة وساير ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته فانه قال من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شي واسرعه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله يعني القران انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما وصفهم به فقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلم نرهم بل لم نكن ندعو من قبل شيا قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعو من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هولا ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين اي عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب للنبي

صلى الله عليه وسلم امران بنصر على الاعدا فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القران ومنهم من لم نقصص عليك اي ولم نذكر لك حال الباقين وليس منهم احد قد اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جا امر الله اي قضاوه بين الانبيا والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي بحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم اياته اي دلايل قدرته فاي ايات الله تنكرون يعني ان هذه الايات التي ذكرها ظاهرة فليس شي منها يمكن انكاره قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو ساروا في اثار الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا واقوى منهم فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي شي اغنى عنهم كسبهم فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمي ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون اي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راى العذاب والله سبحانه وتعالى اعلم

اي رضوا

تفسير سورة حم وتسمى فصلت والمصابيح

وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وسبعماية وست وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثماية وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته اي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد قرانا عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه فاعرض اكثرهم اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يسمعون اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه اي فلا نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول فاعمل اي انت على دينك اننا عاملون اي على ديننا قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم يوحى الي اي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة

المفروضة ولا يرون اتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه
لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم **وهم بالاخرة هم كافرون** اي جاحدون بالبعث
بعد الموت **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص
وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل
والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون **(خ)** عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب له بصالح ما كان يعمل
وهو صحيح مقيم قوله عز وجل **قل ائنكم لتكفرون** استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين احدهما الكفر بالله
وهو قوله **بالذي خلق الارض في يومين** وثانيهما **وتجعلون له اندادا** اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف
يجوز جعل الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين **ذلك
رب العالمين** اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر **وجعل فيها
رواسي** اي جبالا ثوابت **من فوقها** اي من فوق الارض **وبارك فيها** اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها
وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه **وقدر
فيها اقواتها** اي قسم في الارض ارزاق البهائم والعباد وقيل قدر في كل بلد ما لم يجعله في الاخرى ليعيش
بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل قطر والسمك
لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال
تعالى وقدر فيها اقواتها **في اربعة ايام** اي مع اليومين الاولين لخلق الارض في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء
فصارت اربعة ايام رد الاخر على الاول في الذكر **سواء للسائلين** معناه سواء لمن سال عن ذلك فهكذا الامر
سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سال في كم خلقت الارض والاقوات **ثم استوى الى السماء** اي عمد الى
خلق السماء **وهي دخان** يعني ان ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض
على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه
السماء ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض
بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت المشهور انه تعالى خلق الارض
اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب اخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم
على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الاية خلق الارض في يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط
بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول
الاشكال والله اعلم بالحقيقة **فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها** اي ائتيا ما امرتكما اي افعلا ما امرتكما
طوعا والا الجاتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع **قالتا اتينا طائعين** معناه اتينا بما فينا
طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من
المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك
ونباتك وقوله **فقضاهن سبع سموات** اي اتمهن وفرغ من خلقهن **في يومين** وهما الخميس والجمعة **واوحى في كل
سماء امرها** قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله
وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي **وزينا السماء الدنيا** التي تلي الارض **بمصابيح** اي بكواكب تشرق
كالمصابيح **وحفظا** اي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع **ذلك**

او من

اي من صنعه وخلقه **تقدير العزيز** اي في ملكه **العليم** اي بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم قوله تعالى **فان
اعرضوا** يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بهذا البيان **فقل انذرتكم** اي خوفتكم **صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**
اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء **اذ جاءتهم الرسل** يعني الى عاد وثمود **من بين ايديهم** يعني الرسل
الذين ارسلوا الى ابائهم **ومن خلفهم** يعني ومن بعد الرسل الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين
القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم **ان** اي بان **لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة**
يعني لو شاء ربنا دعوة الرسل لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل **فانا بما ارسلتم به كافرون** وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم
رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت
خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت انما بك
الرياسة عقدنا لك الويتنا فكنت راسنا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اي
ابناء قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة
على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله فلم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى
عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فقال ابو جهل والله
يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا
ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش اموالا ولكني
اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة الى قوله فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان
محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان
سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد
يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك
حين اسلم حمزة وراوا ان اصحاب محمد يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى
جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة
في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت الهتهم وكفرت من مضى من ابائهم
فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان
كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد سيادة سودناك علينا
وان كان هذا الذي جئت به رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري
بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقد فرغت
يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته ثم مضى فيها يقرا فلما سمعها عتبة انصت والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت يا ابا الوليد فانت وذلك فقام عتبة الى اصحابه

فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان يصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل ان الريح ثمانية فاربعة منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر الخاتم فاهلكوا في ايام نحسات اي نكدات مشومات ذات نحوس وقيل ذات غبار وتراب ثاير لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين وكانت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزي اي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق في الحياة الدنيا اي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي ذي الهوان بما كانوا يكسبون اي من الشرك ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم حتى اذا ما جاؤوها يعني النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم م عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهيدا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا يعني الكفار الذين يجرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام عند قوله انطق كل شيء ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكنه يعلم ما نظهر ق عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا فانه يسمع ان اخفينا فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة

وصفوان

وصفوان بن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم ما تعملون ارداكم اي اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي يسترضوا ويطلبوا العتبى والعتب هو الذي قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين اي من المرضيين وقيضنا اي بعثنا ووكلنا وقيل سببنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة وما خلفهم اي فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قال ابن عباس يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والتصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا يعني باسوا الذي كانوا يعملون في الدنيا وهو الشرك ذلك اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا اي في النار ربنا اي يا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس وقابيل ابن آدم الذي قتل اخاه لانهما سنا المعصية نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد فتكون هي في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيا وقال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا في العمل وقال علي بن ابي طالب ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ان لا تخافوا اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الآخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا نغفر لكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم اي من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون نزلا اي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا

في اجابته وقالت عايشة هذه الاية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل
في الاية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبيا الى الله بالمعجزات وبالحجج وبالبراهين وبالسيف وهذه
المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبيا المرتبة الثانية دعوة العلما الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلما اقسام
علما بالله وعلما بصفات الله وعلما باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف فهم
يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم
ايضا دعاة الى الله والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من افعال القلوب
وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير الطاعات وقيل عمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان
والاقامة ق عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة قال في
الثالثة لمن شا عن انس بن مالك قال الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود وقال هذا
حديث حسن وقال انني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه
دين الاسلام مع التلفظ به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم
والجهل والعفو والاساة ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل
وبالعفو عند الاساة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق القريب قيل نزلت
في ابي سفيان بن حرب وذلك بانه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي
صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهو
دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا اي على تحمل المكاره وتجرع الشدايد وكظم الغيظ وترك الانتقام
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت
له الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اي
يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله
اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم بحالك قوله تعالى ومن اياته اي ومن دلايل قدرته وحكمته
الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انها عبدان مخلوقان
مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق
للسجود والتعظيم هو خالق الليل والنهار والشمس والقمر ان كنتم اياه تعبدون يعني ان ناسا كانوا يسجدون
للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسايط
وامروا بالسجود لله تعالى الذي خلق هذه الاشيا كلها فان استكبروا اي عن السجود فالذين عند ربك يعني
الملايكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون اي لا يفترون ولا يملون فصل وهذه
السجدة من عزايم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلما وهما وجهان لاصحاب الشافعي احدهما
عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة
قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا حكاه الرافعي انه عند قوله وهم لا يسامون وهو قول ابن
عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل
شي قدير قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في ادلتنا قيل بالمكا والتصدية
واللغو واللغط وقيل يكذبون في اياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا فيه تهديد ووعيد

قيل

قيل نزلت في ابي جهل افمن يلقى في النار هو ابو جهل خير ام من ياتي امنا يوم القيمة والمعنى الذين يلحدون في اياتنا
يلقون في النار والذين يومنون باياتنا امنون يوم القيمة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر اعملوا
ما شيتم امر تهديد ووعيد انه بما تعملون بصير اي انه عالم باعمالكم فيجازيكم بها ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم يعني القران وفي جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم
والثاني جوابه اوليك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف الذكر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس
كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا
يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان
فلا يستطيع ان يغيره وقيل هو محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه
الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله
ولا يجي بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل
اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر تنزيل من حكيم اي في جميع افعاله حميد
اي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل ما يقال لك اي من الاذى
والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعني انه قد قيل للانبيا قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت
ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل ولو جعلناه
اي هذا الكتاب الذي تقروه على الناس قرانا اعجميا اي بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي هلا بينت
اياته بالعربية حتى نفهمها ااعجمي وعربي يعني كتاب اعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب
بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربي والمنزل عجمي وقيل في معنى الاية لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان
لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى قوم العرب ويصح قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لانا
لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما انزلنا هذا القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا
في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي
وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انت تعلم محمدا فقال
هو والله يعلمني فانزل الله هذه الاية قل يا محمد هو يعني القران للذين امنوا هدى اي من الضلالة وشفا
اي لما في القلوب من مرض الشك والشرك وقيل شفا من الاوجاع والاسقام والذين لا يومنون في اذانهم وقر
وهو عليهم عمى اي صموا عن استماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون به اوليك ينادون من مكان بعيد اي
كان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هولا في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا
يسمعون ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة
سبقت من ربك اي في تاخير العذاب من المكذبين بالقران لقضي بينهم اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم
وانهم لفي شك منه مريب اي من كتابك وصدقك من عمل صالحا فلنفسه يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه ومن اسا
فعليها اي ضر اساته وكفره يعود على نفسه ايضا وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسي قوله عز وجل
اليه يرد علم الساعة يعني اذا سال عنها سايل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله ولا سبيل للخلق
الى معرفة ذلك وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان ينشق وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه اي يعلم عدد ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل ام انثى ومعنى الاية كما
يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شي كالثمار والنتاج وغير ذلك فان قلت الزحل

الصالح من اصحاب الكشف يقول قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شي مما يقولونه البتة وانما غايته ادعا ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم الله هو اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه احد ويوم يناديهم اي ينادي الله المشركين فيقول اين شركاي اي في اعتقادكم قالوا يعني المشركين اذناك اي اعلمناك ما منا من شهيد اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبروا من الاصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون في الدنيا وظنوا ما لهم من محيص اي مهرب قوله تعالى لا يسام الانسان اي لا يمل الكافر من دعا الخير يعني لا يزال يسال ربه الخير وهو المال والغنى والصحة وان مسه الشر اي الشدة والفقر فيؤس من روح الله قنوط اي من رحمته ولين اذقناه رحمة منا اي اتيناه خيرا وعافية وغنا من بعد ضرا مسته اي من بعد شدة وبلا اصابه ليقولن هذا لي اي استحقه بعملي وما اظن الساعة قايمة اي لست على يقين من البعث ولين رجعت الى ربي يقول هذا الكافر فان كان الامر كذلك ورجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الاخرة فلننبين الذين كفروا بما عملوا قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم واذا مسه الشر اي الشدة والفقر فذو دعا عريض اي كثير قل يا محمد لكفار مكة ارايتم ان كان من عند الله يعني هذا القران ثم كفرتم به اي جحدتموه من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا في الافاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم يعني بالبلا والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الافاق وهو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفي انفسهم وهو فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق يعني دين الاسلام وقيل يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مويد من قبل الله تعالى وقيل في الافاق يعني اقطار السما والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الاشيا الا الله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني يشهد ان القران من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه الدلايل الكثيرة التي اوضحها الله تعالى لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شي الا انهم في مرية من لقا ربهم اي في شك عظيم من البعث الا انه بكل شي محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا والله اعلم

تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة شورى مكية

في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع ايات نزلت بالمدينة اولها قل لا اسالكم عليه اجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون اية وثمانماية وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق سيل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقيل لانها بين سور اولها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانهم عدوا حم عسق عد ايتين وعدوا اخواتها التي لم تقطع اية وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله وقيل معناه اي ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله بها وقيل العين من العزيز والسين

من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المشهود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة من فوق التي قبلها من قول الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ويستغفرون لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملايكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سياتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سوال الرزق لهم فيدخل فيه المومن والكافر الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سالوها ويضم اليها بمنه وكرمه والرحمة التامة الشاملة والذين اتخذوا من دونه اوليا اي جعلوا له شركا وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم حتى تواخذهم انما انت نذير وكذلك اي ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها ومن حولها يعني قرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارضين لا ريب فيه ولا شك في الجمع انه كاين ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل الجنة واسما ابايهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون ليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسما اهل النار واسما ابايهم وعشايرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى ولو شا الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ولكن يدخل من يشا في رحمته اي في دين الاسلام والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اوليا فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شي اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله تعالى وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا تو ثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله اي الذي يحكم بين

المختلفين هو الذي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في كل المهمات فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلايل وقيل انما قال من انفسكم لان الله خلق حوى
من ضلع ادم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم وقيل يكثركم فيه اي في الرحم
وقيل في البطن وقد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكرانهم واناثهم التوالد والتناسل
وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلا على غير العقلا
من الانعام وقيل بمعنى الباء اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج ليس كمثله شي المثل صلة اي كهو شي وقيل الكاف
صلة مجازه ليس مثله شي قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل
الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات
الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شي فمعناه ليس له نظير كما قال ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته
سبحانه وتعالى مثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فمعناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه
فيه احد فظهر بهذا التفصيل معنى الاية وحصل الفرق بينهما وهو السميع اي لساير المسموعات البصير
لساير المبصرات له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني النبات يدل
عليه قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشا ويقدر يعني انه يوسع على من يشا ويضيق على من يشا لان مفاتيح
الرزق بيده انه بكل شي عليم اي من البسط والتضييق على من يشا قوله عز وجل شرع لكم من الدين اي وضح
لكم بين طريقا واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبيا وهو قوله تعالى ما وصى به نوحا يعني انه اول
الانبيا اصحاب الشرايع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك اي من القران وشرايع
الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى انما خص هولا الانبيا الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب
الشرايع المعظمة والاتباع الكثيرة واولوا العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هولا الاعلام من رسوله بقوله
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الاخر
وطاعة الله في اوامره ونواهيه وساير ما يكون به الرجل مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها
فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل
تحريم الامهات والاخوات والبنات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتا
الزكاة والاقرار لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله الانبيا كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه من يشا اي يصطفي لدينه
من يشا من عباده ويهدي اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس
يعني اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل
بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يوم
القيمة لقضي بينهم اي بين من امن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب
يعني اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيايهم وقيل من الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله
عليه وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين شاكين فيه فلذلك فادع اي الى ما وصى به الانبيا من التوحيد وقيل
ولاجل ما حدث من الاختلاف في الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم كما امرت اي اثبت
على الدين الذي امرت به ولا تتبع اهواءهم اي المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي امنت
بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن

عباس

عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشيا
وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان الاله واحد
وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة الله يجمع
بيننا اي في المعاد لفصل القضا واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله
قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له
اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم
داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الاخرة الله الذي انزل
الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل وسمي العدل ميزانا
لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة
قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا
تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اي ظنا منهم انها غير اتية
والذين امنوا مشفقون منها اي خايفون ويعلمون انها الحق اي انها اتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون
اي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان
اليهم قال ابن عباس حفي وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه يرزق
من يشا يعني ان الاحسان والبر والانعام في حق كل العباد وهو اعطا ما لا بد منه وكل من رزقه الله تعالى من مومن
وكافر وذي روح فهو ممن يشا ان الله يرزقه وقيل اللطيف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات
والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشا العزيز هو الذي لا يغالب ولا يدافع
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف الى عشرة الى ما يشا الله من الزيادة وقيل انا نزيد في
توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الطاعات والخيرات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا
مؤثرا لها على الاخرة نؤته منها اي ما قدر وقسم له منها وما له في الاخرة من نصيب يعني لم يعمل بها عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل
الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوي
باسناده قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركا يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس
شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ما لم ياذن به الله يعني تلك الشرايع باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك
انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان الله تعالى
بين الخلق بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وان الظالمين
يعني المشركين لهم عذاب اليم اي في الاخرة ترى الظالمين يعني يوم القيمة مشفقين اي وجلين خايفين مما كسبوا
اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم اي جزا كسبهم واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات كان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة ولذلك خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على
ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هولا الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة لهم ما يشاون
عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة
الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا اسالكم عليه اي على تبليغ
الرسالة اجرا اي جزا الا المودة في القربى عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن

جبير قربى آل محمد قال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا له منهم قرابة فقال الا ان
تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا قرابتي وتوددي
وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم وقيل آل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب الذين
لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين
اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال
واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته يا زيد اليس نساؤه من اهل بيته فقال نساؤه
من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال من هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس
فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبيا ما اسالكم عليه
اجرا ان اجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا
المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه
قول الشاعر ٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتايب ٭
معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم وان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان
كذلك في حق جميع المسلمين فكان في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا
المودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة لان قرابته كانت مودتهم وصلتهم لازمة له وثبت انه لا اجر البتة والوجه
الثاني ان هذا استثنا منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ثم ابتدا فقال الا المودة في القربى
اي لكن اذكركم المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم في الدين ثم قرابتكم فلا توذوهم وقيل ان هذه منسوخة
وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه
احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فصارت
هذه الاية ناسخة لقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى والى هذا ذهب الضحاك والحسين بن الفضل
والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من
فرايض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ الاية وروي عن ابن عباس في معنى الاية قولا الا ان
تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد
اليه بالعمل الصالح قوله تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف
ان الله غفور للذنوب شكور اي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون يعني بل يقول كفار مكة
افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب وهو افترى
على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشا الله يختم على قلبك اي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق
عليك اذاهم وقولهم انه مفترى وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القران وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على
الله كذبا لفعل ما اخبر به في هذه الاية ويمح الله الباطل اي لخبر الله تعالى انما يقولونه باطل والله
يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام
انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب
قوم منها شي وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الاية

فقال

والضحاك خ عن ابن عمر ان
ابا بكر الصديق قال
ارقبوا محمدا في اهل بيته صح

فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فانزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال
ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته **فصل** في ذكر التوبة وحكمها قال العلما التوبة واجبة من كل ذنب
فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاث شروط احدها ان تقلع عن المعصية
والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة
وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة
والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة
نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الاحوال المحمودة الى الاحوال المذمومة
ح عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله
فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شا الله قال ارجع
الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها
طعامه وشرابه فالله اشد فرحا من توبة العبد المومن من هذا براحلته ادوية الفلاة والمفازة ق عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المومن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في
ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا بتوبة عبده المومن حين
يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع
في ظلها وقد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قايمة عنده ثم اخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم
انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه سبعين عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قوله
تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
م عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسي
النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل ويعفوا عن السيات
اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون يعني من خير او شر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
يعني يجيب المومنين الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب للذين امنوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب
الذين امنوا ويزيدهم من فضله اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم
من فضله في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال
خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها
فانزل الله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة
بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع
الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع
القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مايلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لالاتها كان الشر

اقل وان كانت واحدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني
الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى انه بعباده خبير بصير والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبما
يصلح لهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني
لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المومن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي
المومن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وان دعاني اجبته وان
سالني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد
له منه وان من عبادي المومنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك
وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا
لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه
البغوي باسناده قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم
الى الشكر قيل حبس الله المطر سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد
الشدة اتم وينشر رحمته اي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وهو الولي اي لاهل طاعته
الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن اياته خلق السموات والارض وما بث اي اوجد فيهما
اي في السموات والارض من دابة فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة
المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان
وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا يشاء
قدير يعني يوم القيمة وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني المراد بهذه المصايب الاحوال
المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك فبما كسبت ايديكم من الذنوب
والمعاصي ويعفو عن كثير قيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من
خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابي سخيلة قال قال علي رضي الله عنه الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما اصابكم من مصيبة
اي من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله
عنهم في الدنيا لم يكن الله ليعفو له الا به او درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا به عن عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وما
انتم بمعجزين اي بفائتين في الارض هربا لا تعجزون حيث ما كنتم وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
قوله تعالى ومن اياته الجوار يعني السفن وهي السيارة في البحر كالاعلام اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند
العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح اي التي تجري بها السفن فيظللن يعني السفن الجواري رواكد اي ثوابت
على ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وهذه صفة المومن لانه يصبر في الشدة
ويشكر في الرخا او يوبقهن اي يغرقهن ويهلكهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب ويعف عن كثير اي
من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون
بالقران اذا صاروا الى الله ما لهم من مهرب وما اوتيتم من شيء اي من زينة الدنيا فمتاع الحياة الدنيا

اي ليس

اي ليس هو من زاد الاخرة وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى
ان المومن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب
خير وابقى للمومنين والذين يجتنبون كبائر الاثم يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه
ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون
الغيظ ويحلمون والذين استجابوا لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته واقاموا الصلاة
يعني المفروضة وامرهم شورى بينهم يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون براي ما لم
يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا الى ارشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم
البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد
جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدا بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغرى للسفيه وقال عطاء هم المومنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا
عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعية الانتصار مشروطة رعاية
المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل
ان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال اخزاك الله تقول اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك
فاشتمه بمثله ولا تعتد وقيل ان الله لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى
فمن عفا اي عمن ظلمه واصلح بالعفو بينه وبين الظالم فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيامة
نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين قال ابن
عباس الذين يبدؤون بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ظلم اياه فاولئك يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل
اي بعقوبة ومواخذة انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدؤون بالظلم ويبغون في الارض
بغير الحق اي يعملون بالمعاصي اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر اي لم ينتصر وغفر وتجاوز عن ظالمه ان ذلك
اي الصبر والتجاوز لمن عزم الامور يعني تركه الانتصار لعلة والصبر لمن عزم الامور الجيدة التي امر الله بها
وقيل ان الصابر يوتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزم ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
يعني فما له من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه وترى الظالمين لما راوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل يعني انهم يسالون الرجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها اي على النار
خاشعين من الذل اي خاضعين متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر الى النار خوفا
منها وذلة من انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون
عميا والنظر بالقلب خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم يعني بان صاروا الى
النار واهليهم يوم القيمة يعني وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة الا ان الظالمين في عذاب
مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول الى الحق
في الدنيا والجنة في العقبى فقد انسد عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيمة وقيل هو يوم الموت
ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي منكر لما لكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيئا
فان اعرضوا اي عن الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا اي تحفظ اعمالهم ان عليك الا البلاغ اي ليس

عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس
يعني الغنى والصحة فرح بها وان تصبهم سيئة اي قحط بما قدمت ايديهم اي من الاعمال الخبيثة فان
الانسان كفور اي لما تقدم من نعمة الله عز وجل قوله عز وجل لله ملك السموات والارض يعني له التصرف
فيهما بما يريد يخلق ما يشا اي لا يقدر احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته يهب لمن يشا اناثا اي فلا يولد
له الا الانثى ويهب لمن يشا الذكور فلا يولد له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجمع بينهما فيولد
له الذكران والاناث ويجعل من يشا عقيما اي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبيا عليهم السلام فقوله
يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعني ابراهيم عليه
السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات
ويجعل من يشا عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة في
جميع الناس انه عليم اي بما يخلق قدير اي على ما يريد ان يخلق قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر
اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل الله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي اليه في المنام او بالالهام كما
راى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في اليم او من وراء حجاب اي
يسمع كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى او يرسل رسولا يعني من الملائكة اما جبريل او غيره فيوحي باذنه
ما يشا يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشا وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا
من وراء حجاب في الدنيا وياتي بيان هذه الاية في سورة النجم ان شا الله تعالى انه علي اي عن صفات المخلوقين حكيم
اي في جميع افعاله قوله عز وجل وكذلك اي كما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس
نبوة وقيل قرانا لانه به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب يعني
القران ولا الايمان اختلف العلما في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبيا قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه
ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة
دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي
صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب
وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام ولم يتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه ولكن جعلناه نورا
قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله نهدي به من نشا من عبادنا
وانك لتهدي اي لتدعو الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام صراط الله يعني الذي شرعه لعباده الذي
له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور يعني امور الخلائق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب
المسي والله تعالى اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

وهي تسع وثمانون اية وثمانماية وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان
ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم انا جعلناه اي صيرنا
قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
يعني معانيه واحكامه وانه يعني القران في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله

القلم فامره ان يكتب ما يريد في الكتاب عنده ثم قرا لدينا فالقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ لعلي
حكيم اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقران فانه عندنا لعلي رفيع شريف وقيل على
جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان اي لان
كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوايل
هذه الامة لهلكوا ولكن الله اعاده بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شا الله وقيل معناه
افنضرب عنكم نذكركم اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون
وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا
كانوا به يستهزءون يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم
بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب
مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل ولين سالتهم
اي سالت قومك يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله تعالى
خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى
دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وبساطا ساكنة يمكن الانتفاع بها
ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها
سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السما ما بقدر اي بقدر حاجاتكم
اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به اي بالمطر بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك
تخرجون من قبوركم احيا والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا
على ظهوره اي على ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى
ربنا لمنقلبون اي في المعاد م عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا
الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
اللهم انا نسالك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده
اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر وكابة المنظر وسوء المنقلب
في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وقال فيهن ايبون تايبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثا
السفر يعني شدته ومشقته وكابة المنظر الكابة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره كئيبا
حزينا ويصادف ما يحزنه في اهله وماله عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب وقد اتي بدابة ليركبها
فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي
فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المومنين مم ضحكت قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شي ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي
ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده
جزءا يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا ان الانسان

لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يعني اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له انثى فهجر بيت امراته الذي فيه الانثى فقالت المراة ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما ناخذ ما اعطينا قوله عز وجل اومن ينشؤا يعني او من يربى في الحلية يعني الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة من صفته ولولا نقصانها لما احتاجت ان تزين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه اخر وهو قوله وهو في الخصام اي في المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قل ما تكلمت امراة تريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله ويسئلون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سالهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله فقالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها في الاخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياه لرضاه منا بذلك قال الله تعالى في رد اعليهم ما لهم بذلك من علم فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي ياخذون بما فيه بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وملة وانا على اثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع ابائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون اي لهم قل اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه اباءكم فابوا ان يقبلوا وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء مما تعبدون الا الذي فطرني معناه اني ابرا من الذين تعبدون الا من الذي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم بعد ما من وجد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة واباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق اي القران وقيل الاسلام ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم الحق يعني القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد يا ليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس

الوليد

الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك معناه بايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب بهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج من قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر منهم احد مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمة ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لما اعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني مصاعد ودرجات من فضة عليها يظهرون يعني يصعدون ويرتقون عليها ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا اي وجعلنا لهم سررا من فضة عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني ان الانسان يتمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والاخرة عند ربك للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا عند الله اهون من هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يول ظهره عن القران نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل له انه على الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني ادم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما بين

للمشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتا والقول الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم في العذاب ولا يخفف عنكم شيا لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم انكم انتم وقرناوكم اليوم في العذاب مشتركون اي مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركون في الكفر افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يومنون قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي بان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او نرينك اي في حياتك الذي وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون اي قادرون على ذلك متى شينا عذبناهم واراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فذهب ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني القران انك على صراط مستقيم اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا ضال وانه يعني القران لذكر لك اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسئلون يعني حقه واداء شكره وروي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر بشي حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سيل قال لقريش ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان خ عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك ان ذلك ذكر لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المومنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون يعني عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اختلف في سوال المسئولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اسال قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد ابن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسالهم فلم يشك ولم يسال فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مومني اهل الكتاب الذي ارسلت اليهم الانبيا هل جاتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومعنى الامر بالسوال التقرير لمشركي قريش انه لم يات رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي استهزاء وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها التي قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد

والقمل

والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه ايات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا ايه الساحر اي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا من عهده اليك انا اذا امنا كشف عنا العذاب فاساله ان يكشف عنا اننا لمهتدون اي لمومنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يومنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين جناني وبساتيني وقيل تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا اي بل انا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه ثم ابتدا فقال خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح بكلامه للثغة كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام فلولا القي عليه اي ان كان صادقا اساورة من ذهب قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته او جاء معه الملائكة مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره قال الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط اي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما اسفونا اي اغضبونا والاسف في حق الله تعالى ارادة العقاب ونحو قوله تعالى انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة لمن يجي بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا نزلت هذه الاية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبيا ومعنى الاية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك يعني قريشا منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك الهتنا وقيل يعني ام هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هولاء الاصنام بل هم قوم خصمون اي بالباطل عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو شينا لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن

عيسى بنيه انه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض بين ممصرتين كان راسه يقطر
وان لم يصبه بلل ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم
وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى
انه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتاخر الامام
فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اي وان القران لعلم للساعة اي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها
واهوالها فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على التوحيد هذا اي الذي
انا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه يعني الشيطان لكم عدو
مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي من
احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى عليه السلام وقيل الذي جاء به عيسى الانجيل انما بين
بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه فاتقوا الله واطيعون اي فيما امركم ان
الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى
فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاة
والمعنى انها تاتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيمة بعضهم
لبعض عدو اي ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين اي الا الموحدين المتحابين
في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي عن علي بن ابي طالب في الاية قال خليلان مومنان وخليلان كافران
مات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر
ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني واذا مات خليله المومن جمع بينهما
فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب
ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فيقول
ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون قيل ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس
الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير
بلا عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال
رجل يا رسول الله صلى الله عليك وسلم هل في الجنة خيل فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشا
ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت وسأله اخر فقال يا رسول الله هل
في الجنة من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها
ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ورد في الحديث انه لا ينزع احد في الجنة من ثمرها ثمرة
الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم

اي

اي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اي ايسون من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اي وما عذبناهم
بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اي لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا مالك اي يدعون مالكا خازن
النار يستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم يتوسلون به
ليسأل الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم بعد اربعين عاما ثم يرد عليهم قال انكم ماكثون قال هانت
والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم بالحق يقول
ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا اي احكموا امرا
في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا في مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم
بمثله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك
كله ونعلمه ورسلنا لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال
ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن ولد وانا اول العابدين اي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو
كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين اي انا اول
الجاحدين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الاية ان
كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها
فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة
عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بنبوة الولد وهو محال في نفسها
فكان المعلق عليها مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون اي عما يقولونه من الكذب فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي
الا لله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو وهو الحكيم الذي يدبر امر خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول
محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون
من دونه الهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله
ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك
لاحد من هؤلاء الشفاعة الا من شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهد بها بقلبه
شفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير
والملائكة ويعلمون انهم عباده ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق
العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى يؤفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب
يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال ابن عباس شكى الى
الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم

وفي ضمنه منعه من ان يدعو هم ليهم بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم
فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق وقال مقاتل نسخها
اية السيف والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الدخان مكية

وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلاثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال
وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القران جملة
من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين سنة وقيل هي ليلة
النصف من شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى
ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر من شعر غنم كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين
اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال ابن عباس يكتب
في ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال
يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امور السنة وينسخ الاحيا من الاموات
وروي البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان
الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضيا في ليلة النصف
من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبيا رحمة من ربك قال ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا
اليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة ورحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي
باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات والارض وما بينهما
لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابايكم الاولين قوله تعالى بل هم في شك يعني من هذا القران
يلعبون اي يهزون به لاهون عنه فارتقب اي يا محمد يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا
عذاب اليم ق عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال
يا ابا عبد الرحمن ان قاصيا عند باب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس الكفار ويا خذ
المومنين كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم فليقل به
ومن لا يعلم شيا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما راى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعى قريشا فكذبوه واستعصوا
عليه قال اللهم اعني بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شي حتى اكلوا الجلود والميتة
من الجوع وينظر الى السما احدهم فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان وقال يا محمد انك جيت تامر بطاعة
الله قال الله عز وجل وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب
يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله عايدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة ربنا اكشف
عنا العذاب انا مومنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فقد عاد ربك فكشف عنهم فعادوا فانتقم
الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله

حصت كل شي بالحا والصاد المهملتين اي حلقت واستاصلت كل شي ق عن عبد الله بن مسعود قال لقد
مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وذلك
ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهوى والجو وذلك يشبه
الدخان وقيل هو دخان يجي قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون
راسه كالراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المومن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو
قول ابن عباس وابن عمر والحسن ويدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية يوم تاتي
السما بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه منه كهيئة الزكام
واما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه
الاية وقد جاهم رسول مبين تقناه وقد جاهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والايات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا
معلم اي يعلمه بشر مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات حالما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب
اي الجوع قليلا اي زمانا يسيرا قيل الى يوم بدر انكم عايدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو
يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلما وفي رواية عن ابن عباس انه يوم
القيمة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم اي قبل هولا قوم فرعون وجاهم رسول كريم اي على الله وهو موسى بن
عمران عليه السلام ان ادوا الي عباد الله اي لا تجبروا عليه بترك الطاعة اني اتيكم بسلطان مبين اي
برهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
اي تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولون هو ساحر وقيل ترجمون بالحجارة وان لم تومنوا لي فاعتزلون
اي فاتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يومنوا فدعا ربه ان هولا
قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاه وامره ان يسري ببني اسرايل بالليل انكم
متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي اذا قطعته انت واصحابك رهوا اي ساكنا والمعنى لا
تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى
البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتيم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو انهم جند مغرقون
يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمين قلبه في تركه البحر كما هو كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
اي مجلس شريف حسن ونعمة اي وعيش لين رغيد كانوا فيها اي في تلك النعمة فاكهين اي ناعمين وقرى فكهين
اي اشرين بطرين كذلك اي افعل بمن عصاني واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرايل فما بكت عليهم السما والارض
وذلك ان من اذا مات تبكي عليه السما والارض اربعين صباحا وهولا لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السما
على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من مومن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت
عليهم السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه
قيل بكاوها حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل او تبكي
فقال وما للارض ان لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسما لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره

منها الله دوي كدوي النحل وقيل المراد اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين اي لم يمهلوا حين اخذهم
العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين اي من قتل الابنا واستحيا
النسا والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم اي علم
الله تعالى فيهم على العالمين اي على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين اي نعمة بينة من فلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاوهم بالرخا والشدة ان
هولا يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث
بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه فاتوا باباينا الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين
اي انا نبعث احيا بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل
عذاب الامم الخالية فقال تعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة
والكثرة وقيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما
سمي في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعى قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم اخرجه احمد بن حنبل في
مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبعا كان نبيا او غير نبي وعن
عايشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته ما ذكره ابن اسحق وغيره وذكر عكرمة
عن ابن عباس كان تبع الاخر وهو ابو كرب اسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند
ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع
على خرابها واستيصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار
يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هولا لكرام فبينا هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان
من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر اسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة فقالا
له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نامن عليك عاجل العقوبة فان هذه
المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي انت
فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع من يقاتله وهو نبي قالا يسير اليه قومه
فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على
دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من
هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لولو وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة
وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسو الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا
ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك
وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنعه اهله فلما قالوا
له ذلك اخذ اوليك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب
شعب المطابخ وكسى البيت الوصايل وهي برود تصنع باليمن وهو اول من كسى البيت ونحر بالشعب ستة
الاف بدنة واقام بها ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنى من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه
وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير
من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه

فتاكل

فتاكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران
ومصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت النار حتى غشيتهم
واكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة
تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي تخرج منه فاصفقت عند ذلك
حمير على دينهما فمن هنالك كان اصل اليهودية باليمن قال الرقاشي كان ابو كرب اسعد الحميري من التبابعة امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى
والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق قوله عز وجل ان يوم الفصل الخ اي بالعدل وهو الثواب على الطاعة
والعقاب على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل الذي يفصل فيه بين العباد
ميقاتهم اجمعين اي يوافي يوم القيمة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيا اي لا ينفع
قريب قريبه ولا يدفع عنه شيا ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعني المومنين
فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من اعدايه الرحيم اي باوليايه المومنين قوله تعالى
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي ذوي الاثم وهو ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت الاسود تغلي في البطون
اي في بطون الكفار كغلي الحميم يعني كالما الحار اذا اشتد غليانه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال
لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون
طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني
الاثيم فاعتلوه اي ادفعوه وسوقوه بالعنف الى سوا الجحيم اي الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب
الحميم قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه من دماغه ثم يصب فيه ما تناهى حره ثم يقال
ذق اي هذا العذاب انك انت العزيز الكريم اي عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا
اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم
به تمترون اي تشكون فيه ولا تومنون ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين اي في
مجلس امنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ اعجمي
قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه
واجرايه على اوجه الاعراب متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات
والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج
وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النسا النقيات البياض وقيل الحار
الطرف من بياضهن وصفا لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العين يدعون فيها بكل فاكهة
يعني ارادوها واشتهوها امنين اي من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب
والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة
التي ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعدا حين يموتون يصيرون بلطف الله

اي اصحاب الجنة يلقون الروح والريحان يرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم
بالشبه بها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص
من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك تفضلا منه ذلك هو الفوز
العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القران على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون
اي يتعظون فارتقب اي انتظر النصر من ربك وقيل ارتقب لهم العذاب انهم مرتقبون اي منتظرون قهرك بزعمهم
وقيل ينتظرون موتك وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليل فاصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذي وقال هشام ابن راويه انه ضعيف والله اعلم

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة مكية

وهي سبع وثلاثون اية واربعمائة وثمانون كلمة والفان ومائة واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض اي ان في خلق السموات والارض
وما خلقنا فيهما من عظيمات يدل لان على قدرة القادر المختار وهو قوله لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة
اي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات ذا عقل وتمييز اجناسها في الخلق والشكل والصورة لايات اي دلالات
تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله الخالق المختار لقوم يوقنون يعني لا اله الا هو واختلاف الليل والنهار
يعني بالظلام والضيا والطول والقصر وما انزل الله من السما من رزق يعني المطر الذي هو سبب ارزاق
العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها فمنها الصبا والدبور
والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ايات لقوم يعقلون فان قلت ما وجه هذا الترتيب
في قوله لايات للمومنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت ان المتصفين من العبادة اذا نظروا في هذه
الدلايل بالنظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع وامنوا به واقروا انه الاله القادر على
كل شي ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا يقينا وزال عنهم اللبس استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين
عقلوا عن الله مراده في اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله اي بعد
كتاب الله واياته يومنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث يسمع ايات
الله يعني ايات القران تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا
شيا اتخذها هزوا اي سخر منها اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم اشارة الى من هذه صفتهم في الحياة
الدنيا ولهم في الاخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي من الاموال شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
اي ولا ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا يعني القران هدى اي هو هدى من الضلالة
والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
يعني انه خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث اننا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل
كل ذلك تفضل منه واحسان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك

ان رجلا

ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت في
ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يومروا
بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسخها باية القتال
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال اثم فسر ذلك فقال من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها
ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة يعني من معرفة ايام الله ورزقناهم
من الطيبات اي من الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم
المن والسلوى وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم
اكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اي بيانات الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم معناه التعجب
من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وهنا صار مجي العلم سببا لحصول الاختلاف
وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وان كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما
علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك
الثابتة ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك لانهم قالوا انهم افضل منك على الله فقال
الله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيا اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيا ان اتبعت اهواهم وان
الظالمين بعضهم اوليا بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله ولي
المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة هذا يعني القران بصاير للناس اي معالم في الحدود والاحكام
يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيات اي اكتسبوا المعاصي والكفر
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمومنين لين كان ما تقولون حقا
لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا في الدنيا سوا محياهم ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافر ومماتهم كحياة
المومنين ومماتهم سوا كلا والمعنى ان المومن في حياته ومماته في الدنيا والاخرة والكافر في محياه ومماته في الدنيا
والاخرة وشتان ما بين الحالتين في الحال والمال ساما يحكمون اي بيس ما يقضون قال مسروق قال لي
رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري لقد رايته قام ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب
الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم الاية وخلق الله السموات والارض
بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الاية المقصود من خلق هذا العالم
اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في يوم القيمة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات
والدركات قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيا الا ركبه
لانه لا يومن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب
كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا راوا شيا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الاخر
وقيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله على علم اي على ما منه لعاقبة امره وقيل على ما سبق في علم
الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع الهدى ولا يعقل بقلبه وجعل على بصره غشاوة
اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس
للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه

وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى اي يموت
الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونموت وما يهلكنا الا الدهر اي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف
الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب
ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى الاحاديث
ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب
والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر
فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في
الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر وقيل قال لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز
وجل والدهر متصرف فيه يقع به التاثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا باباينا ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا
ان صح ذلك فائتوا باباينا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى
النار وترى كل امة جاثية اي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان
الفارسي ان في القيمة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثيا على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا اسالك
الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي من خير وشر
هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا
بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافه اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافه اليه لانه تعالى هو امر
الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملائكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ
نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعقاب ويطرح
منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ في اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال
بني ادم والاستنساخ ما يكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي يقال
لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم اي عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني
كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كائن والساعة لا ريب فيها اي لا شك
في انها كائنة قلتم ما ندري ما الساعة اي انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا
وتوهما وما نحن بمستيقنين انها كائنة وبدا لهم اي في الاخرة سيات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا
لهم جزاء سياتهم وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء
يومكم هذا اي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لكم من
مانعين يمنعونكم من العذاب ذلكم اي هذا الجزاء بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب

منهم

منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية يوجب الحمد والثناء على كل احد وله الكبرياء اي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة في
السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن ابي سعيد وعن ابي هريرة قالا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم ولاخرجه
البرقاني وابو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيا منهما عذبته
ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني في واحد منهما قذفته في النار ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام
خرج على عادة العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار
فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا لانه المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء
الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه احد فكذا الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد لانهما من
صفاته اللازمة له المختصة به التي لا يليق لغيره والله تعالى اعلم بمراده

تفسير سورة الاحقاف مكية

قيل غير قوله قل ارايتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع
وقيل خمس وثلاثون اية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وتسعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيمة وهو الاجل الذي تنتهي اليه فناء السموات
والارض والذين كفروا عما انذروا اي خوفوا به في القران من البعث والحساب معرضون اي لا يؤمنون به
قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في
السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم اي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم ويؤثر
عنهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض
وهو العيافة ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب
له يعني الاصنام لا تجيب داعيها الى شيء يسالونها فيه الى يوم القيمة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون يعني انها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا
سحر مبين سموا القران سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق محمد القران من قبل نفسه فقال الله عز وجل
قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي
فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم اي الله بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقران
والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القران جاء من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير
العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه الغفور لمن تاب منكم الرحيم به قوله تعالى قل يا محمد
ما كنت بدعا من الرسل اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي وما ادري

ما يفعل بي ولا بكم الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت هذه الاية اختلف العلما
في معنى هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا
من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من عند نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله قد علمت ما يفعل بك فما
ذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل الله
وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة
قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك ح عن
خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلا امراة من الانصار كانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه
اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي
فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا
السايب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاه اليقين
والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت والله لا ازكي بعده احدا يا رسول
الله قالت ورايت لعثمان في النوم عينا تجري فجيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال
ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار
لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا واما في الاخرة فقد
علم الله في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فقال ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ
ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي رايت فسكت فانزل الله هذه
الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم انزل في مكاني ام اخرج انا واياكم الى الارض التي رفعت لي وقيل
لا ادري ما ذا يصير امري وامركم في الدنيا امرنا الا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبلي ام اقتل كما قتل بعض
الانبيا من قبلي وانا انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ما ذا يفعل بكم وما ادري
ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما ام يخسف بكم ام اي شي يفعل بكم مما فعل بالمكذبة
ثم اخبر الله تعالى انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه
ما يصنع به وبامته وقيل معناه ما ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه
على الاديان وامته على ساير الامم ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القران الذي يوحى الي ولا ابتدع
من عندي شيا وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم اي اخبروني ما ذا تقولون
ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله اي انه من
عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى ان كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتقدم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام امن بالنبي صلى
الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يومنوا يدل عليه ما روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد
الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترف النخل فاتاه وقال اني سايلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى

احواله

احواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو
اليهود من الملايكة فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة
فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه كان الشبه له واذا
سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي
قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجات اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية
فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه ق عن سعد
ابن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على وجه الارض انه من اهل
الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله قال الراوي لا ادري
قال مالك الاية او في الحديث وقال الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت
في عبد الله بن سلام لان حم الاحقاف نزلت بمكة واسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الاية في محاجة
كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على
القران وكل يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القران انها من عند الله
كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله فامن من امن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يا معشر
العرب ان تومنوا بمحمد والقران ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قايم مقام جواب
الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين
قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني اليهود للذين امنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم
ما سبقونا اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة وقالوا لو كان خيرا ما يدعونا
اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعني جهينة
ومزينة لو كان ما جا به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعا البهم قال الله تعالى فسيقولون هذا افك قديم
اي كذب متقدم ومن قبله اي من قبل القران كتاب موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به
ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا كتاب يعني القران مصدق اي للكتاب الذي قبله لسانا عربيا لينذر الذين
ظلموا يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اوليك اصحاب الجنة خالدين فيها جزا بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل
ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي يوصل اليهما احسانا وتوهما الاساة حملته امه كرها يعني
حين اثقلت وثقل عليها الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني
ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع
اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت
ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو
ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن

ابو قحافة وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك فساله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر التصديق اليقين وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله بنبوته واختصه برسالته امن به ابو بكر وهو ابن ثمان وثلاثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال **قال رب اوزعني** اي الهمني **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي** اي بالايمان اي بالايمان والهداية وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده **وان اعمل صالحا ترضاه** قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال **واصلح لي في ذريتي** فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه ابي بكر عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله **اني تبت اليك** اي رجعت اليك الى كل ما تحب **واني من المسلمين** اي واسلمت بقلبي ولساني **اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا** يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها **ويتجاوز عن سيئاتهم** اي فلا يواخذهم بها **في اصحاب الجنة** اي مع اصحاب الجنة **وعد الصدق** اي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدقا وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة **الذي كانوا يوعدون** اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **والذي قال لوالديه** يعني اذا دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت **اف لكما** وهي كلمة كراهية **اتعدانني ان اخرج** اي من قبري حيا **وقد خلت القرون من قبلي** اي فلم يبعث منهم احد **وهما يستغيثان الله** اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له **ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا** اي الذي تدعوانني اليه **الا اساطير الاولين** قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر شيا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيا من القران الا ما انزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل شخص موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى **اولئك الذين حق عليهم** اعلم ان سوله قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مومن من افاضل المومنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اي وجب عليهم العذاب **القول في امم** اي مع امم **قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا** قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه

ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المومنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيمة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى سفل **وليوفيهم اعمالهم** اي جزاء اعمالهم **وهم لا يظلمون** قوله عز وجل **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** اي يجاء بهم فيكشف لهم عنها فيقال لهم **اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفا حظكم منها شي **فاليوم تجزون عذاب الهون** اي الذي فيه ذل وخزي **بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** علق على هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهي المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من الجوارح

فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات اثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجا ثواب الاخرة ق عن عمر بن الخطاب قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكي على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت استانس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عائشة قالت ما شبع ال محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان ياتي علينا الشهر لا نوقد نارا انما هو الاسودان التمر والما الا ان نوتى باللحيم وفي رواية اخرى انا كنا لننتظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والما الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشا وكان اكثر خبزهم الشعير اخرجه الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم يوذ احد ولقد اتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال الا شي يواريه ابط بلال خ عن ابي هريرة قال رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه ردا اما ازار واما كسا قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صايما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه قال واراه قال وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال عمر [في الهامش: ما هذا يا جابر قلت لحما فاشتريته فقال] اوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى **واذكر اخا عاد** يعني هودا عليه السلام **اذ انذر قومه بالاحقاف** قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع واذا ذهب العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احيا باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض

يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل لم يبلغ ان يكون
جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه اي من قبل هود
ومن خلفه من بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك
واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتافكنا
اي لتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل
بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني من
الذي امرني الله به اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما راوه
يعني من الذي ارسله الله عليهم واستحالها عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السما مستقبل اوديتهم راوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني صح
وذلك انه قد خرج عليهم سحابة سودا من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما
راوا تلك السحابة استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به
يعني من العذاب ثم بين ماهيته فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف الريح فقال تعالى
تدمر كل شي بامر ربها يعني تهلك كل شي مرت به من رجال عاد واموالهم وكانت تلك الريح تحمل الفسطاط
والظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت ابوابهم
الابواب وصرعتهم واحال الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين
لعن انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم واحتملتهم فرمتهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط
على نفسه وعلى من معه من المومنين خطا وكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه
شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح
ان يرسل عليهم مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة عن عايشة قالت
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية
وكان اذا راى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان يكون فيه المطر
واراك اذا رايت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عايشة وما يومني ان يكون فيه عذاب قد عذب
قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا راى مخيلة في السما اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السما سري عنه فعرفته
عايشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطر
الاية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها
وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السما
تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السما سري عنه فعرفت ذلك عايشة فقال لعله كما قال قوم عاد فلما راوه
عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السما اذا تغيمت
وقوله سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرى
بالتا مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من
السكان ليس فيها احد وقرى يرى بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا
اثارا والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين نخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال

وجعلنا

وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم من امر الدين
فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلاجرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي
يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى عنهم ذلك شيا اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزا ولقد اهلكنا ما
حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني قرى ديار ثمود وهو الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام
وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلايل الدالة
على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا
يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يعني انهم اتخذوا الاصنام الهة يتقربون
بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الالهة عنهم فلم تنفعهم
عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم قوله وما يفترون صح
عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ذكر القصة في ذلك قال المفسرون لما مات ابو طالب عم
النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يوذيه فلما مات وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطايف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن اسحق
عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى نفر
من ثقيف وهم يوميذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن
عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جا لهم من نصرته على الاسلام
والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال
الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لين كنت رسولا من الله كما تقول لانت
اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تبلغ قومه فيزيدهم ذلك
في تجريهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع اليه الناس والجوه الى
حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفها ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس
فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفها ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المراة التي
من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمايك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكوا
اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين
وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب ولا ابالي ولكن عافيتك اوسع
لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل
علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا
غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك
الرجل وقل له ياكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه
ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي
البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه ويديه
وقدميه قال فقال احد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس
ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر
ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل
يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا
بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القران
فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهؤلاء اخر وسياتي في سورة الجن
ونحو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه
ليعرف الخبر فكان اول بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني
بلغنا انهم من اهل الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا عليهم القران
فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني
امرت ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود وقال
عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه
وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك
فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت
على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا
يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال
لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول
لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا
عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا
يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول
الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها
يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي
فقضيت عليهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول
الله قال الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فدعا به فصببت على يديه فتوضا وقال تمرة طيبة وماء طهور
قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال
اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضي بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب
عنها الطحاوي كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن عباس هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم احد قال
ما صحبه احد منا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية

والشعاب استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول
الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم
القران قال فانطلق فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في
ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما
طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير
الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد
نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة
من التسعة الذين استمعوا القران وروي ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون
بها في الهوى وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك
الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس فمنهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة
الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القران ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق
المحققون من العلما على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب
فلما حضروه الضمير يعود الى القران يعني فلما حضروه لاستماع القران وقيل يحتمل ان يعود الى الرسول صلى
الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القران **قالوا انصتوا**
يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القران
حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته **ولوا** اي رجعوا **الى قومهم**
منذرين يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القران والتصديق الا بعد ايمانهم وتصديقهم له **قالوا**
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا قال عطا كانوا فيهم اليهودية لذلك قالوا انا
سمعنا كتابا من بعد موسى مصدقا **لما بين يديه** يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب
الانبيا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبيا والايمان بالحشر والمعاد والحشر والنشر
وهذا الكتاب وهو القران المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو مصدق لما
بين يديه من الكتب **يهدي الى الحق والى طريق مستقيم** وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة
يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه
مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله **وامنوا به** فان قلت قوله
تعالى اجيبوا داعي الله فان الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ
التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفها فلذلك ذكره بلفظ التعيين فهو
من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال **يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم** قال بعضهم
لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان
قبل الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فاذا اتى بذنب اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر
المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء اخذه بذنبه واختلف العلما في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب
الا نجاتهم من النار فتاولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث

قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الاخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقال ارطاه بن المنذر سئلت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اولياء يعني انصارا يمنعونه من الله اولئك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه بقادر على ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحيائهم لانه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى هذا وربنا قال اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذووا الحزم وقال الضحاك ذوا الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل منهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي العزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكافحة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لا يرضى من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى ولا تستعجل لهم يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامر الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الاخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار طول

لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا انتهاء الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا فقال تعالى بلاغ هذا القران وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله اية اقوى من هذه الاية والله اعلم

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها فلم يقبل منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائل قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم روسا قريش منهم ابو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع الكفار وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مومن امن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد يعني القران الذي انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعظيما لشان القران وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ الاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين امنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشانهم وامرهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل يصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال الحسن عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القران ومعنى الاية يعني ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المومنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المومنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم او انه راجع الى الفريقين على انه تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال اعمال الحسنات الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقا وهو الحرب فضرب الرقاب

يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضا وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضا البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضا **حتى اذا اثخنتموهم** يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشي الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة **فشدوا الوثاق** يعني في الاسر والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به **فاما منا بعد واما فدا** يعني بعد الاسر اما ان تمنوا عليهم باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فدا **فصل** في حكم الاية اختلف العلما في هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل والاسترقاق ايهما راى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية اذ كانوا من اهل الذمة والمراد بالفدا ان يفادي باسراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلما ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فدا وهذا القول هو الصحيح لانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده (ق) عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجات برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد واغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم من عند النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال له قايل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين الذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى **حتى تضع الحرب اوزارها** يعني اثقالها

واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حين وضعوا اسلحتهم وامسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار هم الاثام بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم **ذلك** يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار **ولو يشا الله لانتصر منهم** يعني ولو شا الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم **ولكن** يعني ولكن امركم بالقتال **ليبلو بعضكم ببعض** يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب **والذين قتلوا في سبيل الله** يعني الشهدا وقرى قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله **فلن يضل اعمالهم** يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل **سيهديهم** يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى **ويصلح بالهم** ويرضي اعمالهم ويقبلها **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** يبين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المومن اهدى الى درجته ومنزلته وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله** يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اوليا الله وحزبه **ينصركم** يعني على عدوكم **ويثبت اقدامكم** يعني عند القتال وعلى الصراط **والذين كفروا فتعسا لهم** قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقا لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار ويقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة الدعا عليهم **واضل اعمالهم** يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان **ذلك** يعني التعس والاضلال **بانهم كرهوا ما انزل الله** يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله **فاحبط اعمالهم** يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة **دمر الله عليهم** يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم **وللكافرين** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **امثالها** يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون في الاخرة **ذلك** يعني الاهلاك والهوان **بان** اي بسبب ان **الله مولى الذين امنوا** يعني ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم

وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا
تنفع ولا تبصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هنا بمعنى الرب والمالك لانه الله رب كل احد ومالك
الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المومنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم
في الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني
هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام
يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد فلذا شبههم بالانعام
لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز لانه لو كان لم تعقل ما عبدها يضره ولا ينفعه قيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المومن بالنسبة الى ما اعد الله
له في الاخرة من النعيم العظيم الدايم والنار مثوى لهم يعني مقام الكفار في الاخرة والثوى المقام في المكان
الاستقرار فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي
اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هي اشد قوة من اهل مكة اهلكهم
الله يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك
الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد
الله الى الله واحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان
على بينة من ربه يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون كمن زين له سوء عمله
وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة
التي وعد المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الدنيا اولا ما اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل
الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة
وذلك لا يقتضي مشبها به وقيل المثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشي
عظيم وقيل المثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار فيها يعني الجنة التي وعد المتقون انهار من ماء
غير آسن يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه
يعني كما يتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من المطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين
يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس في
شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط وانهار من عسل مصفى يعني ليس فيه شمع
كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله فهو خالص صاف من جميع شوايب عسل الدنيا
عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر
الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون
وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن
فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا هو الصواب
في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من الجنة ففيه تاويلان الثاني
وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة

وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم
وهذه الانهار تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات
بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ومغفرة
من ربهم قال قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان
يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة
قبل دخولهم اليها وجواب اخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون
بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله
تعالى كمن هو خالد في النار يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدايم كمن هو خالد في النار فيجزع من حميمها
وهو قوله وسقوا ماء حميما يعني شديد الحر قد اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دني منهم يشوي وجوههم
ووقعت فروة وجوههم فاذا شربوه فقطع امعاءهم يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في
البطن من الحوايا وقول الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة
من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد
كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا
شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ومنهم يعني ومن هولاء الكفار من يستمع
اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه حتى اذا خرجوا من عندك
يعني ان هولاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك قالوا يعني المنافقين
للذين اوتوا العلم يعني من الصحابة ماذا قال انفا يعني ما الذي قال محمد الان وهو من الايتناف يقال
ايتنفت الامر اي ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا
خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
قد سالت فيمن سيل اوليك يعني المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما
سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع
الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل والذين اهتدوا يعني المومنين
لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن المهتدي الذي ينتفع بما
يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان زادهم هدى يعني انهم لما سمعوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا به وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى
مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم واتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم
ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون الا الساعة
ان تاتيهم بغتة يعني ان الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يومنوا فالساعة اتيتهم بغتة
فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة اتية لا محالة وسميت
القيمة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا

فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنا مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال
والدجال فشر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى فقد جا اشراطها اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس
وقد قال الله تعالى فهل ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال
تعالى فقد جا اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه
يمدهما ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل هذه
الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ما بين مبعثه وقيام الساعة شي يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل
هو اشارة الى قرب المجاورة ق عن انس قال عند قرب وفاته الا احدثكم بحديث لا يحدثكم به احد غيري سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم
ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنا ويذهب الرجال ويبقى النسا حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية
ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النسا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط
الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل
وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويثبت الجهل خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه
فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل
عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها
قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني فمن اين لهم
التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم
الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فايدة
هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ما انت عليه من العلم فهو كقول القايل للجالس اجلس اي دم على
ما انت عليه من الجلوس ويكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى
الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفين بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا
جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه
لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا هو واستغفر
لذنبك امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا
به في ذلك م عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي
حتى استغفر الله مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم
خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين
مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر اي يلبس على قلبي ويغطي وسبب
ذلك ما اطلعه عليه من احوال امته بعده ما احزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في
امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وانه كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما

هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء قلبه معه وخلوص همه من كل سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه
وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى
قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة الذي يغشى قلبه
صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهارا للعبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي
الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه
وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره
وقال الحرث المحاسبي خوف الملائكة والانبيا خوف اعظام واجلال وان كانوا امنين من عذاب الله وقيل يحتمل
ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا لها قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل
في معنى الاية استغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمومنين والمومنات يعني من غير اهل بيته وهذا اكرام
من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم
والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم
يعني مصيركم الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الابا الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي
القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شي منها وان دق وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا
لولا نزلت سورة وذلك ان المومنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا لولا انزلت سورة تامرنا
بالجهاد لكنا نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال مجاهد كل سورة ذكر فيها القتال
فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا وهم المنافقون ينظرون
اليك شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقا العدو والموت فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو بمعنى قولهم
في التهديد اولى لك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله طاعة وقول معروف فعلى هذا
هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا
فهو امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله
وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن
عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه
كقولنا جا الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا
به فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة
لكان ذلك خيرا لهم فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم احكامه
ان تفسدوا في الارض اي تعودوا الى ما كنتم عليه من الفساد في الجاهلية في الارض بالمعصية والبغي وسفك
الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم القوم
حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته
وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت
بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العايذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك
واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا ان شيتم فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اوليك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم

افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار
من الانسان وقد يطلق على الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار
لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة
الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي
توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة فيتصل
بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا
وتعلقها ضرب مثل حسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصليها
وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام
ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله تعالى هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا
الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله ان توليتم من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتم الناس ان تفسدوا
في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل
يتوقع منكم الانسان فان قلت عسى طمع وترجي وتوقع ذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شي فما معناه
قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع ذلك منهم وقال
الزمخشري معناه انكم لما عهد منكم بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولا ما
ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على
الملك وتهالكا على الدنيا اولئك اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله
يعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع الحق واعمى ابصارهم يعني عن طريق الهدى
وذلك انهم لما سمعوا القران لم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم ينتفعوا فكانوا
بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماعا وابصارا في الظاهر افلا يتدبرون القران يعني يتفكرون فيه وفي
مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشي وما يؤول اليه امره وتدبر القران انما يكون عن
حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذا من الحلال وخلوص النية ام على قلوب
اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال
فلان اذا كان ان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر
القران مع هذه المواضع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان من سبق
في علمه انه لا يؤمن فكذلك هذا او الله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون
القران المراد به التاسي وقيل ان هذه الاية محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من
الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده روى البغوي
باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال
الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عن عروة ابن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم
فلم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل ان الذين
ارتدوا على ادبارهم يعني رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم

طريق

طريق الهدى قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا
نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون وذلك انهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان
سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى راوه حسنا واملى لهم قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح اليا على ما لم يسم
فاعله حتى امهلوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان بان مد لهم
في الامل فان قلت الاملا والامهال لا يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على
مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان
فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين
لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر ذلك اشارة الى التسويل
والاملا بانهم يعني بان اهل الكتاب والمنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم
في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا
يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه لا يخفى
عليه خافية من امرهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يعني بذلك الضرب
ذلك يعني بسبب انهم بانهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم
التي عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم
المنافقون ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم
واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
لما قال الله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم
ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع
لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم
منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة
ذلك التعريف لئلا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم ان نجعل لك علامة تعرفهم بها قال
انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطا فصرف الكلام
وازالته عن التصريح الى المعنى وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم
الحن بحجته من بعض واليه قصد ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب
الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرف المنافقين فيما يعرضون به من القول
في تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزا به فكان بعد هذه الاية لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم
الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم يعني اعمال
جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى
عالم بجميع الاشيا قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين يعني انا نامركم بالجهاد حتى يظهر
المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلو
اخباركم اي نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان الذين كفروا وصدوا عن

سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما امرتهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى
يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيا يعني انما يضرون
انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا
في الاخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله المؤمنين
بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى داوموا
على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الكلبي لا تبطلوا اعمالكم بالريا والسمعة لان الله تعالى لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه
الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي والكباير قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير بعده ان تحبط
الاعمال واستدل بهذه الاية من يري احباط الطاعة بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر
قال كنا نرى انه ليس شي من حسناتنا الا مقبولة فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا
فقلنا الكباير الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فكففنا
عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكباير ونرجو لمن لا يصيبها واستدل بهذه الاية من لم يري
ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل
لهم في هذه الاية لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صايما فلما اتى
البيت وجد حيسا اهدته عايشة قربته فلقد اصبحت صايما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيح
ايضا ان سلمان زار ابا الدردا فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني صايم قال لست باكل حتى تاكل
فاكل وقال مقاتل في معنى الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد
وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شا الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر
والقوا في قليب بدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني
فلا تضعفوا ايها المؤمنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتدا منع الله تعالى المسلمين ان
يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم
اخره لان الله تعالى الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان يملوا المسلمين في بعض الاوقات والله
معكم يعني بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم اجورها
ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف
تمنعك الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل
وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان

ولم يشغله عن غيره ولم ينته اشغاله اليه فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم يعني يوتكم جزا اعمالكم في الاخرة ولا يسالكم اموالكم يعني ان الله لا يسال من العباد
اموالهم لا يسالهم الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسالكم
محمد اموالكم وقيل معناه لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسالكم غيضا من فيض ربع
العشر من اموالكم وهي زكاة اموالكم ثم يرد عليكم ليس لله ولرسوله فيها حاجة انما فرضها الله في اموال
الاغنيا وردها على الفقرا فتطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل
عليه سياق الاية وهو قوله تعالى ان يسالكموها الضمير عايد على الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويبطلها كلها
والاحفا المبالغة في المسالة وبلوغ الغاية في الالحاح تبخلوا يعني بالاموال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم
يعني ضغنكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفا بمسالة الاموال خروج الاضغان
ها انتم هولا يعني انتم يا هولا المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال تعالى تدعون لتنفقوا
في سبيل الله قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل
الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض عليه اخراجه من الزكاة او ندب اليه انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة
واداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم وطاعتكم
لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقرا يعني اليه والى ما عنده من الخير والثواب
في الدنيا والاخرة وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امرهم
الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم يعني يكون اطوع لله ورسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من
عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده
مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
من هولا الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده
لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة
ان شا الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسال
عمر عن شي فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر ترددت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت
ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قران فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا
مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس لما نزلت انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم
الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نزل علي اية هي احب الي

من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيا مريا فما لنا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيا مريا فعن عكرمة واخرجه الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزل على الليلة اية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيا مريا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **انا فتحنا لك فتحا مبينا** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وجرى المعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجي به بلفظ الماضي جريا على عادة الله عز وجل في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره بقدرته ولطفه عن البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرماية والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضى ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وما شيتنا وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واصابوا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر** قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ليدخل المومنين والمومنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تاخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغاير على الانبيا وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك ادم وحوى ببركتك وما تاخر من ذنب امتك بدعايك لهم وقال سفيان الثوري

كما تقدم

كما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شي لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد كما تقول اعطى من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاويل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره والمراد بذكر الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصرة والتمكين **ويهديك صراطا مستقيما** يعني ويهديك الى صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط **وينصرك الله نصرا عزيزا** يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعدا وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله تعالى عيشة راضية اي ذات رضى وقيل ومن النصر ما يوصف به المنصور اسناده مجازا كما يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذا التقدير اذا كانت العلبة والعزيز البالغ اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذا التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله فصح كونه نصرا عزيزا قوله تعالى **هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين** يعني الطمانينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القران طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقا في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** وذلك ان الله تعالى جعل السكينة في قلوب المومنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك ان كل ما ورد عليهم امر او نهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه ازادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرويا بالحق وقيل لما امنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وجميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم **ولله جنود السموات والارض** لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المومنون في قلة من العدد والعدد فكان قايلا قال كيف ينصره فاخبر الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المومنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدايه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات الملايكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جميع جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما** يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض **حكيما** يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث جعل النصر على اعدايكم قوله عز وجل **ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من**

تحتها الانهار فقوله ليدخل المومنين يستدعى سابقا تقديره هو الذى انزل السكينة فى قلوب المومنين بصلح
الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ويكفر عنهم سيئاتهم فان قلت تكفير السيات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو
لا تقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة بتقدم الادخال بالذكر
بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله
فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعنى المنافقين والمنافقات من اهل
المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة انما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشد على المومنين من الكافر يمكن ان يتحرز منه ويجاهده لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يتحرز منه ولا يجاهد
فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر وكان تقديم الكافر بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعنى انهم ظنوا ان الله
لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم دائرة السوء يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك وغضب
الله عليهم زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم يعنى وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعنى فى الاخرة
وساءت مصيرا يعنى ساءت جهنم منقلبا ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم
قدم ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتاكيد وجنود السموات
والارض منهم للرحمة ومنهم من هو للعذاب فتقدم ذكر السموات والارض قبل ادخال المومنين الجنة ليكون مع المومنين
جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه
فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شى واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط
فلا يفارقوهم فان قلت قال فى الاية الاولى وكان الله عليما حكيما وفى هذه وكان الله عزيزا حكيما فما معناه
قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المومنين ناسب ان يكون خاتمة
الاية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة
الاية الثانية وكان الله عزيزا حكيما كقوله اليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث
شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال الامة ومبشرا يعنى لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن
خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى ليومنوا بالله ورسوله والضمير فيه للناس المرسل
اليهم ويعزروه يعنى يعينوه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم ويوقروه يعنى يعظموه يعنى والتوقير التعظيم والتبجيل
ويسبحوه من التسبيح الذى هو التنزيه عن جميع النقائص او من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضماير لله
تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه
راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدى بقوله ويسبحوه
بكرة واصيلا على ان الكناية فى ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعنى ويصلوا لله ويسبحوا الله بالغداة والعشى
قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعنى ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا
يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه
من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى
قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية
بير قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل وبعضها من الحرم ويجوز فى الحديبية التخفيف

والتشديد

والتشديد والتخفيف انصح وعامة المحدثين يشددونها عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اى شى
بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد رايتنى يوم الشجرة والنبى
صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت
ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة
ابن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار
على ان لا يفروا خ عن ابن قال ان الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر
فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا برسول
صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعونه فبايع ثم رجع الى عمر فخرج وبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم
قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدى كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية
فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد
فى الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد
الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله
فوق ايديهم ان نصرته اياهم اقوى واعلا من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اى العلية والنصرة والقوة وان قلنا انها
بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق
ايديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق
ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وانما المعنى ان تقرير عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله
من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم فى هذه الاية
ومذهب السلف السكوت على التاويل وامرار ايات الله كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تكييف
ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعنى من نقض العهد الذى عقده مع النبى
صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله اى من البيعة فسيوتيه اجرا عظيما يعنى فى الاخرة وهو الجنة وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من
الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه
لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب
يعنى الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا
واهلونا يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا
معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس فى
قلوبهم يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك
لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا اى سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم
يدفع عنهم الضر ويجعل لهم النفع بالسلامة لهم فى انفسهم واموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان اراد شيئا من ذلك لم

يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى
اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حين صار الظن يقينا عندكم
وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان الشي ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني ان الله
يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم
انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بايرين هالكين ومن لم
يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك
الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لما ذكر الله تعالى حال المومنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو
يغفر لمن يشا بمشيئته ويعذب من يشا ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان
الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم
وذهبتم ايها المومنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر وذلك ان المومنين لما انصرفوا من الحديبية
على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنايم شيا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنايمها لمن شهد الحديبية
خاصة عوضا عن غنايم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد
معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن
هناك طمع في غنيمة وقالوا لو اذرنا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني
يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين
وقال مقاتل يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو
قوله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا
يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب
فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنايم شيا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا
يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله
تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل
مختلفة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم
علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المومنين ويوتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة فان
تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله ستدعون
الى قوم اولي باس شديد قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم
وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة
اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم منهم حتى دعى ابو بكر الى قتال
بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جرير دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه الاية بعد واقوى
هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعد الاقوال قول من

قال

قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر
الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مومن تقي ظاهر وكافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع
النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالف من
الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة
حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين
احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي
الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل في قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول
من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره لن تتبعونا
ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والخيانة وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه
وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه
الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة حنين لانها كانت مخصوصة بمن شهد الحديبية
بيعة الرضوان والحديبية دون غيرهم ثم تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يكن يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من
الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة
لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد فثبت بهذا البيان انه الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما
قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم لقتال فارس والروم
فظاهر الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله
تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل فان تطيعوا يوتكم الله
اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا
اليما يعني في النار ولما نزلت هذه الاية قال اصحاب الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك
الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد
والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار
اخرى كالفقر وهو العذر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق
عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى
مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج
على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله يعني في امر
الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق
يعذبه عذابا اليما يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية
على ان يناجزوا قريشا فلا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت
حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل

نسيناها نعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها
فأنتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب قال رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروي أن عمر مر بذلك
المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم
قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها
وكانت رحمة من الله تعالى م عن أبي الزبير أنه سمع جابراً يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة
فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية
وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن
المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فقال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على
الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
أنتم اليوم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن
جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق وعن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين
وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان بهذه الآية وكانت سبب البيعة على ما ذكره محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله
على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم
الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن
الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشاً وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش
عداوتي إياها وغلظي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فخرج عثمان
إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه
وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان
الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما
استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار أنهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم
أيضاً الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد
يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بني سلمة قال
جابر لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر عن
عثمان باطل م عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة وعن جابر قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب **فعلم ما في قلوبهم** يعني من الصدق والإخلاص والوفاء كما علم ما في قلوبهم أي المنافقين من المرض والنفاق **فأنزل
السكينة** يعني الطمأنينة **عليهم** يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفي هذه
الآية لطيفة وهي أن هذه البيعة كان فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان

الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه في الآية المتقدمة قوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث
المتقدم فإن قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لأنه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان
ورضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك
فكيف يكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضى
لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة تعقيب
لأنه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم فأنزل السكينة عليهم وقوله تعالى **وأثابهم فتحاً قريباً** يعني خيبر
ومغانم كثيرة يأخذونها يعني أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم **وكان الله عزيزاً** يعني منيعاً كامل العزة غنياً عن إعانتكم **حكيماً** حيث حكم لكم بالغنائم
ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم قوله تعالى **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** يعني المغانم التي تغنمونها من
الفتوحات التي تفتح لهم إلى يوم القيامة **فعجل لكم هذه** يعني مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم
التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به
من الغنائم كالقليل من الكثير **وكف أيدي الناس عنكم** وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر
أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال النبي صلى الله عليه وسلم وعيال المسلمين وذراريهم
بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل إن الله كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام
المنة عليكم **ولتكون آية للمؤمنين** هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين
يعني وليحصل لمن بعدكم آية تدلهم على أن ما وعدهم الله يحصل مثله لهم وقيل ولتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول
صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الغيوب فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم
في مشهدهم ومغيبهم **ويهديكم صراطاً مستقيماً** يعني ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة
ويقيناً بصلح الحديبية وفتح خيبر ذكر غزوة خيبر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من
الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ق عن أنس أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا غزا قوماً لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار
عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس
قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد
والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
م عن سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله
لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن من فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن
سكينة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قالوا أنا عامر قال غفر الله لك قال وما استغفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر
قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول ٭ قد علمت خيبر أني مرحب ٭ شاكي السلاح بطل مجرب ٭
٭ إذا الحروب أقبلت تلهب ٭ قال وبرز له عمي عامر فقال ٭ قد علمت خيبر أني عامر ٭ شاكي السلاح بطل مغامر ٭
قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت
فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت

النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك
قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبصق في عينيه فبرئ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب فقال علي انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كريه المنظره اوفيهم بالصاع كيل السندره
قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي
وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دفعا اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية النبي صلى الله
عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا اشد يدا ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه
فدعى عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر فخرج اليه مرحب
صاحب الحصن وعلى راسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه علي بن ابي طالب فضربه فقد الحجر
والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف في الارض ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام
فقالت صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير
ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز
الاموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمد بن مسلمة القت عليه اليهود حجرا
فقتله ثم فتح القموص حصن بني ابي الحقيق فاصاب منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال وباخرى
معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه
فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال
لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية
قد رات في المنام وهي عروس بكنانة ابن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال
ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبها اثر منها فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع
وكان عنده كنز بني النضير فساله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير
ابن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه
الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة م عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف
ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر
الازار عن فخذه حتى اني انظر بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر
انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس

يعني

يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ
جارية فاخذ صفية بنت حيي بن اخطب فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية
صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه
وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا
حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من
الليل فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل
يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عبد الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية
فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا
من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون نهى عنها البتة وعن انس ان امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد
ابن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه
الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري
من ذلك السم خ عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر وعن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود
والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها
وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحق لما سمع اهل
فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يحقن
دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يعاملهم على النصف ففعل على انا اذا شئنا اخرجناكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين
وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني
مشوية وسالت اي عضو من الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم وسمت سائر الشاة
ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها
مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما
بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني
انه مسموم ثم دعى بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان
ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه
الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعادني فهذا اوان انقطاع ابهري
فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة
عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنايمهم

من المتاع والسبي فجعل الناس بينهم يبيعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد
من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود
قوله تعالى **واخرى لم تقدروا عليها** يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها **قد احاط الله بها**
يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا
فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله
عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها
ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان **وكان الله على كل شيء قديرا**
اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين كفروا** يعني اسد وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار**
اي لانهزموا عنكم **ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا** يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد **سنة الله**
التي قد خلت من قبل يعني هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه **ولن تجد لسنة الله تبديلا** قوله
عز وجل **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم** سبب نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك ان
ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل
الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم **ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم** انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله
ابن معقل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران وعلى ظهره غصن
من اغصانها فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح
فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الاية ان الله
تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله وهو الذي
كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم ان قضى بينكم وبينهم بالمكافاة والمحاجزة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية
وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم **وكان الله بما تعملون بصيرا** قوله
عز وجل **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام** ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور
ابن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة
عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس
سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له
من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه
عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هولاء الذين عاونوهم فنصيبهم
فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكون عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه
فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه
قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش
طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش
وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس

حل حل فالحت فقالوا خلات القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوى وما ذلك لها بخلق
ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات
الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد
قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش
فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه
وسلم فنزل في البير فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل
ابن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة
فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد
نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا
فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي
ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل
وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال
ذو الراي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال
فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن
اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني اتيه قالوا ائته فاتاه
فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند
ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى
فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اوباشا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق
امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك
عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة
قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع
عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب
قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما
المال فلست منه في شيء ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول
الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره
واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له
فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله
ما رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني اتيه

فقالوا ابعثه فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو
من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما
ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا
عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في
قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما
راى فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا
له اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا
حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد
وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به
فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني
ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء
سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك
اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناكم
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان
كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين
يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف
به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه
لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء
مسلما وروي عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله قال
انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارني فاراه اياه
فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن
يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم
ومن اتاه من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح والسيف
والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم
ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا
منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف
في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك
عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده
الى قريش قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب
عذابا شديدا في الله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل
لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب
عمر يمشي الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدني قائم السيف
فيه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس
امر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزاد امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ
قال فلما راوا ذلك قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل
قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت
تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال
بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه
فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سياتي البيت ويطوف به قال بلى فاخبرك انه ياتيه العام قلت لا قال
فانك اتيه ومطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد قام فدخل
على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر
بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك
قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية
وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين
قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين
قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك
قال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مومنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات
حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى
صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس
ابن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه مولى لهم فقدما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا
بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك وللمستضعفين
فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين
والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير

الى انظر اليه فاخذه منه فضربه به حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك فقال
قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين
الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه
احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين
رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش من الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسل
قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه
وبين البيت الحديث اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فنزع سهما
من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس
ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروي عن البراء قصة الصلح الى قوله
رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل
الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس
الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جا نسوة مومنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح
غريب الفاظ الحديث قوله في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاث الى التسعة
وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احيا
من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفا قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث
ابن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل هو اسم واد
باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اي منتزعين قوله فنفذوا
اي مضوا وخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع وفيه كراع الغميم طليعة الطليعة الجماعة يبعثون
بين يدي الجيش ليطلعوا على اخبار العدو وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير
الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلات القصوى يعني انها لما توقفت
عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك لانه من خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات اي ليس
ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها عن المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوى
اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية يعظمون
فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام بها يريد ان حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى
الحديبية بتخفيف اليا وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببير هناك عند مسجد الشجرة
وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك وهي من الحرم وقال ابن القصار
بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتبرض اخذ الشي قليلا قوله فما

زال

زال يجيش بالري يقال جاشت البير بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد
الورود قوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا
كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون
وجمعه اعداد جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هي كل انثى لها سبع ليال منذ
وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذا استعارة استعار ذلك للنساء واراد
به ان معهم النسا والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم قوله ماددتهم اي
جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله حتى تنفرد
سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي
بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اني استنفرت يقال استنفر القوم
اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كان في الجاهلية معروفة قوله بلحوا علي فيه لغتان التخفيف
والتشديد واصل التبليح الاعيا والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم به قوله استاصلت
قومك واجتاح اصله الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاجتياح متقاربات في مبالغة
الاذى قوله اني لارى وجوها واشوابا الاشواب قيل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان
خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك عن خلقه قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر
ما يقطعه الخافضة وهي الخاتنة من اللحمة التي تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم
قوله لولا يد لك عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اي غدر يقال غدر معدول من غادر وهو للمبالغة
قوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه
قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اي الابل تهدى الى البيت
في حج او عمرة وتقليدها هو ان يجعل في رقابها شي كالقلادة من لحا الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار
هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه قوله فلما راى الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض
الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا
ما قاضى عليه اي فاعل من القضا وهو احكام الامر وامضاوه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشي
وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله جلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف
البا ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعا من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق في اخرة
الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها في القيود فهو مشي المقيد قوله فاجزه لي قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاي
والرا فاما الزاي فمن الاجازة اي اجعله جايزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان بالرا المهملة فهو من الاجارة
والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية اي النقيصة التي لا يرضى بها ولا يراد اي
لم نرضى بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز للكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك
به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب عن رحله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه
كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها
والمسعر الخشب الذي يوقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم واما تفسير الاية فقوله
عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام اي ان تطوفوا به **والهدي** اي وصدوا
الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة **معكوفا** اي محبوسا ان

يبلغ محله اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مومنون ونسا مومنات يعني المستضعفين بمكة
لم تعلموهم اي لم تعرفوهم ان تطوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل غرم الدية وقيل
كفارة قتل الخطا لان الله عز وجل اوجب القتل على قاتل المومن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية
وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطوا رجالا مومنين ونسا مومنات
لا تعلمونهم فيلزمكم كفارة او سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك
لهذا السبب ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشا اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها لو تزيلوا
اي تميزوا يعني المومنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل
لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشا يعني المومنين والمومنات
في رحمته اي في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المومنين
عن مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان
يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناينا واخواننا ثم يدخلون علينا فكانت هذه حمية الجاهلية
التي دخلت قلوبهم يتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انافينا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت
هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي حتى لا يدخلهم ما
دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا
الله وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شي قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم
وكان الله بكل شي عليما يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه
من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اري في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه امنين ويحلقون روسهم فاخبر
بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلون مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون
اين روياه التي راى فانزل الله هذه الاية ودخلوا في العام المقبل وروي مجمع ابن جارية الانصاري قال شهدنا
الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس
قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته
عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرى انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر اوفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده ففيه دليل ان المراد بالفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرويا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله
رسوله الرويا بالحق اخبر ان الرويا التي راها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق
اي الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما فان الحق من اسما الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد
الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية
عن روياه فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شا الله امنين قيل انما استثنى مع علمه
بدخولها تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل ان
بمعنى اذ مجازه اذ شا الله وقيل لم يقع الدخول عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح

قال

قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشية الله تعالى وقيل الاستثنا واقع على الامن لا على
الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في
الموت محلقين روسكم اي كلها ومقصرين اي تاخذون بعض شعوركم لا تخافون اي من عدو في رجوعكم لان قوله
امنين اي في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام في حال الرجوع فعلم ما لم
تعلموا يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكان ذلك سبب لوطي المومنين والمومنات وقيل علم
ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولى فجعل من دون ذلك اي من قبل
دخولكم الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر وقوله عز وجل هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق هذا البيان صدق الرويا وذلك ان الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون
فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرويا بقوله لقد صدق الله رسوله الرويا
بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق فيه بيان وقوع الحق الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى
ليظهره على الدين كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا
اي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار
لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسوله ثم قال تعالى محمد
رسول الله اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم
ابتدا فقال تعالى والذين معه يعني اصحابه المومنون اشدا على الكفار اي غلاظ اقويا كالاسد على
فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحما بينهم اي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الولد كما قال
في حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون
اي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب
اجره من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له اجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق اشدا على
الكفار عمر بن الخطاب رحما بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا
بقية الصحابة سيماهم اي علامتهم في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما
ان المراد به في يوم القيمة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيمة انهم سجدوا لله في الدنيا وهو
رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم
القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة
صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام
وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه
من سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه
المصلي نورا وضيا وعلى وجه اللاعب ظلمة وخبالا وقيل اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب
لا على الاثواب قال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من هو حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في
التوراة يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل
فقال تعالى ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فرخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطاه فازره اي قواه
واعانه وشد ازره فاستغلظ فاستوى على سوقه اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق نباته
وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله

عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة
مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطا اصحابه والمومنون وقيل كزرع هو محمد صلى الله
عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني
جميع المومنين **ليغيظ بهم الكفار** هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل
قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد اصابته هذه الاية

فصل في فضل الصحابة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
م عن عايشة قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم
الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم من التابعين وتابعيهم والقرن اهل كل زمان
قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن ابي طالب في الجنة وطلحة
في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة
وابو عبيدة في الجنة اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من حديث الاول عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واشدهم حياء عثمان
وافضلهم علي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقروهم ابي بن كعب ولكل قوم
امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر اشبه
عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله
ابي عبيدة بن الجراح والاخر عن ابي ذر **خ** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان
فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اقتدوا باللذين من بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن
مسعود اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **ق** عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في
جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت
ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر
زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا
تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملايكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه
لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن بريدة مرسل وهو اصح عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني

ومن

ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء الذي
اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك
لم يقل منه **مغفرة واجرا عظيما** يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مومن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل
الصالح والله اعلم

تفسير سورة الحجرات وهي ثماني عشرة اية

وثلاث واربعون كلمة والف واربعماية وست وسبعون حرفا من احرف الهجاء **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا
وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا
لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد
لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم او يفعل وقيل لا تقولوا
بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الاية فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان
يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح **ق**
عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر
فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي
في اوله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عايشة انه نهى عن صوم يوم
الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم
صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الاية
ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد
ابن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى
ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية
فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية
في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا وكذا لفكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل يعني في القتال وشرايع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله
واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره **ان الله سميع** اي لاقوالكم **عليم** بافعالكم قوله سبحانه وتعالى
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله
عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا
نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** امرهم ان يجلوه
ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولوا
يا رسول الله يا نبي الله **ان تحبط اعمالكم** اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم **وانتم لا تشعرون** اي
ذلك عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية جلس
ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله
عليه وسلم سعد بن معاذ يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى فاتاه

سعد فذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه وروي لما
نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف
ان تكون قد انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة
بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار ولا اخرج حتى يتوفاني
الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره
قال اذهب فادعه فجا عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه نزلت في فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله
لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله الاية قال انس فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت
طايفة منهم فقال اف لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته
في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن
في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع
والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن
انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان
ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته
فانزل الله عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له وتعظيما اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه لهم مغفرة واجر عظيم
قوله عز وجل ان الذين ينادونك من ورآ الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية
الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة
وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة
ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم يبكون وكان
لكل امراة من نسا النبي صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا
ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله
يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة
انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك

من ورا

من ورآ الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم
عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيه تنبيه على حسن الادب وهو
خلاف ما جاوا به من سو الادب وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر والله غفور رحيم لانك كنت
تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية
في ناس من الاعراب من بني تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على
الباب ويروى ذلك عن جابر قال جات بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا
شين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس
من تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا جينا لنشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت
ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام
شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس
فقال ان محمدا المولى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنى من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما
يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله
والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم وقال زيد بن ارقم جا ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وقال بعضهم
لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان لم يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعيش في جناحه وجاه
فجاوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق
بنبا فتبينوا الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني
المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونودي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له
الرجوع فخشينا انما رده من الطريق كتاب جاه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب
الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر
وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم
ترى ذلك فاستعمل منهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد واتاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشا
فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره الخبر فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل
هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى من حمل الاية على رجل بعينه لان
الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطا فعلى هذا يكون معنى الاية ان

جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ان تصيبوا اي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على ما فعلتم اي من اصابتكم بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله اي فلا تقولوا باطلا ولا تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر اي مما تخبرونه به فيحكم برايكم لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب شيا اذا طال عليه قد يسام منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن عباس يريد الكذب والعصيان جميع ما عصي الله تعالى في هذه الطريقة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشيا في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل اذا اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ومنه التصديق بالجنان والفسوق ومنه الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبد المؤمن الكذب ومنه الجحود وحبب اليه الاقرار بالشهادة والحق والصدق ومنه لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق فضلا من الله اي فعل ذلك بكم فضلا منه ونعمة عليكم والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره بما يقتضيه من الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ق عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وروي انها لما نزلت قراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فركبه واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه

ليحاكمه

ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم الله وكتابه فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي امر به فان فاءت اي رجعت الى الحق فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملهما على الاصلاح والانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة فصل في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن ابي طالب ومنه القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم قوله ولا يذفف هو بذال معجمة ومعناه الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم يجتمع فيه هذه الشروط الثلاث بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر وكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه في المجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد

وكان الرجل اذا جا فلم يجد مجلسا قام قايما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه
وبينه رجل فقال تفسح فقال الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت
الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه
واستحيى فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم الذين ذكرنا هم وكانوا يستهزون بفقرا اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوه من رثاثة حالهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزى غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم
يستتر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله **عسى ان يكونوا**
خيرا منهم السبب الثاني قوله تعالى **ولا نسا من نسا** اي ولا يستهزى نسا من نسا **عسى ان يكن خيرا منهن** روي
عن انس انها نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية
بنت حيي قال لها بعض نسا النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت
بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني
بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتق
الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى **ولا تلمزوا انفسكم**
ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه
الاية بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان وثلاثة فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزلت هذه
الاية ولا تنابزوا بالالقاب **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** اخرجه ابو داود وللترمذي قال كان
الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا
بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم
على بعض والمراد بالانفس الاخوان هاهنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عايب
لاحد بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو
العايب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من عمله وقيل
هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي
يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلما المراد بهذه الالقاب ما يكرهه
المنادي به او فيه ذم له فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه
ذلك فلا باس به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل
لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان اي بئس الاسم ان تقولوا له يا يهودي او يا نصراني بعدما اسلم او يا فاسق بعدما تاب وقيل معناه ان فعل
ما نهي عنه من السخرية واللمز والتنابز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم
الفسوق **ومن لم يتب** اي من ذلك كله **فاولئك هم الظالمون** اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل هم
الظلم من الذين قالوا الله ذلك قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم**
نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج

الى رجلين

الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيي لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي
الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيي لهما شيا فلما قدما قالا له ما صنعت
شيا قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى
اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادام فليعطيك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن
بخل فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماوها ثم انطلقا
يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم
تاكلان لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل
الخير سوا نهى الله المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو ان يسمع من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوا
او يدخل مدخلا لا يريد به سوا فيراه اخوه المومن فيظن به سوا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس
الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا ويكون الراي مخطيا فاما اهل السو والفسق المجاهرين بذلك
فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم وهو
ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو حسن
الظن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو حسن الظن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سو
الظن بالله عز وجل وسو الظن بالاخ المسلم **ولا تجسسوا** ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى
هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله
لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولا اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن الامور واكثر ما يقال
في الشر ومنه الجاسوس بالجيم وبالحا هو استماع حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا
اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا
تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا توذوا المسلمين ولا تعيروهم
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال
نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا
قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شي ناخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيى موودة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيمة قوله تعالى **ولا يغتب بعضكم بعضا** اي لا يتناول بعضكم
بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عايشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية

كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بما البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال الحديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة قوله تعالى **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غايبا قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس ذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسمه اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي رايت قوما لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هولا يا جبريل قال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود قال ميمون بن سياه بينا انا نايم اذا بجيفة زنجي وقايل يقول كل يا عبد الله قلت ولم اكل قال مما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده احدا وقوله تعالى **واتقوا الله** في امر الغيبة واجتنبوا بنواهيه **ان الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** قال ابن عباس لما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزل في ثابت هذه الاية ونزل في الذي لم يفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى على ظهر الكعبة واذن قال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبره رب السما فنزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازرا بالفقر فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوى والمعنى انكم متساوون في النسب فلا تفاخر بعضكم على بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الاخر سوا فلا وجه للتفاضل في النسب **وجعلناكم شعوبا** جمع شعب بفتح الشين وهي رووس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبايل منهم وقيل لتجمعهم **وقبايل** اي جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر بن ربيعة وتميم من مضر ودون القبايل العماير واحدها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العماير البطون واحدها بطن وهم كبني هاشم ولوي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها فخذ بفتح الفاء وهم كبني هاشم وبني امية من لوي ودون الافخاذ الفصايل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من هاشم ثم بعد ذلك العشاير واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبايل من العرب والاسباط من بني اسرايل وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المداين والقرى والقبايل للعرب الذين ينتسبون الى ابايهم **لتعارفوا** اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر والانتساب ثم بين الخصلة التي بها الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله فقال سبحانه

ان

ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والام اللوم والفجور قال ابن عباس كرم الدنيا الغنا وكرم الاخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالون قالوا نعم قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها انما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا قوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها **ان الله عليم** اي بظواهركم يعلم انسابكم **خبير** اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل المتقي هو العالم بالله المواظب على بابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي وياتي بالاوامر والفضايل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق ان يرتكب منهيا فلا يامن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتقي لان المتقي ياتي بما امر به ويترك ما نهي عنه ومع ذلك خاش لله خايف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه ربه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله عز وجل **قالت الاعراب امنا** الاية نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اي صدقنا **قل لم تومنوا** اي لم تصدقوا بقلوبكم **ولكن قولوا اسلمنا** اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب في الاخلاص **ق** عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم وهو اعجبهم الي فقمت فقلت ما لك عن فلان والله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المسلم والمومن واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا [illegible]

والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المومن والمسلم وقوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم من اعمالكم شيا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعالى قل لهم يا محمد اتعلمون الله بدينكم اي تخبرون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض اي لا تخفى عليه خافية والله بكل شي عليم لا يحتاج الى اختباركم يمنون عليك ان اسلموا اي بقولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن لله خالصا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اي لله المنة عليكم اذ ارشدكم وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين اي انكم مومنين ان الله يعلم غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شي في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة ق مكية

وهي خمس واربعون اية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربع وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القران وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسما كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السما منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو انهم يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شي عجيب اي معجب غريب ائذا متنا وكنا ترابا اي حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شي وعندنا اي مع علمنا بذلك كتاب حفيظ بمعنى محفوظ اي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق اي بالقران لما جاءهم فهم في امر مريج اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الما والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل صنف

حسن

حسن كريم بهيج تبتهج به اي تسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا من السما ما مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شي وهو المطر فانبتنا به اي بذلك الما جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع اي ثمر يطلع وانما يسمى طلعا قبل ان يتشقق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا تشقق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيها الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور بعد الموت اي احيا بعد الموت قوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع هو ابو كرب اسعد تبع الحميري وقد تقدم قصصهم جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه المكذب المستحق لقومه فلهذا اختص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هولا المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيد اي وجب لهم عذابي وقيل حق وعيدي للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك انهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيا وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به عمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال قعيد يعني ان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيات قعيد اي قاعد لان كل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتاخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يوذي الملكين بدنوهما منه وهو على تلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم به قيل انما يكتبان عليه كل شي يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له فيه اجر وثواب وما عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقته [illegible] باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت في ذلك اليوم كل نفس معها سائق اي يسوقها الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل يقول الله جل جلاله لصاحب تلك النفس لقد كنت في غفلة من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك

حين توزن حسناتك وسيئاتك **وقال قرينه** يعني الملك الموكل به **هذا ما لدي** اي عندي **عتيد** اي معد محضر وقيل
يقول الملك هذا الذي وكلتني به من ابن آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله **القيا في جهنم** اي يقول الله تعالى
للسائق والشهيد **كل كفار** اي شديد الكفر **عنيد** اي عاص معرض عن الحق عاند الله فيما
امره **مناع للخير** اي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله **معتد** اي ظالم لا يقر بتوحيد الله **مريب** اي شاك
في التوحيد **الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد** يعني النار **قال قرينه** يعني الشيطان
ربنا ما اطغيته ليس هذا جواب كلام متقدم وانما هو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول
الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته **ولكن كان في ضلال بعيد** اي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه
وقال ابن عباس قرينه يعني الملك قيل يقول الكافر ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته
اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله
عز وجل **قال لا تختصموا لدي** اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم بعضهم بغير مع قرنائهم **وقد قدمت
اليكم بالوعيد** اي بالقرآن وانذرتكم على السن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر **ما يبدل القول لدي** اي لا تبديل
لقولي وهو قوله لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا
يغير القول عن وجهه بل علمه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي **وما انا بظلام للعبيد** اي
فاعاقبهم بغير جرم ومعناه فازيد على اساءة المسيء او انقص من احسان المحسن قوله عز وجل **يوم نقول
لجهنم هل امتلات** بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من
الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده **وتقول** يعني جهنم **هل من مزيد** يعني تقول قد امتلات ولم يبق في موضع
لم يمتل فهو استفهام انكار وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله
هل امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها شيء فتقول الست قد اقسمت لتملاني فيضع
قدمه عليها ثم يقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات فليس في مزيد عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها
قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم
فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا **فصل** هذا الحديث من مشاهير
احاديث الصفات والعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين
ان لا يتكلم في تاويلها بل يؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونمرها على ظاهرها ومعنى يليق بها وظاهرها
غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين قال القاضي عياض اظهر التاويلان انهم قوم استحقوها
لا يتكلم في تاويلها بل يؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونمرها على ظاهرها او لها معنى يليق بها وظاهرها
غير مراد والمذهب الثاني وهو مذهب جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل
هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل
العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان
يكون في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل
القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها
ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله احدا من خلقه يعني انه يستحيل الظلم

في حق

في حق الله جل جلاله فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه جل جلاله قوله تعالى **وازلفت الجنة** اي
قربت وادنيت **للمتقين** اي الذين اتقوا الشرك **غير بعيد** يعني انها جعلت عن يمين العرش حيث يراها اهل الموقف
قبل ان يدخلوها **هذا ما توعدون** اي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبياء **لكل اواب**
اي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل
هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي **حفيظ**
قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما
استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعات
والاوامر **من خشي الرحمن بالغيب** اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة حيث لا يراه احد
اذا ارخى الستر واغلق الباب **وجاء بقلب منيب** اي مخلص مقبل على طاعة الله **ادخلوها** اي يقال لاهل
هذه الصفة ادخلوا الجنة **بسلام** اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من زوال النعم **ذلك يوم الخلود**
اي في الجنة لانه لا موت فيها **لهم ما يشاؤن فيها** وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا
ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى **ولدينا مزيد** وقيل المزيد هو النظر الى وجه
الله جل جلاله وذلك من كرمه قيل يتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد
قوله عز وجل **وكم اهلكنا قبلهم** اي من قبل كفار مكة **من قرن هم اشد منهم بطشا** يعني سطوة والبطشة الاخذ
بصولة وعنف **فنقبوا في البلاد** اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق **هل من محيص** اي فلم يجدوا لهم
محيصا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة
لانهم على مثل سبيلهم **ان في ذلك لذكرى** اي فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة **لمن كان له قلب** قال ابن عباس
اي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله **او القى السمع** اي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه
بغيره **وهو شهيد** اي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى **ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب** اي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام اولها الاحد وآخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا
العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا
من لغوب قال فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والارض
وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال تعالى افعيينا
بالخلق الاول الآية واما ما قالوه اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك لان الاحد
والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدا يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام
والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع
الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة
الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل **فاصبر على ما يقولون** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اصبر يا محمد على ما
يقولون اي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم **وسبح بحمد ربك** اي صل حمدا لله **قبل طلوع الشمس**
يعني صلاة الصبح **وقبل الغروب** يعني صلاة العصر وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر **ومن الليل فسبحه**
يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل يعني اي وقت صلى **وادبار السجود** الركعتان بعد صلاة المغرب
وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الصبح وهي رواية عن ابن عباس وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب

وغيرهما او بار السجود الركعات بعد صلاة المغرب ق عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من
النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها
يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب
والركعتين قبل صلاة الصبح قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في
قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في الصلوات المكتوبات خ عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار
الصلاة كلها يعني قوله وادبار السجود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في
دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فتلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر
خ عن ان فقرا المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات
والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست
لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جا بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جيتم به الا من
جا بمثله تسبحون الله في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله عز وجل **واستمع يوم ينادي
المنادي** يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيمة والنشور قال المفسرون
المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايها العظام البالية والاوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وهو قوله تعالى **من مكان قريب**
قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي وسط الارض **يوم يسمعون الصيحة
بالحق** اي الصيحة الاخرة **ذلك يوم الخروج** اي من القبور **انا نحن نحيي** اي في الدنيا **ونميت** يعني عند انقضا الاجل **والينا
المصير** اي في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث **ذلك حشر علينا يسير**
اي هين **نحن اعلم بما يقولون** يعني كفار مكة في تكذيبك **وما انت عليهم بجبار** اي بمسلط تجبرهم على الاسلام
انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يومر بقتالهم **فذكر بالقران من يخاف وعيد** اي عظ بالقران من يخاف يوم الوعيد
والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الذاريات مكية

عدد اياتها ستون اية وثلثماية وستون كلمة والف ومايتان وتسعة وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **والذاريات ذروا** يعني الرياح التي تذرو التراب **فالحاملات وقرا** يعني السحاب تحمل ثقلا من الما
فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الما جريا سهلا **فالمقسمات امرا** يعني الملكة يقسمون الامور بين الخلق على
ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبيا الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق
والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح صلوات الله عليهم وسلامه وقيل
هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ الرياح وتثيره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار
بتصريف السحاب اقسم الله جل جلاله بهذه الاشيا لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته
والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى **انما
توعدون** اي من الثواب والعقاب في يوم القيمة **لصادق** اي لحق **وان الدين** اي الحساب والجزا **لواقع** اي
لكاين ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى **والسما ذات الحبك** قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات
الزينة اي حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرايق كحبك الما اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها
لا ترى لبعدها عن الناس وجواب القسم قوله **انكم** يعني يا اهل مكة **لفي قول مختلف** يعني في القران وفي محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم يقولون في القران سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر شاعر مجنون وقيل
لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب **يوفك عنه من افك** اي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به وهو من حرمه
الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به قوله **قتل
الخراصون** اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم
ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة **الذين هم في غمرة** اي غفلة وعمى وجهالة **ساهون** اي لاهون
غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشي وذهاب القلب عنه **يسالون ايان يوم الدين** اي يقولون
يا محمد متى يوم الجزا يعني يوم القيمة تكذيبا واستهزا قال الله جل جلاله **يوم هم** اي يكون هذا الجزا في يوم هم
على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار **ذوقوا فتنتكم** اي عذابكم **هذا
الذي كنتم به تستعجلون** اي في الدنيا تكذيبا به قوله تعالى **ان المتقين في جنات وعيون** يعني في خلال
الجنات عيون جارية **اخذين ما اتاهم** اي ما اعطاهم **ربهم** من الخير والكرامة **انهم كانوا قبل ذلك محسنين**
اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا وصف احسانهم فقال تعالى **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون** اي كانوا
ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها او
من وسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشا اخرجه
ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على
قوله كانوا قليلا من اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله
في الصلاة والعبادة **وبالاسحار هم يستغفرون** اي ربما مدوا عبادتهم الى وقت الاسحار ثم اخذوا في الاستغفار
وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل
وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا
جل جلاله كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضي الفجر وزاد في رواية من
يقرض غير عديم ولا ظلوم **فصل** هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان
احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جا من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به
وتنزيه الرب جل جلاله عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود
والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف
الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل
لان ذلك وقت التهجد والدعا وغفلة اكثر الناس عنه وعن التعرض لنفحات رحمة الله جل جلاله وفي ذلك
الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله موفورة فهو مظنة القبول للاجابة والله اعلم ق عن ابن عباس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن
ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن وانت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق ولقاوك
حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وبك
خاصمت وعليك توكلت واليك انبت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك زاد النساي ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ق عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال

لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او قال دعا الى الله استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته
قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه
ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه
الزكاة المفروضة للسائل اي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه
من الفيء قال ابن عباس المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف
الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم
في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب والاظهر انه المتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون
من لا يسأل وانما يفطن له فيعطى وفي الارض آيات اي عبر من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات
للموقنين اي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه وفي انفسكم اي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظاما الى ان نفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطباع
وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات
والسمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم
فتعرفوا قدرته على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي هو سبب الارزاق وما توعدون
يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه بنفسه فقال فورب السماء
والارض انه لحق اي ما ذكر من امر الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر
عنه بتحقق نطق الآدمي معناه انه لحق كما انك تعلم وتتكلم وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال
بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل
رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم يعني هل
اتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في
سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم
الخلق على الله تعالى يومئذ وضيف مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه
وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤوا غير مدعوين عن ابي شريح العدوي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام
قوم منكرون اي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه
بغير استئذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان في تلك الارض فراغ اي عدل ومال الى اهله فجاء بعجل سمين
اي جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل فقربه اليهم هذا من ادب المضيف ان يقدم الطعام
الى الضيف ولا يحوجهم السعي اليه فلما لم يأكلوا قال الا تأكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يلزم
فاوجس اي فاضمر منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم نبي
فاقبلت امرأته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فكان كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ
فيه في صرة اي في صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن
عباس لطمت وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيئا وقالت عجوز
عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما

انه

انه هو الحكيم العليم ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة قال فما خطبكم اي فما شانكم
وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو
الآجر مسومة اي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك
للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها اي في قرى قوم لوط
من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اي اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله بالايمان والاطلاق
العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اي في مدينة قوم لوط
آية اي عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم
فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى اي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولى اي اعرض عن الايمان بركنه اي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم وقال
ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم في البحر وهو مليم اي آت بما يلام عليه
من دعوى الربوبية الى تكذيب الرسل وفي عاد اي وفي اهلاك عاد ايضا آية وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شيء اتت عليه اي من انفسهم واموالهم وانعامهم
الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله
من رم العظم اذا بلي وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة
قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة يعني بعد مضي ثلاثة
ايام من وقت عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وهم ينظرون
اي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم وما قدروا على نهوض
من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله جل
جلاله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اي من قبل
هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسماء
بنيناها بأيد اي بقوة وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة اي اوسعنا السماء بحيث صارت الارض
وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه
قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون اي الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذو سعة والسعة الغنى
والارض فرشناها اي بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين
ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء
والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل
والحلو والحامض لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا الى الله اي قل
يا محمد ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له قال ابن عباس فروا منه اليه
واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير اي مخوف مبين اي بين الرسالة
بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ولا تجعلوا مع الله الها آخر اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا
اني لكم منه نذير مبين قيل انما كرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان
لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما كذلك اي كما كذبك قومك
وقالوا ساحر او مجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة والامم الخالية من رسول يعني يدعوهم

الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون قوله سبحانه وتعالى اتواصوا به اى اوصى اولهم اخرهم وبعضهم
بعضا بالتكذيب وتواطئوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا
فى زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون
لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع
وان العذاب قد حضر اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن
منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون
وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة
والسعادة وقال على بن ابى طالب الا ليعبدون اى الا لامرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا
ليعرفون وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الى ويتذللوا لان معنى
العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته لا يملك
احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده اختيارا
فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ما اريد منهم من رزق
ان يرزقوا احدا من خلقى ولا ان يرزقوا انفسهم لانى انا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها
من قوتها وما اريد ان يطعمون اى ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم
عيال الله جل جلاله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما جاء فى حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى قال يا رب كيف اعودك
وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن
ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى
فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب
كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت
ذلك عندى اخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى ان الله هو الرزاق يعنى لجميع خلقه ذو
القوة المتين يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى افعاله مشقة فان للذين
ظلموا اى من اهل مكة ذنوبا اى نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اى مثل نصيب اصحابهم الذين
هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيمة يدل عليه قوله عز وجل
فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يعنى يوم القيمة وقيل يوم بدر والله اعلم

تفسير سورة والطور وهى مكية

وعدد اياتها تسع واربعون اية وثلثمائة واثنا عشر كلمة والف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل والطور اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور اى مكتوب
فى رق يعنى فى الاديم الذى يكتب فيه المصحف منشور اى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده
لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيمة

منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء
السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج
من افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور فى السماء السابعة قال واذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعنى السماء والبحر المسجور يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور
المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها يوم القيمة
نارا فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر
الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب
ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال فى البحر المسجور وهو بحر تحت العرش غمره كما
بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين يوما
فينبتون فى قبورهم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من عظم عظيم قدرته وجواب القسم قوله سبحانه ان
عذاب ربك لواقع يعنى انه حق وكائن ونازل بالمشركين فى الاخرة ما له من دافع اى مانع قال جبير بن مطعم قدمت
المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج
من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعت
ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن انى اقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب
ثم بين متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا اى تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل
تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها فى بعض وتضطرب وتسير الجبال سيرا اى تزول عن اماكنها وتصير هباء
منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض
والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى ادم بذلك فلما لم يبق
لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اى شدة عذاب يومئذ للمكذبين
اى بيوم القيمة الذين هم فى خوض اى يخوضون فى الباطل يلعبون يعنى غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون
اى يدفعون الى نار جهنم دعا يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدى الكفار الى اعناقهم
ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى اقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا
منها قال لهم خزنتها هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى فى الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا
صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا اى قاسوا شدتها فاصبروا اى على العذاب او لا تصبروا عليه سواء عليكم اى الصبر
والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اى من الكفر والتكذيب فى الدنيا قوله عز وجل ان المتقين فى جنات
ونعيم فاكهين اى معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم ربهم اى من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب الجحيم
كلوا اى يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اى مامون العاقبة من التخمة والسقم بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الايمان
والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اى موضوعة بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا
واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا اى الحقنا اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار
بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين الحقنا بهم ذرياتهم يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجة
ابائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية ابن عباس وفى رواية
اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين

لم يبلغوا الايمان بايمان ابايهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينتقص الاباء من اعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى **وما التناهم من عملهم من شيء** يعني ما انقصنا الاباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الى اخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي كل امرئ اي كافر بما كسب اي عمل من الشرك رهين اي مرتهن في النار بعمله والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى **وامددناهم بفاكهة** يعني زيادة على ما كان لهم **ولحم مما يشتهون** اي من اللحمان **يتنازعون** اي يتعاطون ويتناولون فيها اي في الجنة **كاسا لا لغو فيها** اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا **ولا تاثيم** اي لا يكون منهم ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا ياثمون في شربها **ويطوف عليهم** اي للخدمة **غلمان لهم كانهم** اي في الحسن والبياض والصفا **لؤلؤ مكنون** اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله سبحانه وتعالى **واقبل بعضهم على بعض يتساءلون** يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا **قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين** اي في الدنيا خائفين من العذاب **فمن الله علينا** بالمغفرة **ووقانا عذاب السموم** يعني عذاب النار وقيل السموم اسم من اسماء جهنم **انا كنا من قبل** اي في الدنيا **ندعوه** اي نخلص له الدعاء والعبادة **انه هو البر** قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم ببره جميع خلقه **الرحيم** بعبده قوله عز وجل **فذكر** يعني فعظ يا محمد بالقران كفار مكة **فما انت بنعمت ربك** يعني برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة **بكاهن ولا مجنون** والكاهن الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون **ام يقولون** يعني هؤلاء المقتسمين **شاعر** اي هو شاعر **نتربص به** اي ننتظر به **ريب المنون** يعني حوادث الدهر وصرفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ويتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل **قل تربصوا** اي انتظروا بي الموت **فاني معكم من المتربصين** اي من المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسيف **ام تامرهم احلامهم** اي عقولهم **بهذا** وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل **ام هم قوم طاغون** اي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر **ام يقولون تقوله** اي اختلق القران من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا **بل لا يؤمنون** اي بالقران استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تعالى

فليأتوا بحديث مثله اي مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه **ان كانوا صادقين** يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه **ام خلقوا من غير شيء** قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من غير ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق **ام هم الخالقون** اي لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل معنى الاية بالخلاق فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر **ام خلقوا السموات والارض** يعني ليس الامر كذلك **بل لا يوقنون** اي بالحق وهو توحيد الله وقدرته على البعث وان الله هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم **ام عندهم خزائن ربك** يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل خزائن المطر والرزق **ام هم المسيطرون** اي المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاؤون **ام لهم سلم** يعني مرتقى ومصعدا الى السماء **يستمعون فيه** اي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به متمسكون **فليات مستمعهم** اي ان ادعوا ذلك **بسلطان مبين** اي بحجة بينة **ام له البنات ولكم البنون** هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم **ام تسالهم اجرا** اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين **فهم من مغرم مثقلون** يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم عن الاسلام **ام عندهم الغيب** اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم **فهم يكتبون** اي يحكمون وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به **ام يريدون كيدا** اي مكرا بك ليهلكوك **فالذين كفروا هم المكيدون** اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر **ام لهم اله غير الله** يعني يرزقهم وينصرهم **سبحان الله عما يشركون** المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى **وان يروا كسفا** اي قطعة **من السماء ساقطا** هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم **يقولوا** لمعاندتهم **سحاب مركوم** اي بعضه على بعض يسقينا **فذرهم حتى يلاقوا** اي يعاينوا **يومهم الذي فيه يصعقون** اي يموتون ويهلكون **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون** اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع **وان للذين ظلموا** اي كفروا **عذابا دون ذلك** اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل **واصبر لحكم ربك** اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به **فانك باعيننا** اي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه **وسبح بحمد ربك حين تقوم** اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سالت عائشة باي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل فقالت سالتني عن شيء ما سالني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارزقني واهدني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي وقيل

اذا قام الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح
الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال قد
تكلم في اسناده وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين
قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم يعني فريضة صلاة الصبح ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا في المغرب بالطور والله اعلم

مبحث تفسير سورة النجم

تفسير سورة النجم مكية

وهي اثنتان وستون اية وثلاثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والنجم اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم
عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهات شيء الا رفع واراد
بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها على هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وقيل روي عن ابن عباس
انه الرجوم من النجوم يعني ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد
بالنجم القران سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق
له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء
وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل
وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق
الى مقصد مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل
وذلك انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه بل يقول القران من تلقاء نفسه ان هو اي ما هو يعني
القران وقيل نطقه في الدين الا وحي يوحى من الله اليه عز وجل علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه
وسلم ما اوحى الله اليه وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة البصير الطرف ذو مرة اي ذو قوة وشدة
وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن فاستوى يعني جبريل عليه السلام وقيل يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية
عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه
نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق الاعلى
والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل عليه السلام
من ناحية المشرق فسد الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه
الى نفسه وجعل يمسح التراب والغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما التي في السما فعند سدرة المنتهى ولم
يره احد من الانبيا على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلما في معنى هذه الاية وروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعايشة فاين
قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه

المرة

المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله فكان قاب قوسين
او ادنى وفي قوله ما كذب الفواد ما راى وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى
جبريل عليه السلام له ستماية جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى
فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوائه
بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى وبه قال ابن
عباس وقتادة فقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال اخرون ثم دنى
الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين في حديث
المعراج من رواية شريك بن ابي عن عبد الله عن انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق
في كتاب الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه
بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة
يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيح في رواية شريك وقدم اخر وزاد نقص فيحتمل ان هذا اللفظ من
زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود
فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس هو الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه
حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه مقدار قوسين وهذه اشارة الى تاكيد القرب
واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان
بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين
والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس او ادنى بل اقرب فاوحى اي اوحى الله الى عبده محمد صلى الله عليه
وسلم ما اوحى وعن ابن عباس في رواية عنه فاوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل
قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على
الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب الفواد
ما راى قرئ بالتشديد اي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راى اي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه
وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فواد محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى واختلفوا في الذي
راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الروية فقيل جعل
بصره في فواده وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده
مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا راى محمد ربه عز
وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى
محمدا بالروية وقال كعب ان الله تعالى قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين اخرجه
الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية
جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث
من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب
ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه في الصحيحين م عن ابي ذر قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه وقوله تعالى **افتمارونه على ما يرى** يعني افتجادلونه
على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا لنا صف بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك
مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جحدا لا تومنون به دفعه عما راه علمه **ولقد راه نزلة اخرى** يعني راى جبريل في
صورته التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة **عند سدرة**
المنتهى عن ابي هريرة ولقد راه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس معنى نزلة اخرى هو انه كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسالة التخفيف من اعداد الصلاة فيكون لكل عرجة نزلة فراى
ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس انه راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راه بعينه عند سدرة المنتهى
عن ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة
واليها ينتهي ما يعرج اليها من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال فراش من
ذهب وفي رواية للترمذي اليها ينتهي علم الخلايق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم
صعد الى السما السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال
هذه سدرة المنتهى وفي افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السما السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب
الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى
وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه
الا الله جل جلاله وعن اسما بنت ابي بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال يسير
الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي
وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو ان ورقة وضعت منها في الارض لاضات لاهل الارض
وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد **عندها جنة الماوى** قال ابن عباس جنة الماوى ياوي اليها
جبريل والملايكة وقيل ياوي اليها ارواح الشهدا **اذ يغشى السدرة ما يغشى** قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل
يغشاها ملايكة امثال الغربان وقيل امثال الطيور وقيل غشيها نور الخلايق وغشيها الملايكة من حب الله تعالى امثال الغربان
حين يقعن عليها وقيل نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا قايما يسبح الله
عز وجل **ما زاغ البصر وما طغى** اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة
يمينا ولا شمالا وما جاوز ما راى وقيل ما امر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت
الى شي سوى ما امر به وقيل في معنى الاية ان قلنا الذي يغشى السدرة فراش من ذهب فانه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه
بيان ادبه صلى الله عليه وسلم انه لم يمد بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه
وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم انه لم يلتفت عنه يمينه ولا يسرة ولا يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه
الثاني ما زاغ البصر بصعقه ولا غشيه كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره
على الجبل فانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول
وتزول فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله جل جلاله قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى **لقد راى من ايات ربه الكبرى** يعني راى صلى الله عليه وسلم
الايات العظام وقيل اراد ما راى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد راى من ايات ربه الكبرى م عن

عبد الله

عبد الله بن مسعود قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستمائة جناح خ عنه قال لقد راى
من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السما **فصل** من كلام الشيخ محيي الدين النواوي
في معنى قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا قال القاضي
عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا فانكرته عايشة كما وقع في صحيح
مسلم وجا مثله عن ابي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين
وروي عن ابن عباس انه راه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود
وعن ابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابي حسن الاشعري وجماعة اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا
في هذا وقال ليس هذا دليل واضح ولكنه جايز ورويه الله جل جلاله في الدنيا جايزة وسوال موسى اياها دليل
على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه جل جلاله
ليلة الاسرا بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد
وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنى فتدلى فالاكثرون على ان هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل
والنبي صلى الله عليه او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر
ابن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متاولا
ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وقربه
منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه
والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك له وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قاب قوسين او ادنى على هذا
عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة
الرغبة واثابة المنزلة هذا اخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات
الروية قال والحجج في المسالة وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك الا باقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون
ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والروية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سيل
ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي باسناد لا باس به عن شعبة عن قتادة عن
انس قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد ربه والاصل في المسالة حديث ابن عباس حبر الامة وعالمها
والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسالة وساله هل راى محمد ربه عز وجل فاخبره انه راه
ولا يقدح في هذا حديث عايشة لان عايشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت
ما ذكرت متاولة لقول الله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل اليه رسولا
ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذ قد صحت الروايات عن
ابن عباس انه تكلم في هذه المسالة باثبات الروية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويوخذ
بالظن وانما تتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسالة بالظن والاجتهاد
وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عايشة وابن عباس ما عايشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان
ابن عباس اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الروية قال الشيخ
محيي الدين والحاصل ان الراجح عند اكثر العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بعيني راسه
ليلة الاسرا لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا ياخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عايشة لم تنف الروية بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو

كان مما احدث لذكره وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عائشة
بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص
بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الروية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية فالجواب عنه من اوجه احدها انه لا يلزم مع الروية وجود
الكلام حال الروية فيجوز وجود الروية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض
العلما ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا
الالهام والروية في المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير
مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع
ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد قف
شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال وتقول العرب عند انكار الشي قف شعري واقشعر
جلدي واشمازت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور اني اراه هو بتنوين نور وبفتح الهمزة في اني
وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال المازري الضمير في اراه عايد على الله تعالى ومعناه
ان النور منعني من الروية كما جرت العادة باغشا الانوار الابصار ومنعها ادراك ما حالت بين الرائي والمرئي
وفي رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية ذات نور اني اراه معناه سبحانه النور المانع
من رويته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان يكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى
متعال عن ذلك هذا مذهب جميع ايمة المسلمين والله اعلم قوله عز وجل **افرايتم اللات والعزى** هذه اسما اصنام
اتخذوها الهة يعبدونها اشتقوا لها اسما من اسما الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى
تانيث الاعز ومعنى الاية اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي
وصف بها رب العزة شي وقيل كانت اللات بالطايف وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد
خ عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج قيل لما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في راس
جبل له غنيمة يسلا منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن
نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على
صخرة فتاتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فعمدت الطايف على
موضع اللات واما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فخرجت
منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت شيا قال لا قال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث
اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد
ابدا وقيل هي صنم بغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل
مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه
وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع
الذي اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذه من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها
الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطايف كانت تعبده
ثقيف وقوله **ومناة** قيل بيت لخزاعة كانت تعبده وقالت عايشة في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل
بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام
من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها **الثالثة الاخرى** الثالثة نعت لمناة اي الثالثة للصنمين في الذكر
واما الاخرى فان العرب لا تقول للثالثة الاخرى انما الاخرى ها هنا نعت للثانية قال الخليل فالياء لوفاق رووس
الاي كقوله مارب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره افرايتم اللات والعزى
الاخرى ومناة الثالثة وقيل سمى صفته ذما كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتاخرة الذليلة فعلى هذا الاصنام
مراتب وذلك ان اللات كانت وثنا على صورة ادمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي في
اخريات المراتب ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الروية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها
لا تضر ولا تنفع وقيل الا رايتم انما الا اخبروني الى اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى وقيل كان المشركون بمكة يقولون للاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك
فقال الله عز وجل منكرا عليهم **الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى** قال ابن عباس اي قسمة جايرة حيث
جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجا غير معتدلة ان هي اي ما هي هذه الاصنام **الا اسما سميتموها
انتم واباوكم** اي المعنى انكم سميتموها الهة وليست بالهة حقيقة ولا بوجود حقيقية وقيل معناه قلتم بعضها
عزى وليس لها عزة انها لا يكون لها شي حقيقة **ما انزل الله بها من سلطان** اي حجة بما تقولون انها الهة **ان
يتبعون الا الظن** اي في قولهم انها الهة **وما تهوى الانفس** اي ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام
وقيل وضعوا عبادتهم على مقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بالهة وان العبادة
لا تصلح الا لله الواحد القهار وقوله تعالى **ام للانسان ما تمنى** معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من
شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى **فلله الاخرة والاولى** اي لا يملك احد فيهما شيا الا باذنه
وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما يتمناه ويشتهيه فلله الاخرة والاولى يعاقب على فعله ذلك
ان شا في الدنيا والاخرة وان شا امهله الى الاخرة **وكم من ملك في السموات** الذين يعبدهم هولاء ويرجون شفاعتهم
عند الله **لا تغني شفاعتهم شيا** يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيا فكيف تشفع الاصنام
مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى **الا من بعد ان ياذن الله** اي في الشفاعة **لمن
يشا ويرضى** اي من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشا من الملائكة في الشفاعة لمن الشفاعة له **ان الذين لا يومنون بالاخرة** يعني الكفار
الذين انكروا البعث **ليسمون الملائكة تسمية الانثى** اي بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله
قلت كيف قال ليسمون تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق
بهذا الموضع لمناسبة رووس الاي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك انهم اذا قالوا
الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى **وما لهم به من علم** اي بالله سبحانه
وتعالى فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث **ان يتبعون الا الظن** اي في تسمية
الملائكة بالاناث **وان الظن لا يغني من الحق شيا** اي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما
يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى جل جلاله وتقدست

اسماؤه والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القرآن وقيل عن
الايمان ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يوقنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكار
الحشر ثم صغر رايهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على
الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعوا لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا
عن القرآن والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين
فيجازيهم باعمالهم ولله ما في السموات وما في الارض وهذا اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين
الآية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى والمعنى انه اذا
كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه فيجزي الذين اساؤا اي اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا
اي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدرة
فلذلك قال الله ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل الذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب
وقيل فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة في كل ذنب يعظم
عقوبته وجمعه كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هي ما فحش من
الكبائر الا اللمم اي الا ما قل او صغر من الذنوب وقيل هو مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا اذا قاربته من
غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان
يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس
قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت
هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله
عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر
اللهم تغفر جما واي عبد لك لا ألما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل اللمم والالمام ما يعمله
الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم
من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به في الاسلام وذلك
ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن
ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو
قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس ق عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا
اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا
ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي ذلك والفرج يصدق ذلك
او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان
زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى
ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا
عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثاني
هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب اي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد
فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن

الصغيرة قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهذا ظاهر لا خفاء فيه لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه
القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر
وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها الاخبار
فلها تفاصيل واحكام يعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليها فعلى هذا يقال
في كل واحدة منها هي من اكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي فقال
هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة اقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة
فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض
عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من
السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل
الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها
فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار او غضب او لعنة او عذاب ونحو عن الحسن
نحو هذا وقيل هي ما اوعد الله عليه بنار في الآخرة او حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل
في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المؤمن من غير استشعار خوف او احداث ندم كالمتهاون في ارتكابها
والمتجري عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة
التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ
عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب
على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت ادنى مفاسد
الكبائر او زادت عليه فهي من الكبائر فمن امسك امرأة محصنة لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك
ان مفسدة ذلك اعظم من اكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين
مع علمه بانهم يستأصلون بدلالته فان نسبته الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر
مع كونه من الكبائر وكذا لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان يعلم انه يؤخذ
منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم
عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات
منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق
او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة
قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب روي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة مع الاستغفار والتوبة
والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته
بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى هو اعلم بكم اي قبل ان خلقكم وهو قوله اذ
انشأكم من الارض اي خلق اباكم آدم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره
في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما
هي صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرؤوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الآية هو اعلم بكم
ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لا تعرفون حقيقته
انا خير منك وانا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله

يعلم عاقبته من هو على التقوى ومنه قوله تعالى هو اعلم بمن اتقى اي بمن ابر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى الاية
فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكا والطهارة
من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم
ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في اناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا
وحجنا فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية قوله عز وجل افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد
اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له اتركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني
خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ان رجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب
الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت
الذي تولى اي ادبر واعرض عن الايمان واعطى قليلا اي من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسك ولم
يتم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض الامور وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى
قليلا واكدى اي قطع واصله من الكدية وهي حجر يظهر في البير يمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى اي ما
غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وابراهيم
اي ويخبر بما في صحف ابراهيم الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه
وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان المناسك روى البغوي بسنده عن ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى قال اربع ركعات اول النهار وعن ابي الدردا وابي
ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي اول النهار اربع ركعات
اكفك اخره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى الا تزر وازرة وزر
اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تواخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن
المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل فيقتل ابيه
وابنه واخيه وامراته وعبده به حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لا تزر
وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا
منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقيل كان ذلك لقوم
ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت
صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان امي توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة اخا بني ساعدة
وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها
واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين في حديث ابن عباس
دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلما ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه
عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخرين
دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلما وكذا اجمعوا على وصول الدعا
وقضا الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح

قف على ان الصدقة عن الميت تنفعه

عند

عند الشافعي واختلف العلما في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور
من مذهب الشافعي ان قراة القران لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل
واما الصلوات وساير التطوعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم
وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه
ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير روي ان عبد الله بن ابي بن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه
اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل
ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجايز ان يزيده الله ما يشا من فضله وكرمه
وان سعيه سوف يرى اي يراه في ميزانه يوم القيمة وفيه بشارة للمومن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله
الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه اي السعي الجزا الاوفى اي الاتم الاكمل
والمعنى ان الانسان يجزى جزا سعيه بالجزا الاوفى قوله عز وجل وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم
اليه في الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها
السامع او العاقل كاين من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسي وحث شديد للمحسن ليقلع المسي عن اساته
ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدا المنة واليه انتها
الامال روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى
قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحاط
به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى ساير الموجودات الممكنة علمت انه
لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته
جل جلاله وتقدست اسماوه وصفاته وانه هو اضحك وابكى اي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد
الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضا الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكا قيل
اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل افرح واحزن
لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة
مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وسيل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم
من الجبال ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخا المعجمة
اي بكا مع صوت يخرج من الانف وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيى للبعث وقيل امات الابا واحيا
الابنا وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المومن بالمعرفة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان
وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا ويخلق بعضها انثى وهذا شي
لا يصل اليه فهم العقلا ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله جل جلاله وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا
تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شي واحد يخلق الله منها اعضا
مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعه وكمال قدرته ولهذا لم يوكده

بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعي خلق السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيمة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهي اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شي لان الغنى ضد الفقر اي واقنى اي زاد فوق الغنا وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب مضي خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحديهما العبور والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما والمراد ههنا بها الشعرى العبور وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وثمودا وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب والموتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهواها فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي آلاء ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة قال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل من قبله ازفت الازفة اي دنت القيمة واقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدايدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله تعالى افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون تنكرون وتضحكون اي استهزاء ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قال ابن عباس وعنه السمود هو الغنا بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون قيل له ما البرطمة قال الاعراض فاسجدوا لله يعني ايها المومنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة واعبدوا اي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في اخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ق عن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب

وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشا وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الراي والله اعلم

تفسير سورة القمر وهي مكية

عدد آيها خمس وخمسين اية وثلاثمائة واثنان واربعون كلمة والف واربعماية وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة اي دنت القيمة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن انس ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسالوا السفار فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مومن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرحه صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشا كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رويته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلما عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السما او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السما في الليل من العجايب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا الاحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سالوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها قال العلما وقد يكون القمر حينيذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غايبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل في معنى الاية سينشق القمر يوم القيمة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله ودليل يدل عليه وفي قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله تعالى وان يروا اية اي تدل

على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها
ويقولوا سحر مستمر اي دايم مطرد وكل شي دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف
الايات قالوا هذا سحر مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى واعلموا ان ذلك غير باق لانفسهم وتعليلا
وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله واتبعوا اهواءهم اي ما زين لهم الشيطان
من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان
منه في الاخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر
قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر
فهو كاين وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر
وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين انه حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اي من اخبار
الامم المكذبة في القران ما فيه مزدجر اي منتهى وموعظة حكمة بالغة يعني القران حكمة تامة قد بلغت الغاية
فما تغني النذر يعني اي شي تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي اعرض عنهم نسختها اية القتال
يوم يدع الداعي اي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي هو اسرافيل ينفخ في الصور قايما على صخرة بيت المقدس الى
شي نكر اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استفظاعا خاشعا وقرى خشعا ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية
العذاب يخرجون من الاجداث اي من القبور كانهم جراد منتشر مثل كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين
مهطعين اي مسرعين مادي اعناقهم مقبلين الى الداعي اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون
بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه اشارة ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين
لا على المومنين قوله تعالى كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا وقالوا مجنون وازدجر
اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا يعني نوحا
ربه وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل على ظاهره وللسماء ابواب تفتح
وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر
من السحاب بماء منهمر اي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا تسيل بالماء
فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي قضي عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماءان
سواء فكانا على ما قدر وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اي سفينة ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة
العريضة ودسر اي مسامير التي تشد الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها
وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها واضلاعها وطرفاها تجري يعني السفينة باعيننا اي بمرأى
منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه
كفر به وجحد امره وقيل من بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين غرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح
واصحابه ولقد تركناها اية يعني الفعلة التي فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها
الله تعالى بباقردى من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوايل هذه الامة فهل من مدكر اي متذكر معتبر متعظ
خايف مثل عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها علي مدكر
وفي رواية اخرى سمعته يقول مدكر دالا فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القران اي سهلنا
القران للذكر اي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شي من كتب الله يقرا كله
ظاهرا الا القران فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال به لانه قد سهله الله

ويسره

ويسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيره قوله عز وجل كذبت عاد فكيف
كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة الهبوب في يوم نحس
مستمر اي في يوم شوم مستمر اي دايم الشوم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الا هلك فيه قيل كان ذلك
اليوم يوم الاربعاء في اخر الشهر تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رووسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم
من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول نخل منقعر اي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح
تبين رووسهم من اجسامهم فتبقى اجساما بلا رووس كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاءهم فقالوا ابشرا منا واحدا
يعني ادميا واحدا منا نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطا وذهاب عن الصواب وسعر
قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عنا وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي
بعد عن الحق االقي الذكر عليه يعني اانزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد ان
يتعظم علينا بادعايه النبوة سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيمة وانما ذكر الغد
للتقريب من الكذاب الاشر اي اصالح ام من كذبه انا مرسلوا الناقة اي باعثوها ومرسلوها ومخرجوها
من الهضبة التي سالوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله
تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة اي محنة واختبارا لهم فارتقبهم اي فانتظر ما هم صانعون واصطبر اي على
اذاهم ونبيهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى
بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب اي نصيب من الماء محتضر اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت
شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن
فنادوا صاحبهم يعني قدار بن سالف فتعاطى اي فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان
عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبرايل فكانوا
كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من
ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي تهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا
كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحايط ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء
وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا
يحصبهم اي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى الا ال لوط يعني لوطا وابنتيه نجيناهم يعني من العذاب
بسحر نعمة من عندنا اي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك نجزي اي كما انعمنا على ال لوط كذلك
نجزي من شكر يعني ان من وحد الله لم يعذب مع المشركين ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا يعني اخذنا اياهم
بالعقوبة فتماروا بالنذر اي شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا ولقد راودوه عن ضيفه اي
طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا
عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم
جبرايل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط عميا لا يبصرون
ومعنى فطمسنا اعينهم اي صيرناها كساير الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل
فقالوا قد رايناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني ما انذركم به لوط

من العذاب ولقد صبحهم بكرة اي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب
الآخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل ولقد جاء آل فرعون
النذر يعني موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى كذبوا بآياتنا كلها
يعني الآيات التسع فاخذناهم اي بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه
ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم خير من أولئكم يعني اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل
قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكاري اي ليسوا باقوى منهم أم لكم براءة
من العذاب في الزبر اي الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية أم يقولون يعني كفار مكة نحن جميع اي امرنا
منتصر اي من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس
الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى لهم سيهزم الجمع
يعني كفار مكة ويولون الدبر اي الادبار فوحد لاجل رؤوس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية
والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك كدبر واحد خ عن ابن عباس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد
اليوم فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر
وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع
يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر علمت
تأويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر اي اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل
يوم بدر قوله عز وجل ان المجرمين يعني المشركين في ضلال وسعر قيل في بعد عن الحق وسعر اي نار تسعر عليهم وقيل
في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال اي عن طريق الجنة وعذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال يوم
يسحبون اي يجرون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله
عليه وسلم مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر اي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء
من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك على خدك

فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه م عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه
في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء م عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربعة يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث
بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد
حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال
حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبرائيل المتفق عليه
ويؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكل

لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوه وان مرض منهم
فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابي هريرة مثله ولا
تجالسوهم ولا تفاتحوهم في كلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس
لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره
عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا
ينادي نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله جل جلاله
ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وانما قال خصماء الله لانهم يخاصمون في انه لا يجوز
ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروي عن الحسن قال والله لو ان احدا من القدرية صام حتى يصير
كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق
مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى اعلم ان مذهب اهل الحق
اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة
عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت
انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم اي انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا
على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر
قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد
من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله
والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتاب غريب الحديث وابو المعالي امام الحرمين
في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر
قال ابن قتيبة وامام الحرمين وهذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم
الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه
ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت
الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة
رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله
في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم
صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير
من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه
وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى
الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر
اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم
الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم
لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في
هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من

الكتاب والسنة واجماع الفقهاء واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله جل جلاله
وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله اعلم واما معاني
الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف
وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك
قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الما المراد منه تحديد
وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الما اي
قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شي بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو
ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتاخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور
الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قد قدر عجزه والكيس
قد قدر كيسه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشي اذا اردنا
تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه وتعالى شيا قال له كن فهي اشارة الى
الارادة وقدر والقول قضا وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو
اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس يريد ان قضاي في خلقي اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا
معناه وما امرنا بمجي الساعة في السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظراكم في الكفر من الامم
السالفة فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شي فعلوه يعني الاشياع من خير وشر في الزبر اي
في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر اي مكتوب قوله عز وجل
ان المتقين في جنات اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة رووس الاي واراد انهار الجنة من الما والخمر
واللبن والعسل وقيل معناه في ضيا وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق اي في مجلس حق لا
لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس وقيل مقعد لا كذب فيه لان الله سبحانه صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب
وهو مقعد صدق عند مليك قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شي
وقيل مقرب عند مليك امره في الملك والاقتدار اعظم شي فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من
تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق
فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

تفسير سورة الرحمن عز وجل مكية

وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول والقولان عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية وثلثماية واحدى وخمسون
كلمة وستماية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القران قيل لما نزل اسجدوا للرحمن
قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتموه هو الذي علم القران وقيل
هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القران يعني علم محمدا القران وقيل علم القران
يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القران
العزيز لانه اعظم وحي الله سبحانه الى انبيايه واشرف منزلة عند اوليايه واصفيايه واكثر ذكرا واحسنه في ابواب
الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام قال ابن
عباس علمه البيان يعني اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعماية لغة افضلها العربية وقيل
الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون المعنى علم البيان اي النطق الذي يتميز به عن ساير الحيوان

وقيل

وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل
اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه كان صلى الله عليه وسلم
يبين عن خبر الاولين والاخرين عن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام
قوله عز وجل الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وقيل يعني بهما
حساب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو
الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور بالحجر بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق
من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتا وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه
والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة سمايين والسما رفعها
اي فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله
الا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الالة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف
واصل الوزن التقدير ولا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة بالعدل اي باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا الميزان ولا تطغوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتدا وزيادة
وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية
للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الما للانام اي للخلق الذي بثهم
فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي
من الثمار التي يتفكهون بها كالحنطة والشعير ونحوها من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل
ذات الاكمام يعني الاوعية التي تكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شي ستر
شيا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين ساير الشجر لانه اعظمها واكثرها بركة والحب يعني
جميع الحبوب وانما ذكر الحب على سبيل الارتقا الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف
قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رووسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف
ورق كل شي يخرج منه الحب يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام
الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القران فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف
التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن فقال تعالى فباي الا ربكما تكذبان
يعني ايها الثقلان يريد من هذه الاشيا المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا
تقريرا للنعمة وتاكيدا للتاكيد بما عدد على الخلق آلاه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم
بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع عليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا
الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تك خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شايع في كلام العرب
احسن تقريرا وذلك ان الله تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه
البيان وخلق الشمس والقمر والسما والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي الا
ربكما تكذبان من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن
مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الا ربكما تكذبان قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه

الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشي قوله عز وجل خلق الانسان
من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار
وهو الخزف فان قلت قد اختلف العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من
حما مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات
اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله جل جلاله خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم
حما مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل
هو ابليس من مارج من نار يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من
اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين يعني مشرق
الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف
ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين
يعني ارسل البحرين العذب والمالح متجاورين متلاقيين فلا فصل بين الماءين لان من شانهما الاختلاط وهو قوله
بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران
وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس
والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما
قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل
لما التقى البحران فصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من
بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا مطرت السماء فتحت الاصداف افواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لؤلؤة
على قدر القطرة وقوله اللؤلؤ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز
الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشات اي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها
على بعض وقيل هي ما رفع قلعها من السفن اما ما لا يرفع قلعها فليس من المنشات وقيل معنى المنشات المحدثات
المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر فباي
الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل كل من عليها فان اي على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء
فان اي هالك لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة
وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ويبقى وجه ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب
وجهان احدهما انه مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني ان يحتمل
ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال اي ذو العظمة والكبريا ومعناه الذي يجله الموحدون
عن التشبيه بخلقه والاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله
وعظمته فباي الاء ربكما تكذبان عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال
والاكرام اخرجه الترمذي قال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا
منها قوله عز وجل يساله من في السموات والارض يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل
السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة
وقيل كل احد يساله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه ودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق
وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى كل يوم هو في شان قيل نزلت ردا على

اليهود حيث قالوا ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيا قال المفسرون من شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز
قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا ويذل قوما
ويعز قوما الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه من ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابه
نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك
قوله كل يوم هو في شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا
والاخر يوم القيمة والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا
والاماتة والاعطا والمنع وشان يوم القيمة الجزا والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن
الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين
فاذا جا ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان الداراني في هذه
الاية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شانه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب
الابا الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعا
الى الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايها الثقلان قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة
وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لافرغن
لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان قيل معناه سنقصدكم بعد
الترك والامهال ونأخذ في امركم فهو كقول القايل الذي لا شغل له قد فرغت الي وقيل معناه ان الله وعد اهل
التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم
فيتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض احيا
وامواتا وقيل كل شي له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين
كتاب الله تعالى وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين
لانهما مثقلان بالذنوب فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اي
تخرجوا من اقطار السموات والارض اي من جوانبهما واطرافهما فانفذوا اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان
تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال
لهم هذا يوم القيمة والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من قضاي وتخرجوا من ملكي ومن سماي وارضي فافعلوا
وقدم الجن على الانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال تعالى لا
تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم
كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه
الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان
من نار ثم ينادون يا معشر الجن ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله سبحانه
يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر المفسرين هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع
من النار ونحاس قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رووسهم وهو الرواية
الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان
يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران اي لا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فباي

الا ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه
خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض وذكر في هذه الاية بيان حال سكان السما
وقيل فيه تهويل وتعظيم للاهوال فيها اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن تشقق السما
وذوبانها وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن تلون السما من انشقاقها بتلون الفرس الورد
وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان السما تتلون يومئذ الوانا كلون الفرس الورد يكون في الربيع
اصفر وفي اول الشتا احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السما في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه
وقيل كالدهان اي كعصير الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السما كالدهن الذايب وذلك
حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان اي كالاديم الاحمر فباي الا ربكما تكذبان فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان قيل لا يسالون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه
رواية ابن عباس وعنه لا تسال الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس ايضا
في الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين قال لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه
اعلم بذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسال في بعضها ولا يسال في بعضها وعن
ابن عباس ايضا قال لا يسالون سؤال شفا ورحمة انما يسالون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب
فباي الا ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني سواد وجوههم وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل روسهم على ركبهم ونواصيهم في
اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار فباي الا ربكما تكذبان
هذه جهنم اي يقال لهم هذه جهنم ثم يلقوا فيها التي يكذب بها المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين
حميم ان يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم
الان الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار ان واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال
فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك
قوله يطوفون بينها وبين حميم ان فباي الا ربكما تكذبان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الايات
مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم
كل اية منها بقوله تعالى فباي الا ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعده الله لمن اتقاه وخافه من عباده المومنين فقال
عز من قال ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه
عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله جل جلاله وقيل
لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب
ان يطلع عليه احد قيل ان المومنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار جنتان يعني جنة
عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي
قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد
في اول الامر فان من سار من اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روى البغوي بسنده عن ابي الدردا انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنا وان
سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان

زنا

زنا وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان (في الهامش: وان زنا وان سرق فحج)
فقلت الثالثة وان زنا وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدردا فباي الا ربكما تكذبان
ثم وصف الجنتين فقال عز من قايل ذواتا افنان اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا
وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفواكه
وجمع عطا بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفواكه وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فباي
الا ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالما
الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ما غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين
فباي الا ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما
يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه
حلو فباي الا ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من
تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطاين فما
ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال البطاين من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس
وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج
الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطاينها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهاير
خيرا من البطاين فهو مما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين دان يعني ان ثمرها قريب يناله القايم والقاعد والنايم
وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله
ان شا قايما وان شا قاعدا وقيل لا ترد ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي الا ربكما تكذبان فيهن فان
قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين والمعاني بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور
ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرت طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن
سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي
وجعلني زوجتك لم يطمثهن اي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن
ومنه قول الفرزدق خرجن الي لم يطمثهن قبلي وهن اصح من بيض النعام اي لم يمسسن والمعنى لم يطاهن ولم
يغشهن انس قبلهم اي قبل ازواجهن من اهل الجنة ولا جان وقيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة منهم
وفي الاية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وسيل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه (في الهامش: تقف على ان الجن لهم ثواب)
الاية اذا جامع ولم يسم انطوى الجني على احليله فجامع معه واختلف في هولا اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور
لانهن خلقن في الجنة فلم يمسهن احد قبل ازواجهن وقيل هن من نسا الدنيا انشين خلقا آخر ابكارا كما وصفهن
لم يمسسهن منذ انشين خلقا اخر وقيل هن الادميات اللاتي متن ابكارا ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث
عنهن لان ذلك اقر لاعينهن واعين ازواجهن اذ لم يغشهن احد غيره فباي الا ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اراد صفا الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللولو واشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض
اللولو مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور
العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورا الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا يدل على

صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود **فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان** اي ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الاية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الاية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله تعالى وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على تركه لعمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف **فباي آلاء ربكما تكذبان** قوله عز وجل **ومن دونهما جنتان** اي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين **فباي آلاء ربكما تكذبان** ثم وصف الجنتين فقال تعالى **مدهامتان** اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد **فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان** اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر **فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان** يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما فصل النخل والرمان بالواو لانهما من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال فصلهما وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا

لم يطمثهن

لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في الاية روى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال او الدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا **فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن** اي في الجنان الاربع **خيرات حسان** روي عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه **فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات** اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا **في الخيام** قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربع قوائم اعواد ثم تسقف بالثمام وقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل هي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن لا يرى بعضهم بعضا **فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان** تقدم تفسيره في الاية التي قبلها **فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر** قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروي هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي محابس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الدرا وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف **وعبقري حسان** قيل هي الزرابي الطنافس الثخان وقيل هي الطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال او غيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن الصنعة العجيبة وانهم ياتون بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليه كل امر عجيب بليغ **فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعم الآخرة بهذه الاية وفيه اشارة الى تمجيده وتحميده م عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة مكية

وهي تسع وتسعون اية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا قال وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا اخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **اذا وقعت الواقعة** اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت

صيحة الفزع وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالازفة **ليس لوقعتها** اي لمجيئها **كاذبة** اي ليس
لها كذب والمعنى انها تقع صدقا وحقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة اي كلما اخبر الله عنها وتقدم بخبرها
قضية صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب
لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها **خافضة رافعة** اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس
تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع
اقواما بالطاعة **اذا رجت الارض رجا** اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله تعالى عز وجل اذا اوحى
اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بنا عليها وينكسر كل ما فيها
من جبل وغيرها ونحو قوله تعالى **وبست الجبال بسا** اي فتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول
وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب
بها **فكانت هبا منبثا** اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهبا **وكنتم ازواجا**
اي اصنافا **ثلاثة** ثم فسر الازواج فقال تعالى **فاصحاب الميمنة** يعني اصحب اليمين والميمنة ناحية اليمين
وهم الذين يوخذ بهم الى ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين ادم حين اخرجت الذرية
من صلبه وقال الله عز وجل هولا الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا
ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم التابعون باحسان ثم قوله
عز وجل **ما اصحاب الميمنة** تعجيب من حالهم في السعادة والمعنى اي شي هم **واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة**
يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا على شمال ادم عند اخراج
الذرية وقال الله تعالى لهم هولا الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يوتون كتبهم بشمايلهم وقيل هم المشايم على
انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى **والسابقون السابقون** قال ابن عباس
هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الاخرة الى الجنة السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين
من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة
والى ما دعى الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القران المتوجون يوم القيمة فان قلت لم اخر ذكر السابقين
وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور
الهايلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسي فيرجع عن اساته
خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا في ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم
ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين
فقال تعالى **اولئك المقربون** اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله **في جنات النعيم** قوله
تعالى **ثلة** اي جماعة غير محصورة العدد **من الاولين** اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا صلى
الله عليه وسلم **وقليل من الاخرين** يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبيا وصدقوهم من
الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سابق المهاجرين والانصار وقليل من الاخرين
اي ممن جا بعدهم من الصحابة **على سرر موضونة** اي منسوجة بالذهب وقيل موضونة يعني مصفوفة **متكئين**
عليها اي على السرر **متقابلين** يعني لا ينظر بعضهم الى فوق بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم
صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور **يطوف عليهم** اي للخدمة **ولدان** اي غلمان **مخلدون**

لا يموتون

لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط
وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هولا الولدان فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف
لان الله تعالى اخبر انه يلحقهم باباهم ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان فيه منقصة
بابي الحاسد وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في
اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لابايهم وتوقفت فيهم طايفة والمذهب
الثالث وهو الصحيح الذي ذهب به المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه
وقيل هم اطفال ماتوا لم تكن لهم حسنات يثابون عليها ولا سيات يعاقبون عليها ومن قال بهذه الاقوال
يقول بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شا الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة
لخدمة اهل الجنة كالحور وهم وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي
الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت قوله عز وجل **باكواب** جمع كوب وهي الاقداح المستديرة
الافواه لا آذان لها ولا عرى **واباريق** جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفا
وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها **وكاس من معين** اي من خمر جارية **لا يصدعون عنها** اي لا تتصدع رووسهم
من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها **ولا ينزفون** اي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها
وقري بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم **وفاكهة مما يتخيرون** اي ياخذون خيارها **ولحم طير مما يشتهون**
قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما
يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتها بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف
القران بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضر عند الجايع تميل نفسه الى اللحم واذا حضر عند
الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجايع مشتهي والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا عن
جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القران بخلاف اللحم واذا
اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم
وحور عين اي ويطوف عليهم وقيل ولهم حور عين وجا في تفسير حور بيض عين اي ضخام العيون **كامثال اللولو**
المكنون اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوى فيكون في نهاية الصفا
روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضو ثغر حورا ضحكت ويروى ان الحورا اذا مشت يسمع تقديس الخلخال
من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب
شراكهما من لولو يصران بالتسبيح **جزا بما كانوا يعملون** اي فعلنا ذلك بهم جزا بما كانوا يعملون في الدنيا
بطاعتنا **لا يسمعون فيها** اي في الجنة **لغوا** قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح
من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع **ولا تاثيما** قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما
فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا ياتون تاثيما اي ما هو سبب التاثيم من قول او فعل قبيح **الا قيلا**
سلاما سلاما يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم عليهم الملايكة او يرسل الرب جل جلاله بالسلام اليهم وقيل
معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم فقال تعالى **واصحاب اليمين ما اصحاب**
اليمين لما بين حال السابقين شرع في بيان اصحاب اليمين فقال تعالى **في سدر مخضود** اي لا شوك فيه كانه خضد
شوكه اي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر وقيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون
الى وج وهو واد مخصب بالطايف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الاية **وطلح** قيل هو

الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك وله نور طيب الرائحة نحو طيبوا ووعدوا
بمثل ما يحبون ويعرفون الا افضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود اي متراكم قد نضد بالحمل من اوله
الى اخره ليست سوق بارزه بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شي من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز
ونحوهما بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وظل ممدود اي دائم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا
وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لشجرة
يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة
في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز
وجل عليها ريحا من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب اي مصبوب يجري دائما في غير
اخدود ولا ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع
من احد اذا اراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل
اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجا في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل
الله عز وجل مكانها ضعفين وفرش مرفوعة قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة
عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء
والارض ومسيرة ما بينهما مسيرة خمسماية عام اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي
قال بعض اهل العلم معنى هذا الحديث وارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفراش المرفوعة في
الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السما والارض وقيل اراد بالفرش النسا والعرب تسمي المراة
فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اي رفعن بالجمال والفضل على نسا الدنيا
ويدل على هذا التاويل قوله في عقبه انا انشاناهن انشا اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني
الادميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا اخر فجعلناهن ابكارا يعني عذارا عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن انشا قال ان من المنشات اللاتي كن في الدنيا عجائز
عمشا رمصا اخرجه الترمذي قال حديث غريب وضعف بعض رواته روي البغوي بسنده عن الحسن قال اتت
عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة لا يدخلها
عجوز فولت تبكي قال فاخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشا فجعلناهن
ابكارا هذا حديث مرسل وروي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن
انشا قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن ابكارا قال ابن المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشاهن
الله بقدرته خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن
في الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع
عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قال ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة
ابن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد
بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة جردا مردا مكحلين ابناء
ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني انشاناهن
لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المومنين الذين هم قبل هذه
الامة وثلة من الاخرين يعني من مومني هذه الامة يدل عليه ما روي البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم

قال لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر فقال يا نبي الله
امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة ومنا الى يوم القيمة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل
ممن قال لا اله الا الله ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرايت النبي
ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم
امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الاخر
فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل
منزله فخاض الناس في اوليك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا فخرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال انت منهم ثم قام
رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهط تصغير رهط وهو ما دون العشرة
وقيل الى الاربعين ق عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين
فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قال نعم قال والذي
نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مومنة مسلمة وما انتم
في اهل الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود او كالشعرة السودا في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير
الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول
ابي العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك ما روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الاية
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي وهذا القول اختيار
الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم
يعاينه فان قلت فكيف قال في الاية الاولى وقليل من الاخرين وقال في هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية
الاولى في السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الاخرين وحكي عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل
بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله
تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتابهم
بشمايلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال سبحانه وتعالى في سموم اي في حر النار وقيل في ريح شديدة
الحرارة وحميم اي ماء حار تغلي وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد وقيل ان النار سودا واهلها
سود وكل شي فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسما النار لا بارد ولا كريم يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك
لان فايدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل
النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك
يعني في الدنيا مترفين يعني منعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني على الذنب الكبير وهو الشرك

وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الاولين والاخرين يعني الاباء والابناء لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون يعني بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال لآكلون من شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الابل العطاش وقيل ان الهيام دا يصيب الابل فلا تروى ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اي رزقهم وغذاؤهم وما اعد لهم يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فلولا اي فهلا تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله تعالى افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون يعني في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه ام انتم تخلقون ما تمنون بشرا ام نحن الخالقون اي انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم فاحتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني في الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الاجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يفوتني شيء اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل امثالكم اي ياتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع حين وننشئكم اي نخلقكم فيما لا تعلمون اي من الصور والمعنى نغير خليتكم الى ما شئنا ونسخ منها ما شئنا من خلق شيئا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم ان اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طير سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم قدر ولو شاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيمة وفيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في زمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشاة الاولى اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيمة فلولا تذكرون اي ذلك باني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم اول مرة قوله تعالى افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله تعالى ابتدا الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقا وذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول ورتبه ترتيبا حسنا فذكر الماكول اولا لانه الغذا واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار لان بها الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الما لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرايتم ما تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه انتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان ايقاع البذر

من فعل

من فعل الناس لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر حطاما اي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا في غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او تسوقون عن نفسه بنفسه تلك الافات التي تصيبه ولا يشك احد في ان دفع الافات ليست الا باذن الله فظلتم تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فاتكم انا لمغرمون اي ويقولون انا لمغرمون فحذف القول ومعنى المغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا وقال ابن عباس لمغرمون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه الا الله جل جلاله لو نشاء جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا افلا تشكرون يعني نعمه عليكم افرايتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزند ءانتم انشاتم شجرتها يعني التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار الكبرى اذا راى الراي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المومن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين يعني للمسافرين والمقوي النازل في الارض القوا وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادي والسفار فان نفعهم بها اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها في البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنا لاحد عنها فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر خلقه خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اي برئ الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القران من انه شعر وسحر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفي بمعنى كقول القايل لا تسال عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القران فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيمة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القران والمعنى وان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لا انتفعتم بذلك وقيل

بمعنى لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم انه لقران
كريم اي ان الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قران كريم اي عزيز مكرم لانه كلام الله ووحيه الى نبيه
صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شانه ان يعطي الكثير وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي
الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقران كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم
فالفقيه يستدل به وياخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب
اصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل
ان الكلام اذا كرر مرارا يسامه السامعون ويهون في الاعين وتمله الاذان والقران كريم عزيز لا يهون بكثرة
التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك
في كتاب مكنون اي مصون مستور عند الله في اللوح المحفوظ من ان يناله سوء وقيل المراد
بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح لا يمسه اي ذلك
الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملايكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب يروى هذا القول
عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة
وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اي من الشرك وكان ابن عباس
ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القران قال الفرا لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به وقيل معناه لا
يقراه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها
نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا الحايض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطا وطاوس وسالم والقاسم
واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقها يدل عليه ما روى مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي
بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القران
الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جا موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القران الا طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب
الجوار والاتساع كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف
وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف وحمله فان قلت اذا كان الاصح ان المراد
من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملايكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا
يمسه الا المتطهرون من التطهير فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي
اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه
من طريق الاستنباط قال نفي المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق
بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم وقوله تنزيل
من رب العالمين صفة للقران اي القران منزل من عند رب العالمين المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال
للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القران شعر او سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القران
تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل افبهذا الحديث يعني القران انتم اي يا اهل مكة مدهنون قال ابن عباس
مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا
اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم من القران

انكم تكذبون قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من
المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقا بالانوا وذلك انهم
كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنو كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم
اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله ونعمه وكذب بما جا به القران
والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال
ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك
مومن بي وكافر بالكوكب وروى مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الاية
فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون من الكوكب كذا
وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنو كذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب قوله على اثر سما اي اثر مطر والنوا الكوكب يقال نا النجم ينوا اذا سقط وغاب وقيل نا اذا نهض وطلع
واختلف العلما في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنو كذا على قولين احدهما انه كفر بالله سبحانه وتعالى
سالب لاصل الايمان يخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكواكب فاعل مدبر منشي
للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول الذي ذهب اليه جماهير
العلما منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنو كذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله
ورحمته فان النو ميقات له ومراده انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جا عن عمر انه
استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نو الثريا فقال ان العلما يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد
وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة انه
اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جايز لا كفر فيه واختلفوا في كراهته والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم
وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيسا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية
ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على
اضافة الغيث الى الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويويد هذا التاويل حديث ابي هريرة
ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله عز وجل
فلولا اي فهلا اذا بلغت الحلقوم اي النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت وانتم يعني اهل الميت حينيذ تنظرون
يعني الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيا ونحن اقرب اليه
منكم اي بالعلم والقدرة والروية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون اي
الذين حضروه من الملايكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين
وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها ان كنتم صادقين اي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت
الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله
ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم
اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله جل جلاله فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق

عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين يعني السابقين فروح وريحان اي فله روح
وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال
ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه وجنة
نعيم اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار
واما ان كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلامة لك يا محمد منهم
فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله تعالى او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل ان الله يتجاوز
عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين وقيل او يقال لك لصاحب اليمين مسلم
لك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين
اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي ادخال
نار عظيمة ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي
قصصنا عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد الله من العذاب
الاليم لاعدائه وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك
العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم
ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال
اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه
سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على اية عذاب الا وقف
وسال اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان
الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب
الكلام الى الله جل جلاله سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا
الحديث اخرجه البخاري والله اعلم

تفسير سورة الحديد مدنية

وهي تسع وعشرون اية وخمسماية واربع واربعون كلمة والفان واربعماية وست وسبعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه
الله عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه
فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح
هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل
على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان حملنا التسبيح
المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة ومسبحو الارض هم المؤمنون
العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات وما فيهما من شمس وقمر ونجوم وغير
ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال
عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان قلت قد جاء في بعض فواتح
السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى جميع كون الاشيا تسبح الله

ابدا

ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل وهو العزيز
اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شي الحكيم اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب له ملك السموات
والارض اي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحيا
في الدنيا وهو على كل شي قدير قوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن يعني هو الاول قبل
كل شي بلا ابتدا كان هو ولم يكن شي موجود والاخر بعد فنا كل شي بلا انتها يعني الاشيا ويبقى هو والظاهر الغالب
العالي على كل شي والباطن العالم بكل شي هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شي والاخر ليس
بعده شي وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتها والظاهر
بالدلايل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول سبق وجوده
كل موجود والاخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر بن الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته
من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم
وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فنا الاجسام وذهابها
بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد
الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال اخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فنا اجسام موتاهم
وذهابها بالكلية هذا اخر كلام ابن الباقلاني الاحيا والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة
وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية
وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده
والاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا
عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب
والباطن بعلم الغيوب سال عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر
كعلمه بالباطن وهو بكل شي عليم م عن سهيل بن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد ان ينام ان
يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شي
فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته وفي رواية
من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر
فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة ايضا قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه
اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا
العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله
ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسماية سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماين
بعد ما بينهما خمسماية سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماين كما بين السما والارض ثم قال هل تدرون ما
فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السما بعد ما بين السماين ثم قال هل تدرون
ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله
اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسماية سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسماية

سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرا هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض
اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه
في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى زوايا الارض نواحيها والرقيع
اسم للسما وقيل اسم لسما الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها قد تقدم تفسيره وهو معكم
اينما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته اين ما كان من ارض او سما
بر او بحر وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير يدل على صحة القول الاول
له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور تقدم تفسيره وقوله عز وجل امنوا بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلايل الدالة
على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويامرهم بالايمان بالله ورسوله ويامرهم بترك
الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فانتم في ذلك المال خلفا عن من مضى فالذين امنوا
منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تومنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم يعني واي عذر لكم في
ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج وقد
اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر ادم عليه السلام بان الله ربكم لا اله الا هو لا اله لكم
سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقل ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة
الرسول ان كنتم مومنين اي يوما ما فالان احرى الاوقات ان تومنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم ونزول القران وهو قوله تعالى هو الذي ينزل يعني ينزل القران على عبده يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم ايات بينات يعني القران ليخرجكم يعني الله عز وجل بالقران وقيل الرسول بالدعوة
من الظلمات الى النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم قوله تعالى وما لكم الا
تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يقول اي شي لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالى
وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله وتستحقون به الثواب ثم
بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد الفتح اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم واول من انفق
ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه
سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال
فان الله عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام
ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن ربي راض اني على ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال
عطا درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض

الله

الله قرضا حسنا اي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه
وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلما القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون المال
من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها
وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس
وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وان تكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك
وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا فيضاعفه له يعني
يعطيه اجره على انفاقه اضعافا وله اجر كريم يعني وذلك الاجر كريم في نفسه قوله عز وجل يوم ترى
المومنين والمومنات يعني على الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب
فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من
المومنين من يضي نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعا ودون ذلك حتى ان من المومنين من لا يضي نوره الا
موضع قدميه قال عبد الله بن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من
يوتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفى مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الاية يسعى نورهم
بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملايكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
اي نستضي من نوركم قيل يغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيمة فيعطي الله المومنين نورا على قدر اعمالهم يمشون
به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله عز وجل ريحا وظلمة
فاطفا نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيون بنور المومنين
ولا يعطون النور فاذا سبقهم المومنون بقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراكم قال ابن عباس يقول لهم المومنون وقيل تقول لهم الملايكة ارجعوا وراكم اي من حيث جيتم وقيل ارجعوا
الى الدنيا فاعملوا اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراكم فالتمسوا اي اطلبوا
لكم هنالك نورا اي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيا فينصرفون اليهم ليلقوهم
فيميز بينهم وبين المومنين وهو قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة اي المومنين والمنافقين بسور
وهو حايط بين الجنة والنار فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل
ذلك الظاهر العذاب وهو النار روي عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكره الله في القران هو سور بيت المقدس
الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب
الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب الاية ينادونهم يعني ينادي
المنافقون المومنين من ورا ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم قالوا
بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم
اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي
شككتم في نبوته وفيما وعدكم به وغرتكم الاماني اي بالاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدواير بالمومنين
حتى جا امر الله يعني الموت وقيل هو القاوهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله الغرور يعني الشيطان قال
قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يوخذ منكم فدية اي عوض وبدل

بان تفدوا من العذاب بانفسكم وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة **ولا من الذين كفروا** وانما عطف الكفار
على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن
عطفه على المنافق **ماواكم النار** اي هي مصيركم **هي مولاكم** اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى
هي التي تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شي وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت
النار مولاه فلا مولى له **وبيس المصير** قوله تعالى **الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله** قيل نزلت
في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التورية فان فيه
العجايب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان
ما شا الله ثم عادوا فسالوه مثل ذلك فنزلت هذه الاية الله نزل احسن الحديث فكفوا عن سواله ما شا الله
ثم عادوا فسالوه فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا ان تخشع يعني
في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين وذلك لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش
ورفاهيته ففتركوا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان للذين امنوا الاية قال ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله استبطا
قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان يعني اما حان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخشع قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله **وما نزل من الحق** يعني القران **ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل** يعني اليهود والنصارى **فطال عليهم الامد** اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله نهى المومنين ان
يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن ابي موسى الاشعري انه بعث الى
قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثماية رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطول
عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم **وكثير منهم فاسقون** يعني الذين تركوا الايمان بعيسى
ومحمد عليهما الصلاة والسلام قوله عز وجل **اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها** اي بالمطر ويخرج منها النبات
بعد يبسها فكذلك يقدر على احيا الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة
يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احيا الارض بالمطر مشاهدة **قد بينا لكم الايات** اي الدالة على
وحدانيتنا وقدرتنا **لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا** اي بالنفقة
والصدقة في سبيل الله **يضاعف لهم** ذلك القرض **ولهم اجر كريم** اي ثواب حسن وهو الجنة **والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون** اي المكثرون الصدق قال مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وتلا
هذه الاية عامة في كل من امن بالله ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض
في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه
الله بهم لما عرف من صدق نيته **والشهدا عند ربهم** قيل اراد بالشهدا المومنين المخلصين قال مجاهد كل مومن صديق
شهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا والشهدا
عند ربهم وهم الانبيا الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل
الله **لهم اجرهم** اي بما عملوا من العمل الصالح **ونورهم** على الصراط **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم** لما ذكر حال المومنين اتبعه بحال الكفار قوله تعالى **اعلموا انما الحياة الدنيا** اي لذة الحياة الدنيا في هذه
الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته

خير كلما

خير كلها ثم وصفها بقوله **لعب** اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان **ولهو** اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب **وزينة** اي
منظر يتزينون به **وتفاخر بينكم** يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض **وتكاثر في الاموال والاولاد**
اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اوليا الله واهل طاعته
ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى **كمثل غيث اعجب الكفار نباته** اي الزراع نباته انما سمي الزراع كفارا لسترهم
البذر في الارض نباتا اي ما نبت بذلك الغيث **ثم يهيج** اي ييبس **فتراه مصفرا** اي بعد خضرته **ثم يكون حطاما**
اي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى **وفي الاخرة عذاب شديد** اي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعاني
زهد الله بهذه الاية في العمل للدنيا وهي صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل
للاخرة بقوله **ومغفرة من الله ورضوان** اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدا الله ومغفرة
من الله ورضوان لاوليا الله في الاخرة لان الاخرة اما عذاب واما جنة **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور**
اي لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل بها فمن اشتغل في الدنيا بطلب الاخرة فهي له
بلاغ الى ما هو خير منه قوله عز وجل **سابقوا الى مغفرة من ربكم** معناه ليكن تفاخركم وتكاثركم في غير ما انتم عليه
بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة اي الى
ما يوجب المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى سا يرما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها
وجنة عرضها كعرض السموات والارض قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزق بعضها
ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل
ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض
تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر
ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس **اعدت
للذين امنوا بالله ورسله** فيه اعظم رجا واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع
الايمان شيا اخر يدل عليه قوله في سياق الاية **ذلك فضل الله يوتيه من يشا** فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل
الله لا بعمله **والله ذو الفضل العظيم** ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم
عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة قد تقدم الكلام على معنى
هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل قوله عز وجل **ما اصاب
من مصيبة في الارض** يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار **ولا في انفسكم** يعني الامراض وفقد الاولاد **الا
في كتاب** يعني اللوح المحفوظ **من قبل ان نبراها** اي من قبل ان تخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرا
المصيبة **ان ذلك على الله يسير** اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل **لكيلا تاسوا** اي تحزنوا **على ما
فاتكم** من الدنيا **ولا تفرحوا** اي لا تبطروا **بما اتاكم** اي اعطاكم وقال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا
الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عن مضرة تنزل به ولا عند منفعة
ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجا ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد
بها مع الشكر والله اعلم قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الموت وما لك
تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت **والله لا يحب كل مختال** اي متكبر بما اوتي من الدنيا **فخور** اي به وذلك الذي اوتي
على الناس **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** وقيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين

يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه
الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يامرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها في وصفه
اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله
هو الغني اي عن عباده الحميد الى اوليائه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالآيات والحجج وانزلنا
معهم الكتاب اي المتضمن الاحكام وشرايع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان
هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط اي ليتعاملوا بينهم
بالعدل وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة
والكلبتين وروى عن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والملح والماء وقيل
انزلنا هنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته
بوحيه والهامه فيه باس شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهو آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب
ومنافع للناس اي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل
صنعة فلا غنى لاحد عنه وليعلم الله اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق
والعدل وليرى الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اي وينصر رسوله بالغيب اي الذين لم يروا الله ولا الآخرة
وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي اي في امره عزيز اي في ملكه ولقد
ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة
وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون
ثم قفينا اي اتبعنا على آثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى
ابن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه
رافة ورحمة اي انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطف على ما قبله والمعنى
انهم جاؤوا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم
المشاق في العبادة الزايدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك
ما كتبناها عليهم اي فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يراعوا
تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في
دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله
تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين
تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة
نجا منها ثلاث وهلك سايرهن فرقة ازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم
تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في
البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاولئك هم الهالكون وعنه
قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين اخذت
بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب

اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهولا افنونا ولم
يبق للدين احد يدعوا اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه
الآية ورهبانية فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام
عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة
والتكبير على التلاع وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة
الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان
فيهم مومنون يقرون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هولا الذين شقوا عليكم
او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا
ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طايفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا
شيا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب
الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طايفة منهم ابنوا لنا دارا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث
البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبايل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اوليك
على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد
ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول
الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين
جاؤوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون
هم الذين جاؤوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء
سايح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وآمنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وتصديقهم وقال يجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل
الكتاب الذين يتشبهون بكم اي لا يقدرون على شي من فضل الله الآية اخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال
قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر
وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور
فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا
الرهبانية ويكون معنى قوله الا ابتغاء رضوان الله على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الخطاب
لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين آمنوا بعيسى وموسى اتقوا الله في محمد صلى الله عليه
وسلم وآمنوا به وهو قوله وآمنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته يعني
يوتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وبمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك
اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها
ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن

وقيل نوا الهدى والبيات اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدوا به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم ليلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله اوليك
يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن فله
اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل ليلا يعلم اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وحسدوا المومنين ان لا يقدرون يعني انهم لم يقدروا على شي من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد
صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي الكتاب اوليك
يوتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل ليلا يعلم اهل الكتاب يعني
المومنين منهم ان لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على
جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع
الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الاية فعلى هذا يكون من فضل الله النبوة يوتيه
من يشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومنه قوله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا لانه قادر مختار والله ذو
الفضل العظيم خ عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قايم على المنبر
انما بقاوكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها
حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا
فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل
الكتابين اي ربنا اعطيت هولا قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثرهم عملا قال الله جل جلاله
هل ظلمتكم من اجركم شيا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة
العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل الى نصف النهار
على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل الى نصف النهار الى صلاة العصر
على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة
العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر
مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطا قال الله جل جلاله وهل ظلمتكم من حقكم شيا
قالوا لا قال فانه فضلي اصيب به من شيت اي اعطيه من شيت عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى
نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطتنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا
اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لكم من الاجر فعملوا حتى
اذا كان حين صلاة العصر قالوا اما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية يومكم فانما
بقي من النهار شي قليل فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا
اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم

تفسير سورة المجادلة مدنية

وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاثة وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنتان وتسعون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل
اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فارادها

فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما
اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل
شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات اهل ومال
حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شي يجمعني واياه تنعشني به يا رسول
الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكوا الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي وحفظت له بطني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع واذا قال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكوا الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا
ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اشكوا اليك اللهم
فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت
انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك الايات خ عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما
تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية واما تفسير الاية
فقوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي امر زوجها
وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله
سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكوا اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين يظهرون منكم
من نسايهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي تجعلونهن من زوجاتهم
كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللاي ولدنهم وانهم يعني المظاهرين
ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا اي كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا
لان الام محرمة تحريما موبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من
القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم فصل
في احكام الظهار وفيه مسايل المسيلة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهور وقيل انه مشتق من الظهر
العلو وليس شي من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من ساير الاعضا التي هي مواضع التلذذ والمباضعة
فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركب له وظهر ويدل عليه في قول العرب في الطلاق
نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي حرام اي ملكي اياك
وعلوي عليك حرام كما علوي على امي وملكها علي حرام المسيلة الثانية كان الظهار من اشد طلاق الجاهلية
لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة والا لم يعد نسخا
لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في احكام الجاهلية وعاداتهم المسيلة الثالثة في الالفاظ المستعملة
لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقها الاصل في هذا قوله انت علي حرام كظهر امي وانت مني او معي او عندي كظهر
امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي او
شبه عضوا منها بعضو من اعضا امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها

اوبفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضا لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح
امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر
جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي
او شبهها بامراة محرمة بالرضاع يكون ظهارا على الاصح المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي
الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح احتج
الشافعي بعموم قوله والذين يظهرون من نسايهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين فيدل على
ان الظهار مخصوص بالمومنين واجيب عنه بان هذا خطاب لنا ولجميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص
بالمومنين قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم يعني يشعرون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون
لما قالوا اختلف العلما في معنى العود في قوله ثم يعودون ولا بد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان
اقوال الفقها فنقول قال الفرا لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو
علي الفارسي كلمة الي واللام يتعاقبان كقوله واوحي الي نوح وان ربك اوحى لها واما لفظة ما في قوله
لما قالوا ففيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الي ذلك اللفظ الثاني المراد
لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول بمنزلة المقول فيه وعلى
هذا فمعنى قوله ثم يعودون لما قالوا الي شي وذلك الشي هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر
هذا اللفظ بالوجه الاول فلا يجوز ان يكون عاد المعنى لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني
يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك لان من فعل شيا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد
اليه وكذا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون
لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون الشي بان يفعلونه مثل مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون
اليه بالنقض والرفع والازالة والي هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول
هو قول الشافعي ان معنى العود الي ما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها
فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا
كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ابتدايه من التحريم فحينيذ تجب عليه
الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الي الالفة الوجه الثاني في تفسير العود
وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك لانه لما شبهها
بالام في حرمة هذه الاشيا ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث
وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطيها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع
وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه
ما لم يطاها قال العلما والعود المذكور هنا انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحته الا ان الذي
قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود
واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال في قوله ثم يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا
الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام ويجب
الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو العود الي ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية
كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما

قالوا

قالوا اي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني
قال ابو العالية ان اكرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وعند ابي حنيفة لا يدل على اعادة ما فعلوه
وعند الا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امراته التي ظاهر منها ما لم يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ
الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون اي من التكفير وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز
عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد الرقبة فصيام شهرين اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام فكفارته اطعام ستين مسكينا ذلك اي الزمن الذي وصفنا
لتومنوا بالله ورسوله لتصدقوا الله تعالى فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر
به عن الله عز وجل وتلك حدود الله يعني ما وصف من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا وكذب
به عذاب اليم في نار جهنم يوم القيمة فصل في احكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسايل
المسئلة الاولى اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني
وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسئلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا
قال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فان عليه كفارة
واحدة وقال مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة المسئلة الثالثة الاية
تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سوا اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالطعام وعند مالك اذا
اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في
الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام
فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي
واحمد وسفيان وقال بعضهم اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي
المسئلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مومنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي
سوا كانت مومنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا انا
اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسئلة الخامسة
الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه
استيناف الشهرين فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة
لكن لا يجب عليه استيناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة
بحيث لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل البلد
من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق
او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزيه عند الشافعي وقال ابو
حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الاية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا وجب رعاية ظاهر الاية
وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا
اولى من ادخال السرور على مسكين واحد المسئلة السابعة ان كانت له رقبة الا انه محتاج الي خدمته او له
ثمن الرقبة لكنه يحتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الي الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه
الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان العين الرقبة يجب

عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا الثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة
الثامنة قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل
عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النسا ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان
خفت ان اصيب من امراتي شيا تتابع حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات
ليلة اذ تكشف لي منها شي فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا
معي الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت
بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم فيما اراك الله فقال حرر رقبة
قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل
اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشينا
ما املك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا
من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي وقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي
صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد امرني بصدقتكم وبينوا بياضة بطن من بني زريق اخرجه
ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع بي التتابع الوقوع في الشر
واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع
وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتق الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل
القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين
متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شي
يتصدق قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله واني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي
بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا تظاهر مني وذكر انه
لما دا قالت والذي بعثك بالحق ما جيتك الا رحمة له ان له منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والرا المهملتين
زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها انه به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس
المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يلزمه شي بل معنى اللمم هنا الالمام
بالنسا وشدة الحرص والسبق والله اعلم قوله عز وجل **ان الذين يحادون الله ورسوله** اي يعادون الله
ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما **كبتوا** اي ذلوا واخزوا واهلكوا **كما كبت الذين من قبلهم** اي كما اخزي من
كان قبلهم من اهل الشرك **وقد انزلنا ايات بينات** يعني فرايض واحكاما **وللكافرين** اي الذين لم يعملوا بها
وجحدوها **عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه** اي حفظ الله اعمالهم
ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا **والله على كل شي شهيد** قوله تعالى **الم تر الم تعلم ان الله يعلم ما
في السموات وما في الارض** يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في
السموات ثم اكد ذلك بقوله عز وجل **ما يكون من نجوى ثلاثة** اي من سرار ثلاثة والنجوى المسارة والمشاورة والمعنى
من شي يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا **الا هو رابعهم** اي بالعلم يعني
يعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم **ولا خمسة الا هو سادسهم**
فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت قيل اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان

كالمتنازعين

كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينيذ تحمل تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض
وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف
من الزوج فلهذا خصه الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى **ولا ادنى من ذلك ولا اكثر** يعني ولا اقل
من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد **الا هو معهم اين ما كانوا** بالعلم والقدرة **ثم ينبيهم بما عملوا** اي في
يوم القيمة ان الله بكل شي عليم قوله عز وجل **الم تر الى الذين نهوا عن النجوى** نزلت في اليهود والمنافقين
وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين وينظرون الى المومنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المومنين انهم يتناجون
بما يسوهم فيحزن المومنين لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا
قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المومنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المومنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة
فيما بينهم **ثم يعودون لما نهوا عنه** اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها **ويتناجون بالاثم والعدوان**
يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شي يسوهم وكلاهما اثم وعدوان **ومعصية
الرسول** وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهاهم عن النجوى فعصوا وعادوا اليها وقيل معناه
يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول **واذا جاوك** يعني اليهود **حيوك بما لم يحيك به الله** وذلك ان
ان اليهود كانوا يدخلون الجنة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون عليك السام مرادهم يوهمونه انهم
يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم **ويقولون في انفسهم** يعني اذا خرجوا من
عنده قالوا **لولا يعذبنا الله بما نقول** يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال
الله **حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير** المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشية والمصلحة
وان لم تقتضي المشية والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم ق عن عايشة قالت دخل
رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عايشة ففهمتها فقلت
عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة ان الله يحب الرفق في
الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم وللبخاري
ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عايشة السام عليكم
ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش
قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم السام الموت
قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم
الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب لانه اذا
حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع
بين الشيين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردي من القول قوله سبحانه **يا ايها الذين امنوا اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول** في المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما
انه خطاب للمومنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
اتبعه بان نهى المومنين ان يسلكوا مثل طريقهم او يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول
والعدوان وهو ما يودي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح
ان الخطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم

والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي
اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان اي من تزيين الشيطان وتسويله بما يامرهم به من الاثم والعدوان
ومعصية الرسول ليحزن الذين امنوا اي انما يزين ذلك ليحزن المومنين ق عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك
يحزنه هذه الزيادة لابي داود وليس بضارهم شيا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم
شيا الا باذن الله اي الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضر وعلى الله فليتوكل المومنون اي
فليكل المومنون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل
سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية قيل في سبب نزولها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس
فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم
ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا فشق ذلك على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا بين يديه
من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله
هذه الاية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا تضاموا بمجلسهم فامرهم
الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرصا على استماع كلامه فامر الله تعالى المومنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم ليتساوى الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه
فافسحوا اي فافسحوا في المجالس امروا ان يوسعوا في المجالس امروا ان يوسعوا في المجالس لغيرهم يفسح الله لكم اي
يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم م عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف
الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل
في معنى الاية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيابون
عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا ان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متاخرا
عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم
والقران والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خير
الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا اي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا
وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودي
للصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا مسرعين ولا تقصروا
عنه يرفع الله الذين امنوا منكم اي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لاخوانهم
والذين اوتوا العلم اي ويرفع الله الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات اي على من سواهم
في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس فاخبر الله

عز وجل

عز وجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المومنين يثابون فيما ايتمروا وان
النفر من اهل بدر يستحقون لما عوملوا به من الاكرام والله بما تعملون خبير قال الحسن قرا ابن مسعود هذه
الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المومن العالم فوق الذي
ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في اقواله
وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي
قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جيت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت
على تجارة قال لا قال ما جيت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيها علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها رضا لطالب
العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الما وفضل العالم على العابد كفضل القمر
على سائر الكواكب وان العلما ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد
اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه ق عن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون
ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هولاء فيدعون
الله ويرغبون اليه واما هولاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قدموا امام ذلك صدقة
وفايدة ذلك اعظام مناجاة الرسول فان الانسان اذا وجد الشي بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة
استحقره وينتفع كثير من الفقرا بتلك الصدقة المتقدمة قبل ذلك اي قبل المناجاة قال ابن عباس كان الناس
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله
عليه وسلم ويفطمهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في الاغنيا وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقرا على
المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة عن مناجاته فاما
الفقرا واهل العسرة فلم يجدوا شيا واما الاغنيا واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب
تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت اية الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها
احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال
فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك
فان قلت في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت هو كما
قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت
لم يتخلفوا عن العمل بها وقد تقدم اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقرا الذين

لم يجدوا ما يتصدقون به ولو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقرا اذ لم يجدوا ما يتصدقون عند مناجاته ووجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم وقوله ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله عز وجل ورسوله واطهر اي لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقرا الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني انه تعالى عفى عنهم ذلك ءاشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا الصلاة اي المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون اي محيط باعمالكم ونياتكم قوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المومنين اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود ما هم يعني المنافقين منكم اي من المومنين في الدين والولاء ولا منهم يعني اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله عز وجل هذه الايات اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المومنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب مهين اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يعني يوم القيمة من الله شيا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون اي في الدنيا وقيل كان الحلف لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل الخصمين على حسب عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضا ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يومر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر رسوله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان الايمان يفسد بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم

يعني ان الميل اليهم لا من اعظم انواع الميل ومع هذا يجب ان يطرح الميل اليهم والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سمي نصره اياهم روحا لان به يحيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعدا الله فقال اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

تفسير سورة الحشر وهي مدنية

قال سعيد بن جبير سالت ابن عباس عن سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية نزلت بالمدينة وهي اربع وعشرون اية واربعماية وخمس واربعون كلمة والف وتسعماية وثلاثة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب فقالوا يا محمد واعية على واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ايتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا

من الحصن فان قاتلوكم نحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فنزلوا لذلك فصالحهم على الجلاء على ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان الحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكان هذا اول الحشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم تحشر الخلق يوم القيمة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيمة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنون ان يخرجوا اي من المدينة لعزهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو انه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال الزمخشري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما يستحسنون منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم

اهدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي ذوي العقول والابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله عز وجل ما قطعتم من لينة الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في قولهم من انفسهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله ق عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بني لوي ... حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية وقيل اللينة من النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افاء الله على رسوله اي ما رد الله على رسوله منهم اي من يهود بني النضير فما اوجفتم عليه يعني اوضعتم وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله في هذه الاية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولم يلقوا حربا وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه والله على كل شيء قدير فهي خاصة له يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة عن مالك بن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا اسم رجل كان غلاما لعمر فقال هل لك في عباس وعلي يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير

المومنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك بن اوس يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر ايتدوا
انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السما والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما
تركناه صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلي فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم
السما والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالا نعم قال عمر ان الله
كان خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افا الله على رسوله منهم
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الاية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله
ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياخذ منه نفقته سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السموات والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا
وعليا بمثل ما نشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو
بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم
حينيذ واقبل على علي وعباس وقال تذكران ان ابا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه فيه لصادق بار راشد تابع
للحق ثم توفى الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل
فيها بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جيتماني
كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميعا فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه
صدقة فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت ان شيتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله
وميثاقه انكما لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا
فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني قضا غير ذلك فوالله الذي باذنه
تقوم السما والارض لا اقضي فيه بقضا غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الي فاني
اكفيكماه فيه قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى يعني من اموال الكفار اهل القرى قال ابن عباس
هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني عبد المطلب
واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمتها واما حكم الفي فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشا فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي يجعل
مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلما في مصرف الفي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للايمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما هو للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدا
بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفي فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل الغنيمة
واربعة للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق
قرا عمر بن الخطاب وما افا الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقرا المهاجرين الى قوله والذين جاوا
من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامه وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذه الفي حق الا
ما ملكت ايمانكم كيلا يكون دولة يعني كيلا يكون الفي دولة والدولة اسم للشي الذي يتداوله القوم
بينهم بين الاغنيا منكم يعني بين الروسا والاقويا فيغلبوا عليه الفقرا والضعفا وذلك ان اهل الجاهلية
كانوا اذا اغنموا غنيمة اخذ الرييس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع منه ما شا فجعله
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امر به وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال الفي والغنيمة

وما

وما نهاكم عنه اي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال الفي وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله
عليه وسلم او نهى عنه من قول او عمل من واجب ومندوب ومستحب او نهي عن محرم فيدخل فيه الفي وغيره ق عن عبد
الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرا القران فاتته فقالت ما حديث بلغني
عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في كتاب الله فقالت المراة لقد قرات ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه لقد وجدتيه
قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم وهو غرز العضو من الانسان
بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه
والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج بمشيها فكل ذلك منهي عنه ق عن
عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي رواية من
عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا على
اريكته ياتيه امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن الاريكة كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة ونحو ذلك واتقوا الله
اي في امر الفي ان الله شديد العقاب اي على ترككم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم
بين من له الحق في الفي فقال عز وجل للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يعني اخرجهم كفار
مكة الى الخروج يبتغون فضلا من الله اي رزقا من الله وقيل ثوابا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم طلبا
لرضى الله عز وجل وينصرون الله ورسوله اي بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلا كلمته اولئك
هم الصادقون اي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشاير وخرجوا حبا
لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كان فيه من الشدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه
ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له دثار غيرها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المهاجرين يسبقون الاغنيا يوم القيمة الى الجنة
باربعين خريفا عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم
القيمة تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود وقوله عز وجل
والذين تبوؤا الدار والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبلهم يعني
انهم اسلموا في ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى
والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد امنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوء يحبون من هاجر اليهم
وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حرارة
وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفي دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم
اموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك
ويوثرون على انفسهم اي ويوثرون الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
اي فاقة وحاجة الى ما يوثرون به ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود
فارسل الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الما ثم ارسل به الى اخرى فقالت مثل ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال

انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم
بشيء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا هوى بيده لياكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفئيه
ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية وانزل الله ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة مه خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا
وبين اخواننا النخل قال لا فقالوا تكفونا المونة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا خ عن انس بن مالك
قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان يقطع لاخواننا
من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم بعدي اثرة بعدي وفي رواية ستلقون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان
الثاء والاول اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم
في الامر نصيب وقيل هو من اثر اذا اعطى اراد انه يستاثر عليكم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستيثار الانفراد
بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير
للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم
دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم
بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال
البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد
الله بن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القران
ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل
ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم
وقيل من لم ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح
اهلك من قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهالع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا
شديدا او يحزن على شيء يفوته او يخرج عن يده والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع
الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه النسائي قوله عز وجل والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين
والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيمة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا
وبغضا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الاية لان الله رتب المومنين على ثلاث منازل

المهاجرين

المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن في التابعين بهذه الصفة كان
خارجا من اقسام المومنين وليس له في فيء المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين
والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل وعن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه الله اخرجه الترمذي قال مالك بن انس من تنقص
احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه
الاية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى رءوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت
اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى
من خير اهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع
لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم
من الاهواء المضلة وروي عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر وروي
ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا
قال افمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد انك لست من الذين اتبعوهم باحسان قوله عز وجل الم تر
الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى يعني من بني قريظة والنضير وانما جعل المنافقين
اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا
احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني
المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا او وعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار يعني قدر وجود نصرهم ولو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين يعني بني النضير لا يصيرون ثم لا ينصرون صح
منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في صدورهم من الله اصل الرهبة والرهب
الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف
منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله جل جلاله لا يقاتلونكم يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون
لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدر باسهم بينهم شديد اي بعضهم
فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا
اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اعمالهم
مختلفة شهادتهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان المنافقين واراهم مخالف دين اليهود ذلك
بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال
امرهم يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع

وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان **ولهم عذاب اليم** اي في الاخرة ثم ضرب مثلا اخر للمنافقين
واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى **كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر** وذلك
ما روي عن عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين
سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه الله في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال
الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم
وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند
فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا
فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في
اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع فراى الابيض قايما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان
فلما راى ذلك من حاله تدبر في نفسه اي لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما
حاجتك قال الابيض حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة
فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان الله يجعل لك فيما للمومنين
نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين
يوما فلما انفتل بعدها راه قايما فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي
ان تاذن لي ان ارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فقام حولا يتعبد لا يفطر الا في كل اربعين
يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت
اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا
غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل من ذلك على برصيصا
امر شديد وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها
تدعو بهن فهو خير مما انت فيه يشفي الله بك السقيم ويعافي بك المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره
هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس يشغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى
علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جا
في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم اني لا اقوى
على جنيته ولكن ادلكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به
اجيب قال فانطلقوا اليه فسالوه ذلك فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل
ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
اسرايل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بني اسرايل
فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذي عرض
لها مارد لا يطلق ولكن ارشدكم الى من تثقون به يدعو لها عنده فاذا جا شيطانها دعا لها فاذا اعلم انها قد
عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بهذا وهو اعظم شانا من ذلك قال
فانطلقوا فابنوا صومعة الى جانب صومعته ولكن لزيقة صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها
في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا
صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فسالوه ووضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه

امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه
ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل
برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان
وقال له ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل حتى واقعها ولم يزل
على ذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها
وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقو عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل
فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته
واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه بها
فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جا شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا
وهم مكروبون جا الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال له ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها
في موضع كذا فقال هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث
فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال
الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط وانا والله قد رايت مثله فقال الاكبر وانا والله قد
رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني
فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان
طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم معهم الفوس والمساحي
فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان
اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله
وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك
الدعوات وكنت تدعو بهن فيستجيب لك ويحك ما اتقيت الله في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك
اعبد بني اسرايل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في ذلك الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك
وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرايك قال فكيف اصنع قال تطيعني في
خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال
افعل فسجد له قال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك **فلما كفر قال اني بريء**
منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى **فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين**
قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير من اهل مكة وذلك ان الله تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم باجلا بني النضير فدس المنافقون الى اليهود لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم
فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم
النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبروا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا
وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني اسرايل الا بالتقية
والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج الراهب ما كان
فلما براه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج

رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على
صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته قالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم
لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت
ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع
عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم
قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي
فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا
نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة
فارهة وشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم
لا تجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه
باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون سرقت زنيت وهي تقول حسبي
الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك
تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه
الامة وهم يضربونها ويقولون سرقت زنيت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم يا رب اجعلني مثلها فقال
ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت
اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري متفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المراة
وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي
يعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك
والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**
اي لينظر احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال اعملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والغد يوم القيمة وقربه على الناس
كان يوم القيمة ياتي غدا وكل ما هو آت فهو قريب **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** قيل كرر الامر بالتقوى تاكيدا
وقيل معنى الاول اتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا المنهيات **ولا تكونوا كالذين
نسوا الله** اي تركوا امر الله **فانساهم انفسهم** حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده **اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون** لما ارشد المومنين لما يصلحهم بقوله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي
اصحاب النار يعني الذين في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب
الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله عز وجل **لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله** قيل معناه ان الله لو جعل في الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه
القران لخشع اي تطامن وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق
من خشية الله وحذر من ان لا يودي حق الله تعالى في تعظيم القران والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر
والحكم كانه لا يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القران من المواعظ والامثال والوعد
والوعيد وتمييز الحق والباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه
اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا

يدل

يدل على انه تمثيل قوله **وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** اي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على
فساد قلوب هولاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القران بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى علم ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه
وعلم ما شاهدوه وعلموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والاخرة
هو الرحمن الرحيم اسمان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته
الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمان اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم
الاخرة لانه تعالى احسانه في الدنيا يعم المومن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمومنين **هو الله الذي
لا اله الا هو الملك** اي المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته **القدوس** اي الطاهر
من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته **السلام** اي الذي سلم من النقائص وكل افة تلحق الخلق فان
قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القران قلت
الفرق بينهما ان كونه قدوسا هو اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام اشارة
الى انه لا يطرا عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرا عليه شيء من ذلك فانه تزول سلامته
ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه **المومن** قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن
به من عذابه وقيل هو المصدق رسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما وعد
الكافرين من العذاب **المهيمن** قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم
على خلقه برزقه وانشد في معناه • الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر •
اي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين
والمومن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها •
• حتى احتوى بيتك المهيمن • من خندف علياء تحتها النطق •
وقيل المهيمن اسم من اسماء الله هو اعلم بتاويله وانشد •
• جل المهيمن عن صفات عبيده • ولقد تعالى عن عقول اولي النهى •
• راموا بزعمهم صفات مليكهم • والوصف يعجز عن مليك لا يرى •
العزيز الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر **الجبار** قال ابن عباس هو العظيم وجبروت
الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو
صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يقهر الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل
بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي
لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك **المتكبر** في صفة
الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له
الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس واما المتكبر في صفة الله
تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا المعنى قال في اخر الاية سبحان الله عما
يشركون كانه قيل ان بعض الناس قد يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة
والعزة والكبرياء فاذا اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته
فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر

عن ظلم عباده وقيل الكبر ذو الكبريا الامتناع وقيل ذو الكبريا وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي من
ادعا الكبرية لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الي
الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب للشي بالتدبير الي غيره البارئ المخترع المنشي للاعيان
من العدم الي الوجود المصور اي الذي يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات
التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبتدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ اي المنشي لما يريد
بخلقه فيظهره من العدم الي الوجود المصور اي لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى
التصوير التخطيط والتشكيك فاولا يكون خلقا ثم براءة ثم تصويرا وانما قدم لفظ الخالق على البارئ لان
ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات
له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات
من سورة الحشر من اخرها وكل الله به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات
شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله اعلم

تفسير سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة اية وثلثماية واربعون كلمة والف وخمسماية وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الاية ق عن علي بن ابي طالب قال بعثني رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه
منها قال فانطلقنا تتعادى خيلنا بنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي من
كتاب فقلنا لتخرجين او لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من
حاطب بن بلتعة الي ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا في قريش ملصقا ولم
اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابة يحمون بها اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك
من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا الي قوله سوا السبيل
روضة خاخ موضع بقرب حمرا الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المراة
المسافرة سميت بذلك للازمها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الاية في حاطب
بن بلتعة كما في الحديث وذلك ان سارة بنت مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جيت
قالت لا قال امهاجرة جيت قالت لا قال فما جابك قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي
وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب
مكة وكانت مغنية نايحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث عليها بنو عبد المطلب فاعطوها
نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزي فكتب معها الي اهل

مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الي اهل مكة وكتب في الكتاب من
حاطب بن ابي بلتعة الي اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل
جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا
والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الي المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها
فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت
بالله ما معها كتاب ففتشوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا
كذبنا وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها
وكانت قد خباته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال
نعم قال ما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم
منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الاول بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين
ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي
لا يغني عنهم شيا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول
الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع
على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اوليا يعني اصدقا وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي اسباب المحبة وقيل معناه تلقون
اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا بما جاكم من الحق يعني القرا[ن]
يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة ان تؤمنوا اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان
كنتم خرجتم هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي فلا تتخذوا
عدوي وعدوكم اوليا وقوله تسرون اليهم بالمودة بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي اظهرتم
بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقا المودة اليهم فقد ضل سوا السبيل اي اخطا طريق الهدى
ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويروكم يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسو اي بالضرب والقتل والشتم والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الي دينهم
كما كفروا والمعنى ان اعدا الله لا يخلصون المودة لاوليا الله لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم
انتم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم واولادكم التي
بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدايهم
فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذي عصيتم الله لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته
الجنة واهل معصيته النار والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم عليه
السلام يخاطب حاطبا والمومنين ويامرهم بالاقتدا بابراهيم عليه السلام والذين معه اي من اهل الايمان
اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا برا منكم جمع بري ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا ابدا حتى تومنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام واصحابه تبروا من قومهم وعادوهم بكفرهم فامر حاطبا والمومنين ان يتاسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه

لاستغفرن لك يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع اموره الا في استغفاره لابيه المشرك فلا تتاسوا به فان
ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له انه اقام على الكفر تبرا منه وما املك لك من الله من شيء
هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذابا لله ان عصيته واشركت به وانما وعده
بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعا ابراهيم عليه السلام ومن معه من المومنين ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق
وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هولا على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا
ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم اسوة حسنة اي اقتدا حسن لمن كان يرجوا
الله واليوم الاخر اي هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويتولى
الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المومنين بعداوة
الكفار عادى المومنون اقرباهم المشركين واظهروا لهم العداوة وعلم الله شدة وجل المومنين بذلك انزل الله
تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان
اسلم كثير منهم فصاروا لهم اوليا واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
بنت ابي سفيان ولان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم
رخص في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان
اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت
في اسما بنت ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا
وهي مشركة فقالت اسما لا اقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في
رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهى عن صلتهم
وبرهم فقال عز وجل انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات
مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه
وسلم انه لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك
وابى سهيل الا ذلك فكاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل
ابن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات مهاجرات وكانت ام كلثوم
بنت عقبة ابن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء اهلها يسالون النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما انزل الله فيهن اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن

بهذه

بهذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الى قوله غفور رحيم قالت عائشة فمن اقر بهذا الشرط منهن
قال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امراة قط في المبايعة
ما بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية
صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك
كتابا وختموه عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر
من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك اشترطت علينا
ان ترد من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات
مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج
ولا رغبة من ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت
فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا ايها
الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من
النسا بعد الامتحان ويعطي مهورهن ويرد من جاءه من الرجال واختلف العلما هل رد النسا في عقد الهدنة
لفظا او عموما فقيل كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه
وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهر العموم
لاشتماله على النسا مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم
الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بهن فان علمتموهن فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
لهم ولا هم يحلون لهن يعني اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مومنة لكافر واتوهم
يعني ازواجهن الكفار ما انفقوا اي عليهن من المهر الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن اي مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج
كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم
الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو
حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب
نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدون بها
فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة
مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت
عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت
روبية بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها
ففرق بينهما الاسلام فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبي وكانت زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم
واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسالوا ايها
المومنون ما انفقتم يعني ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها ممن
تزوجها منهم وليسالوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم

حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر به من اداء النفقات للمسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي فلحقن بهم مرتدة فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الى الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها من الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في رد مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسالة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي عن علي انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا اخيفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته للتقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة

قال ابن

قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربعمائة وسبع وخمسون امراة ولم يصافح في البيعة امراة فانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا يملكها واما تفسير الاية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به واد البنات الذي كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني لا تلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخاري (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن ابي اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نساء اسعدتنا في الجاهلية افنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي (م) عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن ابي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله عز وجل فبايعهن يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال ابو سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقه وانه رسول الله وكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يرجعوا يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاندوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله اعلم.

تفسير سورة الصف

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان
واحدى وعشرون كلمة وتسعماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل في سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن
سلام قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله
لعملناه فانزل الله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قال المفسرون
المومنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فابتلوا بذلك
يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر
الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم
احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن
وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمومنين وهم كاذبون
كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون معناه ان تعدوا من انفسكم شيا ثم لم
تفولوا به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون
عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه ببعض واحكم فليس فيه فرجة ولا
خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف والمعنى ان الله تعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت
البنا المرصوص قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل
يا قوم لم توذونني وقيل انهم كانوا يوذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر
على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني تؤذونني وانتم عالمون علما
قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يوذى فلما زاغوا عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ
الله قلوبهم اي اما لها عن الحق الى غيره والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق
خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم ايذا الرسل حتى ان اذاهم يودي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى واذ قال
عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم اي اني رسول ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة
مصدقا لما بين يدي من التوراة اي اني مقر ومعترف باحكام التوراة وبكتب الله وانبيايه جميعا ممن قد تقدم
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يصدق بالتوراة على مثل تصديقي عن ابي موسى قال امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول
الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو
داود عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني
قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار عن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا
من امة قال نعم امة احمد حكما علما ابرارا اتقيا كانهم من الفقه انبيا يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى
الله عنهم باليسير من العمل ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسة اسما انا
محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس
بعده نبي وقد سماه الله روفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان

الانبيا حمادون الله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبيا
كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل والمحاسن والاخلاق التي
يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى صلى الله عليه وسلم وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اقبح ظلما ممن بلغ افتراوه
ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به وهو يدعى الى الاسلام معنى
الاية اي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الذي له فيه السعادة
في الدارين فيجعل مكان اجابته افترا الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين والله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم يعني
ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القران هذا سحر والله متم نوره اي متم الحق ومظهره ومبلغه غايته وقال
ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين
الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم نزلت هذه الاية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم
يربحون فيها رضى الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى تومنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امرتكم به من الايمان والجهاد في سبيله
ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر
المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيله اي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزا الذي ذكر هو الفوز العظيم واخرى
تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر
من الله وفتح قريب قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر المومنين اي يا محمد بالنصر
في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
وكانوا اثني عشر رجلا اول من امن بعيسى وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه قوله عليه السلام حواري
الزبير فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة قال ابن عباس في زمن عيسى وذلك لما وقع تفرق قومه
ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله
فرفعه وهم المومنون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك قوله فايدنا الذين
امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق
محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم

تفسير سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة اية ومايه وثمانون كلمة وسبعماية وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب
وكانت امة امية لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي هو على ما خلق عليه كانه منسوب

الى امته رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا
لان نعته في كتب الانبيا النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى من الوحي
والحكمة ويكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلوا عليهم اياته اي التي
تبين رسالته وقيل اياته التي يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك
ويعلمهم الكتاب يعني القران وقيل الفرايض والحكمة وقيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المومنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا
صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة قيل اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية
عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة
الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل يا رسول الله من هولا الذين لم يلحقوا بنا
فلم يكلمه حتى ساله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هولا اخرجاه في الصحيحين وقيل
هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة لما يلحقوا بهم
اي لم يدركوهم ولكنهم جاوا بعدهم وقيل لما يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شان
الصحابة وهو العزيز الغالب الذي قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك
فضل الله يوتيه من يشا يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل
العظيم اي على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة
يعني اليهود كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل
ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم
سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم يشبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقولون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم
خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القران ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه
ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القران اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم هذا المثل
والمراد منه ذمهم فقال تعالى بيس مثل القوم اي بيس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم وما اتى به من ايات القران وقيل المراد من ايات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل
يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله وانبيايه قل اي يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم
بالموت ان كنتم صادقين يعني فيما زعمتم انكم ابنا الله واحباوه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه
لان الاخرة خير لاوليا الله من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر
والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار منه
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة واراد

بهذا

بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال خ عن السايب بن يزيد قال كان
النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود
قال كان يوذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد
وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية — قف على قوله واختلفوا
هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشيا فاجتمعت
فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوي قال
ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة
عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة
وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم مثل ذلك فلنجعل
يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم
العروبة ثم انزل الله في ذلك بعد كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن
زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت على اسعد بن زرارة قال لانه اول
من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال
اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اهل
السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين
لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام بقبا يوم الاثنين والثلاثا والاربعا يوم الخميس
واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم
ابن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب قوله
فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي انما المراد منه العمل وكان
عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا
الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالنية والقول والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا
الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتاول قوله فلما بلغ معه السعي فلما مشى
معه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة
وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية اذا اقيمت الصلاة فلا
تاتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة
فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام
وذروا البيع يعني البيع والشرا لان اسم البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشرا
عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا ذلكم
اي الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم تعلمون اي
مصالح انفسكم

فصل في فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها وفيه مسايل المسيلة الاولى

في فضلها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة

فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيها اخرج منها اذ في رواية لا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ق وعنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي
يسأل الله شيا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها ق وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما
قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما
قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا احرم الامام حضرت الملئكة
يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملئكة يكتبون الاول
فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاوا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل
الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن
الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن
مس الحصا فقد لغى قوله ومن مس الحصا فقد لغى معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام
فجعله كاللغو خ عن عبادة قال ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور
فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم
الجمعة فيه خلق ادم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي
مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت
في كل جمعة فقرا كعب التورية فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد
الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد
علمت اية ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكن علي وفي نسخة ولا تظن علي قال هي اخر
ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة فقلت وكيف يكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها قال عبد الله بن
سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال
ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطا والنسائي عن سلمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس
من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه
وبين الجمعة الاخرى عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
غسل واغتسل وبكر ومشى ولم يركب ودنى من الامام ولم يلغ واستمع كان بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها
وقيامها اخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل راسه
وجسده **المسئلة الثانية** في اثم تاركها عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعة او ليختمن الله على قلوبهم
ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

من ترك

من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي نحوه م عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت ان آمر رجلا ان يصلي بالناس ثم
احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم **المسئلة الثالثة** في تاكيد وجوبها قال العلما صلاة
الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ ذكر عاقل مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن
تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض
ولا جمعة على النسا بالاتفاق يدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك او امراة او صبي
او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق راى النبي صلى الله عليه وسلم وهو من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسمع منه شيا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الجمعة على من سمع الندا اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من اواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي
ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في
العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا الندا من موضع تقام فيه الجمعة
فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم
ندا مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون
من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب
الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة
اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد سوا كانت
القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن عبد الله بن عباس قال ان
اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من
البحرين وابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين **المسئلة الرابعة** في تركها للعذر وكل
من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل
على ذلك ما روي عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة
في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني
النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت ان اخرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض
والزلق اخرجه البخاري وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض
الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد
المسئلة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين وهو قول
ابي عبيد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل
من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنها
شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم والي والوالي غير شرط عند الشافعي
وقال علي بن ابي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الراي ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة
والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وابو حنيفة تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم والي وقال الحسن تنعقد

باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة
كالعبد والمسافر والمراة والصبي ولا تنعقد الا في موضع من البلد وبه قال مالك والشافعي وابو يوسف
وقال احمد تصح في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع المسئلة السادسة لا يجوز ان يسافر
الرجل يوم الجمعة قبل الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الراي ان يسافر بعد الزوال اذا
كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره
الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج وغزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا
يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد
الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك
قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي
وروي ان عمر راى رجلا عليه اهبة السفر سمعه يقول لولا ان اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان
الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرايط وسنن واداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية
والله اعلم قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض اي اذا فرغ من صلاة الجمعة
فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا امر اباحة
قال ابن عباس ان شيت فاخرج وان شيت فاقعد وان شيت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض
ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله
هو طلب العلم عن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال
اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين
واذكروا الله كثيرا اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل
باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قايما وقاعدا او مضطجعا
لعلكم تفلحون قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما عن جابر قال بينما
نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي
مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قايما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه
وفيه الا اثنى عشر رجلا منهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة
قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنى عشر رجلا انا فيهم وذكره في هذا الحديث حجة لمن يرى الجمعة باثني
عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد
وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة
جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة من زبيب وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه
وسلم يخطب فلما راوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا
رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم
حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان

يتقدم

يتقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزبيب وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة
ثم يضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان
يسلم ورسول الله قايم يصلي على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنى عشر رجلا
وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في المسجد فقالوا اثنى عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لولا هولاء لقد سومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وقيل
كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها اي تفرقوا
وذهبوا عنها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قايما اتفقوا على ان هذا
القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سيل ابن مسعود اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
قايما او قاعدا فقال اما تقرا وتركوك قايما قال العلما الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود
الظاهري هي مستحبة ويجب ان يخطب الامام قايما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة
واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين
واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه
الثلاث فرض في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرا في الاولى اية من القران ويدعو للمومنين في الثانية
فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه
لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة والسنة للامام
اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم على المستمع
دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد والامام يخطب خلافا لابي حنيفة ومالك وذكر
الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ق عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة قايما ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما تفعلون
الان م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر
الناس زاد في رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن
ابن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما م عن جابر بن سمرة قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود يقرا ايات من القران ويذكر
الناس عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد
الجذما اخرجه ابو داود والترمذي ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام
لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اجذم عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال
الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى والحق
بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا
نفسه ولا يضر الله شيا وفي رواية ان يونس سال ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسال ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه
ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر قال

كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي وعن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت عن نافع أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب بخروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلاة الجمعة فركعتان فيجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة فإن فقد شرط من هذه الشرائط الخمس يجب أن يصلي ظهرا ولا يجوز للإمام أن يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد أربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو انفض واحد قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو أنه إن بقي اثنان أتمها جمعة وقيل إن بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني إن انفضوا بعد ما صلى بهم الإمام ركعة أتمها جمعة وإن بقي وحده وإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعا وإن انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا خ عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبيد الله بن أبي رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى لنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية قال فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما م عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة أي ما عند الله من الثواب والأجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو والتجارة التي جاء بها دحية والله خير الرازقين يعني أن الله تعالى موجد الأرزاق وأهلها منه فاسألوه ومنه فاطلبوا والله أعلم

تفسير سورة المنافقون مدنية

وهي إحدى عشرة آية وثمانون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه قالوا نشهد إنك لرسول الله وتم الخبر

عندهم

عندهم ثم ابتدأ فقال تعالى والله يعلم إنك لرسوله أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك والله يشهد إن المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد إنك لرسول الله لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لأن حقيقة الإيمان أن يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه كذبا لأن قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا أيمانهم جنة أي سترا يستترون بها من القتل ويعني بأيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم إنهم لمنكم وقولهم نشهد إنك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث آثروا الكفر على الإيمان ذلك بأنهم آمنوا أي في الظاهر وذلك إذا رأوا المؤمنين أقروا بالإيمان ثم كفروا أي في السر وذلك إذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد إنهم لكاذبون فطبع على قلوبهم أي بالكفر فهم لا يفقهون أي الإيمان وقيل لا يتدبرون القرآن وإذا رأيتهم يعني المنافقين مثل عبد الله بن أبي تعجبك أجسامهم يعني أن لهم أجساما ومناظر حسنة وإن يقولوا تسمع لقولهم أي فتحسب أنه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي قوله كأنهم خشب مسندة أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة إلى الجدار وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم يعني أنهم لا يسمعون صوتا في العسكر بأن ينادي مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل لأنهم على وجل وخوف من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام على قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى هم العدو فاحذرهم يعني أنهم وإن كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لكم فاحذرهم أي لا تأمنهم على سرك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ينقلون إليهم أسرارك قاتلهم الله أي لعنهم الله أنى يؤفكون أي يصرفون عن الحق قوله تعالى وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ورأيتهم يصدون أي يعرضون عما دعوا إليه وهم مستكبرون أي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم أستغفرت لهم أي يا محمد أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين

ذكر القصة

في سبب نزول هذه الآية قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليه فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف من بني الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبي لجعال وإنك لهناك فقال جعال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا

وسلم الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
ثم اقبل على من حضره من قومه فقال لهم هذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما
والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم
حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه
وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب
فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن
آذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد
الله والله الذي انزل الكتاب عليك ما قلت شيا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا
عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ
ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان
زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول
الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بلغك ما
قال صاحبكم عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل
فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه منها ان شئت هو الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق
به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ
عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي بما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه
فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها احد ابر بوالديه مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني
نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومهم ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا
مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشتغل الناس من حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس
ثم راح بالناس حتى نزل على ما بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها
وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تخافوا فانها هبت لموت عظيم من العظما الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن
التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته الا يخبره الذي
ياتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني بقول
المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال

فجاوا

فجاوا بها من ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت
قد مات في ذلك اليوم وكان من عظما اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحيا فانزل الله عز وجل سورة
المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله صدقك واوفى باذنك ق عن زيد بن ارقم قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا
تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي
فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي
مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا روسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال رجالا احمل شي ق عن جابر
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من
المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري
يا آل الانصار وقال المهاجري يا آل المهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى
الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال
عبد الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال
عمر الا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان
يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما
فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد
الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبد الله
ابن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى اناخ على مجامع طرق
المدينة فلما جاءه عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا تدخلها ابدا
الا ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن
ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما
نزلت هذه السورة وبان كذب عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شدا د فاذهب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فلوى راسه وقال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني
ان اعطي زكاة المال فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا روسهم الاية ونزل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزاين السموات والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد احدا
شيا الا باذن الله ولا يمنعه الا بمشيته ولكن المنافقين لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون يقولون لين رجعنا الى المدينة يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز
منها الاذل فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته

على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المومنين نصر الله اياهم على عدوهم واعدايهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب الراي فلما نزلت هذه الايات في عبد الله بن ابي فلم يلبث الا اياما قلايل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى ان من شغله ماله وولده عن ذكر الله كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلايل الموت وتعاينه وعلاماته فيسال الرجعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي مالي وكن وقرا واكون من الصالحين اي المومنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين ويدل على هذا ان المومن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المومنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يود زكاته واطاق الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرا هذه الاية قال واكن من الصالحين اي احج وازكي ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها يعني انه تعالى لا يوخر من حضره الموت واجله وانقضت مدته والله خبير بما تعملون اي انه لو رد الى الدنيا واجيب الى ما سال لما حج ولا زكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل عملا من خير او شر والله اعلم

تفسير سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقيل هي مكية قيل الا ثلاث ايات من قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث ايات وهي ثمانية عشر اية والعدد مايتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشا تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشا لان اصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو وهو على كل شي قدير يعني انه سبحانه يفعل ما يشا كما يشا بلا ممانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بني ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مومنا وكافرا وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا ان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن ثم اختلفوا في تاويلها فروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مومن في العاقبة ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب ومنكم كافر بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مومن بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المومن وايمانه فعلا وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار واختياره بتقدير الله ومشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار

الكفر لان الله قدر ذلك وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضا وقد علم ان صورة الانسان احسن صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيمة يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ومعنى انه لا تخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شي عليم قوله عز وجل الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبا الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزا اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ذلك اي الذي نزل بهم من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم والله غني عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد قل بلى وربي لتبعثن اي يوم القيمة ثم لتنبؤن اي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير اي امر البعث والحساب يوم القيمة فامنوا بالله ورسوله لما ذكر ما حل بالامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله ورسوله ليلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا يعني القران سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيمة يجمع الله جل جلاله الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد المجازاة والتجارة وذلك اذا اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن فالمغبون من غبن في اهله ومنازله في الجنة وذلك لان لكل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا للظالم واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكر الله في حق الكافرين انهم انهم خسروا وغبنوا شراهم فقال سبحانه اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جا به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدرته وارادته ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضا الله وقدره واذنه يهد قلبه اي يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر عند

البلا والله بكل شيء عليم واطيعوا الله اي فيما امر واطيعوا الرسول اي فيما اجابه عن الله وما
امركم به فان توليتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله
الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال سوله رجال اسلموا من اهل مكة
وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على فراقكم فاطاعوهم
وتركوا الهجرة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا منذ افيهم اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر
فراى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه
عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامر الله بالعفو عنهم والصفح عنهم وقال عطا
ابن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو ابكوا عليه ورققوه
وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
ان يثبطوكم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله غفور رحيم انما
اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار وشغل عن الاخرة وقد يقع الانسان بسببهم في المظالم ومنع
الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا
المعاصي بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة
ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لان كلهم ليسوا باعدا ولم يذكر من في
قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود
يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال وولد
الا اشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن ابي بريدة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله العظيم
انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي
ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم
اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله
فيما يامركم به وينهاكم عنه وانفقوا من اموالكم في حق الله تعالى خيرا لانفسكم اي ما انفقتم في طاعة
الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا
القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس اي ان تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه
بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شا من الزيادة ويغفر لكم والله
شكور يعني يحب المتقربين اليه حليم اي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم صدق الله العظيم والله اعلم

تفسير سورة الطلاق مدنية

وهي

وهي ثنتي عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا نادى النبي صلى الله عليه ثم خاطب امته لانه المقدم
عليهم فاذا خوطب خوطب بالجمع لان امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك
فاضمر القول اذا طلقتم النسا اي اذا اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن
وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها
زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقران فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان
غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال الحيض
ق عن ابن عمر انه طلق امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها
فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وزاد في رواية كان عبد الله طلقها
تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه
طلق امراته وهي حايض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا
او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عزة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف
ترى في رجل طلق امراته حايضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حايض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرا النبي
صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن اي قبل عدتهن قيل اعلم ان الطلاق
في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان
شا طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة
بالاقرا فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض او الايسة بعد
ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال روية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة
في طلاق هولا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض
او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته
من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض
او في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر
بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر
الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولوا
ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب
تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا
بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم حتى لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون
بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله
عز وجل واحصوا العدة اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصا العدة لتفريق الطلاق
على الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقا زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى
واتقوا الله ربكم اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان

المسكن الذي طلقها فيه الزوج للزوج بملك واكرى وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان
يكتري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني
ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة
بان خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع
غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت
نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن
فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها
زوجها ان تخرج لجداد نخلها والبدوية اذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة تنتوي حيث
ينتوي اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله عز وجل الا ان ياتين
بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء
خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد ثم ترد الى منزلها يروى عن ذلك عن ابن
مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز
وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده
من الاحكام ومن يتعد حدود الله اي فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام فقد ظلم نفسه
اي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة
والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم
امكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق
اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال
الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق
من غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي قوله عز وجل فاذا بلغن
اجلهن اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن
حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم واشهدوا ذوي عدل منكم اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد على
الرجعة وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها
ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد
اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد
وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد
للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة فتنقضي العدة وتنكح زوجا اخر واقيموا الشهادة يعني ايها الشهود
لله طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ذلكم يوعظ
به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل معناه من يتق الله ويطلق للسنة
يجعل له مخرجا الى الرجعة قال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكى اليه ايضا الفاقة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما
هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال

غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له
مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع
الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الاية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا
هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس
وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني يثق بالله
فيما نابه كفاه الله ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ان الله بالغ امره اي منفذ امره وممضي
في خلقه ما قضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء من شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه وقال
مسروق في هذه الاية ان الله بالغ امره توكل عليه او لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته
ويعظم له اجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم قيل لما نزل والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض
والتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد
اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ان ارتبتم اي
شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغار اللائي
لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل من الآيسات
فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات
فتعتد ثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء
واليه ذهب الشافعي واصحاب الراي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة
اشهر وهذا قول مالك وقيل تتربص سنة وهو قول احمد وعدة الطلاق فاما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشرا سواء كانت
ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ق عن ابن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد
ابن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب
ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابن السنابل
ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك والله
ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين
امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني بانني قد حللت
حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى باسا
ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها الزوج حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من امره
يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والاخرة ذلك اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم اي لتعملوا
به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن يعني مطلقات نسائكم
من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة
وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن

يخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اي فيخرجن من عدتهن فصل
في حكم الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني
بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها
ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير
فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان
فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها
الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى
ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الراي وظاهر القران يدل على
انها لا تستحق الا ان تكون حاملا كقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن واما الدليل على
ذلك من السنة ما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غايب فارسل
اليها وكيله بشعير فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي
اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فاذنيني قالت فلما حللت ذكرت
له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك
لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه
مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في
بيت ابن ام مكتوم ولا حجة له فيه وروي عن عايشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف
على ناحيتها قال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمايها وكان في لسانها ذرابة
واما المعتدة عن وطي الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب وخيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان
كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها
النفقة وان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا
في سكناها وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشا وهو قول عمر وعثمان وعبد
الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحق واحتج من اوجب لها السكنى
بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تساله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا
كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة
فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت
حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه
القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة
اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو
داود والترمذي فمن قال بهذا قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله امكثي في بيتك
حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها اخرا استحبابا لا وجوبا قوله
عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن يعني على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن

وان

وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام وان لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه على ان حق
الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد واتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا
امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف
وبما هو الاحسن ولا يقصد الضرار وقيل المعروف ها هنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا
المراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاعة فابى الزوج ان يعطي
المراة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير
امه وذلك قوله فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي قدر غناه ومن قدر عليه
رزقه اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما اتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا
اي في النفقة الا ما اتاها اي من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة سيجعل
الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله عز وجل وكاين من قرية عتت اي عصت
وطغت والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله اي وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا اي
بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها بالكفر فجازاها النار وهو قوله وعذبناها عذابا
شديدا نكرا اي منكرا فظيعا وقيل في الاية تقديم وتاخير فجازاها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط
والسيف وساير انواع البلايا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا فذاقت وبال امرها اي
شدة امرها وجزاء كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدنيا والاخرة اعد الله لهم
عذابا شديدا يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران رسولا اي وارسل
اليكم رسولا يتلو عليكم ايات الله مبينات قرئ مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر
والنهي وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات
الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة
التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع
سموات يعني بعضها فوق بعض ومن الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي الى
خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره ينزل المطر ويخرج
النبات وياتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئته وينقله
من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمائه
وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله
قد احاط بكل شيء علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية وانه قادر على الانشا
بعد الافنا وكل الكاينات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله اعلم

تفسير سورة التحريم مدنية

وهي اثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا ان صح العدد فيه بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور
رحيم ذكر سبب نزولها ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب

العسل والحلوا وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة
بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها
عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك
لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول
لا فقولي له ما هذه الريح التي اجدها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح
فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وساقول ذلك وقوليه
انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت
ان ابادئه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت سودة يا رسول الله اكلت
مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله
العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت
يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت لها
اسكتي ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها
عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك
ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش
ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا زاد في
رواية تبتغي بذلك مرضات ازواجك شرح الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل الحلوا بالمد وهو كل شي حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا
في جملة الحلوا تنبيها على شرفه وترتيبه وهو من باب الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت
بالهمز اي اتفقت انا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها يا وراو وهو
صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز
وقيل العرفط نبات له ورق عرض يفرش على الارض له شوكة وثمرة شي خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط
من شجر العضاة وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان
يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه اكلت
نحله العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث
الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن
عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد
غاية وقال الاصيلي حديث حجاج وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا
عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث
قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه ان الشرب كان عند
حفصة قال القاضي عياض والصواب ان الشرب كان عند زينب بنت جحش ذكره محيي الدين النووي
في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي ايضا وقال المفسرون في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه في زيارة ابيها فاذن

لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة
وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت
امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة
منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس
بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة
الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه
امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف
ان لا يقربها عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطاها فلم تزل به
عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه
النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول هذه الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي
في غير الصحيحين ولم تات قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل
جيد صحيح غاية واما المفسر فقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل او ملك اليمين
على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه
حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال
تبتغي مرضات ازواجك اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اي غفر
لك التحريم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي بين واوجب الله لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهي ما ذكر
في سورة المائدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة والله مولاكم اي وليكم وناصركم
وهو العليم الحكيم فيما فرض من حكمه

فصل

اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو
بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال لها حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا
فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى
عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام حرمه على
نفسه فلا شي عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي
وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي اوضحهما انه يلزمه كفارة يمين والثاني لا شي عليه وانه
لغو لا يترتب عليه شي من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته
فلا يجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطاها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله
فلا كفارة عليه ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه ق عن ابن عباس قال اذا حرم الرجل امراته
فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله عز وجل واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها بذلك
وهو قوله لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي
اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه
حفصة اراد ان يترضاها فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في

ابي بكر وابيها عمر فلما نبات به اي اخبرت بذلك حفصة عايشة واظهره الله عليه اي اطلع
نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعايشة عرف بعضه قرى بتخفيف الرا بعض الذى فعلته
حفصة فغضب من افشا سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل
الخطاب خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره براجعتها
وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال
لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وقرى عرف بالتشديد ومعناه عرف
حفصة بعض ذكر الحديث واخبرها ببعض ما كان منها واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها
به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة
لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس فلما انباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله
عليه قالت يعني حفصة من انباك اي من اخبرك اني افشيت السر قال نباني العليم اي بما تكنه
الضماير الخبير بخفيات الامور قوله عز وجل ان تتوبا الى الله خاطب عايشة وحفصة اي من
التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذا له فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت
عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب
مارية وعن عبد الله بن عباس قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج وحججت
معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة حتى تبرز ثم اتاني فسكبت على
يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان
قال الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر عجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره
والله ما ساله عنه ولم يكتمه فقال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر
قريش قوما نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما يغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم
قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت
ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره
احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت تراجعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك
منكن وخسرت افتامن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي
قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه شيا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك
ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عايشة وكان لي جار
من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وياتيني بخبر الوحي وغيره
واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته
ثم اتى عشا فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ما ذا اجات غسان فقال لا بل
اعظم من ذلك واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه قلت قد خابت حفصة وخسرت
قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على

حفصة

حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل
في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك
له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم
غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت
فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال
قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت
فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكي على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت
اطلقت يا رسول الله نساك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله
وكنا معشر قريش نغلب النسا فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساوهم فطفق نساونا
يتعلمن من نسايهم فغضبت على امراتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما
تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن
اليوم الى الليل فقلت قد خاب من ذلك منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب الله لغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في
البيت فوالله ما رايت شيا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع
على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت
يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان
قد اقسم لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة من شدة موجدته
عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة قالت لما مضت تسع وعشرون
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا
شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية وكان
ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستامري
ابويك ثم قرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله
عظيما قالت عايشة قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه فقلت
افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة زاد في رواية ان عايشة قالت لا تخبر
نسايك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا متعنتا ولمسلم عن
ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النسا فان كنت طلقتهن
فان الله معك وملايكته وجبريل وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك وقال لما تكلمت واحمد الله
بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان
يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد
ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساه فاذن
له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه شح

يتعض قوله فعدلت معه بالاداوة اي فملت معه بالركوة فتبرز اي اتى البراز وهو المتسع من الارض
لقضاء الحاجة والعوالي جمع عالية وهي اماكن باعلى اراضي المدينة **قوله** ولا يغرنك ان كانت
جارتك يريد بها الضرة وهي عايشة اوسم منك اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول
هو ان ينزل الانسان مرة وينزل الاخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة **قوله** فاذا هو
متكي على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطا
سوى الحصير **قوله** وما رايت ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو
الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على
اذى النبي صلى الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اي وليه وناصره وجبريل اي وليه وناصره ايضا
وانما افرده وان كان داخلا في جملة الملايكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته وصالح المومنين
روى ابن مسعود وابي بن كعب وصالح المومنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المومنين الذين ليسوا
بمنافقين وقيل هم الانبيا والملايكة بعد ذلك اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المومنين ظهير اي
اعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصروه عسى ربه اي واجب من الله ان طلقكن يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال
مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى قانتات اي طايعات
وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل تايبات اي تاركات الذنوب لعنها عابدات اي كثيرات
العبادة سايحات اي صايمات وقيل مهاجرات وقيل يسيحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي
التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة
لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا
خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس اي بالانتهاء عما
نهاكم الله عنه والعمل بطاعته واهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم
بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانها اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا عليها مليكة
يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ فظاظ على اهل النار شداد يعني اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة
الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفون الله فيما
امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يومرون اي لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والانتقام من اعداء
الله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار
وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار
انما تجزون ما كنتم تعملون يعني اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا اي ذا نصح ينصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب
وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن
هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب
ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة
النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان
ومهاجرة سيي الاخلاء الاخوان **فصل** قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور

ولا يجوز تاخيرها سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله
تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها
والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان
فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق ادمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة
المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كانت
حق قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من
جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنوب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب
اهل السنة وقد تظاهرت دلايل الكتاب عليه والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر
ابن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله فاني
اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المومن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة
م عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا
وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون يعني اذا طفي
نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير تقدم تفسيره في قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبها
وحالا للذين كفروا امراة نوح واسمها واعلة وامراة لوط واسمها واهلة وقيل واسمها واعلة والهة
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف
وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما
وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امراة لوط
فكانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت لتعلم
قومها انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي
لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى
للصالحات والصالحات من النسا وانه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان
كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا
كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيا فقطع بهذه الاية طمع
من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين عايشة وحفصة وما فرط
منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا اخر يتضمن ان معصية الغير لا تضر فقال تعالى
وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون يعني اسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة

امنت به امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربع اوتاد والقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملئكة اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضا وانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني شركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعة ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها وكتبه يعني الشرايع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيايه وكتبه يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون اخرجه النووي والله اعلم

تفسير سورة تبارك مكية

وعددها ثلاثون اية وكلماتها ثلاثماية وثلاثون كلمة وحروفها الف وثلثماية وثلاث عشر حرفا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا فيه قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذي بيده الملك اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشا ويذل من يشا وهو على كل شي قديرا اي من الممكنات قديرا الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفنا وجعل الاخرة دار جزا وبقا وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشيا كانت في الابتدا في حكم الاموات كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه شي الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيا وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا لم يحصل له الثواب في الاخرة ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا

واورع من محارم الله واسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب اليه ورجع عن اساته قوله عز وجل الذي خلق سبع سموات طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وبين السما الى الحجب السبعة صحارى من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب اليك اي ينصرف اليك فيرجع البصر خاسيا اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى وهو حسير اي كليل منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السما الدنيا اي الادنى من الارض وهي التي تراها الناس بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسما وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله وجعلناها رجوما للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاوها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكوكب شعل نور يرمي بها الشيطان تلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ من النار وهي على حالها واعتدنا لهم اي واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم اي ما هو العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من الانس والجن عذاب جهنم وبيس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الما الكثير بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ اي من تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم خزنتها يعني سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسل ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا وقالوا لو كنا نسمع اي من الرسل ما جاوا به او نعقل اي نفهم منه قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا في اصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع من يعي ويعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم يعني معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما انزل الله من شي فسحقا اي بعدا لاصحاب السعير قوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم ولم يروه فيومنوا به خوفا من عذابه لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعني جزا اعمالهم واسروا قولكم او اجهروا به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لا يسمع اله محمد فاخبر الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك بقوله تعالى الا يعلم من خلق

مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف اي باستخراج ما
في الصدور الخبير بما فيها من السر والوسوسة قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الذلول
المنقاد من كل شي والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها فامشوا في مناكبها امر
اباحة وكذا قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن
عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ من التذلل وكلوا من رزقه اي
مما خلقه الله لكم في الارض واليه النشور اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال أامنتم
من في السماء قال ابن عباس يعني عقاب من في السما ان عصيتموه ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تقلبهم الى اسفل
وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذهب ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا
ذات حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون عند الموت في الاخرة كيف نذير اي انذاري اذا عاينتم العذاب ولقد
كذب الذين من قبلهم اي من كفار مكة وهم الامم الماضية فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اليس وجدوا
العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند
طيرانها ويقبضن اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بها جنوبهن بعد البسط ما يمسكهن اي في حال
القبض والبسط الا الرحمن والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو
الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها انه بكل شي بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية امن
هذا الذي هو جند لكم استفهام انكار اي لا جند لكم ينصركم اي يمنعكم من دون الرحمن اي من عذاب الله
قال ابن عباس اي من ينصركم مني اذا اردت عذابكم ان الكافرون الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان
العذاب لا ينزل بهم امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
اي المطر ان امسكه الله بل لجوا اي تمادوا في عتو اي تكبر ونفور اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر
والمومن فقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اي راكبا راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين
لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيمة اهدى
اي هو اهدى امن يمشي سويا اي قائما معتدلا لا يبصر الطريق على صراط اي وهو على صراط مستقيم يعني
المومن يمشي يوم القيمة سويا قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني
ان الله تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم
ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاشغلتموها في غير ما خلقت له فلهذا قال قليلا ما تشكرون
وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه
النعم الواهب لها قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم في الارض واليه تحشرون اي يوم القيمة والمعنى
ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا السوال يحتمل
وجهان احدهما انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني انه سوال عن يوم القيمة فاجاب الله عن ذلك
بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه
فلما راوه يعني العذاب في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب يوم بدر زلفة اي قريبا سيئت
وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم اي وقالت
لهم الخزنة هذا اي العذاب الذي كنتم به تدعون من الدعا اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل

من

من الدعوى اي تدعون انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ارايتم ان اهلكني الله ومن
معي اي من المومنين او رحمنا اي فابقانا واخر في اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع
لا محالة وقيل في معنى الاية قل ارايتم ان اهلكني الله اي فعذبني ومن معي او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع
ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم ويمنعكم من عذاب اليم وانتم
كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن امنا به وعليه
توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه وانتم كفرتم به فستعلمون اي عند معاينة العذاب من هو في
ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال
تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل يريد زمزم وقيل غيرها من المياه غورا اي غائرا ذاهبا
في الارض لا تناله الايدي ولا الدلا فمن ياتيكم بما معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي
والدلا وقال ابن عباس معين اي جار والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم
ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فمن ياتيكم بما معين
فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شي اصلا شريكا
في العبودية وهذا محال والله اعلم

تفسير سورة نون وتسمى القلم مكية

وهي اثنان وخمسون اية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وست وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم
فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض
فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفتخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قيل ان
اسم النون يهموت وقيل لبوثا وقيل لوثيا وعن علي بلهموث قال [illegible] الاحبار لما خلق الله
الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين
السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف
قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فاحدر الله ياقوتة
خضرا من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنيه
فاستقر عليها قدم الملك وقرون ذلك خارجة من اقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم
نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله عز وجل
صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان
لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على
ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا بما عليها
حرفان قال لها الجبار جل جلاله كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي
على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال
لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فوصلت
الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر
اليها وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان ن هو الدواة ومنه

قول الشاعر ⁙ اذا ما الشوق برح بي اليهم ⁙ القت النون بالدمع السجام ⁙
اراد بالنون الدواة عن ابن عباس ايضا ان ن حرف الرحمن اذا جمعت الر حم ن وقيل هو مفتاح اسمه
نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السما
والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة
فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما تجري الناس على امر قد فرغ منه وما يسطرون اي وما يكتب الحفظة
من اعمال بني ادم وقيل المراد القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون
به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون
وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك
بالنبوة والحكمة ونفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت
بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله تعالى كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل
والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم
محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين
في قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد عبس كواسب
لا يمن طعامها اي ما يقطع نصفه بذلك كلا با ضرية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب
المنة والقول الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترايهم عليك
اجرا عظيما دايما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله تعالى
والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال
بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة
عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة
وافعاله الحميدة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على
المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل
في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى
الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل
في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى
مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد
كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال
ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو
اداب القران سيلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال
قتادة هو ما كان ياتمر به من اوامر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي امرك
الله به في القران وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك

روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى بعثني لتمام مكارم

الاخلاق وتمام محاسن الافعال م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك
وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
المومن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم اخرجه ابو داود وعنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن عن ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شي اثقل في ميزان
المومن يوم القيمة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح وله عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا
يوم القيمة احاسنكم اخلاقا عن البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها
واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا ق عن انس قال خدمت
النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشي لم فعلت كذا وهلا فعلت
كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط
ولا حريرا ولا شيا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا قط كان
اطيب من عرق النبي صلى الله عليه وسلم خ عنه قال ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف
وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له اخرجه الترمذي
ق عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم
يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شي قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم بها م عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا
امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله ق عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة
عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد
مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ق احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير
ما فعل النغير النغير كان يلعب به النغير طاير صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار م عن الاسود
قال سالت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان يكون في
مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضى ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث
قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى
فستبصر اي يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بايكم المفتون قال ابن عباس
معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون وقيل في فريقك
ام في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله

وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية وهو العقل فاعلم
الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل فلا تطع المكذبين يعني مشركي
مكة وذلك انهم دعوه الى دين اباءه فنهاه الله عن ذلك ان يطيعهم ودوا لو تدهن فيدهنون
اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا
خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة
لهم فيفعلون مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر
فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل
مهين اي ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب
من الاول لان الانسان انما يكذب لاهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن
عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق هماز مشاء بنميم اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن والعيب
وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس مناع للخير اي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده
وعشيرته عن الاسلام يقول لين دخل واحد منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا معتد اي ظلوم يتعدى
الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم عتل اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السي الخلق وقيل هو الشديد
في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل هو الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن
في الميزان شعيرة يدفع الملك من اوليك سبعين الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم اي
مع ما وصفناه من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل قال ابن عباس
يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو
الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له
زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف
احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة
ان كان ذا مال وبنين قرئ على الخبر ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه
لماله وبنيه وقرئ ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل لان كان
ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي على الانف والمعنى نسود وجهه
فنجعل له علما يعرف به في الاخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف على الوجه وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف
وفعل ذلك به يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شيا لا يفارقه اي سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا
لا يفارقه كما ان السيمة لا تنمحي ولا يعفو اثرها وقد الحق الله بما ذكره من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا
ولا في الاخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله عز وجل انا بلوناهم
اي اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس في قوله تعالى انا
بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعا بفرسخين يطاه اهل
الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين
اذا صرموا نخلهم كل شي تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شي يخرج عن البساط
فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم

شي ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هولاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل
وان العيال لكثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل
المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس
ليصرمن نخلهم فذلك قوله عز وجل اذ اقسموا اي تحالفوا ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها مصبحين
اي اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين ولا يستثنون اي ولم
يقولوا ان شا الله وقيل ولا يستثنون شيا للمساكين من ثمر جنتهم فطاف عليها طايف من ربك
اي عذاب من ربك ولا يكون الطايف الا بالليل وهو قوله وهم نايمون وكان ذلك الطايف
نارا انزلت من السما فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت اي الجنة كالصريم اي كالليل الاسود
المظلم وقيل اي صرم منها الخير فليس فيها شي ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة
خزيمة فتنادوا اي فنادى بعضهم بعضا مصبحين يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم ان
كنتم صارمين اي قاطعين ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتشاورون
يقول بعضهم لبعض سرا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اي على قصد
ومنع وغضب وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب
من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم
وبينها احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي مخطيون الطريق اضللنا
مكان جنتنا وليست هذه جنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا
المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اي اعدلهم واعقلهم وافضلهم الم اقل لكم لولا تسبحون
اي هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثنا في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا
لانه تعظيم الله سبحانه واقرار بانه لا يقدر احد على شي الا بمشيته وعلى التفسير الثاني وان الاستثنا
بمعنى لا يتركون شيا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اي تتوبون وتستغفرون الله من
ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل ان كان استثناوهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله
وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على
انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا قالوا يا ويلنا نادوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي في منعنا حق الفقرا
والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع اباونا من قبل ثم رجعوا الى
انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغني ان
القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل
منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا
يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر بما اعد الله للمتقين
فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الاخرة ولما نزلت هذه الاية قال
المشركون انا نعطى في الاخرة افضل مما تعطون فقال الله تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين
يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جايز فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك
على سبيل الانكار والاستبعاد قال لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج

ام لكم كتاب اي نزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيمة اي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الي يوم القيمة ان لكم اي في ذلك العهد لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اي ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء يعني ما كانوا يجعلون لله شركا وانما اضاف الشركا اليهم لانهم هم جعلوها شركا لله وقيل يعني شركا شهدا يشهدون بصدق ما ادعوه فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعواهم يوم اي فلياتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق اي عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيمة تقول العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج فيه الي الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه اذا قام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسيل ابن عباس عن هذه الاية فقال اذا خفي عليكم شي من القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق ، وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير ، فاذا شمرت عن ساقها ، حربها ربيع فلا تسام ،

ومنها قول جرير ، الا رب ساهي الطرف من الزمات ، اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا ،

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد ق عن ابي سعيد الخدري ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في روية الله يوم القيمة الا كما تضارون في روية احدهما اذا كان يوم القيمة اذن موذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فماذا ينتظرون يتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه اية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقا نفسه الا اذن له بالسجود ولا يبقى من كان لم يسجد اتقا وريا الا جعل الله ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف

وكلاليب

وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا الحق من المومنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوا بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولا عتقا الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من ذلك فيقولون ربنا واي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه

فصل

في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرواية وما يتعلق بها فسياتي الكلام عليها في موضعها ان شا الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها وفي رواية ابي هريرة فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلما فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو مذهب معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نومن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله وعظمته سبحانه وتعالى مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شي وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن ساير صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين انها تاول على ما يليق بها على حسب موقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رويتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رويته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجي هنا عن الروية مجازا وقيل الاتيان

فعل من افعال الله سماه اتيانا وقيل ياتيهم الله اي يعرض مليكة قال القاضي عياض وهذا الوجه
اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات
الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر
لهم من صور مليكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المومنين فاذا
قال لهم هذا الملك وهذه الصورة انا ربكم راوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون
بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في
صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هذه الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم
على الصفة التي يعلمونه ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم روية له سبحانه
وتعالى لانهم يرونه لا يشبه شيا من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون
بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه والمجانسة
الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه
فيها اي علوها وهي صفته المعلومة للمومنين وهي انه لا يشبهه شي وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك
بالله شيا انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم راوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي
رواية البخاري يكشف ربنا عن ساقه فذكر هذه الرواية البيهقي في كتابه الاسما والصفات
قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي
تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح اليا وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل
المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال
نور عظيم يخرون له سجدا انفرد به روح ابن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز كثير دون في اسناده مجهول
ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك يوما يتجدد للمومنين عند روية الله تعالى من الفوايد والالطاف
قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المومنين من ظهور جماعة من المليكة على
خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة للمومنين خارجة عن الساق المعتادة
وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينيذ
نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الروية في هذا المقام يوم القيمة
غير الروية التي هي في الجنة لكرامة اوليا الله وانما هذه الروية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان
يسجد لله تعالى من تلقا نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من يسجد اتقاء وريا الا جعل الله
ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اي فقارة
واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون روسهم وقد تحول في صورته التي راوه
فيها اول مرة معناه ثم يرفعون روسهم وقد زال المانع لهم من رويته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا
وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر
الحا وقيل بضمها من حل يحل ومعناه وتقع الشفاعة ويوذن فيها قوله دحض مزلة اي تزلق فيه
الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشي وكلاليب جمع
كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك

عظيم

عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام
قسم يسلم فلا يناله شي اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكدش اي يلقى ويسقط في جهنم
وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ادق
من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمومنون على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون
يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المومنين الله تعالى يوم القيمة في الشفاعة
لاخوانهم الذين في النار وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من
خير ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شي زايد
على مجرد الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير شي زايد على الايمان لان
الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير هو زايد عليه من عمل صالح وذكر
خفي او عمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله ونية صادقة ومثقال الذرة
مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المومنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله
تعالى شفعت المليكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض
قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هولاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط فلم يعملوا
خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس له عنده الا مجرد الايمان ومعنى
قبض قبضة اي جمع جماعة قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما قوله فيلقيهم في نهر في افواه الجنة جمع
فوهة وهي اول النهر قوله فيخرجون كاللولو اي في الصفاء قوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه انه يعلق
في رقابهم اشيا من ذهب وغير ذلك يعرفون بها والله اعلم قوله سبحانه وتعالى ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصفيحة نحاس فلا يستطيعون
السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذلك ان المومنين يرفعون روسهم من السجود ووجوههم
اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل
حسرة وندامة وقد كانوا يدعون الى السجود يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة وهم
اصحا فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة
قوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بالقران وخل بيني وبينهم
ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك اياهم سنستدرجهم اي سناخذهم بالعذاب من حيث
لا يعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل في معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم
الاستغفار والتوبة وسمي هذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المومنين وهو في الحقيقة
سبب هلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجدد عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا
ان يعالجه بالاستغفار والتوبة وسمي هذا هو الاستدراج واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة وقيل
معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال
فيكون بمعنى الاستدراج المودي الى العذاب ام تسالهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون
المغرم الغرامة والمعنى اطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان
ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام
على سبيل الانكار فاصبر لحكم ربك اي اصبر لهم على اذاهم لقضا ربك قيل انه منسوخ باية السيف ولا

تكن اي في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يعني يونس بن متى اذ نادى ربه اي في بطن الحوت وهو
مكظوم اي مملوء غما لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح
في الفضاء من بطن الحوت على الارض وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب وقيل في الاية لولا نعمة
ربه للبث في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذه بالعراء بالنعمة اي بارضها وفضائها فان قلت
هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه ثلاثة اوجه احدها ان
كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات
الابرار سيات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله فاجتباه ربه
والفا للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين اي النبيين
قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا
النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت اليه قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت
العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل
والدرهم فاتينا من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل
يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه
فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فانزل وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه
ما يعجبه وقيل يصرعونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرات القران
نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني
يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القران وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون
ذلك اشد كراهة فيحدون النظر اليه بالبغضاء ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون
اذا سمعوه يقرا القران قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس
موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الاية ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته واذا استغسلتم فاغسلوا عن عبيد
الله بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي
لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث
جماهير العلما وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس
مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع
بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد عند مقابلة
هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر
سبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولا تقع الا على حسب ما قدرها
الله تعالى وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر الا بقدر الله وفيه صحة اثر العين وانها
قوية التصور اذا دفعها القدر والله تعالى اعلم باسرار كتابه

تفسير

تفسير سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون اية ومائتان وست وخمسون كلمة والف واربعمائة وثلاثون حرفا ع صحة
العدد بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحاقة يعني يوم القيمة سميت حاقة من الحق الثابت
يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على
الاعمال اي يجب وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التفخيم
لشانها والتهويل لها والمعنى اي شيء هي الحاقة وما ادراك ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها
ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف قدرت
حالها فهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيمة سميت قارعة
لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي وعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة
الحد في القوة وقيل الطاغية الرفقة التي عقروا الناقة فاهلكوا قوم ثمود بسببهم واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر الذي
هو فيها البرد فهي تحرق بشدة بردها عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها
سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم
بقوة ولا حيلة سخرها عليهم اي ارسلها عليهم وسلطها وفيه رد على من قال ان ذلك كان
بسبب اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين ان ذلك انما كان بقضائه
وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب سبع ليال وثمانية ايام ذات برد ورياح شديدة قال وهب
هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد شديد وسميت عجوزا لانها تاتي في
عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها حسوما اي متتابعة
ع دائمة ليس لها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع
حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها وقيل الحسم القطع
والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم تبق منهم احدا فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي
والايام صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية
الاجواف شبههم بجذوع النخل الساقطة ليس لها رؤوس فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية
قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم
في البحر ولم يبق منهم احد قوله عز وجل وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن قبله من
الامم الكافرة والمؤتفكات يعني قرى قوم لوط ويريد اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا
بخطيئتهم وهو قوله بالخاطئة اي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني
موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الامتين جميعا
فاخذهم اخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم انا لما
طغى الماء اي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو
الطوفان حملناكم في الجارية يعني حملنا اباكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية
اي السفينة التي تجري في الماء لنجعلها اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من اغراق قوم فرعون وقوم

نوح ونجاة من حملنا معه **لكم تذكرة** اي عبرة وموعظة **وتعيها** اي تحفظها **اذن واعية** اي حافظة
لما جا من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت واودعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون
عبرة وعظة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة يعني النفخة الاولى **وحملت الارض والجبال** اي رفعت من
اماكنها **فدكتا دكة واحدة** اي كسرتا ودقتا حتى صارتا هبا منبثا والضمير عايد الى الارض
والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين **فيومئذ وقعت الواقعة** اي قامت القيمة **وانشقت**
السما فهي يومئذ واهية اي ضعيفة لتشققها **والملك** يعني الملئكة **على ارجائها** يعني نواحيها
واقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملئكة على حافاتها حتى يامرهم الرب جل
جلاله فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها **ويحمل عرش ربك فوقهم** اي فوق روسهم يعني الحملة
يومئذ اي يوم القيمة **ثمانية** يعني ثمانية املاك وجا في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم
القيمة ايدهم باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سما الى
سما الاوعال يتوس الجبل وروي السدي عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة
ومنتهى علم الخلق على ارجائها اربعة من الملئكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد
ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارضين وروسهم تحت العرش وعن عروة
ابن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم
من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى
الله عليه وسلم امية بن الصلت في شي من الشعر •
• رجل وثور تحت رجل يمينه • والنسر للاخرى وليث مرصد •
فقال صلى الله عليه وسلم صدق **عن** جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث
عن ملك من ملئكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه
ابو داود باسناد صحيح غريب **عن** العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا
في البطحا في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذه السحاب قال والمزن قالوا والمزن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
كم بعد ما بين السما والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما واحدة
واما اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عددهن سبع سموات
كذلك ثم فوق السما السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين السما والارض واو كما بين سما الى سما
ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سما الى سما ثم فوق ذلك ظهورهن ذلك
وفوق العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السما الى السما والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي
وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني ادم شي وعن ابن مسعود ما بين السما والارض
مسيرة خمسماية عام وما بين كل سما وارض خمسماية عام وبصر كل سما وارض خمسماية عام وما
بين السما السابعة والكرسي خمسماية عام وما بين الكرسي والما خمسماية عام والعرش على الما والله
على العرش لا يخفى عليه شي من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن
مسعود

قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب **عن**
ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام ومن كعبه الى ركبته
مسيرة خمسماية عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسماية عام **وعن** عبد الله بن عمر
قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسماية عام وعن شهر بن حوشب
قال حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله
فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملئكة لا يعلم عددهن الا الله عز وجل **يومئذ تعرضون**
اي على الله للحساب **لا تخفى منكم خافية** اي تعرضون على الله تعالى للحساب لا تخفى خافية اي فعلة خافية
والمعنى ان الله تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شي منها وان عرضكم يوم القيمة عليه ليفيد المبالغة
والتهديد وقيل معناه لا تخفى منكم يوم القيمة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلايق فالمحسنون
يسرون بحسناتهم والمسيئون يحزنون باساتهم **وعن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند تطاير الصحف في
الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع
من ابي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاما**
من اوتي اي اعطي **كتابه بيمينه فيقول هاوم** اي تعالوا **اقروا كتابيه** والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور
وعلم انه من الناجين باعطا كتابه بيمينه واحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك
لاهله واقربايه **اني ظننت** اي علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام
العلم في العادات والاحكام **اني ملاق حسابيه** اي في الاخرة والمعنى اني كنت في الدنيا استيقن اني
احاسب في الاخرة **فهو في عيشة راضية** اي في حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وامن
العقاب **في جنة عالية** رفيعة **قطوفها دانية** اي ثمارها قريبة يتناولها من يشا قايما وقاعدا
ومضطجعا يقطفونها كيف شاوا **كلوا** اي يقال لهم كلوا **واشربوا هنيا بما اسلفتم** اي بما قدمتم لاخرتكم
من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** اي في الايام الماضية يريد ايام الدنيا **واما من اوتي كتابه**
بشماله قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف
ظهره ثم يعطى كتابه بها **فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه** وذلك لما نظر في كتابه وراى قبايح اعماله
مثبتة عليه تمنى انه لم يوت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح **ولم ادر ما حسابيه** اي لم ادر اي شي
حسابي لانه لا طايل له ولا حاصل له وانما كله عليه لا له **يا ليتها كانت القاضية** تمنى انه لم يبعث للحساب
والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت الفارغة من كل ما بعدها والقاطعة للحياة اي ما احيا
بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شي عنده اكره اليه من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة
ابشع وامر مما ذاقه من الموت **ما اغنى عني ماليه** اي لم يدفع عني يساري وما لي من العذاب شيا **هلك**
عني سلطانيه اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عني حجتي حين شهدت
على الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا
خذوه اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه **فغلوه** اي اجمعوا يديه الى عنقه **ثم الجحيم صلوه**
اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم في الدنيا **ثم في سلسلة** وهي حلق منتظم كل حلقة منها في حلقة

ذرعها اي مقدارها والذراع المقدر بالذراع من اليد او غيرها سبعون ذراعا قال ابن
عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك
وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم
اي ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة
مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السما الى الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت
الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ
قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الرصاص الحصا الصغار وقوله مثل هذه
واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضا
وقال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها قوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال ابن عباس
تدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره انه كان لا يومن بالله العظيم اي لا يصدق
بوحدانية الله وعظمته ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر
اهل بيته بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه
قال الحسن في هذه الاية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سايلا وعن بعضهم انه كان
يامر امراته بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف
الثاني بالاطعام فليس له اليوم هاهنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه ويشفع له ولا
طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل
هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان لا صلة
والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل
لا هاهنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القران قول
رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون
وبما لا ترون وتشاهدون اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم
بالدنيا والاخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون
يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملايكة
والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون النعم الباطنة وقيل ما تبصرون هو ما اظهره
الله من مكنون غيبه للملايكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلا
يطلع عليه احد من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول
كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول
كريم والاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان
قلت قد توجه هاهنا سوال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القران كلام الله فكيف
يصح اضافته الى الرسول قلت لما اضافه الى الله تعالى لانه هو المتكلم به وانما اضافه الى الرسول لانه
هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال
ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول الرسول المبلغ عن الله وفي الرسول ما يدل
على ذلك فاكتفى به من ان يقول عن الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر يعني ان القران ليس

يقول

بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تومنون اراد بالقليل نفي ايمانهم اصلا
والمعنى انكم لا تصدقون بان القران من عند الله تعالى ولا بقول كاهن اي ليس هو بقول رجل كاهن
ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا يتذكرون البتة تنزيل اي هو تنزيل يعني القران من
رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول
هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول علينا اي اختلق علينا محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشي
من عند نفسه لم نقله نحن فلم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا
منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ يمدح عرابة ملك
اليمن اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين لان قوة كل شي في ميامنه والمعنى لاخذنا
منه باليمين اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زايدة ومعنى الاية لاذللناه واهناه ثم
كفعل السلطان بمن يريد اهانته يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه واما خص اليمين بالذكر
لانها اشرف العضوين ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر
وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من
القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه
فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما
بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا
لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب
واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين اي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا
لا يتكلف الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا
عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو فعل واحد ردا على معناه وانه يعني القران وذلك
لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو
فقال تعالى لتذكرة اي لعظة للمتقين اي لمن اتقى عقاب الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه
وعيد لمن كذب بالقران وانه يعني القران لحسرة على الكافرين يعني يوم القيمة والمعنى انهم
يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين
لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اي نزه ربك العظيم واشكره
على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله اعلم

تفسير سورة المعارج مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون كلمة وسبعماية وتسع وعشرون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل سال سايل قرى بغير همز وفيه وجهان الاول انه لغة في السوال والثاني
انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرى سال سايل
بالهمز من السوال بعذاب قيل البا بمعنى عن اي عن عذاب واقع اي نازل وكاين وعلى من ينزل ولمن
ذلك العذاب فقال تعالى مجيبا لذلك السايل للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله
عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسالوه
فانزل الله عز وجل سال سايل بعذاب واقع اي هو للكافرين وقيل البا صلة ومعنى الاية دعى

داع وطلب كطالب عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين وهذا السايل هو النضر بن الحارث حين
دعى على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل به ما سال
فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سوا
طلبوه او لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة لان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه
عنهم دافع من الله اي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع
يدفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملئكة تعرج فيها وقيل ذي
الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملئكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان لافضاله
وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملئكة والروح يعني جبريل عليه السلام
وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملئكة لفضله وشرف منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملئكة
في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملئكة اليه اي الى الله عز
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني ادم
لما صعد من منتهى امر الله من فوق السما السابعة لما صعد في اقل من خمسين سنة والملك يقطع ذلك
في ساعة واحدة واقل من ذلك وذكروا ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش
مسافة خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيمة قال الحسن هو يوم القيمة
واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بينهم الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا
وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيمة
له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود اخر له ولو كان له اخر لكان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار
دون المومنين قال ابن عباس يوم القيمة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي
بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على
المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة
العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ الله عز وجل في مقدار
مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله عز وجل لو وليت حساب ذلك اليوم الملئكة
والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال
كان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله ٣
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سال سايل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة وقيل فيه تقديم وتاخير فاصبر اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا يعني لا جزع فيه وهذا
قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه يعني العذاب بعيدا اي غير كاين ونراه قريبا
اي كاينا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين
الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد
علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السما كالمهل اي كعكر الزيت وقيل كالفضة المذابة وتكون
الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذوات الوان احمر
وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته

الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا
منفوشا ثم تصير هبا منثورا ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى
لا يسال الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسال له الشفاعة او لا يسال
الاحسان ولا الرفق به لانه كان يساله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيمة يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيمة مخلوق من جن وانس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه
وقرابته فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من
النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه
وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فبسواد وجهه يود المجرم
اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب يوم القيمة ببنيه وصاحبته
اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقرباوه الاقربون التي تؤويه اي
تضمه ويأوي اليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك ملك الدنيا باسرها وكانت بيده ثم انه يفتدي بهم
جميعا ثم ينجيه اي ذلك الفدا من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شي ثم ابتدا فقال
تعالى انها لظى يعني النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار وسميت لظى لانها تتلظى
اي تلتهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع
الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم
دون العظام وقيل تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل الشوى المكارم خلقته
ومحاسن وجهه واطرافه تدعو يعني النار الى نفسها من ادبر اي عن الايمان وتولى اي عن الحق
فتقول الي يا مشرك الي يا منافق الي الي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح
ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله اي عذبك الله
وجمع فاوعى يعني وتدعو من جمع المال في الوعا ولم يود حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال
ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل له وقيل شحيحا بخيلا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع
شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا يعني انه اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان
خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقيل
المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال سبحانه الا المصلين
وهذا استثنا الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دايمون
يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرايض فان قلت كيف قال على صلاتهم دايمون ثم قال بعده على صلاتهم
يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادايها وان لا يتركوها في شي من الاوقات وان
لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها يرجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها
العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كالاشتغال بالوضو
وستر العورة وارتياد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه
عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا
يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها

وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الريا والسمعة وخوف ان لا يقبل منه
مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة يرجع الى
نفسها والمحافظة عليها راجع الى احوالها وصفاتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال
سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دايمون اهم الذين يصلون ابدا قال
لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم حق معلوم يعني
الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه
شيا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة للسايل يعني الذي يسال الناس والمحروم
يعني الفقير الممنوع عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون
بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزا يوم القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي
خايفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني ان الانسان لا يمكنه
القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير
من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجا وقوله عز وجل والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاوليك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة المومنون والذين
هم بشهاداتهم قايمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة
الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل
اراد بالشهادة الشهادة بان الله واحد لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على صلاتهم
يحافظون ثم ذكر ما اعد لهم فقال عز من قايل اوليك يعني من هذه صفته في جنات مكرمون قوله
عز وجل فما للذين كفروا اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم
ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه
وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون
عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه
وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة ايطمع كل امري اي رجل منهم ان يدخل
جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد
يكذبني كلا اي لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشيا المستقذرة من نطفة
ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشي واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة
ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة وروى البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز
وجل يا ابن ادم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين
وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة واخرجه
ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي
والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهايم بلا علم ولا عقل
فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه

وقيل

وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه وانا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم
وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم
بمن هو خير منكم فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
نسختها اية القتال فسر ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا يعني القبور سراعا
الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يعني الى شي منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرى نصب بضم النون
والصاد وهي الاصنام الذين كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون من
الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى اصنامهم ليستلموها خاشعة ابصارهم
اي ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم
القيمة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون كلمة وتسعماية وتسع وعشرون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان خوف قومك واحذرهم
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا
قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا به
شيا واتقوه اي وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوبقكم واطيعون اي فيما امركم به من عبادة الله
وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض
الذنوب ويوخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى اجالكم فلا يعاقبكم ان اجل الله اذا جا لا يوخر لو كنتم
تعلمون معناه يقول امنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جا لا يوخر لو كنتم
تعلمون قال الزمخشري ان قلت كيف قال ويوخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض
قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعماية فقيل
لهم امنوا يوخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا ينتهون اليه لا يتجاوزونه وهو الوقت
الاطول الى الالف ثم اخبر انه اذا جا ذلك الاجل لا يوخر كما يوخر هذا الوقت ولم تكن لهم حيلة فبادروا
في اوقات الامهال والتاخير عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعني نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا اي نفارا وادبارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي
ليومنوا بك فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم ليلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اي غطوا
وجوههم بثيابهم ليلا يروني واصروا اي على كفرهم واستكبروا اي عن الايمان استكبارا اي تكبرا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم الدعا
معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى
عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وذلك
ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت
اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم
ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك
الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن

الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال
طلبت الغيث بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثا
في تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها
بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد
الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم من الاستغفار واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا عن الحسن ان رجلا
اشتكى الجدب فقال له استغفر الله وشكا اخر اليه الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم
بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه
الاية قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا السماء ذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل
من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر اذا نزل
السماء بارض قوم فغلوا اخبث ما نزل السماء يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد
حال وقيل مدرارا متتابعا ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات
يعني بساتين ويجعل لكم انهارا وهذه الكلمة مما يميل طبع البشر اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن
عباس اي لا ترون لله عظمة وقيل معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف والوقار العظمة من
التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقوبة وقيل معناه ما لكم لا ترجون
في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني تارات حالا بعد حال نطفة
ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا
مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا يعني
بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم
وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا يعني مصباحا مضيا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب ان الشمس
والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس
ايضا والله انبتكم من الارض يعني انه اراد مبدا خلق ادم واصله خلقه من الارض والناس كلهم من
ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة
لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان
المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة
لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام
الاستدلال على كمال قدرة الله جل جلاله فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول
عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اي في الارض بعد الموت
ويخرجكم اي منها يوم البعث اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها لكم مبسوطة
تتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة قوله عز
وجل قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
يعني اتبع السفلة والفقرا القادة والرؤسا الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا
وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعني كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتشديد اشد في المبالغة
والماكرون هم الرؤسا والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش

السفلة

السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن
الهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب
وكذبوا رسله وقالوا يعني القادة للاتباع لا تذرن الهتكم اي لا تتركن عبادتها ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسما الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت
داخلة في جملة قوله ولا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هي اعظمها
عندهم قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا وكان لهم اتباع
يقتدون بهم وياخذون بعدهم باخذهم بالعبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان
ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين
من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدا عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسما
لانهم صوروها على صور اولئك القوم الصالحين من المسلمين عن ابن عباس قال صارت الاوثان
التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت
لهذيل واما يغوث فلمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما
نسر فكانت لحمير لال ذي الكلاع اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم
ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك
ونسخ العلم عبدت وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل
مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى
لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونايلة وهبل لاهل مكة ولذلك سمت
العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسما وقد اضلوا كثيرا اي ضل
بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبرا قوم نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا
يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان
قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعوا بمزيد الضلال وانما
بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن وقيل انما اراد بالضلال امر الدنيا وما يتعلق بها لا في امر الدين مما خطاياهم اغرقوا
اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من
جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفا تقتضي التعقيب في قوله اغرقوا
فادخلوا نارا فهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه
يبطل كونه للفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الاخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد
في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعني ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذي نزل
بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجي من
الدوران وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره
كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا
الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم
وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب

باربعين سنة وقيل بسبعين سنة والله لخبر نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا
عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم
قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعي على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه حين دعي على الكفار ادعى عليهم بسبب تاذيه فكان في ذلك الدعا عليهم كالانتقام
منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس او لانه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك
ابن متوشلخ واسم امه شمخي بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه
كافر وكان بينهما عشرة آباء ولمن دخل بيتي مؤمنا اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات
وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدا بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم المتصلين
به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا ولا تزد الظالمين
الا تبارا اي اهلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى فاهلكهم جميعا والله اعلم

تفسير سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية وقد ذكر انها مائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا بسم الله
الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن
فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح المتعلقة وزعموا انهم اسرع
اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا
بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر
وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات
وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام
مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون
الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع
الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة او شاقة يعجز البشر
عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام
متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وهذا قول المعتزلة
من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون
قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده
بنص الكتاب والسنة فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن
فاثبت ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه
عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب قالوا ما ذاك
الا من شي قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما
فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا

هذا

هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم
في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم
وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو
صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الي واما
حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجنا اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان
الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم
وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا
والاخرة والجنة ومن كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيها والنار مستقره وهذا الحديث
يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه واخرون الى انه كان لكن
زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام القرطبي والله اعلم
عكاظ سوق معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام
وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة ونخلة
واد من اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله تعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن ولتعلم قريش ان الجن
مع تمردهم لما سمعوا الذكر اي القران عرفوا اعجازه فامنوا به انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة
الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس بليغا اي ذا عجب من بلاغته وفصاحته يهدي
الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا
اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل
نصارى وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا
قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الاؤه ونعماؤه على
خلقه وقيل على ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس
به والله تعالى منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو ابليس على الله شططا
اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد في كل شي وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة
وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القران علمنا انهم قد كذبوا على الله تعالى في قوله
سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية
كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن
وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي
الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راع

غنم فلما انتصف الليل جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفها قومه فانزل الله على رسوله فزادوهم رهقا وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظما الجن سدنا الجن والانس والرهق في الكلام الاثم عند العرب وغشيان المحارم وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا لمسنا يعني يقول الجن لمسنا السما اي طلبنا بلوغ سما الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا يعني من الملائكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من السما مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض اي برمي الشهب ام اراد بهم ربهم رشدا ومعنى الاية لا ندري هل المقصود المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير وانا منا الصالحون اي الموصوفون المخلصون ومنا دون ذلك اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشي قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهوا مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهوا الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجية والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهوا فعلى هذا التفسير يكون معنى طرايق قددا اسنصير طرايق قددا ونوبيات للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة قبل نفسنا وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة وانا ظننا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في الارض اي لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا فلن نعجزه اين كنا وانا لما سمعنا الهدى امنا به اي لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا اي نقصانا من عمله وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه وانا منا المسلمون وهم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجايرون والعادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم حطبا يعني وقود النار يوم القيمة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الاية من لا يرى

لمومني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المومنين منهم قلت ليس فيما تمسك به دليل لان قوله فاوليك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعلم واعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا اخر والله تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اختلفوا في مرجع الضمير فقيل هو راجع الى الجن الذي تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القران على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القران ولم يسلموا لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى الخطاب بالانس فقال الله تعالى وان لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريق الحق والايمان والهدى فكانوا مومنين مطيعين لاسقيناهم ما غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الما الغدق مثلا لان الخير والرزق كله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الاية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام ومعنى طريقة الهدى والقول بان الاية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله عز وجل وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنايس والبيع التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المومنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضا التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضا التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره م عن العباس ابن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الاراب الاعضا ق عن ابن عباس قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضا وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر وكف الشعر عقصه وغرزه في اعلا الضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني يعبد الله ويقرا القران وذلك حين كان يصلي الفجر

ببطن نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن لما رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل هو الامر انما ادعوا ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا انما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي فيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ومن لم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيمة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيمة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا من الناس ثم استثنى فقال تعالى الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الرضا وادخل في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي تدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فيحمله على وقت وقوع القيمة فيكون المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله سبحانه بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل

فيخبر

فيخبر به وهو من اطلاع الله تعالى اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولم يبق طريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو مصدق للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله اعلم وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر البعض دالا على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الجن ان يسترقوا الوحي فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ اليه رسالة ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان اي ان الذين ارسلوا قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل قد بلغوا فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا يجب به الثواب واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله اعلم

تفسير سورة المزمل مكية

غير آيتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهي ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني حتى انس وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اي حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب لانه كان في اول الامر ومبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول فنودي يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اي قم نصف الليل او انقص منه قليلا الى الثلث او زد عليه اي على

النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرؤا ما تيسر منه قيل ليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلاة الخمس وثبتت فرضيته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القران قلت فقيام الليل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى قلت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراة حرفا حرفا اثره في اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تاكيدا في الامر به وانه لابد للقارى منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل والتفكر في حقايق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى وعظمته يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراة

فصل

خ عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بالرحمن ويمد بالرحيم عن ام سلمة وقد سالها يعلى بن مالك عن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراته فاذا هي تنعت قراة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النساي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراته ثم يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف على الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين وفي رواية ابي داود قالت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراته اية اية ق عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفاتحة فرجع في قراته ق عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال جا رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود اني لاعرف النظاير التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ الاسراع في القطع والمراد به هنا سرعة القراة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظاير جمع نظيرة وهي المثل والشبه عن عايشة قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم باية من القران اخرجه الترمذي وللنساي عن ابي

ذر نحوه وزاد والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقترئ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرءوه قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا القران وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة قوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى قصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فانه فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيل لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرايض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول رزين اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه كان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القران والوحي يجد له مشقة ق عن عايشة ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا م عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا انزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشيا الصلبة كالجرس ونحوه وقوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقولها ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد قوله عز وجل ان ناشئة الليل اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشا عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سالت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهو عبارة عن الامور التي تحدث وتنشا في الليل وقالت عايشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشا روي عن زين العابدين علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشا يقول هذا ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه هي اشد وطا قرى بكسر الواو مع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقري وطا بفتح الواو وسكون الطا اي اشد على المصلي واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هي اشد

وكما يقول هي اجدر ان تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى
يستيقظ وقيل اثبت في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل اشد وطا للصيام واسهل على المصلي من
ساعات النهار لا تنطلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد لان الليل افرغ
للقلب من النهار لما يعرض له في الليل من حوايج وموانع مثل النهار واسمع من الشيطان وابعد من الريا ونحو
قوله تعالى واقوم قيلا اي اصوب قراءة واصح قولا لهدو النهار وهدو الناس وسكون الاصوات وقيل
معناه ابين قولا بالقران والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد من الريا واكثر
بركة وابلغ في الثواب وادخل في القبول ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا
في حوايجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك افضل من الليل واذكر اسم
ربك اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال ابن عباس اخلص اليه
اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل اليه نفسك واقطعها عن كل شي سواه
وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في
العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل اي انقطع عن كل شي الا من عبادة
الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجر على مصدره قلت جا به تبتيلا تبتل
نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع ما يقاربه في المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه
تبتيلا ونحو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل لانه معنى تبتل بتل نفسك فجي به على معناه مراعاة لحق
الفواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه
تبتيلا وقيل انما عدل الى هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل
فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه
لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد
منه رب المشرق والمغرب يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك
من النصر على الاعدا واصبر على ما يقولون اي من التكذيب لك والاذى واهجرهم هجرا جميلا اي واعتزلهم
اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني ومن يكذبك
كذبك لا تهتم به فاني اكفيك هو اولي النعمة اي اصحاب التنعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين
وقيل نزلت في المطعمين ببدر ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل
اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ان لدينا اي عندنا في الاخرة انكالا يعني قيودا
عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد وجحيما وطعاما ذا غصة اي غير سائغ في الحلق لا ينزل
ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اي وجيعا يوم ترجف الارض والجبال اي تتزلزل
وتتحرك وهو يوم القيمة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا سائلا وهو الذي اذا اخذت منه شيا
تبعك ما بعده انا ارسلنا اليكم رسولا يعني يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا
عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن منكم ومن كفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه
السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم
اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى واذاه لانه رباه فعصى فرعون

الرسول

الرسول فاخذناه يعني فرعون اخذا وبيلا اي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف
بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيمة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف لكم بالتقوى
يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيمة وقيل معناه فكيف تتقون
العذاب يوم القيمة وباي شي تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في الدنيا
يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم
عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير
في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار
قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا
يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة
وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة
البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة
فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا ما يتعلق بمعنى الحديث قوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه
ميز اهل النار من اهل الجنة واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف هي الاثر في باطن عضد الحمار وقوله
اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيها البشارة العظيمة
لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم ثلث ثم الشطر فلها فائدة حسنة وهي ان ذلك اوقع في
نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطا الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتنا به ودوام ملاحظته
وفيه تكريرهم البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وفيه
تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها واما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة والحديث في قوله
تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه
وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في
القيمة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيمة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله
يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة ۞ ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول
وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل
ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والمشيب
السما منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا وان السما مع عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك
بغيرها وقيل تنشق لنزول الملئكة وقيل به اي بذلك المكان وقيل الها ترجع الى الرب سبحانه وتعالى
اي بامره وهيبته كان وعده مفعولا اي كائنا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اي ايات القران
تذكرة اي مواعظ يتذكر بها فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك

يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه وطايفة
من الذين معك يعني المومنين وكانوا يقومون معه الليل والله يقدر الليل والنهار يعني ان العالم
بمقادير الليل والنهار واجزايهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذي
تقومون من الليل [illegible] علم ان لن تحصوه يعني لن تطيقوا معرفة ذلك على الحقيقة وقيل قاموا
[illegible] الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا
يصيب ما امر به من القيام [illegible] ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم اي
فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم فاقرءوا ما تيسر من
القران فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء
الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب
والعشاء قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة الحمد واول اية من البقرة
ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان
الله تعالى يقول فاقرءوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات
الخمس وذلك في حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به
نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرءوا ما تيسر من القران دراسته وتحصيل حفظه وانه لا يعرض
للنسيان [illegible] وقيل القراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي باسناده
عن انس [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] خمسين اية في يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين
ومن قرا مائة اية كتب من القانتين ومن قرا مايتي اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرا خمسمائة اية
كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتاب الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين
اية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا عشر
ايات لم يكتب من الغافلين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم
اخبر انك تصوم الدهر وتقرا القران كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم
صوم داود وكان اعبد الناس واقرا القران في كل شهر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك
قال فاقراه في عشر قال قلت يا نبي الله اني اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر
الله سبحانه حكمة النسخ والتخفيف فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعني ان المريض يضعف عن التهجد
بالليل فخفف عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه واخرون يضربون في الارض يعني المسافرين للتجارة يبتغون
من فضل الله اي يطلبون من رزق الله بالربح في التجارة يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المسافر والمجاهد مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة
فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف عنه لاجل ضعفه ذلك روى عن ابن مسعود قال
ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة
الشهداء ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل
الله فاقرءوا ما تيسر منه اي من القران وانما اعاده للتاكيد واقيموا الصلاة يعني المفروضة واتوا الزكاة
اي الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف
وقيل يريد ساير الصدقات وذلك بان يخرجها عن احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا

للفقرا

للفقرا ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى بما يخرج والصرف الى المستحق وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي ثوابه واجره هو خيرا واعظم اجرا يعني ان الذي قدمتم
لانفسكم خيرا من الذي اخرتموه ولم تقدموه روى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا من احد الا ماله احب اليه
من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه
احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واستغفروا
الله اي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل ان الله غفور رحيم اي لجميع الذنوب والله اعلم

تفسير سورة المدثر مكية

قيل غير اية من اخرها وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المدثر عن يحيى بن كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن
عن اول ما نزل من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا باسم ربك قال ابو سلمة سالت جابرا
عن ذلك وقلت مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا ونظرت
عن شمالي فلم ار شيا ونظرت خلفي فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا فاتيت خديجة فقلت دثروني
فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر
نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل [illegible] اخرجاه من رواية
الزهري عن ابي سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في
حديثه فبينما انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحرا جالس
على كرسي بين السماء والارض فجثيت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل
يا ايها المدثر قم فانذر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجثيت منه حتى هويت الى الارض فجيت الى اهلي
وذكره وفيه قال ابو سلمة والرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على
ان سورة المدثر اول ما نزل من القران ويعارضه حديث عايشة المخرج في الصحيحين ايضا في بدء الوحي
وسياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي
خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده الحديث قلت الصواب
الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القران على الاطلاق اقرا باسم ربك الذي خلق كما صرح
به في حديث عايشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران فضعيف [illegible] وانما كان
نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله فاذا
الملك الذي جاءني بحرا ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب
ان اول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق واول ما
نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم قوله
فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة
الوحي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجثيت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة

مكسورة ثم تاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بتاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما فرعبت منه وفرقت
وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها
وقوله فصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه والله اعلم واما التفسير
فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمعنى يا ايها المدثر بثيابه لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر
بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا
قم فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم من عذاب ربك ان لم يومنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم
واشتغل بالانذار الذي تحملته وربك فكبر اي عظم ربك مما يقوله عبدة الاوثان وثيابك فطهر
فيه اربعة اوجه احدها ان يحمل لفظ الثياب والتطهير على حقيقتهما والثاني ان يحمل لفظ الثياب على
الحقيقة والتطهير على المجاز الثالث ان يحمل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان يحمل لفظ
الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك
ان المشركين كانوا لا يتنزهون عنها فامر الله ان يصون ثيابه من النجاسة وغيرها خلافا
للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك ان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم
على النجاسات ولان تطويل الثوب من الخيلاء والكبر والفخر والسنة في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب
وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال
وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة وشككت بالرمح الاصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم يعني نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب
والتطهير عن الجسد ... الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه
وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك
فطهر قال لا تلبسها على معصية ولا على غدر اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر … لبست ولا من غدرة اتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء انه طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب
والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال
الكرم في ثوبه والعفاف في ازاره وقيل من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى والرجز فاهجر يعني اترك
الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من
الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين
وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيا
لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد ان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك
وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قال الضحاك هما ربوان حلال وحرام فالحلال الهدية
يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيا
لمجازاة الدنيا اعط لله واردبه وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكبرن
عملك في عينيك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم
من امر الدين وتبلغهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك

اجرا

اجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم
عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على طاعته
واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت
امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء
لاجل الله فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل قيل هي النفخة الاولى
وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة وقيام القيامة يوم عسير اي شديد
على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمالهم وتسود وجوههم غير
يسير اي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير يغني عنه قلت فائدة التكرار التاكيد كقولك
انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المومنين بخلاف الكفار
فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المومنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا
اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
والمعنى ذرني واياه انا اكفيكه نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد
في قومه وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا ممتدا بعضه ببعض لا ينقطع وقيل هو ما يمد بالنماء كالزرع
والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة الاف دينار وقيل الف الف درهم وقال
ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة
وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر
وبنين شهودا اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب
وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن
الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد
من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجوا ان ازيد مالا وولدا وتمهيدا كلا اي لا افعل
ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك انه كان لآياتنا
عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان
منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذه بقلبه وينكرها بلسانه وهو اقبح
الكفر واخبثه سارهقه صعودا يعني ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري
قال الصعود جبل في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك
ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع
يده ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر ان يصعدها
لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها
في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من
خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب
في قلبه كلاما وهياه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله

تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير
قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يستمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال
والله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش
صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد
حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك
نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي
قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع
محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن
قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل
النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في
امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول في محمد والقران فقتل كيف قدر كرره للتاكيد
وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام ثم نظر اي في طلب ما يدفع به القران ويرده ثم عبس وبسر
اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شي يريده ثم ادبر اي اعرض عن الايمان واستكبر اي حين دعي اليه
فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويحكى عن السحرة ان هذا الا قول
البشر يعني يسارا وجبرا انه ياثره عنهما قال الله تعالى ساصليه اي سادخله سقر وهو اسم من
اسما جهنم وقيل احد دركاتها وما ادراك ما سقر اي وما اعلمك اي شي هي سقر وانما ذكره على سبيل
التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما بمعنى لا تتوك صد عني واعرض عني وقيل لا بد من الفرق
والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اوليك
شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموتون فيها ولا يحيون اي لا تبقي منهم فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما
احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لكل شي ملال وفترة الا جهنم ليس
لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود
قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم
حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية
عشر جاء في الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم
ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من
في جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن
عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة
عشر وانتم الدهم يعني الشجعان ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن

ابي

ابي الاسود كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني
واكفوني انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي
الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة يعني لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير
جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة وما جعلنا عدتهم اي عددهم
في القلة الا فتنة للذين كفروا اي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم تعرفهم لم لم
يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم تعرفهم كيف يتولى هذا العدد
القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بان افعال الله جل جلاله
لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد امر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة
في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد
يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب
عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بان الله جل جلاله يعطي
هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شي قدير
وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر ويزداد
الذين امنوا ايمانا يعني من امن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك ان العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من
غير سابقة دراسة وتعلم علموا ان ما حصل له ذلك الا بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب اي ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون يعني في عددهم
وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين
ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين
المرتابين من اهل الكفر والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون يعني
مشركي مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه
السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو كساير الاخبار
بالغيوب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على
وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان منهم من هو شاك ومنهم من هو قاطع
بالكذب ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شي اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه
استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا
له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله
وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال وما يعلم جنود
ربك الا هو قيل هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة
عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة ما يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كان ان

مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية وما هي يعني النار الا ذكرى
للبشر اي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل وما هي يعني آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس
يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي
اصحابه خزنة النار وقيل كلا بمعنى حقا والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى
اقبل تقول العرب دبرني فلان اذا جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضاء
وتبين وهذا قسم وجوابه قوله تعالى انها لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الكبر الامور العظام
وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية
نذيرا للبشر قيل يعني ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذيرا للبشر قال الحسن والله
ما انذر بشيء ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذيرا
فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم فانذر نذيرا للبشر فانذر لمن
شاء منكم ان يتقدم او يتأخر اي يتقدم في الخير والطاعة او يتأخر عنها فيقع في الشر والمعصية والمعنى
ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن او كفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور
على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل انها
المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله عز وجل
والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر قوله عز وجل كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة
في النار بكسبها ماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين يعني فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن
يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي
عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون
كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة
ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب انهم اطفال
المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم
الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اي يسألون المجرمين وعن حالهم فيقولون لهم
ما سلككم في سقر قوى هذا القول قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب
التي توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم
يقول المسؤولون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم في سقر اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال
توبيخ وتقريع قالوا يعني المجرمين لم نك من المصلين اي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم
نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين اي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء على
الاعمال وهو يوم القيمة حتى اتانا اليقين يعني الموت قال الله عز وجل فما تنفعهم شفاعة
الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى
في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الاية قال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل احد
دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان قال فيقول
ما تريد فيقول اما تذكر رجلا اسقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت فيقول نعم

فيشفع

فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول اتذكر
رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فما لهم
عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القرآن كأنهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي نافرة وقرئ
بالفتح اي منفرة مذعورة فرت يعني الحمر فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد
له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه ايضا القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه
فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وقيل القسورة لغط القوم
واصواتهم وقيل القسورة ظلمة الليل وقيل سواد اول الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر
الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت
من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسوله نؤمر فيه باتباعك
وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه ذنبه وكفارته
فأتنا بمثل ذلك كلا اي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون
الاخرة اي لا يخافون عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام
الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفى ذلك في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون
من باب التعنت كلا اي حقا انه يعني القرآن تذكرة يعني انه عظة عظيمة فمن شاء ذكره اي اتعظ به فانما
يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا
هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه
وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن
اتقاه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل
المغفرة قال الله جل جلاله انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطعي وليس بالقوي في الحديث
وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله اعلم

تفسير سورة القيمة مكية

وهي اربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيمة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظة لا فقيل ادخال
لا على القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم
اني افر قالوا وفائدتها توكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تزيد والله فيجوز حذفها لكنه
ابلغ في التوكيد اثباتها وقيل انها صلة كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط
الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه
انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى
الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة

بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا
فقال اقسم بيوم القيمة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى
في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لها فيكون الغرض تعظيم
المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشيا على اثبات هذا المطلوب فان
اثباته اظهر من ان يقسم عليه روى البغوي في تفسيره المعالم عن المغيرة بن شعبة قال
يقولون القيمة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت
قيامته وقد ضعف [illegible] على ان المراد القيمة الكبرى لسياق الاية في ذلك
وقوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السرا والضرا
وقيل اللوامة هي التي تلوم على الخير والشر وتندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم افعل وقيل
ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان
عملت شرا تقول يا ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه
ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل
هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيمة بسبب ترك التقوى وقيل هي
النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية
تلوم نفسها حين تعاين اهوال القيمة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة
بين يوم القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيمة
يظهر احوال النفوس اللوامة من الشقاوة او السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل
انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها
في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة كانه قال اقسم
بيوم القيمة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة
لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيمة والمقسم عليه هو يوم القيمة فيصير حاصله انه اقسم
بيوم القيمة على وقوع القيمة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا قسم
بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيمة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وجواب
القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان اي ايظن هذا
الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها الرياح
وطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر ببال هذا
الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن
ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اكفني جاري السو يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد حدثني متى تقوم الساعة يعني القيمة وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام
فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه بعد التفرق والبلى

فنجيبه

فنجيبه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفس
ولا يستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى
قادرين يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى
وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيا واحدا
كخف البعير او كحافر الحمار فلا ينتفع بها ولا يقدر على ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة
والخياطة وغيرها وقيل معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه
حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام
الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر
لانه اخر ما يتم به الخلق قوله عز وجل بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبل
من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول
سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على اشر احواله واسوا اعماله وقيل هو طول الامل يقول
اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب
واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسال ايان يوم القيمة اي متى يكون
يوم القيمة والمعنى ان الكافر يسال سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله عز وجل فاذا
برق البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما راى من العجايب التي كان يكذب بها في الدنيا
وقيل يبرق ابصار الكفار عند روية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجايب وبرق اي شق
عينه وفتحها من البريق وهو التلالو وخسف القمر اي اظلم وذهب ضووه وجمع الشمس والقمر
يعني اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل جمع بينهما في ذهاب وقيل يجمع بينهما في الضو
وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ
اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجا لهم يهربون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز
ولا ملجا ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجاوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون
به واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجات اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك الناس الب علينا
فيك ليس لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى الاية انه لا شي يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن
ولا جبل يوم القيمة يستترون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال
عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم
من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شا ادخله الجنة برحمته ومن شا ادخله النار بعدله ينبوا
الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيء
وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما تقدم من المعصية
واخر من الطاعة وقيل بما تقدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو
ما عمله في اول عمره وفي اخره وقيل بما تقدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان
على نفسه بصيرة اي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله
وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الها في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل
معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد

فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيمة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ق عن ابن عباس في قوله قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقراه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قراه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الاية التي في لا اقسم بيوم القيمة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك وتقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك ان علينا جمعه ان نجمعه في صدرك وقرانه ان تقراه ومعنى الاية لا تحرك بالقران لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به ان تاخذه ان علينا جمعه اي جمعه في صدرك وحفظك اياه وقرانه اي وقرانه عليك والمعنى سنقريك يا محمد بحيث تصير لا تنساه فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاتبع قراءته يعني لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها واجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل الوحي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لانه ليس هذا موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقراه كما اقراك جبريل وقيل اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه بلسانك وعلينا بيانه بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سال جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله عز وجل كلا اي حقا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة اي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة وجوه يومئذ ناضرة من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نورها وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الاية بالانتظار وقال

مجاهد

مجاهد تنتظر من ربها ما امرها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطا لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ايناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي فاذا قلت نظرت اليه لم تكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا اخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير فلم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الروية واما قوله انظر الى اتيه ثم اليك على معنى انوقع فضل الله ثم فضلك ويكون النظر بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لنفاة الروية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الاية بالروية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

فصل

في اثبات روية المومنين ربهم سبحانه وتعالى في الاخرة قال علماء اهل السنة روية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الاخرة وان المومنين يرون الله جل جلاله دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الامة والصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتهم مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة الى ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الروية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة في اثبات الروية فمنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال قد روي عن ابن عمر ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رويته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الروية بالروية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي ق عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في روية القمر ليلة البدر

قالوا لا يا رسول الله قال تضارون في رؤية الشمس وليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس
عنده في اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال
الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل
قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيمة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا
رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله
يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض
وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر
الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل ووجوه
يومئذ باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور
منها لما ادركها من الياس من رحمة الله وذلك حين يميز اهل الجنة واهل النار تظن اي
تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب
والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر وقيل معناه قبل الفاقرة
دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس
كناية من غير مذكور التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس
التراقي عن الاشفاء على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت
نفوسهم التراقي وقيل يعني قال من حضره من راق اي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به فيشفيه
ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من امر الله تعالى كانه التمسوا له الاطباء فلم يغنوا
عنه من قضاء الله شيا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض
من يرقى بروحه اذا اخرجت فيصعد بها املائكة الرحمة او ملائكة العذاب وظن اي يعني الذي بلغت
روحه التراقي انه الفراق يعني الخروج من الدنيا وفراق الاهل والمال والولد والتفت اي اجتمعت
الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل
شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه
وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام
الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا
في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع
وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي مرجع العباد
الى الله يسوقون اليه يوم القيمة ليفصل بينهم قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل لم
يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب
الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من التمطط اولى لك
فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه

ويل لك

ويل لك مرة بعد مرة وهو دعا عليه بان يليه ما يكره وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب
واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى
لك فاولى قال فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي
شيا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اسوأ قتلة
وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل
ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الاخرة
الم يك نطفة اي ماء قليلا من مني يمنى اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء مستقذر
ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان علقة بعد النطفة فخلق فسوى
اي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه اي من الانسان الزوجين
اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا اليس ذلك
اي الذي فعل هذا وانشأ الاشياء اول مرة بقادر على ان يحيي الموتى اي بقادر على اعادتهم بعد
الموت عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون
فانتهى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
ومن قرأ لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن
قرأ والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود وله عن موسى
ابن ابي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى
اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانسان مدنية

قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطا ابن يسار ومقاتل
وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا وباقيها مدني قال الحسن وعكرمة
وقيل ان المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الاية الى اخرها
مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون اية ومائتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتى اي قد اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام
حين من الدهر يعني مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به فلما رآه
اجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف به اي يدور حوله فلما رآه اجوف اي صاحب جوف وقيل
هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك اي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات
وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الاية ان
ادم بقي اربعين سنة طينا واربعين حمأ مسنونا واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة
وعشرين سنة لم يكن شيا مذكورا اي لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل
ان ينفخ فيه الروح كان شيا ولم يكن شيا مذكورا روي عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الاية لم يكن شيا مذكورا
فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان

جنس الانسان وثم بنو آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان فالانسان في الموضعين واحد فعلى
هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيئا مذكورا يعني انهم كانوا
نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام لم يذكروا ابتدى انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم من
نطفة اي من مني الرجل ومني المراة امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ما الرجل وما المراة
يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فما الرجل ابيض غليظ وما المراة اصفر رقيق فايهما علا على صاحبه
كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة وقيل
الامشاج اختلاف الوان النطفة نطفة الرجل بيضا ونطفة المراة صفرا وكل لونين اختلطا
فهو امشاج وقال ابن عباس هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت اي خلطت بدم
وهو دم الحيض فاذا حبلت المراة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظما ثم نكسوه لحما ثم ننشيه خلقا اخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة اخلاطا
من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة فعلى هذا يكون
التقدير من نطفة ذات امشاج نبتليه اي لنختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا قيل فيه
تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل
معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا
وهو السمع البصر وهما كنايتان عن الفهم والتميز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان
وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل الحق والباطل
والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم
السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب اما شاكرا
واما كفورا يعني اما موحدا طايعا لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل
التوحيد ليتميز شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الاية اما مومنا سعيدا واما
كافرا شقيا وقيل معناه الجزا يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا
معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين
ما لكل الفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى انا اعتدنا اي هيانا في جهنم للكافرين سلاسل
اي يشدون بها واغلالا اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا
من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يعني
المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في
الطاعة يشربون من كاس يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم
بالمسك فان قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم قلت قال اهل المعاني اراد كالكافور
في بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان
ذلك الشراب يمازجه ما هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم
فيما ياكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن
الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل عينا بدلا من الكافور
وقيل اعني عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اولياء الله يفجرونها تفجيرا اي يقودونها

الى حيث شاوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف
الله تعالى ثواب الابرار في الاخرة وصف اعمالهم في الدنيا التي استوجبوا بها الثواب والمعنى كانوا
في الدنيا يوفون بالنذر النذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات
من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف
الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا
من صدقة او صوم او صلاة او حج او عمرة تعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى
الله مريضي او قدم غايبي كان لله تعالى علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفا به خ عن عايشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصي
الله فلا يف بنذره وفي رواية فليطعه ولا يعصيه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنساي ق عن ابن عباس قال
استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه
فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الاية دليل على وجوب الوفا بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم
على ادا الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان
شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل السموات والارض وفي اولياء الله
واعدايه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وكورت الشمس والقمر
وفي الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شي على الارض من جبل وبنا والمعنى انهم يوفون
بالنذر وهم خايفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على
حبه اي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على
انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام
لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اي بحب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا
يقدر على الكسب ويتيما اي صغيرا وهو الذي لا اب له يكتسب له وينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون
من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان
اسراهم يومئذ من اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرا وان كانوا على غير ديننا ولانه
يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارات وقيل الاسير المملوك
وقيل الاسير المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عندكم عوان يعني
اسرا وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول الاية فقيل نزلت في رجل من
الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم
ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الاية فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت
في علي بن ابي طالب وذلك انه عمل ليهودي بشي من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه
واصلحوا منه شيا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فساله فاخرجوا ذلك الطعام اليه ثم عمل الثلث
الثاني فلما فرغ اتى يتيم فساله فاطعموه ذلك ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين
فساله فاطعموه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين
واليتيم والاسير لله تعالى واثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله اي لاجل وجه الله لا نريد منكم

جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك
منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان الى
الغير تارة تكون لاجل الله تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة
او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله لان فيهما شرك
وريا فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من
ربنا يوما يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم عبوسا وصف
اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته
وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض الوجوه
والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون
من الايام واطوله في البلا فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي الذي يخافونه ولقاهم نضرة اي
حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب معصيته
وقيل على الفقر والجوع مع الوفا بالنذر والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير
متكئين فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في
الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر عن ثعلب انه في لغة طي وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر ٥ قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضيا فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة منهم ظلال
اشجارها وذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي ياكلون من ثمارها قياما وقعودا
ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى اي حال ارادوا ويطاف عليهم بانية من فضة
واكواب قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قواريرا قوارير من فضة قال
اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفا القوارير وهو الزجاج والمعنى انية اهل الجنة من
فضة بيضا في صفا الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تبارك وتعالى
جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض اهل الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل
ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج
قدروها تقديرا اي قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة
والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ويسقون فيها اي في الجنة كاسا كان
مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل
يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاهل الجنة جميعهم وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يحبون جعل
الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع الا ترى العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال
المسيب في معناه فكان طعم الزنجبيل به اذاقته وسلافة الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب
وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح
المسك قال ابن عباس كلما ذكر الله تعالى في القران مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك
لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسلة منقادة لهم يصرفونها

حيث

حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم
ينبع من اصل العرش من جنة عدن الى ساير الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة
تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلما على ان سلسبيل صفة لا اسم ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اي في الخدمة وقيل مخلدون مقرطون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفايه واللؤلؤ اذا نثر على البساط كان احسن منه منظر
وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله عز وجل واذا رايت الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به ثم يعني الى الجنة رايت
نعيما اي لا يوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة في ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وقيل هو استيذان
الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عاليهم اي فوقهم ثياب سندس خضر وهو
مارق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار والاقذار لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا
وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم
بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم
اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين على باب الجنة
من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لاهل الجنة
بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم
باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المومنين انه قد اعده لهم في الاخرة وكان سعيكم مشكورا
اي شكرتكم عليه واثبتكم افضل فيه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده وهو رضاه عنهم بالقليل
من الطاعات واعطاه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك يا محمد القران
تنزيلا قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القران
متفرقا فالحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شي بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر ليزول تلك الوحشة
التي حصلت له من قول الكفار انه سحر وكهانة فاصبر لحكم ربك اي الصادر عن حكمة محضة وقيل معناه
فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر في كل ما حكم الله به
سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق
وغير ذلك ولا تطع منهم آثما او كفورا يعني وكفورا وقيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل اراد بالاثم
عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت
ما صنعت لاجل النسا والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك
بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الاية
فان قلت هل من فرق بين الاثم والكفور قلت نعم الاثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت
والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان

لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من الذكر الصلاة
والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد
له يعني صلاة المغرب والعشا فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس وسبحه ليلا طويلا
يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر باللسان والمقصود
ان يكون ذاكر الله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه ولسانه قوله عز وجل ان هولاء يعني كفار
مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا يعني
شديدا وهو يوم القيمة والمعنى انهم يتركونه فلا يومنون به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا
اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل
الاسر مجرى البول والغايط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلنا بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير
وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه
مما يتمسك بها القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار
العبد ومشيته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاؤن
الا ان يشاء الله اي لستم تشاؤن الا بمشية الله تعالى لان الامر اليه ومشية الله مستلزمة لفعل
العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشية الله جل جلاله وتعالى اعلاه وشانه ان الله كان عليما
اي باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه
وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة
بسبب مشية الله جل جلاله وتعالى علاوه وشانه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق والظالمين
يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم

تفسير سورة المرسلات مكية

وهي خمسون اية ومائتان وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
عذرا او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد باسرها الرياح
ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا
يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها
نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح تنشر السحاب وتاتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق
السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار
وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف في قلوب العباد فيلجاوا الى الله تعالى ويذكروه
فصارت تلك الرياح كانها هي القت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني
ان المراد باسرها الملئكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا هم الملئكة الذين ارسلوا
بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملئكة تعصف
في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا
اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيمة فالفارقات فرقا قال ابن

عباس يعني الملئكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني الملئكة تلقي الذكر الى
الانبيا وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران خاصة فعلى هذا يكون الملقي جبريل وحده
وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث ان المراد باسرها ايات القران ومعنى
المرسلات عرفا ايات القران المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات
عصفا يعني ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات
نشرا يعني ان ايات القران تنشر انوار الهداية والمعرفة في قلوب المومنين فالفارقات فرقا يعني ان
ايات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني ان ايات القران هي الذكر الحكيم التي تلقي
الايمان والنور في قلوب المومنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيا واحدا
بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملئكة فان قلت وما المجانسة بين
الرياح والملئكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملئكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة
حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم عذرا او نذرا
اي للاعذار والانذار وقيل عذرا من الله او نذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله
تعالى انما توعدون اي من امر الساعة ومجيئها لواقع اي لكاين نازل لا محالة وقيل معناه انما توعدون
به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل محقت
واذا السما فرجت اي شقت وقيل فتحت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اماكنها واذا الرسل
اقتت وقرى وقتت بالواو ومعناهما واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة ليشهدوا
على الامم لاي يوم اجلت اي اخرت وضرب الاجل لجميعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى
جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى ليوم
الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلايق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى
وما ادراك ما يوم الفصل اي وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ويل يومئذ للمكذبين اي
بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب وقوله تعالى الم نهلك الاولين يعني الامم الماضية
بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ثم نتبعهم الاخرين يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب
وهم كفار قريش اي نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم كذلك نفعل بالمجرمين اي انما نفعل بهم
ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه في قرار
مكين يعني الرحم الى قدر معلوم يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا قرى
بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اي المقدرون له وقرى بالتخفيف
من القدرة اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شينا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة
وهيئة ويل يومئذ للمكذبين اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتدا قادر على الاعادة الم نجعل
الارض كفاتا يعني وعاء ومنزلا لضم والجمع احياء وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم
ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها في قبورهم ولهذا تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم
ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني
عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله

عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال يوم القيمة للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى
ما كنتم به تكذبون وتنوا العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان
جهنم اذا سطع وارتفع التشعب وانفرق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم فيقال لهم كونوا
فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب
ثلاث شعب على روسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل اي ذلك الظل لا يظلهم ولا يغني من اللهب
اي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني
جهنم ترمي بشرر جمع شررة وهي ما تطاير من النار كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي اصول
الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب
العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتا
وكنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها
الى بعض حتى يكون كاوساط الرجال صفر جمع اصفر يعني الوان تلك الشرار وانشد لبعضهم

٭ دعتهم باعلى صوتها ورمتهم ٭ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى ٭

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمي
الابل صفرا لانه يشوب سوادها شي من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع
كانه شي مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون يعني
بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيمة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها
يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون عطف على يوذن
واختير ذلك لان روس الاي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق
الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقران نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى
لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد
توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار
في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يوذن لهم في
ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعني انها تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من
الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين هذا
يوم الفصل يعني بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والحكم جمعناكم
والاولين يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون
اي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع
وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين
اي الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اي في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون
اي يتلذذون بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله
تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملئكة على سبيل الاكرام هنيا اي خالص
اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين
قيل المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين

لفازوا

لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل
كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى اجالكم وهذا وان كان
في ظاهر اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون
للعقاب لا جرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل
لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن
عباس انما يقال لهم هذا يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين
فباي حديث بعده يومنون اي بعد القران اذا لم يومنوا به فباي شي يومنون والله اعلم

٭ تفسير سورة النبا مكية ٭

وهي اربعون اية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون عن اي شي يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام
ومعناه التفخيم كقولك اي شي زيد اذا اعظمت شانه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلى عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول
بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ثم ذكر عن ماذا تساءلهم فقال تعالى عن النبا العظيم اي عن الخبر
العظيم الشان قال الاكثرون هو القران وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه
شعر او سحر او كهانة ونحو ذلك مما قالوه في القران ومن فسر النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم
فيه فمن مصدق به وهم المومنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القران كلا هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى
ليس الامر كما قالوا سيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعني يوم القيمة ثم كلا سيعلمون
وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون
يعني المومنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشيا من عجايب صنايعه ليستدلوا بذلك على توحيده
ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنايه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب
والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال
اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا يعني اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا
اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله
ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال
وجعلنا الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل شي بظلمته ولهذا يسمى الليل لباسا على وجه المجاز
ووجه النعمة في ذلك ستر الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو
ذلك وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون
به من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني سبع سموات محكمة البنا
يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الازمان الى ان ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا
يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور
والحرارة وانزلنا من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي

الرياح ذوات الاعاصير وعلى المعنى تكون من بمعنى البا اي وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح
تستدر بالمطر وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى وعن ابن عباس قيل المعصرات السحاب التي تتحلب
بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر
ينزل من السما الى السحاب ماء ثجاجا اي صبا بامدرار متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث
افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دما الهدي لنخرج به اي بذلك الما حبا اي
ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اي ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكل منه الانعام وجنات
الفافا اي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتدا الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى
ان يوم الفصل اي الحساب كان ميقاتا اي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع
فيه الخلائق ليقضي بينهم يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخرة فتاتون افواجا يعني زمرا
زمرا من كل مكان للحساب وفتحت السما فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب لنزول الملئكة
وقيل تنحل وتتشقق حتى يصير فيها ابوابا وطرقا وسيرت الجبال اي عن وجه الارض فكانت سرابا
اي هبا منبثا كالسراب في عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة
حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسال العبد عند اولها عن شهادة
ان لا اله الا الله فان جا بها تامة جاز الى الثاني فيسال عن الصلاة فان جا بها تامة جاز الى
الثالث فيسال عن الزكاة فان جا بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جا بها تامة
جاز الى الخامس فيسال عن الحج فان جا بها تامة جاز الى السادس فيسال عن العمرة فان جا بها
تامة جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل
به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشي
ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار
اي تنتظرهم للطاغين اي الكافرين مابا اي مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اي في جهنم احقابا
جمع حقب والحقب ثمانون سنة كل سنة اثنى عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى
ذلك عن علي بن ابي طالب وقيل الحقب الواحد سبع عشر الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت
فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناهي فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها احدها
ما روي عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله
ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل اخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروي عن عبد الله
ابن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة
انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية
والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها اي في تلك الاحقاب
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم
فيها الوجه الثالث ان الاية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود
قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة وقيل لا يذوقون
بردا ينفعهم ولا شرابا اي يغنيهم من عطش الا حميما وغساقا اي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر
المذاب وقيل الما الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده

وقيل

وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جزيناهم جزاء وافق اعمالهم ووافق العذاب الذنب فلا ذنب
اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى
انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون وكذبوا باياتنا كذابا اي بما جاءت بها الانبيا وقيل
كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفرا هي لغة يمانية فصيحة
يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سالني اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام
القصار يريد التقصير وكل شي اي من الاعمال احصيناه اي بيناه واثبتناه كتابا اي في كتاب وهو
اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شي علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالمون بجميع
ما فعلوه من خير او شر وانا نجزيهم على قدر افعالهم جزاء وفاقا فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا قيل هذه الاية اشد اية في القران على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب
اغيثوا باشد منه قوله عز وجل ان للمتقين مفازا اي فوزا اي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه
من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل
لهم من النعيم ثم فسره فقال حدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون واعنابا
يدل على تعظيم ذلك العنب وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا يعني مستويات
في السن وكاسا دهاقا قال ابن عباس مملوة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها
اي في الجنة وقيل في حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم لغوا يعني باطلا من
الكلام ولا كذابا اي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به جزاء من ربك عطاء
حسابا اي جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر
اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان يكلموا
الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا لا يملكون شفاعة الا باذنه يوم اي في ذلك اليوم يقوم
الروح والملئكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملئكة ما خلق الله
مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقامت الملئكة كلهم صفا واحدا فيكون
من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو في السما
الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجي يوم القيمة صفا وحده
وقيل الروح خلق على صور بني ادم وليسوا بناس يقومون صفا والملئكة صفا هولا جند وهولا جند
وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وعنه
انهم بنو ادم يقومون صفا والملئكة صفا قيل يقومون سماطين سماط من الروح وسماط من الملئكة
لا يتكلمون يعني الخلق كلهم اجلالا لهيبة الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ومن هول ذلك اليوم
الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل لا اله الا الله وقيل
الاستثنا يرجع الى الروح والملئكة ومعنى الاية لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن له في الشفاعة
وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ذلك اليوم الحق اي الكائن
الواقع لا محالة وهو يوم القيمة فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله
وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا عذابا قريبا اي في الاخرة وكل ما هو ات قريب
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي من خير او من شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيمة ويقول

الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر
الدواب والبهايم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجما من الشاة القرنا
نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقيل يقول الله عز وجل للبهايم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين ايام
حياتكم فارجعوا الى ما كنتم كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا في
الدنيا في صورة هذه البهايم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار قيل لساير الامم سوى الناس ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فحينيذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به على المومنين
من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله من الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا
وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من
نار فاذا راى يوم القيمة وما فيه ادم وبنوه المومنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة
والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي
والله اعلم

تفسير سورة النازعات مكية

وهي ست وقيل خمس واربعون اية ومايه وسبع وتسعون كلمة وسبعمايه وثلاثة وخمسون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا اختلف عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشي واحد
ام لاشيا مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله فالمدبرات امرا وصف لشي واحد وهم
الملايكة الوجه الاول في قوله والنازعات غرقا يعني الملايكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم
كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي والنازعات اغراقا وقال ابن
مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل
فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما والناشطات نشطا الملايكة تنشط نفس المومن اي تحلها حلا رفيقا
فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان
بينهما فرق فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملايكة يقبضون
ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الما يتحرك
فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة ينزلون من السما مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال
له سابح فالسابقات سبقا يعني الملايكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة تسبق
بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد
فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج
عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت وقال علي بن ابي
طالب هي ارواح الكفار تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات
سبحا يعني ارواح المومنين حتى تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة
الوجه الثالث في قوله والنازعات غرقا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب والسابحات
سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها

بعضا

بعضا في السير الوجه الرابع في قوله والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها وتغرق في
عرفها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات سبحا في جريها وهي السابقات
سبقا لاستباقها الى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها
في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اي السهام في الرمي والسابحات سبحا
والسابقات يعني الخيل والابل حين يخرجونها اصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس المراد
بهذه الكلمات شيا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حين يبلغ بها
الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا
يعني السفن والسابقات سبقا يعني سابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعات اما قوله فالمدبرات
امرا فاجمعوا على انهم الملايكة قال ابن عباس هم الملايكة وكلوا باموره عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال
عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت واسمه
عزرايل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت
فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام اقسم الله
بهذه الاشيا لشرفها ولله ان يقسم بما يشا من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب
القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله
قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شي ويموت منها
جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة
هما صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل
الارض والجبال والرادفة تشقق السما وقيل الراجفة القيمة والرادفة البعث يوم القيمة روى
البغوي بسند الثعلبي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل
قام وقال ايها الناس اذكروا الله جات الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه قوله عز وجل
قلوب يومئذ واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زايلة عن اماكنها ابصارها
خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار ويدل عليه قوله تعالى يقولون يعني المنكرين
للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت اينا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتدا
الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث
جا والحافرة عندهم اسم لابتدا الشي واول الشي وقيل يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي
جا فيها فحفرها بمشيه فحصل باثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر
فيها قبورهم سميت حافرة لانها مستقر عليها الحافر والمعنى اينا لمردودون الى الارض فنبعث
خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار ايذا كنا عظاما نخرة اي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى
وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها الرياح فتنخر اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا
اهوال القيمة تلك اذا كرة خاسرة اي راجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما
بعد الموت فانما هي يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها جميعا فاذا هم
بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي
عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي

ارض الشام وقيل ارض القيمة وقيل هي ارض جهنم قوله عز وجل هل اتاك حديث موسى يعني قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر طوى هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك الى ان تزكى اي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه فاراه يعني فارى موسى لفرعون الاية الكبرى يعني اليد البيضا والعصى فكذب يعني فرعون بانها من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم ادبر اي اعرض عن الايمان يسعى يعمل الفساد في الارض فحشر اي فجمع قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وانا ربكم وربها فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان في ذلك اي الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السما اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السما فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سقفها وقيل رفعها بغير عمد فسواها اي اتقن بنايها فليس فيها شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي اظلم ليلها والغطش الظلمة واخرج اي واظهر وابرز ضحاها اي نهارها وانما عبر بالنهار بالضحى لانه اكمل اجزا النهار في النور والضو وانما اضاف الليل والنهار الى السما لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السما ثم قال تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السما ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت دحوت البلاد فسويتها وانت على طيها قادر فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السما فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض يعني مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الايتين وزوال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السما ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك اخرج منها ماءها ومرعاها اي فجر من الارض عيونها ومرعاها اي رعيها ونبتها مما ياكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز والجبال ارساها اي اثبتها متاعا لكم ولانعامكم اي الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيمة

سميت

سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعلو وتغلب والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل في الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى يعني انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق فاما من طغى اي كفر واثر الحياة الدنيا اي على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي لمن هذه صفته واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله جل جلاله للحساب فيتركها لذلك فان الجنة هي الماوى اي لمن هذه صفته قوله عز وجل يسالونك اي يا محمد عن الساعة ايان مرساها اي متى ظهورها وقيامها فيم انت من ذكراها اي لست في شي من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسوالهم اي فيم هذا السوال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اي من علاماتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبيا فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها انما انت منذر من يخشاها اي انما ينفع انذارك من يخافها كانهم يعني الكفار يوم يرونها اي يعاينون يوم القيمة لم يلبثوا اي في الدنيا وقيل في قبورهم الا عشية او ضحاها فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الها والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله اعلم

تفسير سورة عبس مكية

وهي احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس اي كلح وقطب وجهه وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زايدة بن الاصم ابن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لوي واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة ابن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هولاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الايات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سودا عن عايشة قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظما قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك اي اي شي يجعلك داريا لعله يزكى اي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتحمله منك او يذكر

اي يتعظ فتنفعه الذكرى اي الموعظة اما من استغنى قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال فانت له تصدى اي تتعرض له تقبل عليه وتصغي الى كلامه وما عليك الا يزكى اي لا يؤمن ولا يهتدي انما عليك البلاغ واما من جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو يخشى الله عز وجل فانت عنه تلهى اي تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني الموعظة وقيل ايات القران تذكرة اي موعظة للخلق فمن شاء اي من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني القران ثم وصف جلالة القران ومحله عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القران في اللوح المحفوظ مرفوعة اي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السما السابعة مطهرة يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملئكة بايدي سفرة قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملئكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملئكة الى الانبيا واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله كرام اي هم كرام على الله بررة اي مطيعين له جمع بار قوله عز وجل قتل الانسان اي لعن الكافر وطرد ما اكفره اي ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اي اعجبوا من كفره وقيل معناه اي شي حمله على الكفر نزلت هذه الاية في عتبة بن ابي لهب وقيل في امية ابن خلف وقيل كانوا يوم بدر وقيل الاية عامة في كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خالقه فقال تعالى من اي شي خلقه لفظة استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخر خلقه وقيل قدره يعني خلق راسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره اي سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور واقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني ادم على ساير الحيوانات اي احياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شا انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله سبحانه وتعالى متى شا ان يحيي الخلق احياهم كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يود ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن ادم ذكر رزقه ليعتبر به فانه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه اي كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل الى مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا الما صبا يعني المطر ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي بذلك الما حبا يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان وعنبا يعني انه غذا من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب وقضبا يعني القت وهي الرطبة سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذي يعلف به الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدايق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جميع الوان الفاكهة وابا يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام روي ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر قرا وفاكهة وابا قال فما الاب

ثم قال

ثم قال انتهوا الى ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم ثم ذكر احوال القيمة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيمة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي انه لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولون قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة هولا ونصرتهم والمعنى ان هولا الذين كانوا يقربونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون فانه يفر منهم في الدار الاخرة وفايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيمة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعدا والاشقيا فوصف السعدا بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضا وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضو وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب مستبشرة اي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقيا بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة اي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسما اولئك الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله اعلم

تفسير سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة كانه راي عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل غورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشي الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيمة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم واذا النجوم طمست اي تناثرت من السما وسقطت على الارض قال الكلبي وعطا تمطر السما يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هبا منثورا واذا العشار عطلت يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشرا ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع

لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها
وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيمة **واذا الوحوش**
يعني دواب البر **حشرت** اي جمعت يوم القيمة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها
قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة **واذا البحار سجرت** قال ابن عباس
اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحور كلها بحرا
واحدا وقيل صارت مياهها من حميم لاهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق
فيها قطرة قال ابي بن كعب ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الانس والجن وفزعت الانس الى الجن وفزعت الجن الى الانس واختلطت الدواب والطير
والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا
الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول
الانس والجن نحن ناتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت
الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السما السابعة العليا فبينما هم كذلك
اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهي
ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى **واذا النفوس زوجت** روي النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب
انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السو
مع الرجل السو في النار وقيل الحق كل امري بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل
يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المومنين بالحور العين
وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح في الاجساد **واذا الموودة**
سئلت يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيودها اي
يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة
وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادها حفرت حفرة فتمخضت
على راس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها الحفيرة وان ولدت غلاما حبسته وقيل الحفيرة
كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ابقاها حية البسها جبة صوف او شعر وتركها
ترعى الابل والغنم في البادية فاذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها
حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بيرا في الصحرا فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت
دفعها من وراءها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوائدة والموودة في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع
الموود ولم يابد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذي منع الوابدات ۝ واحيي الويد فلم يسك سيلت ۝

باي ذنب قتلت معناه تسال الموودة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها
لانها تقول قتلت بغير ذنب **واذا الصحف نشرت** يعني صحايف الاعمال تنشر للحساب **واذا**
السما كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت عمن فيها

واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعدا الله تعالى **واذا الجنة ازلفت** اي قربت لاوليا الله تعالى
علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا
الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل **فلا اقسم** لا زايدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله
لا اقسم بيوم القيمة **بالخنس الجوار الكنس** يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار
تحت نور الشمس نحو هذا المعنى **روي** عن علي بن ابي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وتخنس في مجاريها اي ترجع وراها في الفلك وتكنس اي تستتر
وقت اختفايها وقيل انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام بتاخرها عن تعجيل ذلك الطلوع
تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظبا وهي رواية عن ابن عباس واصل الخنوس
الرجوع الى ورا والكنوس ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي تاوي اليه الوحوش **والليل**
اذا عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل
والصبح اذا تنفس وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روح
ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا جعل له التنفس
وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه
بالمقسم عليه فقال تعالى **انه** يعني القران **لقول رسول كريم** يعني جبريل عليه السلام والمعنى
ان جبريل نزل به عن الله عز وجل انه تكلم به ابتدا **ذي قوة** وكان من قوته انه اقتلع قريات قوم لوط
الاربع من الما الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السما ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى
عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاها الى اقصى جبل بالهند
وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السما الى الارض ثم يصعد في اسرع من الطرف
عند ذي العرش مكين اي من المنزلة والجاه **مطاع ثم** اي في السموات تطيعه الملايكة ومن طاعة الملايكة له
انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها
بقوله **امين** يعني على وحي الله تعالى الى انبيايه **وما صاحبكم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مخاطب كفار مكة
بمجنون وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم
ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه
فنفى الله عنه الجنون **ولقد راه بالافق المبين** يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع
الشمس وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقوى على
ذلك قال بلى قال فاين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني
قال بعرفات قال لا يجزي ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو
بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه في
السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل في صورته
فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم
الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضال احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاوه
وشانه حتى يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته **وما هو** يعني محمدا صلى الله

عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما كان غايبا عن علمه من القصص والانبا بظنين قرى بالظا ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرى بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراة الظا لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال فما هو بالغيب وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم يعني ان القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو يعني ما في القران الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشية العبد موقوفة بمشيته فقال تعالى وما تشاون الا ان يشا الله رب العالمين اعلمهم ان العمل المشية في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه ومشيته والله اعلم

تفسير سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السما انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احيا علمت نفس ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او سي واخرت بعدها من سنة حسنة او سيية وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات وهذا احوال يوم القيمة قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك بالباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ما ذا امنك من عقابه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاشدين واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو لكرمه لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجا التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيمة فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن آدم ما ذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ما ذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيمة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ما ذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بي قلت غرني بك انت اكرم الاكرمين وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون ساير اسمايه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من العدم الى الوجود فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة الاعضا فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك

قايما

قايما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شا ركبك اي في اي شبه من ام او اب او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شا ركبك وقيل معناه ان شا ركبك في صورة انسان او حيوان وقيل في اي صورة ما شا ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انها لما اختلفت الهيات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اي بيوم الحساب والجزا وان عليكم لحافظين يعني رقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اي على الله كاتبين اي يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم يعني الذين بروا وصدقوا ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال اين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيمة لانه يوم الجزا وما هم عنها بغايبين اي عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شي اعلمك به لو لم نعرفك احواله ثم ما ادراك ما يوم الدين التكرار للتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيا اي لا تملك نفس لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك الله تعالى في ذلك اليوم احدا شيا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة المطففين مدنية

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهي من قوله ان الذين اجرموا الى اخرها وقيل فيها اية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلاثون اية وماية وتسع وستون كلمة وسبعماية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشي اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين منهم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا شيا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني واذا كالوا لهم او وزنوا لهم يعني للناس كما نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زايدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا

على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن
والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق
الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيمة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف
يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيمة
الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اوليك الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون
ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس يعني من قبورهم لرب العالمين اي لامره ولجزائه
ولحسابه (ق) عن نافع عن ابن عمر تلا الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي مرفوعا (م) عن المقداد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار
ميل زاد الترمذي او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل
يكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه
ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى
فيه قوله عز وجل كلا قيل انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا
عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب
فيه اعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروي البغوي
باسناد الثعلبي عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين
في السما السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جا ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول
الله عز وجل ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السما فتابى السما ان تقبلها
ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو
موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك
لحساب يوم القيمة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضرا خضرت السما منها تقلب ويجعل
كتاب الفجار تحتها قال وهب هي اخر سلطان ابليس وجا في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين
جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس
وضيق شديد وما ادراك ما سجين اي ذلك مما كنت تعلمها انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك
تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله
ان كتاب الفجار والمعنى انه كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى
ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر
وقيل مرقوم اي مختوم وهو لغة حمير ويل يومئذ للمكذبين وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ
للمكذبين اي في ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم
القيمة لانه يوم الجزا وما يكذب به اي بيوم القيمة الا كل معتد اثيم اي متجاوز عن نهج الحق اثيم هو مبالغة
في الاثم وهو المرتكب للاثم والمعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي اكاذيب الاولين
قوله عز وجل كلا اي لا يومنون ثم استانف فقال بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي

هريرة

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة نكت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر
وتاب سقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب
والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هي الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس
ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على
القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى ان يغشى القلب شي
كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس
الامر كما يقولون ان لهم في الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قيل عن
كرامته ورحمته ممنوعين وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة
والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر
اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رويته وهذا هو الصحيح
واحتج بهذه الاية من اثبت الروية للمومنين قالوا ولولا ذلك لم للتخصيص فايدة ووجه اخر وهو
انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله
في حق المومنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المومنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون
انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة
عن رويته وسيل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب اعداه فلم يروه تجلى لاوليايه حتى روه وقال
الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اوليا الله يرون الله جل جلاله وعنه
لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم يحجبون عن الله
يدخلون النار فقال عز من قايل ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي تقول لهم الخزنة
هذا اي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون يعني في الدنيا كلا اي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من
انكار البعث وقيل كلا اي لا يومن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب
الابرار لفي عليين جمع علي من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم في
حديث البرا المرفوع ان عليين في السما السابعة تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه من زبرجدة خضرا
معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قايمة تحت العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه
هي الجنة وقيل سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة
بالجلالة قد اعظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شانه كتاب مرقوم
تفسير لعليين والمعنى ان كتاب الابرار لفي كتاب مرقوم في عليين قيل الهم فيه بخير وهو ما اعد الله
لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين محل الملايكة وضده سجين وهي محل ابليس وجنوده
يشهده المقربون يعني الملايكة الذين هم في عليين يشهدون يعني يحضرون ذلك المكتوب ومن
قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملايكة بكرامة
المومن قوله تعالى ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على الارايك وهي الاسرة
في الحجال ينظرون يعني الى ما عند الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدايهم كيف يعذبون في النار
وقيل ينظرون الى ربهم تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل

النعيم لما نرى على وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النظرة في الوجه والسرور في القلب يسقون
من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضا مختوم يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه
يد الى ان ينفك ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم
عليه فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت يحل ان تكون هذه المذكورة في الاية في اوان مختوم عليها وهي
غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ختامه مسك اي طينه الذي ختم
عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه
وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي فليرغب
الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشي
النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن ويبخل
ومزاجه من تسنيم اي من شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهوى متسنما
فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه
سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود
وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله
من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عينا يشرب بها
اي منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واصحابهم من اهل مكة كانوا من الذين امنوا اي من عمار وخباب
وصهيب وبلال واصحابهم من فقرا المومنين يضحكون اي منهم ويستهزون واذا مروا بهم يعني مر المومنون
الفقرا بالكفار الاغنيا يتغامزون يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم
بالاعين استهزايهم واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار انقلبوا فاكهين اي معجبين بما هم وقيل
يتقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم واذا راوهم يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
ان هولا لضالون اي هم في ضلال يا تون محمدا ويرون انهم على شي قال الله عز وجل وما ارسلوا يعني المشركين
عليهم يعني على المومنين حافظين اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله عز وجل فاليوم يعني
في الاخرة الذين امنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون
من المومنين لما هم فيه من الشدة والبلا فلما افضوا الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المومنون في
السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلا فضحك المومنون على الكافرين لما راوا احالهم وقال
ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل
ذلك بهم مرارا والمومنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن
ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى فاذا اطلع عليه من تلك الكوى وهو
يعذب ضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارايك جمع اريكة
وهو السرير يتخذ في الحجلة وهي الكلة يزين بها البيت وارايك الجنة من الدر والياقوت ينظرون يعني اليهم
وهم في النار يعذبون قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اي بالمومنين من
الاستهزا والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقدير وثوب واثاب واثيب بمعنى قال اوس ساجزيك
او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمد والله اعلم

تفسير

تفسير سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربعماية واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا السما انشقت يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها واذنت لربها وحقت
اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع وحقت اي وحق لها ان تطيع ربها واذا
الارض مدت يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بنا ولا جبل
والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز وتخلت اي من ذلك الذي كان في بطنها
واذنت لربها وحقت واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه
الاشيا يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا
انشقت السما لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت حينئذ تكون الواو زايدة يا ايها الانسان انك
كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل
لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقا ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت
وقيل معناه انك كدوح في دنياك كدحا تصير به الى ربك كدحا فملاقيه اي فملاق جزا عملك خيرا كان
او شرا وقيل بملاق ربك فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا
سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على
الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا
يقال لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه من طولب بذلك لم يجد عذرا
ولا حجة فيفتضح عن ابن ابي مليكة ان عايشة كانت لا تسمع شيا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه
وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل
فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب
الى اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا اي بما اوتي من الخير والكرامة واما من اوتي
كتابه ورا ظهره يعني انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى ورا ظهره فيعطى كتابه بشماله
من ورا ظهره وقيل يده الشمال فتخرج من ورا ظهره فيعطى بها كتابه فسوف يدعوا ثبورا يعني انه اذا
كتابه بشماله من ورا ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعوا بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى
سعيرا اي ويقاسي التهاب النار وحرها انه كان في اهله يعني في الدنيا مسرورا يعني باتباع هواه وركوب
شهواته انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بلى يحور
الينا ويبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا اي من يوم خلقه الى ان يبعثه قوله عز وجل فلا اقسم
بالشفق تقدم الكلام في تفسير لا اقسم في سورة القيمة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار
كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون
القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس
واكثر المفسرين هي الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلما وقيل البياض
الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع وضم ما كان منتشرا
بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شي الى ماواه وقيل ما عمل فيه
ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العبادة فيجوز ان يقسم بهم والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك

في ايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن
قرئ بفتح التاء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سما بعد سما وقد فعل
الله معه ذلك ليلة اسري به فاصعده سما بعد سما وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة
من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال خ عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد
حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني هذا ان يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم
لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون
خطابا للجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيمة فتنقلب بهم
الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد
والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم
غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى
لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الاية انه اراد
به السما تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى
اخرى فما لهم لا يومنون يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
يعني لا يصلون بغير السجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة
احد سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه ق عن رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرا اذا
السما انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال
اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك
واذا السما انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقرآن والبعث والله اعلم بما يوعون
يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع ولا منقوص في الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمس وستون حرفا ان صح العدد بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسما ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما حسن القسم
بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف
وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم القيمة وشاهد ومشهود
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة والمشهود يوم
عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها
عبد مومن يدعو الله الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شي الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي
وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة
والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة انما حسن القسم بهذه
الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيمة وقيل
الشاهد هم الانبيا والمشهود عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو ابن آدم

وقيل

وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم لان الانبيا قبله شهد واله بالنبوة وقوله
والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها
وجواب قتل اصحاب الاخدود وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد قتل اصحاب الاخدود اي لعن
وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد قوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود اي لعن والاخدود الشق
المستطيل في الارض واختلفوا فيه فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك
فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر
فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه
فكان اذا اتى الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب فقال
اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك
اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا
ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلت
ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس سائر
الادوا فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ها هنا لك اجمع ان انت
شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك
فامن بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك
بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على
الغلام فجي بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل فقال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجي بالراهب
فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعى بالمنشار فوضع في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جي
بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق راسه فشقه به حتى وقع
شقاه ثم جي بالغلام فقيل ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى
جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به
فصعدوا به الجبل فقال اللهم يا رب العالمين اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجا
يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله بقدرته فدفعه الى نفر
من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه
فذهبوا فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات بهم السفينة فغرقوا وجا يمشي الى الملك
فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى
تفعل ما امرك به فقال وما هو فقال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ
سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك اذا
فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع واخذ سهما من كنانته ثم وضع
السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده
على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت

ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك
واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قال فاقتحموه ففعلوا حتى
جاءت امراة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري فانك على الحق
هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في
مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذي خلق اعمى والميشار بالياء
وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور
بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفات اي انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة
والسكك الطرق وافواهها والاخدود الشق العظيم في الارض واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست
اي تاخرت وكرهت الدخول في النار قال ابن عباس بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس
ابن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلادهم
غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد
بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراة حسن الصوت فاعجبه
ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران
فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه
فخد الاخدود واحرق اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه
فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر ان ضربه احترقت في زمن في راسه اذا اسقطت يده
عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب
ان اعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفيدهان قال
عمر بن الخطاب اي شي يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى
قد كان لهم كتاب وكانت الخمر احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما
ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج فيه قالت المخرج منه ان تخطب الناس
وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم فاذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم
ثم مرة فقام خطيبا فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نومن
بهذا او نقر به ما جاءنا من نبي ولا انزل علينا في كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم
السيف فابوا ان يقروا فخد لهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه
في النار ومن اجاب خلى سبيله وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة
الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس
فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا امن انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا لهم اخدودا فملاوها نارا
فمن تبع ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاوا بامراة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي
يا اماه مري ولا تنافقي وقيل كانت الاخدود ثلاثة فواحد بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى
بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو انطانيوس الرومي واما التي بفارس فبخت نصر ويزعمون
انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله
فيهم قرانا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر

الله

الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره
في الدين وقوله تعالى النار ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى المومنين
الذين القوا في النار بقبض قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار
فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود وهم يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه
على ما يفعلون بالمومنين اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم شهود اي حضور
وقيل يشهدون ان المومنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم وما نقموا منهم قال ابن عباس
ما كرهوا منهم الا ان يومنوا بالله وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله العزيز الحميد
يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع الحميد
يعني الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل جلاله الذي له ملك السموات
والارض اي هو المستحق للعبادة والله على كل شي من افعالهم بالمومنين شهيد وفيه وعد عظيم
للمومنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين فتنوا المومنين والمومنات بالنار
ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا
من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم لم يتوبوا منه
فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يعني لهم عذاب بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين
وقيل ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المومنين ارتفعت
اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمومنين فقال تعالى ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل
ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه
هو يبدي ويعيد اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احيا بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم
القيمة وهو الغفور يعني لذنوب المومنين الودود اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يوده اولياوه
ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ذو العرش اي خالقه ومالكه
المجيد قرى بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق الا بالله
تعالى وقرى المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وذلك لا يليق
الا بالله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما
يريد يعني انه لا يعجزه شي ولا يمتنع منه شي طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه
غالب فهو يدخل اولياه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداه النار لا ينصرهم منه
ناصر هل اتاك اي قد اتاك حديث الجنود اي خبر الجموع الكافرة التي تجندوا على الانبياء ثم بين
منهم فقال تعالى فرعون يعني وقومه وثمود وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا
يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقران كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا
منهم والله من ورائهم محيط اي عالم بهم لا يخفى عليه شي من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن
قبلهم بل هو قران مجيد اي كريم شريف كثير النفع والخير ليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح
محفوظ قرى بالرفع على انه نعت للقران يعني ان القران محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرى
محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وفيه نسخ الكتب وسمي

محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقصان وهو عن يمين العرش روي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه من نور وكلامه بر معقود بالعرش واصله في حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية واحدى وستون كلمة ومايتان وتسع وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فانزل الله عز وجل والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يظهر بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اي المضي المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو الذي يرمي به الشياطين فيثقبهم اي ينفذه والنجم الثاقب قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمي به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشيا وجواب القسم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير من شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملايكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله عز وجل فلينظر الانسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق اي من اي شي خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ماء دافق اي مني دافق اي مدفوق مصبوب في الرحم واراد به ما الرجل وما المراة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الما وهو المني من بين الصلب والترايب يعني صلب الرجل وترايب المراة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديي المراة قيل ان المني يخرج من جميع اعضا الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المراة وهي الترايب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر انه على رجعه لقادر يعني ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الما في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان كما كان من قبل وقيل معناه ان شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الما حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذي قدر على خلق الانسان ابتدا قادر على ان يعيده حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السراير وذلك هو يوم القيمة وقيل معناه تظهر الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السراير يعني الفرايض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيمة يختبر حتى يظهر من اداها

من ضيعها

قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيمة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من ادى الفرايض كاملة كان وجهه مشرقا مستبشرا يوم القيمة ومن ضيعها وانتقص منها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة اي يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر الله قسما فقال تعالى والسماء ذات الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجي ويرجع ويتكرر والارض ذات الصدع اي تتصدع وتتشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى انه يعني القران لقول فصل اي انه حق وجد يفصل بين الخلق بين الحق والباطل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل انهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعني اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بالنار فمهل الكافرين اي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما امره بامهالهم ان ذلك الامهال قليل فقال امهلهم رويدا يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال باية السيف والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة سبح الاعلى مكية

وهي تسع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومايتان واحدى وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سبح اسم ربك فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي باسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اي صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى اي قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شي شكله فهدى اي فعرف باي الذكر الانثي وقيل قدر مدة الجنين في الرحم الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطايفتين سلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وساير الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي تراه فوق السيل احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل سنقريك اي نعلمك القران بقراة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما نقرا عليك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل جبريل بالوحي لم يفرغ من اخر الاية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقريك فلا تنسى شيا بعد ذلك الا ما شاء الله يعني ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القران ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شا الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا

اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء مرتفع فلم يشأ الله ان ينسى شيئا انه يعلم الجهر يعني القول
والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون عليك
لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية وقيل هو متصل
بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقراه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقراه في نفسك
مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه فلا تنساه
فذكر اي فعظ بالقران ان نفعت الذكرى اي مدة نفعت الموعظة والتذكير والمعنى عظ ان نفعت وذكر
ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى اي سيتعظ من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي
الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله تعالى الذي يصلى النار الكبرى هي نار الاخرة والنار
الصغرى هي نار الدنيا ثم لا يموت فيها اي في النار فيستريح ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله
عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من
كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي عن ابي سعيد الخدري في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى
صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ
تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وكان نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال
يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما هذه
الليلة في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التاويل وهذه
السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال
وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا انزل بمكة سيهزم الجمع
ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه الاول انه
كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات
الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله عز وجل بل تؤثرون الحياة
الدنيا والاخرة خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وانتم
تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الاية فقال لنا اتدرون
لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الحياة الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها
ولذتها وبهجتها وان الاخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد
بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الاخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة وان اريد بذلك
المسلمين فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الاخرة وهو خير وابقى
ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى ههنا وهو اربع ايات لفي الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة
التي نزلت قبل القران ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الاخرة خير
وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابراهيم وموسى يعني ان هذا القران المذكور في صحف ابراهيم وموسى
وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في
هذه الايات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن ابي ذر قال دخلت المسجد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان

تركعهما

تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال
يا ابا ذر اقرا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير
وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى
قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت
لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمئن اليها عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن
بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم ربك
الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنسائي وعن
عبد العزيز بن جريج قال سالنا عائشة باي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله
احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله اعلم

تفسير سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون اية واثنان وسبعون كلمة وثلثماية واحدى وثمانون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل هل اتاك حديث قد اتاك يا محمد حديث الغاشية يعني القيمة سميت
غاشية لانها تغشى كل شيء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار
وجوه يومئذ يعني يوم القيمة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن
الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين
عملوا في الدنيا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب
مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون النار يوم القيمة
ومعنى النصب الدؤوب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما
الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود عليه
لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل على عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه
مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة
في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار
بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض الابل الوحل وقيل
يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وقوله تصلى نارا
حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله عز وجل تسقى من عين انية اي
متناهية في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا
لذابت فيدفعوا اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام
الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو
اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا
هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس
يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال

ابو الدردا ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب
فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا
يجيزون الغصص في الدنيا بالما فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين انية
شربة لا هنية ولا مرية فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل
الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ما حميما فقطع امعاهم قال المفسرون فلما نزلت
هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا
فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام لا تقدر
البهايم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذن لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد
ذكر الله تعالى في هذه الاية لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع اخر لا طعام لهم الا من غسلين فكيف
الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير
ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ
ناعمة اي متنعمة ذات بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا
راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل
من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة ما بين السما والارض
لا تسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل فيها عين جارية على وجه الارض من غير اخدود
وقيل تجري من حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها
من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة مرتفعة ما لم يجي اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس
عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها واكواب يعني الكيزان التي لا عرى لها
موضوعة موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا
الشراب منها وجدوها مملوة ونمارق مصفوفة يعني وسايد ومرافق مصفوفة بعضها الى
جنب بعض اينما اراد ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى اخرى وزرابي يعني البسط العريضة
قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية مبثوثة اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس
قوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله
عز وجل في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة
والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علما التفسير في وجه
تخصيص الابل بالذكر من بين ساير الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها
ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة
لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسيل
الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به
ثم هو خنزير فلا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب والنفسه تاكل النوى
وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقايد الضعيف حتى
ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فتذهب به حيث شا ومنها انها فضلت على ساير الحيوانات

باشيا

باشيا وذلك ان جميع الحيوانات تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن ولا يحل الجميع
ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة
وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل
عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف ساير الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات في البراري
مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي سفن البر تحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة
وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسب حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن
ذكر الابل مع السما والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدا بذكر الابل قبل السما والارض
والجبال قلت لما ذكر المراد ذكر الدلايل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه
الاشيا جميعها وكانت الابل من اعظم شي عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها
ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم
والى السما كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت على
الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث
يستقر على ظهرها كل شي قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او
ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شي ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد
ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر
اي فعظ انما انت واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه
الاية منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثنا منقطع عما قبله معناه لكن
من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر
لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر
من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم ان علينا حسابهم يعني جزاوهم بعد
الرجوع على الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية وماية وثلاثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها
من الفوايد الدينية وهي انها دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد
الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه
قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله به لما يحصل فيه من انقضا الليل وظهور الضوء
وانتشار الناس وساير الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث
وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة
يشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من
المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر
لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربان وليال عشر قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي
لا يحصل في غيرها وروي عن ابن عباس الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر

الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج واخرجه الترمذي عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث
قال العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
العشر الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو
تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشورا **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق والوتر الله تعالى يروى
ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة
والشقاوة والليل والنهار والارض والسما والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس
والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل هما الصلاة منها شفع ومنها وتر **عن** عمران
بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع
وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر
صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير **وروي** ان رجلا
سال عن الشفع والوتر فقال قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه
فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم
الذي لا ليلة معه وهو يوم القيمة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها
سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة
والعجز والقوة والضعف والغنا والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات
الله التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحيا بلا
موت **والليل اذا يسر** اي اذا سار وذهب وقيل اذا جا واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة
وهي ليلة النحر التي يسار بها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه
هل في ذلك اي فيما ذكر **قسم** مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي
لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي
نهى لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها
عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز
وجل به من هذه الاشيا فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته
على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل **الم تر
كيف فعل ربك بعاد** وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر يدل
عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله عز وجل الم تر كيف
فعل ربك الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم
وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد **ارم ذات
العماد** يعني المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة
من هولا فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله
تعالى وانه اهلك عادا الاولى ارم هو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد وقيل ان المقربين من قوم عاد
كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة او موضع

باليمن

باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهم ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم
هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم
فاهلك عادا وثمود وبقي اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق
وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف
وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا
الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي **التي** قال الله تعالى **لم يخلق مثلها في
البلاد** وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن
ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد قال مقاتل كان اطول احدهم
اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة
وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبنا بناه بعضهم فشد عمده ورفع بناه قيل كان
لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك
الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى
بنا مثلها عتوا على الله وتجبرا فروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت
فبينما هو يسير في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور
كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا يساله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها
وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر
فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر
منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك
القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك
والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة
وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة
وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى
فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل معاوية
الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم
ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها
مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر
فخرج القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقعوا على صحرا نقية من التلال واذا فيها
عيون ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان نبني فيها فوضعوا اساسها في الجزع واقاموا
في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا
حصنا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر الف وزير من وزرائي
ففعلوا وامر الملك وزراءه وهم الف وزير ان يتهيؤوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله
في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان
معه صيحة من السما فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احد قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في

زنانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد
الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود اي وفعل بثمود وقيل ما فعل بعاد
الذين جابوا اي قطعوا الصخر بالواد يعني بوادي القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر
بالواد ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا وفرعون ذي الاوتاد وسمي بذلك لكثرة جنوده
وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك
راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذو الاوتاد لكثرة جنوده وقيل سمي بذلك لانه كانت امراة وهي امراة
خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي
ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت
بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت
فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها
اله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها
ويحك اكفري بالهك واقري اني الهك فقالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات
والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين
شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها ثم قال اكفري بالله والا
ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على الارض على فيّ ما كفرت بالله عز
وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها
فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا صغارا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك
بيتا في الجنة فاصبري فانك تمضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام الا يسيرا فاسكنها
الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا
في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي وثلاث صفوف من الوحش خلفه يصلون
فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي احد
فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايما هذين الرجلين اظهر
علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما
فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال
نعم فلان فدعي به فقال هو كما يقول هذا قال لا ما رايت مما يقول شيئا فاعطاه فرعون واجزل واما الاخر
فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم
فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا مسلمة وهو
كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق
واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون
وان الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فشق عليها ثيابها وضربها وارسل الى
ابويها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك
اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها ابوها يا آسية الست من

خير نساء العالمين وزوجك اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له
ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها
بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك
قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فقبض الله
روحها واسكنها الجنة قوله عز وجل الذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمود وفرعون عملوا
بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد يعني القتل والفساد
ضد الصلاح فلما كان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام
الاثم فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل سوط تشبيه بما
يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل سوط اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط
خلط الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع
منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية يقول ان عند
الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يعني بحيث يرى
ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان المرصد والمرصاد الطريق
وقيل يرجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل يرصد اعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شيء من
اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل فاما الانسان
اذا ما ابتلاه اي امتحنه ربه بالنعمة فاكرمه اي بالمال ونعمه اي بما وسع عليه فيقول ربي اكرمن
اي بما اعطاني من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر فقدر عليه اي فضيق وقيل
قتر عليه رزقه اي ولم يعطه ما يكفيه فيقول ربي اهانن اي اذلني بالفقر قيل نزلت في امية
ابن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحد بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة
والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام
وان الفقر اهانة فقال تعالى كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه
فاخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته لكن الغنى والفقر بتقدير
الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته
حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف
المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يفجر ويقلق بل لا تكرمون اليتيم
اي لا تعطونه حقه الثابت له من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف
وكان يدفعه عن حقه ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا تطعمون مسكينا ولا تامرون
باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اي الميراث
اكلا لما اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون
النساء والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شيء يجده لا يسال احلال ام
حرام وياكل الذي له ولغيره وتحبون المال حبا جما اي كثيرا والمعنى تحبون جمع المال وتولعون
به كلا اي ما ينبغي ان الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من
اكرام اليتيم وغيره من المسكين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم

فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شي عليها من جبل
وبنا وغيره حتى لم يبق على ظهرها شي وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت
عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واقروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه
ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراوها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين
وقال قد ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلابد من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجاء
ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل جا امر ربك وقضاوه وقيل وجاء دلايل ايات ربك فجعل مجيها مجيا
له تفخيما لتلك الايات والملك صفا صفا اي تنزل مليكة كل سما صفا صفا على حدة فيصطفون
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء يوميذ يعني يوم القيمة بجهنم
قال ابن مسعود في الاية ان تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ
وزفير حتى تنصب على يسار العرش يوميذ يعني يوم يجا بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر
ويتوب وانى له الذكرى يعني انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي
قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الاخرة التي لا موت فيها فيوميذ لا يعذب عذابه احد ولا
يوثق وثاقه احد يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل
والاغلال وقرى ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا ومعناه ولا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا
يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها النفس المطمينة
اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة التي ايقنت بالله وبان الله ربها
وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمينة المومنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي
الامنة من عذاب الله وقيل هي المطمينة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد
باحد وقيل في خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بير رومة وسبلها وقيل
في ابي بكر الصديق والاصح ان الاية عامة في كل نفس مومنة مطمينة لان هذه السورة مكية ارجعي
الى ربك اي الى ما وعد ربك من الجزا والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد
الله بن عمرو اذا توفي العبد المومن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال
اخرجي ايتها النفس المطمينة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك
وجده احد في انفه والملايكة على ارجا السما يقولون قد جا من الارض روح طيبة ونسمة طيبة
فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال
لميكاييل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا
عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شي من القران كفاه
نوره وان لم يكن جعل له فيه نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا
احب اهله اليه واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اي من كسا انتن من كل
نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك
غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك اي صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث
فيامر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد وهو قول عكرمة وعطا والضحاك ورواية عن ابن
عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك راضية عن الله بما اعد الله لك مرضية اي رضي الله عنها وقيل

يقال

يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيمة قيل لها ادخلي في عبادي
وادخلي جنتي وقيل معنى في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين المصطفين وادخلي جنتي قال
سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطايف فشهدت جنازته فجاء طاير لم ير على خلقته فدخل
نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يرى من تلاها يا ايتها
النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال بعض
اهل الاشارة في تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمينة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها
والرجوع اليه هو سلوك سبيل الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيمة والبلد هو مكة
في قول جميع المفسرين وانت حل بهذا البلد اي مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه
صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل
والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل
وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فاحل دما قوم
وحرم دما قوم اخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن
دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فلم تحل لاحد
قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت في ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة والمعنى
ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد نبيه
صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى
في الماضي وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده
وقيل في معناه قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك
واخراجك منه ووالد وما ولد يعني ادم وذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصايب الدنيا
وشدايد الاخرة وعنه ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله
ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم
وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستوا والاستقامة فعلى هذا
يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يمشي منكبا وقيل
منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل في كبد اي في
قوة نزلت في ابي الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه
ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك
الاديم بقدر موضع قدمه ايحسب يعني ابا الاشد من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني انه يظن
لشدته في نفسه ان لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا
الكافر اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في

عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن
ان الله لم يرى ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال الم نجعل له عينين
ولسانا وشفتين يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة مقدورة بها كان يشكره وجاء في الحديث ان
الله عز وجل ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان
نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وهديناه النجدين
قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين
قوله تعالى فلا اقتحم العقبة يعني فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين
فيكون ذلك خيرا له من نفاقه على عداوة من ارسله الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه
لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل
لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنب على مرتكبها بعقبة فاذا
اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة
جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس
وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا
وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش
ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر
كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون
ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الاية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما ادراك
ما العقبة يعني وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها
وابطال الرق منها والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه
في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداه من النار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه
وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق
النسمة وفك الرقبة قالا اوليستا واحدا قال لا عتق الرقبة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة
ان تعين في ثمنها والمنحة الركوب والفي على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق
الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الاية
فك رقبته من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي يصير بها الى رضوان
الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة اي يوم ذي مسغبة
اي يوم ذي مجاعة والسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد يطعم يتيما بينك وبينه
قرابة او مسكينا ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح
في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ثم كان

من

من الذين امنوا والمعنى انه ان كان مؤمنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما للعقبة وان لم يكن
مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر يعني اوصى بعضهم بعضا على الصبر
على اداء الفرائض وجميع اوامر الله وتواصوا بالمرحمة اي برحمة الناس وفيه الاشارة
الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله اولئك يعني اهل هذه الخصال اصحاب الميمنة والذين
كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها
روح ولا يخرج منها غم والله اعلم

تفسير سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبع واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والشمس وضحاها اي وضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها
وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر
الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا اضعف الاقوال
والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر
في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك في
الليالي البيض وقيل تلاها اتبعها في الطلوع وذلك في نصف اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس
ظهر الهلال فكان تبعها والنهار اذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو
كناية عن غير مذكور لكونه معروفا والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حين تغيب فيظلم الافاق
قيل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لانه بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى
وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر والسماء وما بناها اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى
هذا كانه اقسم بنفسه وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء وبنائها
والارض وما طحاها اي بسطها وسطحها على الماء ونفس وما سواها اي عدل خلقها وسوى
اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها
اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والفكرة والمخيلة وغير ذلك
من العلم والفهم وقيل انما نكرها لان المراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عند خطابه وهي
نفس جميع من خلق من الانس والجن فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر
وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تبقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل
وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن
التقوى وفي الكافر الفجور م عن ابي الاسود الديلمي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس
اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك
فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك
الله اني لم ارد بما سألتك الا لاحزر عقلك ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول
الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما
يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم
ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها م عن

جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال فيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسما وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السما ورب من بناها وهذا خطا لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال فيه وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السما الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى قد افلح المعنى لقد افلح من زكاها اي فازت نفس وسعدت زكاها الله اي اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة وقد خاب من دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واهلها من دس الشي اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسار من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او هلاكها بالمعصية من غير قدر سبق متقدم وقضا سابق م عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل كذبت ثمود وهم قوم صالح عليه السلام بطغواها اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا اذ انبعث اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد ممتنع قوله تعالى فقال لهم رسول الله يعني صالح عليه السلام ناقة الله اي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله وسقياها اي شربها اي ذروا شربها ولا تتعرضوا للما يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة اهلاك استيصال وقيل دمدم اي اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم احد بذنبهم اي فعلنا ذلك بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله تبعة من احد في اهلاكهم قاله ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما اقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب لانه انذرهم بسبب ذلك والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الليل مكية

وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والليل اذا يغشى اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوءه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله والنهار اذا تجلى اي بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والانثى اي ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ما واحد ان اريد

به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحوى وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع خلق آدم من طين وخلق منه حوى من غير ام وجواب القسم قوله تعالى ان سعيكم لشتى اي ان اعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى ابو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدوا فبايع نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها اي مهلكها قوله تعالى فاما من اعطى اي انفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف اي بان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه فسنيسره فسنهيئه في الدنيا لليسرى اي للخلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل واما من بخل اي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى اي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب وكذب بالحسنى اي بلا اله الا الله وكذب بما وعد الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي فسنهيئه للشر بان يجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان ياتي خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصح قولهم في القدر ان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل مع ما سبق له في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير بعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتا المثناة فوق ضرب الارض بذلك او غيره مما يوثر فيه الضرب وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية ببردة وعشر اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا اصعد نخلته لياخذ منها الثمر فربما سقطت الثمرة فياخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى ياخذ الثمرة من ايديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة فتكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الايات يقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله اي الذي بخل به اذا تردى اي اذا مات وقيل هوى في جهنم ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انهم لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسي من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقهما وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي

وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله وان لنا للاخرة والاولى لنا في الدنيا والاخرة
فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق فانذرتكم اي يا اهل مكة نارا تلظى اي تتوقد وتتوهج
لا يصلاها الا الاشقى يعني الشقي الذي كذب يعني الرسل وتولى اي عن الايمان وسيجنبها الاتقى يعني
التقي الذي يؤتي اي يعطي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة
وهو ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني
لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فنزل فيه وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة وذكر محمد بن
اسحق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر
القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة
فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال
محمد بن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر
في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل
عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيك هو قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه
واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر
بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين
اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر
اللات والعزى وما ينفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامراة من
بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا اعتقكما ابدا فقال
ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما
وهما حرتان ومر بجارية من بني المومل وهي تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا
واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه … عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما في بلال بسوءة … ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله … شهدت بان ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن … لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس … وموسى وعيسى نجني ثم لا تملل
لمن ظل يهوى الغي من ال غالب … على غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه
بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا
حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس
اغتنمه ابو بكر وباعه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل
الله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي عند ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى اي لم يفعل ذلك لمجازاة لاحد بيد كانت له عنده لان فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب
رضاه ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل في الاخرة من الجنة والحسنى والكرامة جزاء على ما فعل

والله

تفسير سورة الضحى مكية

والله اعلم
وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والضحى اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال القول الاول ق عن جندب بن سفيان
البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين وثلاث فجاءت امراة فقالت يا محمد اني
لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى اخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت قال فابطا عليه جبريل قال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما
قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون
سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال
ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب
احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل
اثنى عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما قالوا فلما نزل جبريل عليه قال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جيت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد
شوقا ولكني عبد مامور وانزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى
قيل اراد بالنهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى وقيل يعني وقت الضحى وهي
الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى
قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شي بظلامه وقيل معناه سكن واستقر
ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله
تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلا
ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيمة
وللاخرة خير لك من الاولى اي الذي اعطاك ربك في الاخرة خير لك واعظم من الذي اعطاك في
الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت
اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس هي الشفاعة
في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال
اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد واساله ما يبكيك وهو اعلم فاتاه جبريل وساله
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا
سنرضيك في امتك ولا نسوءك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة فهي نائلة ان شاء الله من
مات من امتي لا يشرك بالله شيا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني ات
من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان
شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيا اخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي

يقول انكم يا معشر اهل العراق يقولون ارجى اية في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى
وقيل في معنى الاية ولسوف يعطيك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المومنين فترضى وقيل
حمل الاية على خيري الدنيا والاخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا من النصر والظفر على الاعدا
وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيمة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه في الاخرة
الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا والاخرة ثم اخبر عن حاله
صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل الم يجدك يتيما صغيرا فاوى
الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابواك
ولم يخلفا لك مالا ولا ماوى فجعلت لك ماوى تاوي اليه وضممتك الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك
وكفاك المونة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب
فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة
يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه وشرفك بنبوته واصطفاك
برسالته ووجدك ضالا اي عما انت عليه اليوم فهدى اي فهداك الى توحيده ونبوته وقيل
وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد
المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام
خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة فجا ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل عن الطريق فجا جبريل
عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله
عليه بذلك وقيل ووجدك ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين
اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة
وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو الغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه
وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل عليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الاية ولا يلتفت
الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا
صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبيا قبله منذ ولدوا ونشاوا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم
معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى
الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا
عنه ولنقل ذلك فبراه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويوكد هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام
فراى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله
ما ابغضت شيا بغضهما ويوكد هذا ايضا شق صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة
منه وقال جبريل هذه حظ الشيطان وملاه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال
الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان
اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير

والصغاير

والصغاير الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شي والله اعلم قوله
عز وجل ووجدك عايلا فاغنى يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك
من الرزق وهذه حقيقة الغنا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنا
عن كثرة العرض بفتح العين والرا المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل مسالة وودت اني لم اكن
سالته قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا قال يا محمد الم
اجدك يتيما فاويتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك
عايلا فاغنيتك فقلت بلى يا رب زاد في رواية الم نشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت
بلى يا رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة
المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه قصد بذلك ان
يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان الله زيادة انعامه كانه قال مالك
تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك واويتك وانت يتيما صغيرا اتظنني تاركك ومضيعك
كبيرا بل لا بد وان لم اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه
باليتامى والمساكين والفقرا فقال عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر اي تحقر اليتيم فقد كنت يتيما
وقيل لا تقهر على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون
اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يسار اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه
خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار
بالسبابة والوسطى وفرج بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل على الباب يقول لا تزجره اذا
سالك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكشر بوجهك في وجهه قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السايل بريد الاخرة
يجي الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشي وقيل السايل هو طالب فيجب اكرامه واسعافه
بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقى بمكروه واما بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة
النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة هي القران امره ان يقراه
ويقريه غيره وقيل اشكر لما ذكره نعمه عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة
والاغنا بعد العيلة والفقر امره ان يشكر الى انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن
جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطي عطا فليجز به ان وجد فان لم يجد
فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي
زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس
لا يشكر الله وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر روى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله

والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله اعلم

تفسير سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف الى اخرها والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض ظهرك اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل والرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اغتمام النبي صلى الله عليه وسلم باموركان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين وقوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشي وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم ● من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي مع اسمه ● اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله ● فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن

اسمه

اسمه باسمه محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة اطيعوا الله واطيعوا الرسول من يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما في القران وغيره من كتب الانبيا ثم وعده اليسر والرخا بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخا بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به وانما كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا اتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين فكانه قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اخر وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول قال وقد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسرين وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنا جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنا ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى ان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا ويسر الاخرة فيسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المومنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم الله في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زايل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

ارى الموت لمن اصبح مغموما له اروح ● فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى

الا ايها المرء الذي الهم به برح ● وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح ● فعسر بين يسرين اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات وفرج الله عني قال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تياس وان اعسرت يوما ● فقد ايسرت في دهر طويل

فلا تظنن بربك ظن سوء ● فان الله اولى بالجميل

فان العسر يتبعه يسار ... وقول الله اصدق كل قيل

وقال سليمان بن احمد الفقيه

توقع ان ربك الخطوب ... سرورا يبدد ها عنك قسرا
ترى الله لا يخلف ميعاده ... وقد قال ان مع العسر يسرا

قوله عز وجل **فاذا فرغت فانصب** لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة حثه
على الشكر وعمل الاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة
اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك
بالدعا وارغب اليه في المسالة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل
وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب
في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر
ابن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل اخرته السبهلل الذي
لا شي معه وقيل السبهلل الباطل **والى ربك فارغب** اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار
وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة والتين مكية

وهي ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل
والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه
الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص وغذا ويشبه فواكه
الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح
ويلين الطبع ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح
به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية
ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان في هذا من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم
اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس
واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين
مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح الذي بناه على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس **وطور سينين** يعني الجبل الذي كلم عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان
الذي فيه الجبل سمي سينين وسينا لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسينا **وهذا
البلد الامين** يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام
لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم بها لما فيها من المنافع والبركة
وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** يعني في اعدل قامة واحسن صورة
وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن
الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق **ثم رددناه اسفل
سافلين** يعني الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفا والزمنى

والاطفال

والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هولا جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه
وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم لا يردون الى النار والى اسفل سافلين وعلى القول
الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب
له حسنة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف
فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كان يعمل في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس
هم نفر ردوا الى ارذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عذرهم واخبرهم
ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص والحكم عام قال
عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له بالحسن ما يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين
قروا القران ومن قرا القران لم يرد الى ارذل العمر **فلهم اجر غير ممنون** يعني غير مقطوع لانه يكتب له
بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة **فما يكذبك** يعني ايها الانسان وهو
خطاب على طريق الالتفات **بعد** اي هذه الحجة والبرهان **بالدين** اي بالحساب والجزا والمعنى فما الذي
يلجيك ايها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر
وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فما يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين **اليس
الله باحكم الحاكمين** اي باقضى القاضين حكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيمة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين
فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
في سفر فصلى العشا الاخرة فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن منه
صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة اقرا مكية

وهي تسع عشرة اية واثنان وتسعون كلمة ومايتان وثمانون حرفا قال اكثر المفسرين هذه السورة
اول سورة نزلت من القران واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم **ق** عن عايشة ام المومنين
انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة ومثل الصادقة
في النوم وكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث
فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاه الحق وفي رواية حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال اقرا قال ما انا بقاري
فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني الثانية حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه
حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا
يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين

على نوايب الحق فانطلقت خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له فقال له مثل ذلك

فصل في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرا اول ما نزل من القران وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القران في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عايشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني واما ابتدا صلى الله عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا يحتملها القوى البشرية فبدا باوايل علامات النبوة توطية للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم قولها فجيه الحق اي الوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطا المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا وقوله حتى بلغ مني الجهد قال العلما والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله يروى بضم اليا والخا المعجمة من الخزي اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يخذلك وروي بفتح اليا والخا والنون وروي بفتح اليا وبالحا المهملة وبالنون لا يحزنك من الحزن الذي ضد الفرح وقولها وتحمل الكل اي الثقل والحوايج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي من الانجيل بالعربية ما شا الله ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شا منه بالعبرانية ان اراد وبالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى وهو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه السلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير وانما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبيا قوله يا ليتني فيها اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا بالغا في نصرتك ومنه قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى التردي الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه يتبدى له اي ظهر له قوله فيسكن

لذلك

لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم وقيل الجاش هو ثبوت القلب وقيل هو ما ثار من فزعه وهاج من ضربه والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **اقرا باسم ربك** قيل الباء زايدة مجازه اقرا اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امره ان يبتدي القراة باسم الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرا القران مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرا ففي هذا يكون في الاية دلالة على استحباب ابتداء القراة بالتسمية في اول القراة وقيل معناه اقرا القران مستعينا باسم ربك على ما يتحمله من النبوة واعبا الرسالة **الذي خلق** يعني جميع الخلايق وقيل هو الذي حصل منه الخلق واستاثر به الخالق سواه وقيل هو الذي خلق كل شي **خلق الانسان** يعني ادم وانما خص الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة **من علق** جمع علقة ولما كان الانسان جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤوس الاي ايضا **اقرا** كرره تاكيدا وقيل الاول اقرا لنفسك والثاني اقرا للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالى **وربك الاكرم** يعني هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جا الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاء الشي من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاوه وشانه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتدا في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراة والمعنى اقرا وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات **الذي علم بالقلم** يعني الخط والكتابة الذي بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبط العلوم ودونت الحكم وبها عرف اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله تعالى عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولا يصلح عيش وسيل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه **علم الانسان ما لم يعلم** قيل يحتمل ان يكون المراد بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يعلم وقيل علم ادم الاسما كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمدا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **كلا** اي حقا **ان الانسان ليطغى** اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه **ان** اي لان **راه استغنى** اي راى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان قد اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه **ان الى ربك الرجعى** اي المرجع في الاخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى** نزلت في ابي جهل وذلك انه صلى الله عليه وسلم عند الصلا **م** عن ابي هريرة قال قال ابو جهل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لين رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته قال فما فجيهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله لا ندري في حديث ابي هريرة او شي بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا

لا تطعه قال دا امره بما امره به زاد في رواية فليدع نادية يعني قومه م عن ابن عباس قال قال ابو
جهل لئن رايت محمدا يصلي عند البيت لاطان على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لو فعله لاخذته الملايكة زاد الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجيب للمخاطب وتنوير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفايدة التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذي ينهى اشد الخلق
عبودية في العبودية وهذا ابه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن
طاعة الله ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد
النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل عن قيام الليل
وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفا لمصلحة الا ان ياذن فيه المولى والزوج ارايت
ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص
والتوحيد ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان وتقدير نظم الاية ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متولي عن الايمان اي اعجب من هذا
الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد
عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لئن لم ينته يعني عن ايذا محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا
بالناصية اي لناخذون بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشي اذا اخذته وجذبته
جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس والسفع الضرب اي لنضربن وجهه بالنار ولنسودن
وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطية اي صاحبها كاذب خاطي قال ابن
عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابو جهل اتنتهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شيت خيلا جردا ورجالا
مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجا ابو جهل فقال الم انهك عن
هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ان ما بها نادي اكثر مني فانزل
الله تعالى فليدع نادية سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية
الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه فليستنصر
بهم واصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله سندع الزبانية
يعني الملايكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار
اليها بشدة ماخوذ من الزبن وهو الدفع كلا اي ليس الامر على ما هو عليه لا تطعه اي في ترك الصلاة
واسجد اي صل لله واقترب اي من الله م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب
ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة عند
الشافعي فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه مسلم والله اعلم

تفسير سورة القدر مدنية

وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل في المدينة وهي خمس ايات
وثلاثون كلمة ومائة واثنى عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا انزلناه يعني القران
كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك ان الله تعالى انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ

الى سما الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما
متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقايع والحاجة اليه وقيل انما انزل الى سماء
الدنيا ليشرف الملايكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملايكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة
وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة
الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى
يظهر ذلك للملايكة ويامرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم
اياه وليس المراد منه انه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات
والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض
قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا المقدر وقيل سميت
ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت
بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض
تضيق بالملايكة فيها نصل في فضايل ليلة القدر وما ورد فيها ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
واختلف العلما في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت
لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان
فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان الحديث يرد عليهم فانه
صلى الله عليه وسلم قال في اخره فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع
وجودها لم يامر بالتماسها وعلية الصحابة والعلما فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيمة روى
عن عبد الله بن يحنس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال
ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقايها ووجودها اختلفوا في محلها
فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث
الواردة في اوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل في العشر
الاواخر من رمضان وقيل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود
وابو حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصيبها فبلغ ذلك عبد الله بن
عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور
العلما انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر
رمضان وقيل هي ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر حكي هذا عن زيد
ابن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان
ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر
الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر
الاواخر وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين ق عن ابي سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم

فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني رايت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى
معتكفه هاجت السما من اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء
والطين في رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها
من اعتكافه قال من اعتكف فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديثا عن
عبد الله بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احد وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة
قلت اثنان وعشرين فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاث وعشرين اخرجه ابو داود
وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا خ عن الصنابحي
انه سال رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في
اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي
بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث
وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح
فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء وطين
قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين
على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين خ عن ابن عباس قال
التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر
للوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي
ابن كعب وابن عباس واليه ذهب م عن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله
ابن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان
يحلف لا يستثني ووالله اني لاعلم اي ليلة هي الليلة التي امرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها
وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضا لا شعاع لها عن معاوية عن
النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال ويروى موقوفا عليه ذكر
ليالي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة
سبع عشرة من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود وعن
عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها لشي سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع بقين او سبع
بقين او خمس بقين او في ثلاث او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر
السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحا رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم
بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا فالتمسوها في التاسعة والسابعة

والخامسة قوله فتلاحا رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع
بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة
تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها
ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وتسع وعشرين وفي رواية وخمس وعشرين واخر ليلة
من رمضان قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على
نحو ما يسال عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا واقوى الروايات عندي
فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وفي الجملة ابهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا
في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة
الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في الاسماء ورضاه في الطاعات ليرغبوا
في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات
حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة
تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه ق عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت
قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف
عنا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وابن ماجه وما ادراك ما
ليلة القدر اي اي شي يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق
الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن عباس
ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر
فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا
واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل الاسرائيلي السلاح
في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيمة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شا الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته
الا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر
اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر
ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة
الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل تنزل الملائكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة
والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويعتذرون ويستغفرون
لهم لما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام قال اكثر المفسرين وفي

حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملئكة
يصلون ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طايفة
من الملئكة لا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل
مع الملئكة تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة
وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله سلام اي سلام على اوليا الله واهل
طاعته قال الشعبي هو تسليم الملئكة في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع
الفجر وقيل الملئكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مومنة يسلمون عليه من ربه وقيل تم الكلام عند
قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر
الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل
فيها سوا ولا يحدث فيها اذى هي حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام او السلامة تدوم الى مطلع
الفجر والله اعلم

تفسير سورة البينة مدنية

قاله الجوهري وفيه رواية عن ابن علي انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثماية وتسعة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني
اليهود والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكتاب كان جنسين
احدهما اهل الكتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم
الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح بن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون
اهل الاوثان الذين لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زايلين حتى اتتهم لفظة
مضارع ومعناه الماضي والبينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن
فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجهالة ودعاهم الى الايمان فاستنقذهم الله من
الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والاية فيمن امن من الفريقين
قال الواحدي في بسيطه وهذه الاية من اصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار
من العلما قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال
ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة ثم ان كلمة حتى لانتها الغاية
فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجي الرسول فحينئذ يحصل
بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من
وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكتاب وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب
وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا
ولا نترك حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله
تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة
على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره
في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك عما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه
الله الغنا فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في

الفسق

الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا
الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة
مذكور حكاية عنهم وهو قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي
وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيهما ان تقرير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة
وعلى هذا التقرير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شي وذكر وجوها
اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله اي تلك البينة رسول من الله
يتلوا اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اي كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه
وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه لا عن كتاب مطهرة اي من الباطل والكذب
والزور والمنهي والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة اي لا ينبغي ان
يمسها الا المطهرون فيها اي في الصحف كتب اي الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة اي
عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قايمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا
اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يومن من اهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني جاءتهم البيان في كتبهم انه مرسل
قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى
فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به في كتبهم فقال
تعالى وما امروا يعني هولا الكفار الا ليعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التورية والانجيل الا باخلاص
العبودية لله موحدين له مخلصين له الدين الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها
عن شوائب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتدا الفعل الى انتهائه والمخلص هو
الذي ياتي باحسن الحسنة والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية
معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع
المامورات قال اصحاب الشافعي الوضو مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب ان
يكون منويا فيجب النية في الوضو وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله
تبارك وتعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا اخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة
مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان ولا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمخلص العبودية
واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل
قاصدين بقلوبهم رضي الله تعالى بالعبادة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم حنفا اي مايلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفا اي حجاجا وانما قدمه على
الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفا اي مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف
الذي آمن بجميع الانبيا والرسل ولم يفرق بين احد منهم فمن لم يومن بافضل الانبيا وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة اي المكتوبة في اوقاتها ويوتوا الزكاة اي المفروضة
عند محلها وذلك ان الذين امروا به دين القيمة الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف
الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة

كعلامة وقيل القيمة الكتب الذي جرى ذكرها اي وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة
جمع القيم والقيمة والقايم واحد والمعنى وذلك دين القايمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الاية
من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك
دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين فان قلت قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه
وصدق مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم
جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيمة واهل الكتاب اعترفوا بذلك
غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين
في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب لو فعل في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم
الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الاخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت
مراتبهم في العذاب في نار جهنم خالدين فيها اوليك هم شر البرية اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا
النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قالوا بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك
قال لانكم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية يعني انهم بسبب
اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل الرضا ينقسم قسمين رضي
به ورضي عنه فالرضا به ربا ومدبرا والرضى عنه بما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت لا ترضى عن
الله فكيف تسال الرضا عنك وقيل رضي اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ذلك هذا الجزا
والرضا عنه لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله عز وجل امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال
وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان
اقريك القران قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه
شرح الحديث اما بكا ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهيله لهذه النعمة العظيمة
واعطايه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني
قراة النبي صلى الله عليه وسلم عليه فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى
خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراة فانها مع وجازتها جامعة
لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه
وسلم بالقراة على ابي هو ان يتعلم ابي القراة من الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وصفة اسلوبه لوانه المشروع
وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم منه ابي
وقيل انما قرا على ابي ليعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية
ان يتعلم القران ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان
كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراة وغيرها وكان احد علما الصحابة رضي

الله

الله عنهم والله اعلم. تفسير سورة الزلزلة مكية
وقيل مدنية وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القران وقل هو الله احد
تعدل ثلث القران وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القران اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف
القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له
ثلث القران وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض
زلزالها اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة قيل تزلزلت من شدة
صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر
وبنا وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين من انها في الدنيا وهو من اشراط الساعة
والثاني انها زلزلة يوم القيمة واخرجت الارض اثقالها قال اثقالها كنوزها وما في بطنها
من الدفاين والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة
فيجي القاتل فيقول في هذا قتلت رجلي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول في
هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة
المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما
خص الكبد لانها اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القي للاخراج ومن قال بان الزلزلة
تكون يوم القيمة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل
لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احيا وامواتا
وقال الانسان ما لها اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان
قولان احدهما انه اسم جنس يعم المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة
والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسال بعضهم بعضا عن ذلك والثاني
انه اسم الكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيمة وقيل مجاز الاية يومئذ تحدث اخبارها
يقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من خير وشر فتشكو
على العاصي وتشهد عليه وتشكر الطايع وتشهد له عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها
ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن
عباس اوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله
به وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي عن موقف الحساب بعد
العرض اشتاتا اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم
قال ابن عباس ليروا جزا اعمالهم وقيل معناه ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة وقيل ما لصق من التراب باليد خيرا يره قال ابن عباس

ليس بمؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيمة واما المومن فيرى حسناته
وسياته فيغفر الله سياته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسياته قال محمد بن
كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وولده وماله حتى
يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير **ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** من مؤمن يرى عقوبته في
الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الاية
في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما ياتيه السايل فيستقل ان
يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشي يوجر عليه انما يوجر على ما يعطي
ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك ويقول
انما وعد الله النار على الكباير وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير
يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر والاثم الصغير في
عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيمة قال ابن مسعود احكم اية في القران فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية الجامعة الفاذة حتى سال عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شيء الا هذه الاية
الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره حتى سيل عن
زكاة الحمير فقال ما انزل الله علي فيها شي الا هذه الاية وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة
كل واحد منهما بحبة عنب وقال فيها مثاقيل كثيرة قلت انما غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرما
الصحابة رضي الله عنهم قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ
اخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة والله اعلم

تفسير سورة العاديات مكية

في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة
ومايه وثلاثة وستون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **والعاديات ضبحا**
فيه قولان احدهما انها الابل في الحج قاله علي وابن مسعود قال علي تعدو من عرفة الى المزدلفة
ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان
فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون
معنى ضبحا ضبعا ومد اضبعها في السير واصله من حركة النار في العود **فالموريات قدحا**
يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا اخر فيوري النار وقيل هي
النيران بجمع **فالمغيرات صبحا** يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع
حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير **فاثرن به نقعا** اي هيجن بمكان
سيرها غبارا **فوسطن به جمعا** اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله
تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج الترغيب وفيه تقريع عن من لم يحج بعد
القدرة عليه فان الكنود هو الكفور من لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير
والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا
عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح

هذه

هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه
فالموريات قدحا يعني انها تورى النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب
ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تاوي بالليل فيورون
اصحابها نارهم ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل
ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها
على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان
نقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلن به اي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن
وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الايات اولى بالصحة واشبه
بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله
بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها
وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى
ان الانسان لربه لكنود وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل
الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ماخوذ من الارض
الكنود وهي التي لا تنبت شيا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من
الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان **وانه على ذلك لشهيد** قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنود
الشاهد به وقيل الها راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع **وانه** يعني الانسان
لحب الخير اي المال **لشديد** اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال
وايثار الدنيا لقوي شديد **افلا يعلم** يعني هذا الانسان **اذا بعثر** اي اثير واخرج **ما في القبور** يعني من
الموتى **وحصل ما في الصدور** اي ميز وابرز ما فيها من خير او شر **ان ربهم بهم** انما جمع الكناية لان
الانسان اسم جنس **يومئذ لخبير** اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى
انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور
لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت
اعمال الجوارح والله اعلم

تفسير سورة القارعة مكية

وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومايه واثنان وخمسون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز
وجل **القارعة** اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدايده والقارعة من اسما القيمة
سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدايد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا
نفخ الصور مات جميع الخلايق من شدة صوت نفخته **ما القارعة** تهويل وتعظيم والمعنى انها
فاتت القوارع في الهول والشدة **وما ادراك ما القارعة** معناه لا علم لك بكنهها لانها في
الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك **يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث** الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سمي بذلك لتفرشها وانتشارها وانما
شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب
الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعوا فيذهب كل واحد الى غير
جهة الاخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد

كثرتهم قال الفراء كغوغا الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم
في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول ونكون الجبال كالعهن المنفوش وذلك انه تتفرق
اجزاوها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ختم بين حال الناس وحال
الجبال كانه تعالى نبه على ان تاثير القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير
كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيمة
قسم الخلق الى قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع
موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان
توزن فيه الاعمال فيوتى بحسنات المومن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة
له ويوتى بسيات الكافر في اقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما يوزن اعمال المومنين
فمن ثقلت موازينه حسناته على سياته دخل الجنة ومن ثقلت سياته على حسناته دخل النار فيعذب
سيه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو عنه الله بكرمه فيدخله الجنة بفضل رحمته وكرمه
واما الكافر فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا روي عن ابي بكر الصديق انه قال
وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان
ان يوضع فيها الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان ان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى فهو
في عيشة راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها واما من خفت
موازينه اي رجحت سياته على حسناته فامه هاوية اي فمسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في
المسكن الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسما النار وهي المهواة التي
لا يدرك قعرها فيهوون فيها على روسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه اي
هلكت حزنا وثقلا وما ادراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال نار حامية اي حارة قد انتهى
حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله اعلم

تفسير سورة التكاثر مكية

وهي ثمان ايات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
الهاكم التكاثر اي شغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم
وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشي اعرض عن غيره فينبغي للمومن العاقل ان يكون سعيه
وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقربا تفاخر
باخس المراتب والاشتغال به يمنع الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد
ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه
قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية الهاكم التكاثر قال يقول ابن
ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى
عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى

الاية

الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه
الاية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا
وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بني عبد مناف وبني سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا
السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر
عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى
زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلثة ابيات
لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فنزلت هذه الاية وهذا القول اشبه بظاهر القران لان قوله
حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب انكم اكثر منهم عددا
فماذا ينفع ثم رد الله تعالى قولهم فقال كلا اي ليس الامر كما يتوهمه هولاء بالتكاثر والتفاخر
وقيل معناه حقا سوف تعلمون وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون
عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني
الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعني المومنين وصاحب هذا القول كان يقرا الاولى بالياء والثانية
بالتاء كلا لو تعلمون علم اليقين اي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم
ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان الله باعثه بعد الموت
لترون الجحيم اللام يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وانما اوعدوا به
لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم على بعد ثم لترونها يعني مشاهدة عين
اليقين وقيل انما كرر الروية لتاكيد الوعيد ثم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني كفار مكة في
الدنيا في الخير والنعمة فيسالون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث
عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر
بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره يسالهم عن ذلك وقيل ان هذا السوال يعم الكافر
والمومن وهو الاولى لكن سوال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم به عليه والمومن يسال
سوال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به عليه واطاع ربه فيكون السوال في حقه تذكيره بنعم الله
عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول
الله واي نعيم نسال عنه وانما هي الاسودان التمر والما قال اما انه سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن واختلفوا في النعيم الذي يسال العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسالن يومئذ
عن النعيم قال الامن والصحة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما
يسال عنه العبد يوم القيمة من النعم فيقال الم نصح لك جسمك ونروك من الما البارد اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب م عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او
ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فقوموا فقاموا معه
فاتى رجلا من الانصار فاذا ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما اذ جا الانصاري فنظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فجاهم بعذق فيه لبن وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا
فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا
النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم والاخرجه الترمذي
باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان
والاسماع والابصار يسال الله العبيد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسال عن القصر
والفراغ والملاذ خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير
من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسال العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل
احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسال عن تخفيف الشرائع وتيسير القران وقيل عن الاسلام
فانه اكبر النعم وقيل يسال عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي انقذكم به من الضلال الى
الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم

تفسير سورة العصر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعصر قال ابن عباس والدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر
والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم يضيفون
النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب
والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال
لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال الانسان وقيل اراد بالعصر آخر
طرفي النهار اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى
في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر وكذا هو في مصحف
عائشة وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن صلاة الوسطى
صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد تنبيه
بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر اي لفي خسران
ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في ايدي الناس اي الدراهم وذلك
لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان
اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان
كانت في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييع وخسران فبان
بذلك انه لا ينفك احد عن خسران وقيل سعادة الانسان في طلب الاخرة وحبها والاعراض عن الدنيا
ثم ان الاسباب الداعية الى حب الاخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب
كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم
بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى
فهو صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك وتواصوا اي اوصى بعض المؤمنين بعضا

بالحق

بالحق يعني بالقران والعمل فيه وقيل بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر اي على اداء الفرائض واقامة
امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا فانه
يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله اعلم

تفسير سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اي قبح
وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الباغون البرآء العنت وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في غيبتهم قال الشاعر

اذا لقيتك عن كره تكاشرني ... وان تغيبت كنت الهامز اللمز

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يغيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل
هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم
وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينيه وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة
الذي يومض بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة
الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب
واصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه الكسر من اعراض الناس والغض منهم
والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان
للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل
في الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع
ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي
صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل
هي عامة في كل من هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا
وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه
فقال تعالى الذي جمع مالا وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز
يعني وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وقيل انما نكر مالا لانه بالنسبة الى
ما لا هو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير
وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة وعتادا له يحسب ان
ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت بيساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك
فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من
يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت كلا رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلد ذكره العلم والعمل الصالح
ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا لينبذن
واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن في
الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية فيها وسميت

حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم
ان وراك الحطمة التي تاكل اللحوم وتكسر العظام وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران
نار الله انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها الموقدة التي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة
حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال ورواه
عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة اي تبلغ المها ووجعها القلوب والمعنى انها
تاكل كل شي حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شي في بدن الانسان وانه يتالم
بادنى شي فكيف اذا طلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه
وليس في النار وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة انها
عليهم موصدة اي منطبقة مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد
وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل
هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت
الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فما ينفتح عليهم باب ولا يدخل
عليهم روح والممددة من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله
اعلم

تفسير سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم
عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث ارياط
الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابو يكسوم فساخط
ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا
فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى
الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي اني قد
بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع به رجل
من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة
فقال من اجترى علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف ابرهة
عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه
بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث اليه فخرج ابرهة في الحبشة
سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك
اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني
فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد
خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا
فقال له نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه
وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب رجل من ثقيف فقال ايها الملك نحن

عبيدك ليس لك عندنا خلاف انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه
بابي رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا
من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود
اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حناطة الحميري الى اهل مكة
وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا
البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه
لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جا لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما عندنا
قتال ولا لنا يد ان نخلي بينه وبين ما جا له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه
السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق
معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم
العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غنا فيما نزل بنا فقال
فما غنا رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل فانه لي صديق فاساله
ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه
فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال
وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل
اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم
الناس في السهل والوحوش في روس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك فقد جا
غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة
اعظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه
فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال عبد المطلب
حاجتي الى الملك ان يرد علي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له كنت اعجبتني حين رايتك
ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جيت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه
لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا رب سيمنعه
منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذلك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب
خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في روس الجبال تخوفا عليهم من معرة
الحبش ففعلوا واتى عبد المطلب واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا ۞ يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ۞ امنعهم ان يخربوا قراكا

وله ايضا

لا هم ان العبد يمنع حله فامنع حلالك ۞ لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك ۞ عمدوا حماك بكيدهم بغيا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع
قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيا للدخول وعبى جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم ير مثله

في العظم والقوة ويقال كانت اثنى عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال ابرك
محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل بعد ذلك فابى فضربوه بالمعول
في راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن
فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى
الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل فارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين
القوم ارسلنها عليهم فلم يصب تلك الحجارة احدا منهم الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين
لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق ونفيل ينظر
اليهم من بعض تلك الجبال وفي ذلك يقول نفيل

۞ الا ردي كاينا ردينا نعماكم على الهجران عينا ۞ فانك لو رايت ولم تريه لدى جنب المحصب ما راينا ۞
۞ حمدت الله اذ ابصرت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا ۞ وكلهم يسال عن نفيل كان علي للحبشان دينا ۞

وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على
ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعها مدة من دم وقيح ودم فانتهى
الى صنعا وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال
الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصب ويقال
رئوا بالحصا وقال بعضهم ان ابا يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير حتى حاذى فوق راسه حتى بلغ النجاشي
فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من تلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول

امية بن الصلت ۞ ان ايات ربنا ساطعات ۞ ما يماري فيهن الا الكفور ۞
۞ حبس الفيل بالمغمس حتى ۞ ظل يحبو كانه معقور ۞

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان الناس
وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى
ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا نارا
واستوفوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق
الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان بمكة يومئذ
ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم
الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه
عن رايك فقال ابو مسعود اصعد بنا الى حرا فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة
من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم ابثها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيا فيغضب
رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا
بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن
صحن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه
القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات
من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على روسنا قال هل تعرفها

قال

قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب
في مناقرها حصى كانها حصى الحذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها
احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم وكدت فوق روسهم فلما
توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في مناقرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصبت
راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا احدا ثم
دنيا فلم يسمعا صوتا فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا
هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فتخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر
في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى اعمق في الارض فملاه الذهب
الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت
حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني لم ارى
ان اجعل اجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس
فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته المقادة
فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما في غنا من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته
واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير
انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه
تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز وجل الم تر كيف الم تعلم وذلك لان هذه
الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا
معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى الم
تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كان افيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما
وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الاي وفي قصة
اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في العقل ان طيرا تاتي
من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه
وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك نصرة من ارتضاه ونبوة محمد صلى الله عليه
وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سخط عليه وذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب
لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك النبي محمدا صلى الله عليه وسلم فكانه
تعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمقدمك واذ قد نصرتك
قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك وقوله تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب
الكعبة في تضليل اي تضييع وخسار وابطال ما ارادوا اضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من
تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله وارسل عليهم
طيرا ابابيل يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد
لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيول وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها
خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها روس كروس السباع وقيل لها انياب كانياب

السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا كل طاير ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيا الا هشمه ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم قوله عز وجل ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكيل فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاوه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزا الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله اعلم

تفسير سورة قريش مكية

وقيل مدنية والاول اصح وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لإيلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف ماكول لإيلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتا والصيف ولهذا اجعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي بن كعب في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القران كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لإيلاف قريش فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتا والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتا والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والإيلاف من الفت الشي الفه الفا وهو بمعنى الايلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من الفت كذا اي لزمته والفنيه الله اي الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر ابن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي م عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت

اول قريش نكالا فاذق اخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والنوال العطا والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش لهم اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشي من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف ذلك العرب في اشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر	بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر	على سائر البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك	فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش	ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي	يكثر القتل فيهم والخموشا
يملا الارض خيلا ورجالا	يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقريش التجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا	به جمع الله القبايل من فهر

وقوله ايلافهم هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه رحلة الشتاء والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتا الى اليمن لانها ادفى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسو وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل الى جدة واهل البر بالمحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة والتوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مونة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي وكان اول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى	هلا مررت بال عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم	منعوك من ضر ومن اكفاف
الرايشين وليس يوجد رايش	والقايلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم	حتى يكون فقيرهم كالكاف
والقايمين بكل وعد صادق	والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه	ورجال مكة مسنتون عجاف

سفرين بينهما لدوا لنوم سفر الشتا ورحلة الاصياف

وقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما رفع
ضرر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضرر
وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر
الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو الذي اطعمهم من جوع وامنهم من
خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الاية
انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد
عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وامنهم
من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم الجذام وقيل امنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وباله سلام والله اعلم

تفسير سورة الماعون مكية

وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وايل والنصف الثاني بالمدينة في ابي بن ابي سلول المنافق وهي
سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمس وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت
الذي يكذب بالدين قيل نزلت في العاص بن وايل التيمي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو
بن عايذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل عرفت الذي يكذب
بيوم الجزا والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة
من حال هذا المكذب بالدين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى
ارايت ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح بيانه فكيف
يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى
انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره
ويضربه ويستخف به وقرى ويدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على
طعام المسكين اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزا وهذا غاية البخل اي يبخل بماله وبمال
غيره فلا يامر غيره باطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم
عن صلاتهم ساهون روى البغوي بسنده عن سعد قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الذين عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا
عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراوون وقال تعالى في وصف
المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراوون الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل
لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل
هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون
بلفظ عن علم انها في المنافقين والمومن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو انه
لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمومن اذا سهى في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق
بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزا الصلاة وهذا لا يصدر

الامن المنافق الذي يعتقد انه لا فايدة في الصلاة فاما المومن الذي يعتقد فايدة صلاته وانها
عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني
انه يصير ساهيا في بعض اجزا الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث
النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو
عن الصلاة من افعال المنافق وان السهو في الصلاة من افعال المومن الذين هم يراوون يعني
يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي
يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل
الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه الريا فلا باس بذلك وليس بمراء
ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر
وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع
الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهو رواية عن ابن عباس
ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية
الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلا
الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي
يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا
لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البير والتنور في
البيت فلا يمنع جاره من الانتفاع بهما ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا القليلة الحقيرة
فان البخل بها في نهاية البخل قال العلما ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم
ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم بالصواب وباسرار كتابه العزيز الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تفسير سورة الكوثر مكية

قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات
واثنان واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر نهر في الجنة
اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة
وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس خ عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب
تسمي كل شي كثير في العدد او كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضايل الكثيرة التي فضل بها على
جميع الخلق فجميع ما جا في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب
والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على
الاديان كلها والنصر على الاعدا وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيمة واولى الاقاويل في الكوثر
والذي عليه جمهور العلما انه نهر في الجنة كما جا مبينا في الحديث م عن انس قال كان نبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ غفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول
الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان

شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز
وجل عليه خير كثير هو حوض يرد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السما فيختلج العبد منهم فاقول
رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما عرج بي الى السما اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال
هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه وطينته مسك اذفر شك الراوي عن انس قال سئل النبي
صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله تعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلتها انعم منها اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى
من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح خ عن عامر بن عبد الله بن مسعود
قال سالت عايشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه
وسلم شاطياه در مجوف انيته كعدد نجوم السما ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم
السما من شرب منها لا يظما ابدا وفي رواية وزواياه سوا ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة
ثلاثة ايام وفي رواية فيه اباريق كنجوم السما من ورده فشرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا ق عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعا والمدينة وفي
رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعا اليمن وان فيه من الاباريق
كعدد نجوم السما م عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي نفسي بيده لانيته اكثر
من عدد نجوم السما وكواكبها الا في الليلة المظلمة المصحية انية الجنة من شرب منها لم يظما اخر ما عليه
يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل م عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن
اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شربه فقال اشد
بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والاخر من الورق
ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم
حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك
م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا
الي اختلجوا دوني فلاقولن رب اصحابي فليقالن لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك وفي رواية ليردن
على ناس من امتي الحديث وفي اخره فاقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلون عن الحوض فاقول
يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله
قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن

عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول رب هولاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا
بعدك ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا
عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض م عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذود عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة
عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء ليست لاحد غيركم
عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة
الف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعماية او ثمانماية اخرجه ابو داود فصل
في شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النواوي قال القاضي عياض
احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل
السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلايق من الصحابة
فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعايشة
وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس
وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد
وسويد بن غفلة وعبد الله الصنابحي والبرا بن عازب واسما بنت ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس
وغيرهم قال محيي الدين رواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر
ابن الخطاب وعايذ بن عمرو واخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتابه البعث
والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن
تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما
واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسما بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج
له من الصحيحين قال القاضي عياض في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة
الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح
وفي رواية كما بين ايلة وصنعا اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان
حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب
فيها لانه لم يات في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من
النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض
وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير
الموضوع للتحرير بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه
المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحة الرواية به والقليل داخل فيه فلا
معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في انية الحوض ان العدد المذكور في الاحاديث الصحيحة
الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله
عليه وسلم ما انتم جزء من ماية جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما
ضربه مثلا لاكثر العدد والمعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد
شرب فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود

لارتدادهم وتبديلهم ونحو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث الثابتة وهذا مما اختلف العلما في معناه والمراد بهم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا اعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلا ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكباير الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكباير فعلى هذا القول لا يقطع لهولا المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وساير اصحاب الاهوا فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المترفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكباير فكل هولا يخاف ان يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لا يظما ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المومنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شا من عصاتهم وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله **شرح** غريب الفاظ الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح اما جربا فبجيم ثم را ساكنة ثم با موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم را ثم حا مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقا من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان اليا المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة بينها وبين المدينة نحو خمسة عشر مرحلة وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتي عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما صنعا فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق موضع يعرف بصنعا دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح اليا المثناة تحت وبالشين والخا المعجمتين اي يسيل فيه وفي الحديث الاخر يغت بفتح اليا والغين المعجمة وكسرها وتشديد التا المثناة فوق اي يدفق فيه ميزابان تدفقا شديدا متتابعا وقوله اني لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض اذود الناس اي اي اضرب الناس لاهل اليمن بعصاي حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها من امور الاستقا والمعنى انا سابقكم

الى الحوض

الى الحوض كالمهيئ له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفاة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم **قوله** تعالى فصل لربك وانحر معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك اليمنى على الشمال في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الاية قد اعطيناك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذي اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على نعمايه عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانيك يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وايل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانيك هو الابتر اي المنقطع من كل خير وقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل النخلة التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواها ان تقطع تلك الصنابير منها فاراد كفار قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور نبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة وكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا واحد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانيك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله اعلم

تفسير سورة الكافرون مكية

وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا **عن** انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القران ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه

السورة ربع القران على هذا التقسيم والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد ابن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان نشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اوليك الملا من قريش فقام على روسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واذوا اصحابه وقيل انهم لقوا العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزيين ومن لم يومن منهم ومعنى قل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل علي وكان فيما انزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تابى بسماع الكلام الغليظ الشنيع من النظرين ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل علي قل يا ايها الكافرون والخطاب بقوله قل يا ايها الكافرون لكفرة مخصوصين قد سبق في علم الله انهم لا يومنون لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من اي من تعبدون ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني في حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التاكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التاكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل على لسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه الاية جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شيتم وهذه الاية منسوخة باية القتال والله اعلم

تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جا نصر الله

والفتح

والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتيذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم فلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ... وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا ... وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا ... وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

فانصر هداك الله نصرا ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السما فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان قد جا ليشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذين صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لين كان جا المدينة لقد علف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فراى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس

علي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم عليه ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك احسن القوم رحما واقربهم مني قرابة وقد جيت في حاجة فلا ارجعن كما جيت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا ابنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما بلغ بنيي ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيا قال لا والله ما اظن ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك قال جيت محمدا صلى الله عليه وسلم فكلمته فوالله ما رد علي شيا ثم جيت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جيت ابن الخطاب فوجدته اعدى العدو ثم اتيت عليا بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشي صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا وما ذاك امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد على ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على بنته عايشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلم ياتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتحسسون وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق

قال

قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس قلت واصباح قريش والله لين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جيت الاراك لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فوالله لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لين ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطية الرجل البطي قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه فقلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم وما ذاك الا اني علمت ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم انه لا اله الا الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيا بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها حتى الان شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابو سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الخيل حتى يرى جنود الله قال فخرجت به حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبايل على

را يأتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة الا
سألني عنها فاذا اخبرته يقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء
وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرين والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد
فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار
قال لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها
النبوة قال فنعم اذن فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته
يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن قالوا ويحك
وما تغني عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم
والى المسجد قالوا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر فاسلما
وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام
ولما خرج حكيم بن ابي حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث
بعث في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة
بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حمرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه
تواضعا لله عز وجل حتى راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد تمس واسطة الرحل ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضربت قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني
سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان
من الاحابيش امرتهم قريش بان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو
وكانوا قد اجمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما
لا تقاتلان الا من قاتلكم وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كداء فقال سعد حين توجه
داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال
يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب خذ الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال
واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة
قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنى عشر او ثلاث عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له
سلمة بن الميلاء من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا
غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة
ان لا يقاتلوا الا من يقاتلهم الا في نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة عبد الله بن ابي سرح وانما
امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن اهل مكة فاستامنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما
امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما
فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ فلم يصنع له شيئا فعدى عليه
فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان يغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث

بن نقيل

ابن نقيل بن وهب وكان ممن يؤذيه ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل
اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولى لعبد المطلب كانت ممن تؤذيه بمكة وعكرمة بن ابي
جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحارث بن هشام فاستامنت له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد
الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة
فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى
استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب
بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نقيل فقتله علي بن ابي طالب قالت ام هانئ بنت ابي طالب لما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن
ابي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي
ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين
وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف
الي وقال مرحبا واهلا بام هانئ ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال قد اجرنا
من اجرت وامنا من امنت فلا تقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس
حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن
طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها
ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين
الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة
من الابل اربعون منها في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية
وتعظمها بالاباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا
فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل
مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم
وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن
الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة
الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن
وهب بن الجمحي يا نبي الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر
فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو آمن يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به امانك فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان
يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد جيتك به فقال ويلك اعزب عني لا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعايه قال ماذا قلتم قالوا لا شي يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان لفتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا ق وعن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفدي واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فقال ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله واما التفسير فقوله تعالى اذا جا نصر الله يعني اذا جاك يا محمد نصر الله وهو على من عاداك وهم قريش ومعنى مجي النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها عنه فاذا جا ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جا نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعدا ومنه تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابتدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح وقيل النصر هو اكمال الدين والاظهار والفتح هو الاقبال الدنياوي الذي هو تمام النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذ ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا ان كانوا يدخلون واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن ق وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افيدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك حينيذ لاحق به عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابنا مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما اريته دعاني يوميذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جا نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيا فقال لي اكذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال قلت فما هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جا نصر

الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق وعن عايشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه اذا جا نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال خبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جا نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جا نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فان الاشتغال بهذه الطاعات يصير سببا للمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزا الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في ادا ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل احد من تقصير يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو عن ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغاير على الانبيا يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته ويشهد ظاهره لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله اعلم

تفسير سورة المسد مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبت يدا ابي لهب ق وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشي عن كله وجميعه وقيل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم

عمر النبي صلى الله عليه وسلم وكنى بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف
وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني
انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من اهل النار وما
له الا النار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها وتب قيل الاول اخرج مخرج
الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني
ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد هلك نفسه
ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباه الى الله تعالى
قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه
ماله وما كسب اي اي شي يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع وما كسب من المال يعني
وكان صاحب مواشي وما كسب اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب ولده لان ولد الانسان من كسبه
كما جا في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده بالنار فقال تعالى سيصلى
نارا ذات لهب اي نارا تلتهب عليه وامراته يعني ام جميل بنت حرب امراته اخت ابي سفيان بن
حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمالة
الحطب قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاة بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه لتعقرهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف
فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان
يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها او يحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل كانت تمشي بالنميمة
وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على
فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانها كالحطب في مصيرها الى النار في جيدها اي في عنقها حبل من مسد قال ابن عباس
سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتكون سايرها في عنقها
فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به فبينما هي
ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها
وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال لها المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها
وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم

تفسير سورة الاخلاص مكية

وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا فصل في فضلها
خ عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده انها لتعدل ثلث القران وفي رواية قال قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا
ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد
الله الصمد ثلث القران م عن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزا القران ثلاثة

اجزا

اجزا فجعل قل هو الله احد جزا من القران م عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اقرا عليكم ثلث القران فقرا قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها قد ذكر العلما
في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القران اقوالا متناسبة متقاربة
فقيل ان القران العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه
او صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد
هذه الاقسام الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران لان
منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل
عليه قوله لم يولد ولا يكون هو في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن
له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله
فهذا اسرار من اسرار القران المجيد الذي لا تتناهى اسراره ولا تنقضي عجايبه وقال الامام فخر الدين
لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرايع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى
علاوه وشانه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى
فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القران وقال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله
قيل معناه ان القران على ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة
للصفات فهي صفة القران وجزء من ثلاثة اجزا وقيل ان معناه ان ثواب قراتها يضاعف بقدر
ثواب قراة ثلث القران بغير تضعيف قوله تعالى تقالها يقال استقللت الشي وتقاللته اذا
عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما
لانها خالصة لله تعالى في صفته او لان قاريها قد اخلص لله التوحيد ومن فوايد هذه السورة
ان الاشتغال بقراتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة
تنزيه الله تعالى وبراته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية
والفردانية وعدم النظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مايتي مرة قل
هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد ماية مرة
فاذا كان يوم القيمة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل الجنة عن يمينك اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وعنه ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد
قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل قل هو الله احد عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم
يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت ولا شي يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم
يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شي اخرجه الترمذي وقال وقد
روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا الهك فاتاه جبريل

بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس
ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد
قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه
السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكره في سورة الرعد
وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن
بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شي هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث
الربوبية ومن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سالتموني عنه
هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن
الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم
احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد
والاحد ان الواحد يدخل في الاحد والاحد لا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد
في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما رايت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد
هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد الله
الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك
من حيث اللغة ان الصمد الشي المصمت الصلب الذي ليس فيه جوف ولا رخاوة ومنه قيل لسداد القارورة
الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى جلال الله عن صفات الجسمية وقيل
وجه هذا القول هو ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن كل
شي فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه انه تعالى بخلاف من اثبتوا له
الالهية والى هذا الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيان احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات
الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعز وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد
ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وائل شقيق
ابن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وفي رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذي
كمل فيه جميع انواع السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان
به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهي في
السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء
خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو فوق على وقيل هو الذي لا تعتريه الافات ولا تغيره الاوقات
وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والاخر الذي ليس لملكه انتقال
والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون والصفات
العليا ليس كمثله شي وهو السميع العليم قوله عز وجل لم يلد ولم يولد وذلك ان مشركي العرب قالوا
الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله
عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد
كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذي لا يتقدمه والد كان عنه

وهو الاخر الذي لا ينا خر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد اي ليس
له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له كفوا احد العديل والنظير والصاحبة والولد
خ عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك
وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي
من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد والله اعلم

تفسير سورة الفلق مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربع وسبعون حرفا م عن عقبة
ابن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر ايات نزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين فيه دليل واضح على كونهما
من القران وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القران ايضا
وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه خ عن زر بن
حبيش قال سالت ابي بن كعب عن المعوذتين قلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا
فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن ابن عبد بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة
فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قلت ما اقول قال قل هو الله احد
الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شي وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل فقلت ما
اقول قال قل اعوذ برب الفلق ثم ختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما
اخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعناه • بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق قال
ابن عباس وعايشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا
به حتى اخذ مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه
فيها وتولى ذلك لبيد بن اعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشي وما فعله حتى
اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عايشة ان الله قد افتاني فيما
استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند
رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي من
بني زريق قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بير ذي اروان ومن
الرواة من قال في بير ذروان قال ذروان بير في بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس
من اصحابه الى البير فنظر اليها وعليها نخل قال ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان ماءها نقاعة
الحناء ولكان نخلها رءوس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني
وخشيت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية البخاري كان يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن قال
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم

رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا
وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد
لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راه
في وجهه قط اخرجه النساي وروي انه كان تحت صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة
فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احد عشر
عقدة وقيل كانت مغروزة بالابر فانزل هاتين السورتين وهما احد عشر اية سورة الفلق خمس ايات
وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى
الله عليه وسلم كانما نشط من عقال ويروى انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلث ليال فنزلت
المعوذتان **م** عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال
نعم قال بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه في السحر وجواز الرقى قولها
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه قال الامام
المازري فمذهب اهل السنة وجمهور علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من
الاشيا الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقايق
لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه
وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل
ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب او المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه
لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله على يد من يشا من عباده فان قلت الستعاذة
منه هل هو بقضا الله وقدره ام لا فان كان بقضا الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر
لا بد وان يقع وان لم يكن بقضايه وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كلما وقع في الوجود هو بقضا
الله وقدره والاستشفا بالتعوذ والرقى من قضا الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روي الترمذي
عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى
نسترقي بها ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا قال هي من قدر الله قال الترمذي
هذا حديث حسن وقول عمر نفر من قدر الله الى قدر الله

فصل وقد انكر بعض المبتدعة
حديث عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة
بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلايل القطعية العقلية والنقلية قد
قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز
ما قام الدليل بخلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا ونحوها يظهر للبشر غير بعيد ان يخيل
اليه من امور الدنيا لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطي زوجاته وليس بواطي وهذا كثيرا
ما يتخيله الانسان من المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة لا حقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله
وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فيكون اعتقاده على السداد قال القاضي عياض وقد جا
في بعض روايات هذا الحديث فبينه ان السحر انما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه
وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة

وقوله

وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور **قوله** وجف طلعة ذكر يروى بالبا ويروى بالفا وهو
وعا طلع النخل واما الرقى والتعويذ فقد اتفقوا الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القران
او اذكار وردت في الحديث ويدل على صحة ذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها
حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة عن
الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال
نعم فانه لو كان شي سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ يقول اعوذ بالله من الجان وعين
الانسان فلما انزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية واما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك وما لا يعرف
معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل **قل اعوذ برب
الفلق** اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عند الصبح وسبب
تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ
ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثل لمجي الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح
كذلك الخايف يرتقب مجي النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعا المضطرين
واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين **وروي**
عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استغاث اهل النار من حره ووجهه
ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب والقادر عليه من شر عذابه وغيره **وروي** عن ابن
عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار
وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق** قيل يريد
به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر
كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس **ومن شر غاسق اذا وقب** عن عايشة قالت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فانه هو الغاسق اذا
وقب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود
ومعنى وقب دخل في الخسوف او اخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل
اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للمرض وهذا مناسب لسبب
نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل
غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل
الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها
وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر النفاثات في العقد**
يعني السواحر اللاتي ينفثن عند الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن اعصم
اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز
النفث في الرقى والتعوذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل
عليه حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه

بالمعوذتين الحديث وانكر جماعة النفث في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث
ولا يمسح ولا يعقد قيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا
كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل مندوبا اليه ومن
شر حاسد اذا حسد الحاسد هو الذي يتمنى ازالة نعمة الغير وربما يكون مع ذلك يسعى فلذلك امر
الله بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه او لبيد بن
اعصم وحده والله اعلم

تفسير سورة الناس مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر
بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو
الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات الناس فلهذا خصهم بالذكر ملك
الناس اله الناس انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه
بقوله انه ربهم وملكهم ثم الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس بان الالوهية خاص له سبحانه وتعالى
لا يشاركه فيها احد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم من شر الوسواس يعني
الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته
ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسهى وسوس واذا ذكر الله تعالى
انخنس الشيطان عنه وتاخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير
في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب
يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع راسه على القلب فذلك قوله تعالى
الذي يوسوس في صدور الناس يعني الكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد
بالصدور القلب من الجنة يعني الجن والناس وفي معنى الاية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك
بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض اهل العرب جا قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن
وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الاية ان الوسواس
الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة
وهم الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان
الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس
وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا ق عن عايشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرا قل هو الله احد
وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه
وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ق عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى يقرا على نفسه وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجا
بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد
الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به آنا الليل وآنا النهار ق عن ابن عباس قال

قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل
قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما ارتحل اخرجه الترمذي لحر كتاب
لباب التاويل في معاني التنزيل تم بحمد الله تعالى وعونه وحسن
توفيقه وتمان الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك
يوم سبع وعشرين في شهر شعبان الذي من
شهور سنة الف ومائة وواحد وثلاثين
بعد الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة والسلام
على يده كاتبه الفقير
احمد المجولي الشافعي
غفر الله له
ولوالديه
امين
م